إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسي

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور علي عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الثاني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

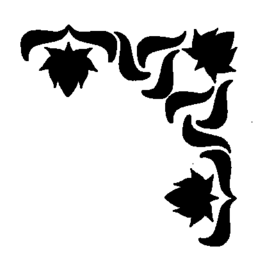
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج٢
تاليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسى ، تحقيق: على عمر
- ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : X ٣٩٠ ٣٤١ ٩٧١
١- الفقهاء ـ معاجم
أ- عمر ، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الايداع :٧٦٦٧/ ٢٠٠٨



إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيدان




حول ظهور الجزء الأول[1]
(من هذا التاريخ)

***

لقد كان لظهور الجزء الأول من هذا التاريخ الحفيل فى عالم المطبوعات رنة استحسان وصدى تقدير ودوى قوى فى سائر النوادى العلمية والأدبية والتاريخية، وما بزغت شمسه حتى تخلل صيته الآفاق، واشرأبت إليه الأعناق، وأحدقت به الأحداق، وتناقل صحيح حديثه الرفاق، وتصفحه نقاد العلماء والكتاب والأدباء من أقطار المغرب الثلاث إلى مصر والشام وأوروبا على اختلاف الملل والنحل وكتبت فى شأنه المجلات العلمية والصحف الأدبية شرقية وغربية عربية وعجمية وتهاطل على سماحة مؤلفه من رسائل التقريظ والثناء والتحبيذ من سائر المقامات ما سينشر عند انتهاء الكتاب إن شاء الله تعالى.

أما الآن فسيتوج هذا الجزء الثانى بالظهير الشريف الذى أصدرته جلالة مولانا السلطان أعزه الله تقريظا للكتاب وجوابا للمؤلف عن إهدائه إياه لجنابه الكريم.

وإن المؤلف ليشكر المحتفلين بكتابه على اعتنائهم والناقدين على ملاحظاتهم التى أبدوها عن إخلاص وصفاء. كما أنه يلتمس الأعذار للذين قدم لهم الجزء الأول هدية ودية، لمكانتهم العلمية وسمعتهم الأدبية فلم يتنازلوا - وقليل ما هم - حتى لرد السلام.

وإليك رسم الظهير السلطانى الشريف متلواً بالجواب المقيمى اللطيف.

---

(١) نص ما جاء فى صدر الجزء الثانى من إتحاف أعلام الناس.



الرجل الأعز الأرضى مؤرخ دولتنا الشريفة العالم النسابة الأحظى مولاي
عبد الرحمن ابن زيدان أمنه الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك
بما قدمته لحضرتنا الكريمة العلية وخدمة دولتنا الشريفة من نسخة من الجزء الأول
من تأليفك إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس وصار بالبال
بعد اطلاعنا عليه ووقوفنا على بديع الشكل عظيم الأمل عالي المقدار [illegible]
[illegible] الكريم من [illegible] بقاعدة عواصمنا التي انبنى عليها [illegible]
منوها بمن كان بها من الأشراف والعلماء والأكابر الأخيار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] التواريخ [illegible]
[illegible] والأخبار [illegible]
[illegible]
[illegible] الجزء الأول [illegible] 272
[illegible]

ظهير جلالة السلطان سيدى محمد بن يوسف للمؤلف

LE RESIDENT GENERAL

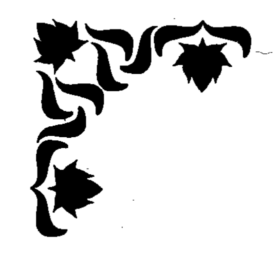
الحمد لله

[illegible]

[illegible] السعادة الفقيه [illegible] بالمغرب [illegible]
[illegible] العلامة الكبير المؤرخ الشهير [illegible]
[illegible] المدرسة الحربية بالدار البيضاء [illegible]
[illegible] الخصوص [illegible] الاحترام [illegible]
[illegible] الناس بجمال [illegible] مكناس
[illegible] بيوم الاحتفال [illegible] توجب [illegible]
الشكر والثناء
وإني [illegible] لتسمية [illegible] المشكل الغريب [illegible]
[illegible] وسلامتكم
[illegible]
[illegible] مكناس [illegible] العلامة [illegible] المغربية [illegible]
[illegible] التاريخ العربي [illegible] الكتاب [illegible]
[illegible] السلطان العظيم [illegible] إسماعيل [illegible]
[illegible] الشعب المغربي [illegible]
[illegible]
[illegible] المغربية [illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] الحماية الفرنسية [illegible]
[illegible] المغرب [illegible]
[illegible] وذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] 1929

كتاب من المقيم العام الحالى مسيو لوسيان للمؤلف






إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيدان






٨٧- إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل[1]

أحد رجـال صحيح البخـارى ذكره فى سنده مرة واحـدة فى أواخره - ابن الحســن المثنى بن الحسن السـبط بن على بن أبى طالب، ومـولاتنا فاطمـة الزهراء البتول. بنت أجل نبى وأفضل رسول صلى الله عليه وعلى آله وحزبه.

حاله: ماذا عسى أن أقول فيمن كـان جبريل لجده خديما، والله صلى عليه وملائكته، وأمرنا أن نصـلى عليه ونسلم تسليما، واختاره على وحـيه أمينا، وقرن طاعته بطاعـته وجعل حبه ذخرا ثمـينا. وماذا عسى يحبر اليراع. فى مـحامد من طبقت مفاخره البقاع. ولو حـاول المثنى عليه أقصى ما يحاول. فأين الثريا من يد المتناول. وبأى لســان أعرب. عن فـضائل من محـا آية الشرك من لـوح المغرب. وأزاح ظلام الكفر والطغـيان. بنور الهدى والإيمـان. . ورضع عباب العلم غـضا طريا. وجـعل إمامـه الكتـاب والسنة ولم يأت شيـئـا فريا. وجـاهد فى الله حق جهاده. وصير كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله العليا وذلك أقصى مراده.

وأبوه دنية ديباجـة بنى هاشم ورءوس قريش على سيادته فـيهم شدت منهم الحيـازم. وجده الحـسن روى عنه إمامنا مالـك. طائر الصيت فى سائـر المسالك. وقال: إنه ممن يقـتدى بفعله. اعترافـا منه بورعه وفضله. وأخرج لـه البخارى فى الصحيح. ووثقه الأئمة المرجوع إليـهم فى التعديل والتجريح. ورث ولده المترجم المجد لا عن كلالة. وتردى بـرداء الوقار والجلالة. تهيأت له الخـلافة العظمى. إذ رأت مكانته أفخم وأسمى. فأمهرها القبول. ونهج فيها نهج جده خير رسول.

كان فى علم الكتاب والسنة من البحور الزواخر. لا تكدره المواخر بلغ مرتبة أهل الاجتـهاد. وعلم جـلالته ومكانتـه فى العلم كل من ساد فى أقـطار البلاد.

---

(١) من مصادر ترجمته: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢٠٨/١ وما بعدها.

حاضرها والباد. كان لا يتقيد بمذهب شأن السلف الصالح ذوى السعى الرابح. عاصر مالكا وغيره من صدور الأمة. المهتدى بهديهم فى كل مدلهمة.

فر بنفسه فى وقعة فَخّ التى كانت فى أيام موسى الهادى بن محمد المهدى العباسى على ما قاله غير واحد من أعلام هذا الشأن، وصححه الحلبى فى دره. وفَخّ بفتح الفاء وتشديد الخاء - وقد وهم من أبدل الخاء جيما، وكانت هذه الوقعة الشنعاء يوم السبت وصادفت يوم التروية سنة تسع وستين ومائة، وكان هذا الإمام العظيم المقدار ممن حضرها هو وشقيقاه سليمان ويحيى فى جملة أبناء عمه وغيرهم.

ولما قتل فيها من قتل منهم ومن جملتهم شقيقه سليمان كما فى «تاريخ ابن جرير» و«مروج الذهب» للمسعودى و«الدر السنى» للقادرى وفر من فر، كان صاحب الترجمة ممن فر ناجيا بنفسه وفى معيته مولاه راشد فتوجها من مكة شرفها الله إلى مصر ثم إلى إفريقية فأقاما بالقيروان مدة ثم سارا إلى تلمسان واستراحا بها أياما، ثم ارتحلا عنها قاصدين طنجة فعبرا فى طريقهما وادى ملوية، ودخلا بلاد السوس الأدنى والسوس الأقصى وتجولا فى جبل درن إلى أن وصلا مدينة طنجة، ثم رحلا عنها إلى مدينة وَلِيلى، ونزلا على أميرها الأَوْرَبِى إسحاق بن محمد بن عبد المجيد، وذلك غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين ومائة باتفاق. قال علامة الآفاق ابن غازى فى رجزه الذى ذكره فى «تكميله»:

وعقدت راياته فى القصب	وجاءنا إدريس عام [قعب]
إلى وليلى المغرب القصى	إذ قام صنوه على المهدى
وبعد ما سم سما النجل الأبى	واختلط فاسنا لعام [قضب]

وما وقع فى «الدرر البهية» من أن ذلك كان سنة سبعين وهم.

وقد كان الأوْربى على مذهب الاعتزال، فرغب عنه رغبة فى التمذهب بمذهب هذا الإمام العظيم الشأن الذى هو مذهب أهل السنة والجماعة، فتمذهب به، قال الحلبى: صرح بذلك جمع من المؤرخين.

ثم جمع إخوانه وقبائل البربر فعرفهم بحسب ونسب هذا البضعة النبوية الطرية وما حوته من الأوصاف الحميدة وقرابتها من رسول الله، وأشار عليهم ببيعته فأجابوا بالسمع والطاعة، وكان ممن أسرع لبيعته غمارة وزواغة ولواتة وصدراتة ومكناسة ونفزة وغياثة وفى مقدمتهم قبائل أَوْرَبَة أهل القوة والشوكة لذلك العهد، وكافة البرابر المخالفين لبرغواطة، فبايعوه على السمع والطاعة ولم يتخلف أحد منهم عن بيعته.

وقد اتفقوا على أن بيعته كانت سنة قدومه وهى سنة اثنتين وسبعين ومائة، واختلفوا فى شهر ويوم بيعته منها.

فقيل فاتح ربيع الأول، وعليه جرى ابن أبى زرع فى «الأنيس» وابن القاضى فى «الجذوة» كلاهما فى ترجمة الحسن ابن قاسم آخر ملوك الأدراسة.

وقيل عند دخول رمضان وعليه اقتصر البكرى، والجزنائى، والحلبى.

وقيل رابع عشر منه، وعليه جرى أولا ابن أبى زرع، وابن القاضى.

ثم بعد مبايعة الناس له قام خطيبا فقال: أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذى تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا[1].

ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر وبايعوه على المنشط والمكره، فتمكن سلطانه وقوى أمره، ووفدت عليه الوفود من سائر الجهات وقصد إليه الناس من كل صوب وصقع.

ثم حشد الجيوش وخرج غازيا إلى بلاد تامسنا، ففتح أولا مدينة شالة ثم بعد سائر بلاد تامسنا، ثم سار إلى بلاد تادلا، وقد كان أكثر أهلها على دين

---

(١) الاستقصا ١/ ٢١١.

النصرانية واليهودية والمجوسية، وكان قد بقى منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصـون المنيعة، فلم يزل يسـتنزلهم ويقفـو أثرهم حتى اعتنقـوا الإسلام بالطوع والكره، وأباد من بقى منهم متعصبا بعد أن فتح مدائنهم ومعاقلهم.

ولما امتد نفـوذه بتلك الأصقاع رجع لمدينة وليلى فدخلـها فى النصف الآخر من جمادى الثانية سنة ثلاث وسبعين ومائة، فأقام بقية الشهر بها، والنصف الأول من رجب.

ثم ظعن برسم غزو تلمسان، ولما وصل إليهـا أقام بظاهرها حتى أتاه أميرها محـمد بن خزر بن صولات المغـراوى الخزرى وطلب منه الأمان فـأمنه وبايعه هو ومن معه بتلمسان من قبائل زناتة وغيرهم، فدخل المدينة صلحا، وأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبـراً، وكتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عـبد الله بن حسن بن الحـسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وعنا به.

فتم له الأمر ودانت له رقاب أهل المغرب، ونشر الإسلام فيه على يده، ولم يتفق هذا الفتح الباهر الباهض قبله لأحد حتى لعظماء القياصرة ذوى العدة والعدد والقوة والبأس الشديد، ورجع إلى وليلى وقد امـتدت إمارته ما بين نهر شلف إلى وادى نفيس. وقد وفد هذا الإمـام للقطر الإفريقى الوافر العمران المتـعدد الشعوب والقبائل واختلاف ألسنتـها وأديانها وأهوائها وآرائها وتمنعها وعصبيـتها، وهم أكثر من أن يحـصوا، قال ابن خلدون: وكـلهم بادية وأهل عصـائب وعشائر، وكـلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة.

والحال أن مولانا إدريس فى هذا الوطن غـريب (ناء عن الأهل صفر الكف منفردا) لا زاد ولا مال، ولا استعداد ولا عشيرة، ولا تقدم له معرفة بأحوال البلاد ولا يعلم لهم لسانا، ولا يعرف منهم إنسانا، ودولة بنى العباس فى عنفوان شبابها ذات سطوة قاهرة، وأساطيل متكاثرة وجيوش ذات قوة وبأس شديد، وكلمة نافذة

مسموعة، سوت بين الأحرار والعبيد، ولم تأل جهدا فى اقتفاء أثره والرغبة فى إلقاء القبض عليه، والبطش به حيثما وجد، وبالغت طاقتها فى الإغراء حتى سموه فى مشموم مسموم كما هو معلوم، فلم تقدر عليه، حماية وعناية من الله له، وأتاح له سبحانه من النصر والتمكين ما لم يعهد نظيره لأحد فى غابر الأزمان، فاستولى على كثير من بقاع المغرب، وبدّل لغة أهلها من البربرية إلى العربية ودياناتهم العديدة إلى التوحيد الحق، فأشرقت أنوار الإيمان بأرجاء قلوبهم، وفتح به فى أقرب مدة أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، وهدى به الملايين من الخلق وأنقذهم من ظلام الإلحاد والإشراك، إلى ضياء الحق، وآثروه على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشائرهم.

وقد غزاهم قبله من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا فلم يأخذهم رواؤه، ولا نجح فيهم دواؤه، إذ قد عاد وأبعده للثورة والردة حتى قال ابن خلدون نقلا عن ابن أبى زيد: ارتدت البرابر بالمغرب اثنتى عشر مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده.

ويعجبنى هنا قول صديقنا العلامة الحافظ الشريف السيد المدنى بن الحسنى الرباطى من قصيدة[1] فى عظماء المغرب مما أملى فى حفلة مدرسية عام ١٣٤١هـ.

---

(١) فى هامش المطبوع مطلعها.

بنى قومى أفيقوا من منام	وجدوا فى المعالى باهتمام	فما نيل المعالى بالتوانى
ولكن بالعزيمة والنظام	لقد كنا وكان العرب قدما	هداة الخلق من سام وحام
أناروا الكون والأقطار طرا	بهدى لاح فجرا فى ظلام	وكنا حائزى قصبات سبق
بميدان المكارم فى الزحام	لقد سادوا وساسوا الملك دهرا	بمصر والعراق مع الشام
وأندلس ومغربنا وصين	وسودان وهند باعتزام	فسل فاسا وقرطبة ومصرا
تنبيك أو فسل دار السلام	وسل غرناطة الحمرا وشاما	وتونس حيث تونس بالمرام

وفاز الغرب.. إلخ.

وفـار (الغـرب) بالـقـدح المعلى إذا اسـتـبق الجميع إلى السـهـام

فـ (طارق) قـد بدا علما تسـامى بحـد سنـانه وظبـا الحـسـام

قد اعتـرفت شعوب الأرض طرا بفـضل مـن مـآثره الجـسـام

وحـاز لسـان صـدق فى البـرايا تضـوع نشـره بعـد الرجـام

ألست تراه يـعـرض كل حـين أسـاطيل العـبـاد عـلى الدوام

و(موسى) قـد تسامى فى سـماء بنشـر العـدل فـينا والسـلام

وأحـيـا دارسـا (إدريس) لما بدا فـينا كـتـاج فـوق هام

له فـضل عظيم ليس يحـصى علـى أبناء مـغـربـنا العـظام

به الإسـلام قـر فى قـراه وأعطـتـه الـبـرابـر بالزمـام

وأتبـاع الهـداة على هداهم بميـزان لـهم بعـد الحـمـام

وسل سليـله (إدريس) سـيـفـا لإرغـام العـداة عـلى الرغـام

بنى (فـاسـا) فكان العلم فـيها ينـيـر لـنا دياجـيـر الـظلام

فكم حـبـر وكم بـحـر تسـامى ومـد عـبـابه كـالبـحـر طام

وإن (الجـامع القـروى) فـينا كنبـراس يضـيء لذى اعـتـصـام

به للـمـغـربى على سـواه فـخـار لا كـفـخـر بالـوسـام

جـميع مـدارس الدنيـا تبـدت مـتـابعـة كـتلو لـلإمـام

وقـد ضـربت له آبـاط إبل لشـيخ أو لكهـل أو غـلام

ومن آفـاق (أوروبا) خـصـوصـا بنى التـامـيـز من فـرط الغـرام

وراهب (رومـة) قـد رام فـيـه علوم الـكون من دون انتـقـام

أقـر بذا الجـحـود وليس يخـفى (هلال)[1] الأفق من تحت القـتام

وإن الحق مـا شـهـدت عـداه أقـر الخصم من بعـد الخصـام[2]

انتهى الغرض.

---

(١) فى هامش المطبوع: «جـاء فى مجلة (الهـلال) المصرية منذ ثلث قرن بتـاريخ عام ١٣١٥ آخر المجلد الأول (٥٠٨) أن «أقدم مدرسة كلية فى العـالم أنشئت ليست فى أوروبا كما كان يظن بل فى إفريقيا فى مدينة (فاس) عاصـمة بلاد المغرب سابقا إذ تحققت بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسـة كانت تدعى (كلية قيروان) وأسست فى الجـيل التاسع للميلاد وعليه فهى ليست فـقط أقدم كليات العالم بل هى الكلية الوحيدة التى كـانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية فى تلك الأزمنة حيث لم يكن سكان باريز وأكسفورد وبارو وبولونيا يعرفـون من الكليات إلا الاسم ولذلك كـانت الطلبة تتوارد إلـى كلية قيـروان من أنحاء أوروبا وإنكليز فضـلا عن بلاد الغرب الواسعة للانخـراط فى سلك طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابـلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم. ومن جملة من تلقى علومه فى هذه الكلية من الأوروبيين (غربرنا) والبابا (سلفستر) وهو أول من أدخل إلى أوروبا الأعداد العربية وطريقة الأعـداد المألوفة بعد أن أتقنها جيدا فى الكلية المذكورة كما يظهر من رسالته إلى الإمبراطور أتون مساعده التى أتى فيها على ذكر الصفر بقوله إنى أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة التى يزداد قيمة بوضع أعداد أخرى عن يساره ثم أبدى أسفه على حالتها الحاضرة ووصفه لما هى عليه الآن. أما قول الـعلامـة الأستاذ فـريد وجـدى فى كنز العلوم واللغة (٥٣٢) أن «الأزهر هـو أقدم مدرسة فى العالم، بعـد مدرسة بولونيا بإيطاليا» فهـو خلاف الواقع كما ترى من الكلام السابق. وهو مجد سامق (والـفضل للمتقدم) فإن القرويين بفاس بنتـه القانتة الصالحة أم البنين السيد فاطمة بنت محمد الفـهرى القيروانى يوم السبت فاتح رمضان سنة (٢٤٥) لما قدمت مع أبيها وإخوتها فى وفد القيروان على مولانا إدريس بانى فاس وأن الأزهر بمصر بناه القائد جوهر يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ فالقرويين أقدم من الأزهر بمائة سنة وأربعة عشر سنة.

(٢) تمامها:

و(يوسف) صاحب الحـمرا تبدى بأنـدلس إلـى رعى الـذمـــام

أجـار إلـى الجـزيرة إذ دعـتـه طوائفـهـا فـأحـيـا كـالـغـمـام

و(يعـقوب) ذو رباط الـفتح لهـا تمادى المعـتـدون فـى الانتـقـام =

=

فكان جوابه ما قد رأوه — من البطش القوى المستدام
وقد سالت بطاح الأرض طرا — بنبال وسياف ورام
وصب على الأعادى فى البادى — سياطا من عذاب كالضرام
ومد (أبو عنان) عنان عزم — إلى العلياء مرفوع المقام
وفى وادى المخازن قد تراءى — لنا (المنصور) يزأر كالهمام
و(إسماعيل) كم أبدى وأسدى — وأهدى من مفاخره الفخام
فطنجة والعرائش فى ثغور — بدت تفتر منه بابتسام
وما علماؤنا إلا معين — معين نافع لكل ظامى
ففى الحمراء عياض حفيد — سهيليهم بدور فى تمام
كذا القاضى أبو بكر بفاس — تراءى لنا بعيدا عن ملام
وعباس بن فرناس تسامى — وحلق فى الفضاء بلا مسامى
وإن الجوهرى سما بريش — إلى العلياء معتدل القوام
فكونوا خلفهم خلفا حميدا — يجدد ما تناثر من نظام
وكونوا مثلهم فضلا ومجدا — فينجو الكل من موت زُؤَام
«فليس تزال طائفة بغرب» — بفضل الله قائمة السنام
كما جاء الحديث بذا صريحا — عن المختار مولانا التهامى
فمسلم فى الصحيح روى فأضحى — صحيحا عندنا دون اتهام
وكونوا فى خلائفكم كروض — تأرج من غرار أو بشام
وقد بعث النبى لنا إماما — لتتميم المكارم بالتمام
وفى شعب الإيمان غناء — لمن يغنى بحل عن حرام
وإن حياءَنا منها فكونوا — كعذراء الخدور من احتشام
وإن قواعد الإسلام منها — كأركان البنا دون انهدام
فكونوا حافظين لها دواما — وإلا فالجميع إلى انعدام
تحلوا من خصال الخير طرا — بأخلاق حسان كالوئام
وإنصاف وحلم ثم صفح — ونصح خالص بذل السلام
وإغضاء وصبر مع وفاء — وإقلال الشراب مع الطعام
محبة كل ذى دين وعلم — ومعرفة وهجران الطغام

ولا يعزب عن علمك أن مـولانا إدريس ممن جاء بعد ابن نصيـر وأنه وجد قبائله أى المغرب ذات عـقائد زائغة، وبدع فاشية، وأن استقـرار الإسلام فيهم إلى الحين الحالى إنما هو على يد هذا الفـاتح الأعظم، الذى هو أول قادم من آل البيت المطهرين من الرجس تطهـيرا لقطرنا المغربى، وذلك فضل عظيم يـعظم به مجده، ويطول به باعه، والمرء فى ميزانه اتباعه.

وهو من تابعى التابعين على الصحيح وقـيل من التابعين وعليه جرى بعض قدماء العلماء الذين مدحوه حيث قال:

زرهون أشرف ما فى الأرض من بقع	إذ فـيـه قـبر عـظيم من ذوى الكرم
وذاك قـبـــر الإمـام التـابعى الذى	من آل بيت الـرسـول سـيـد الأمم
إدريس أفــضل خلق الله فــيـه إذا	وهو الإمـام لهم فى الحـشـر والعلم

وضرب السكة بتدغة عام أربعة وسـبعين ومائة نقش فى وسط وجه منها لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وبدائرته باسم الله ضـرب هذا الدرهم بتدغة سنة

=

وبر الـوالدين لـكم أكـيـــد	لتـــربيـــة لنا قـــبل الفـطام
ذروا كل الـقـبـــائح والدنـايا	وأخـــلاق قـبــاح مـن لئــام
ككبـــر أو كـعـــجب أو ككذب	وبهـــتـــان وإكـــثـار كـلام
وحـقـد غـيبـة حـسـد وهجـر	وتطبـــيع الزمـــان من المنام
فـإن الوقـت فـينا سـيـف قطع	فـإن لم تقطـع جـاء بالفـصـام
دعـــوا فـخـــرا بما يفنـى ويبلى	ولا يبـــقى جـــديدا كل عـــام
فليـس الفـــخـر إلا لـذى علوم	فـــقـــيـــمـــتـــه بـه بين الأنام
فـــجــدوا فى العلـوم بلا توان	ولا ضـجـر كفـعل المسـتـهـام
وليس العـلم سـهــلا دون كـد	ولـيـس يـنـال إلا لـذى دوام
وإنا نـســـأل المولـى حظـوظا	توافـــينا عـلى طرف الثـمـــام
ونســأله الـســلامــة كل حين	وتوفـيـقـا إلـى حـسن الخـتـام

١٧٤، ونقش فى وجه صورة هلال، ثم محمد رسول الله ﷺ، وتحت ذلك على ثم مما أمر به إدريس بن عبد الله: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا انتهى.

رأيت هذه السكة من فضة وزنها أكرمان اثنان وتسع وستون ٢، ٦٩- وعلى ذكر هذه السكة الإدريسية أذكر كلاما لصاحب «الدوحة المستكة فى أحكام دار السكة» ونص الغرض منه:

الفصل الأول فى أول من ضرب الدينار والدرهم قبل الإسلام وبعده وأول خليفة كتب اسم الله تبارك وتعالى وعين الأماكن لضربها وشدد فى تخليصها. قال القاضى أبو الحسن بن لبال في شرحه «لمقامات الحريرى»: إن الناس فى أول الزمان كانوا يتبايعون بالعروض فيما بينهم كالحنطة والشعير والحبوب والفواكه وما أشبه ذلك، فشكوا إلى ملكهم ما ساءهم من ذلك وما يخافون من إتلاف أموالهم إن بقوا على هذه الحالة، فأمرهم أن يختاروا ما لا يفسد على مكث الزمان، فاختاروا حجر الذهب الذى هو أبقى جواهر الأرض، وكلما بقى تحت الأرض صلح وطاب، وكلما دخل النار تخلص وحسن، وأمر بضرب الدنانير وطبعها بطابع الملك، ونهى أن تفسد وأن يكسر طابعها، وأن من فعل ذلك تقطع يده يريد على سُنّتهم، وأخبروه أيضا أنهم يحتاجون إلى ما لا يفى ثمنه بقيمة الدينار بأقل منه أو من أجزائه مما لا بد لهم من مصلحة أنفسهم من شراء الحوائج، فأمرهم باختيار حجر آخر دون الذهب يكون قيمة الدينار منه عشرة دراهم، فاختاروا الفضة وضرب منها الدرهم، وطبعه بطابع الملك فكانت قيمة العشرين دينارا مائتى درهم.

ولم تزل الروم تستعمل الدنانير والفرس تستعمل الدراهم حتى جاء الإسلام فكان الناس يستعملون ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فضرب الدنانير والدراهم وكتب على الدنانير: الله أحد، وكانت قبل ذلك لا كتب عليها، وكتب على الدراهم كذلك.

وكانت الدراهم فى أيام الفرس مختلفة على ثلاثة أوزان، منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطا، ودرهم على وزن عشرة قراريط، فلما جاء الإسلام واحتيج إلى تقدير الزكاة أخذ الأوسط من جميع الأوزان الثلاثة وهى اثنان وأربعون قيراطا، فاتفقوا على أن يكون الدرهم على وزن أربعة عشر قيراطا من قراريط المثقال، والمثقال أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط من ثلاث حبات، وأربعة وعشرون فى ثلاثة، اثنان وسبعون فهو من اثنين وسبعين حبة.

ومن البرى لوتيمة بسنده عن ابن عباس، قال: إن أول سكة وضعت فى الأرض الدنانير والدراهم وضعها ثمود بن كنعان، وكان الناس يتبايعون قبل ذلك بالتبر من الذهب والفضة، فلما ضربت الدراهم والدنانير نخر إبليس نخرة وقبض عليها فى يده وقبلها، وقال: استمسكت من بنى آدم، بكما يقطعون الأرحام ويسفكون الدماء ويظلم بعضهم بعضا.

وقيل: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم نظر إلى أغلب ما يتعامل الناس فيه من أعلاها وأدناها، فجعل منها اثنى عشر دانقا، وأخذ نصفها فكانت ستة دوانق، فمتى زدت على الدرهم ثلاثة أسباعه كان مثقالا، ومتى نقصت من المثقال ثلاثة أسباعه كان درهمًا.

وكان الفرس عند فساد أمورهم قد فسدت نقودهم، والنقد هو الخالص من الذهب والفضة، فاتسع فيه حين جعل المعجل من كل مدفوع نقداً من كل شىء فميز المغشوش من الخالص.

وقد اختلف فى أول من ضربها فى الإسلام، فقيل: عبد الملك بن مروان وكانت حينئذ الدنانير من ضرب الروم، والدراهم من ضرب الفرس كسرى وحمير، وكانت قليلة فأمر عبدُ الملك بن مروان الحَجَّاجَ بضربها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وقيل خمس وسبعين، وكتب عليها: الله أحد الله الصمد.

ثم ولى ابن هبيرة فى أيام يزيد بن عبد الملك فضربها أجود مما كانت، وشدد فى تجويدها، ثم ضربهـا بعده يوسف بن عمر فأفرط فى تجويدها فـكانت الهبيرية والخالدية واليـوسفـية أجود دراهم بنـى أمية، وكـان المنصور لا يأخـذ فى الخراج غيرها.

وقيل: إن أول من ضربها مصعب بن الزبيـر عن أمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة، وعليـها بركة من جانب والله من جانب، ثم غيرها الحَجّاج وكتب عليها بسم الله فى وجه، وفى وجه الحَجّاج. انتهى.

وقـال: أول من ضـرب السكة المركنة أبو عـبـد الله المهـدى القـائم بأمـر الموحدين، وكانت الدراهم قـبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة، فـأمر المهدى وعهد إلى خليـفته عبد المؤمن أن تكون دراهمه مـركنة فكانت كذلك إلى أن قال: وكان بمدينتى فـاس القرويين والأندلسيـين دار سكة فنقلهمـا الخليفة أبو عـبد الله الناصر بن المنصور الموحدى إلى دار أعدها بقصبـتها حين بناها سنة ستمائة، وأعد بها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها وغالبا ما كان يسبك به الذهب.

تنبيه: ما قدمـته من أن مولانا إدريس هو أول آل البيت دخـولا للمغرب به صرح غير واحـد وأطلق، ولا إشكال فى كونه كذلك بالنسبة للمـغرب الأقصى، وأما غيره فـقد وقع فى «حجة المنذرين» أنه سبقـه إلى دخول المغرب الأدنى أخوه سليمان هـ.

أقول: ويرده قول ابن خلدون: وأما سليمـان أخو إدريس الأكبر فإنه فر إلى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس. انتهى.

وقال قبل هذا ولحق به - يعنى الإمام إدريس الأكـبر - من إخوته سليمان، ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها، ونذكر خبره فيما بعد. انتهى.

يشير إلى ما قدمنا بعضه عنه آنفا ونحوه لابن أبى زرع، وهو صريح فى أن دخول مولاى سليمان للمغرب متأخر عن دخول شقيقه المترجم، لكن ينافى ذلك ما أسلفناه عن ابن جرير والمسعودى وغيرهما من كون المولى سليمان كان من جملة قتلى فَخّ، ومثله نقله الحلبى عن سبط ابن الجوزى، ويوافقه ما نقله الحلبى أيضا عن ابن حزم ومصعب، من أن الذى أتى تلمسان هو ابن سليمان محمد لا أبوه سليمان، وكذا ما نقله عن «بحر الأنساب» من أن محمد بن سليمان هو الذى خرج مع عمه المترجم إلى تلمسان. فدخول سليمان إلى المغرب مختلف فيه، قال الحلبى: والصحيح دخوله إياه لاتفاق مؤرخى المغرب عليه كالتنسى، وابن خلدون، وابن أبى زرع، وصاحب المسالك، ونقل عن النوفلى ذلك أيضا وهو محقق فى التاريخ. انتهى.

قلت: أما ابن خلدون وابن أبى زرع فكلاهما صريح فى أن دخول سليمان للمغرب متأخر عن دخول أخيه الإمام إدريس، فلا شاهد فيه لمن ادعى الأولية لسليمان وإن كان شاهداً لأصل الدخول، وأما كلام المسالك فقد وقفنا عليه فى أصله فوجدناه صريحا فيما قصده الحلبى من أصل الدخول محتملا للتأخر والتقدم، وهو فى الأول أظهر واعتماده فى ذلك على كلام النوفلى لنقله له واقتصاره عليه فى ترجمة مدينة فاس، ومن جملة ما اقتصر عليه فى هذه الترجمة أن سليمان نزل مدينة تلمسان مع أنه فيما قدمه فى ترجمة تلمسان اقتصر على قوله: نزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن. انتهى. فاقتصر على أن النازل بها هو ولده محمد وبه يسقط احتجاج «الدر النفيس» بما فى المسالك.

وفى «العرف العاطر» لأبى محمد عبد السلام القادرى جد صاحب «النشر» ما نصه: بويع له - أى لسليمان - بتلمسان فيما قيل، ثم قال: وقال مصعب: إن سليمان المذكور قتل بفخّ، قال: وكان ولده محمد خرج إلى المغرب، ومصعب أعرف بهذا الشأن من غيره إذ كان معاصراً له ومن أهل أرضه وبلاده ونحوه لابن حزم والأزورقانى. انتهى.

وبطرته بخط صاحب النشر ما صورته ما حكاه بقيل من أن سليمان بن عبد الله دخل المغـرب ونزل بتلمسان هو الذى عند التنـــسى فى نظم الدر والعقـيان، وابن خلدون فى كـتاب العـبر، وابن أبى زرع فى الأنيس وأبى عـبيـد البكرى فى المسالك.

قلت: التنسى تابع لابن خلدون، فإن كل ما فى كـتابه مأخوذ منه إلا أنه لا يسـميـه، وابن خلدون تابـع لصاحب الأنيـس فكثيـرا مـا ينقل عنه ويصـرح به ويعتمـده، وصاحب الأنيس تابع لصاحب المسالك فكثـيراً أيضا ما يعـتمده وينقل عنه، وصاحب المسالك نقله عن النوفلى عن عيســى بن حيون قاضى أرشقول ولم نعثر على من قال إن هذا كان من الحفاظ فالصحيح المعتمد أن الداخل للمغرب هو محمد بن سليمان كما قاله الحفاظ الثلاثة النسابون: مصعب الزبيرى، وابن حزم، والأزورقانى. انتـهى، من خط عم والدنا. انتهى، ما وجدته بخط صـاحب النشر طرة المحل المذكور من كتابه المذكور.

وقد رام فى «حـجة المنذريـن» الجمع بين الخـلاف فى هذا المقام فـقال: إن دخول مولاى سليمان المغرب كان صدر القرن الثانى فراراً من أبى جعفر المنصور، ثم استخلف ولده فى عين الحوت ورجع للحجـاز لأخذ الثأر زمن الهادى العباسى فاسـتشهـد فى وقعة فخ، ومن قـال: إن مولانا إدريس أول داخل للمـغرب يعنى المغرب الداخلى الأوسط فـلا ينافى تقدم دخول عمه إلى المـغرب الأدنى. انتهى.

وعليه ملاحظات:

الأولى: أن هذا الجمع لا يتأتى على قـول ابن خلدون ومن وافقه إن دخوله للمغـرب متأخـر عن دخول شقـيقه الإمـام إدريس، ولا على قول مـصعب وابن حزم، وابن جرير، والمسعودى ومن وافقهم أنه لم يدخله أصلا.

الثانية: أن قوله تقدم دخول عمه سهو وصوابه أخيه.

الثالثة: أن جعله تلمسان وما حوله من المغرب الأدنى خطأ بل ذلك عندهم من المغرب الأوسط، بل تلمسان هى قاعدته كما فى «جنى زهر الآس» و«الدر النفيس» وأصله لابن خلدون وغيره، وقد قدمنا ما بين ابن خلدون وغيره من الخلاف فى تفسير المغارب.

وفاته: اختلفوا فى سنة وفاته، فقيل: سنة خمس وسبعين ومائة، وعليه جرى النوفلى، وابن خلدون، والبكرى، والتنسى، والجزنائى، وابن قنفذ وهو المرقوم فى المشهد الإدريسى، وقيل: سنة ست وسبعين ومائة وبه صدر فى «الجذوة» ولم نره لغيره، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة وعليه اقتصر ابن أبى زرع والحلبى وغيرهما.

واختلفوا أيضا فى شهر ويوم وفاته فقيل: فاتح ربيع الأول وعليه اقتصر فى «الدر النفيس» ولم نره لغيره، وقيل: منسلخه وعليه اقتصر فى «الجذوة» وقيل مفتتح ربيع الثانى وعليه اقتصر ابن أبى زرع ونحوه للكلبى فى «الأنور» وقيل منسلخه وعليه اقتصر البكرى والجزنائى.

وعلى ذلك انبنى قدر مدة الخلافة لهذا الإمام فعلى أن البيعة فى سابع ربيع الأول والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى من عام سبعة وسبعين، وهذا أقصى الأقاويل المتقدمة تكون مدة الخلافة خمس سنين وأربعا وخمسين يوما.

وعلى أن البيعة فى أول رمضان، والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة رابع عشر رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أو ستة عشر يوما، فالأول على كمال شهر البيعة، والثانى على نقصانه.

وعلى أن البيعة سابع ربيع الأول والوفاة منسلخ ربيع الثانى سنة خمس وسبعين تكون المدة ثلاث سنين وشهرين اثنين عدا ستة أيام.

وعلى أن الوفاة فى متم ربيع الأول من سنة خمس وسبعين والبيعة سابع ربيع الأول، تكون المدة ثلاث سنين عدا خمسة أو ستة أيام.

وعلى أن البيعة فاتح رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثانى عام خمسة وسبعين، تكون المدة سنتين اثنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاة فاتح ربيع الثانى سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وسبعة أشهر ويوما واحداً، وإن كانت البيعة فاتح رمضان والوفاة منسلخ ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وسبعة أشهر لا غير.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاة فاتح ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وستة أشهر ويوما واحدا.

وعلى أن البيعة فى رابع عشر رمضان والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين وسبعة أشهر، وستة أو سبعة عشر يوما.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الثانى والموضوع بحاله كانت المدة سنتين اثنتين وستة أشهر وسبعة أو وثمانية عشر يوما.

فإن كانت الوفاة فى منسلخ ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة سنتين اثنتين وستة أشهر وستة أو سبعة عشر يوما.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة سنتين اثنتين وخمسة أشهر وثمانية أو سبعة عشر يوما.

فهذه تفاصيل المدة التى انبنت على الخلاف فى تاريخى البيعة والوفاة وقد علمت أن أقصاها خمس سنين وأربعة وخمسون يوما، ومنه يعلم أن ما وقع فى «الجذوة» و«الدر النفيس» من أن المدة خمس سنين وسبعة أشهر، إنما هو غلط

محض مخالف للأقوال كلها، وقد نبه على غلطهما فى «سلوة الأنفاس» وإن لم يستوعب ما فصلناه.

٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور والأزهر والتاج والمثنى.

بانى فاس ودفينها رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: كان إماما راوية عارفا بأحكام السنة والكتاب، واقفا عند حدهما مؤتمراً بأوامرها، منزجراً بزواجرها، قائما بحدود الله لا تأخذه فى الله لومة لائم، غضبه فى الله ولله ورضاه كذلك، أمَّاراً بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، ورعا جوادا كريما شهما صنديدا، سياسيا ماهرا مقتدرا، فصيحا بليغا، ناظما ناثرا ذا عقل راجح وحلم واسع، وإقدام فى مهمات الأمور وحزم وصرامة، يباشر الحروب بنفسه، ويبلى البلاء الحسن، مع ثبات جنان ورسوخ قدم، وطلاقة وجه وبشر وارتياح عند لقاء العدو وفى ميادين القتال وخصوصا إذا حمى الوطيس.

بويع له وهو ابن إحدى عشرة سنة، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومائة، وقيل سابع ربيع الأول. قيل الذى أخذ له البيعة هو راشد مولى والده وكافله ومربيه، وقيل: مات راشد قبل أخذ البيعة له، والذى أخذ له البيعة هو أبو خالد يزيد بن إلياس العبدى.

ولما بويع له صعد المنبر وخطب الناس، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسى ومن شر كل ذى شر، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً، ﷺ وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أيها الناس، إنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف للمحسنين فيه الأجر وللمسىء الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا،

٨٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٦٠.

فإن ما تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدوه عندنا، ثم دعا الناس إلى بيعته وحضهم على التمسك بطاعته، فتعجب الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه، ثم نزل فسارع الناس إلى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب، من زناتة وأوروبة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعة وتوطد له الملك وقويت جنوده وعظم سلطانه وأشياعه، وصارت الوفود تنسل إليه من كل حدب، وقصد الناس إليه من كل مكان من بلاد إفريقية والأندلس، فسر بذلك سرورا زائدًا وأكرم وفادتهم واصطفاهم وقربهم إليه، وركن إليهم.

فمن الوافدين عليه: عمير بن مصعب، وعامر بن محمد بن سعيد القيسى الفقيه الورع وأبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى، وداود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب استوزر الأول واستقضى الثانى واستكتب الثالث وقرب الرابع من دسته وخالطه بنفسه واصطفاه لأنسه.

ثم لما تبحر استعمار الوافدين عليه من المشارق والمغارب وضاقت بهم مدينة وليلى اشترى مواضع أرض فاس من ملاكها بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك، وشرع فى بناء المدينة يوم الخميس غرة ربيع الأول عام اثنين وتسعين ومائة، قيل: كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعا منه لله تعالى ورجاء الأجر والثواب. أسس أولا عدوة الأندلس وسورها، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين، ولما فرغ من بناء المدينة انتقل إليها واستوطنها واتخذها دار ملكه ومقر كرسى إمارته.

وفى سنة سبع وتسعين ومائة خرج لتمهيد البلاد ومحو آثار دعوة الخوارج من الصفرية ومذهب الواصلية الذى كان سائدا ومنتشرا، فوصل إلى سوس واحتل مدينة نفيس ودخل فى حزبه قبائل المصامدة وحارب قبائل برغواطة أهل تامسنا، ثم عقد معهم الصلح ورجع لفاس.

وفى سنة تسع وتسعين ومائة خرج لتمهيد البلاد الشرقية فدخل تلمسان، وخضع لإمامته ملوك بنى خزرج من مغراوة واعترفوا بإمامته، وأقام بتلمسان ثلاثة أعوام فنظر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيها منبراً، ثم رجع إلى مدينة فاس فلم يزل بها إلى أن توفى.

مشيخته: أخذ عن مولاه راشد، وعامر بن محمد بن سعيد القيسى الفقيه الصالح الورع، سمع من مالك، وسفيان الثورى، وروى عنهما كثيرا أخذ عنه موطأ مالك وأخذ عن غيرهما.

شعره: من ذلك قوله رضى الله عنه فيما رواه عنه أبو هاشم داود بن قاسم الجعفرى:

لو مد صبرى بصبر الناس كلهم	لكل فى روعتى أو ضل فى جزعى
بَانَ الأحبة فاستبدلت بعدهم	همًّا مقيما وشملا غير مجتمع
كأننى حين يجرى الهم ذكرهم	على ضميرى مجبول على الفزع
تأوى همومى إذا حركت ذكرهم	إلى جوانح جسم دائم الهلع

وقوله:

أبهلول[1] قد شممت نفسك خطة	تبدلت منها عولة[2] برشاد
أضلك إبراهيم من بعد داره	فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بكيد ابن أغلب	غدا آخذا بالسيف كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا	ومناك إبراهيم شوك قتاد

(١) فى هامش المطبوع: «بهلول هذا هو داعية الخوارج وعالمهم كان ممن بايع مولاى إدريس والد المترجم».

(٢) فى هامش المطبوع: «أى جورا وميلا عن الحق».

ولادته: ولد بمدينة وليلى يوم الاثنين ثالث رجب الفرد سنة سبع وسبعين - بتقديم الموحدة على العين فيهما - ومائة وقيل سنة خمس وسبعين والخلاف فى ولادته مبنى على الخلاف السابق فى وفاة أبيه إذ لا خلاف أن أباه تركه حملا وأن مدة حمله لم تتجاوز القدر المعتاد.

وفاته: توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وقيل توفى ليلة اثنى عشر من جمادى الأخيرة عام ثلاثة عشر ومائتين وسنه ثمان وثلاثون سنة وسبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ودفن حيث قبره الآن من الحضرة الفاسية.

٨٩ - إدريس بن السلطان العادل المولى سليمان بن السلطان سيدى محمد ابن السلطان المولى عبد الله بن فخر ملوك سلاطين المغرب المولى إسماعيل.

حاله: فقيه علامة عامل مطلع له فى الحديث القدم الراسخ، وفيه وفى غيره من سائر الفنون اليد الطولى، ناسك ذاكر، ذو هيبة ووقار، وجلالة فى أعين الخواص والعوام، ذو أخلاق جميلة، وأفعال حميدة، وسجايا كريمة، واسطة عقد الصدور كثير التلاوة والأذكار. وكان يدرس العلوم بداره ومن عادته أنه يحضر أوانى الأتاى(١) وقت درسه وإذا رأى من الطلبة مللا أو سوء فهم أمر خادمه بمناولتهم كئوس الأتاى حتى تتشحذ أذهانهم وينتفى مللهم، ثم يعود للدرس وكان يطيل دروسه.

مشيخته: أخذ عن والده «الورد الناصرى» و«دلائل الخيرات» بما معه من الأحزاب، وهو أخذه عن والده السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمكناسة الزيتون عام ستة وتسعين ومائة وألف، وناوله إياه بالمسجد الأزهر المعروف اليوم بجامع

(١) فى تذكرة المحسنين فى الموسوعة ٧/ ٢٤٤٣ ترجمة: محمد بن عبد الله العلوى ت سنة ١٢٠٤هـ: «وفى أيامه أظهر الله بالمغرب عُشْبَةَ الأتاى المشروب بسائر أقطاره، وهو من خصائص صاحب الترجمة وأثره...».

الأروى كما رواه عن غيره، وأخذ عن شيوخ العلم الذين كانوا بالحضرة المكناسية في الدولة السليمانية لا تحضرنى الآن أسماؤهم.

الآخذون عنه: منهم الفقيه العدل السيد أحمد المدعو قرورو بن إدريس أجانا المترجم بعد صاحب الترجمة، والحاج محمد زغبوش، رحم الله الجميع بفضله.

وفاته: حدثنى بعض العدول المبرزين العلماء الموثوق بأمانتهم أنه حدثه الولى الصلح، سيدى العربى بن السائح، بأنه كانت بينه وبين المترجم وصلة وصالح أخوة ومحبة زائدة، حتى إنه كان لا يمر عليهما يوم لا يجتمعان فيه ولو بباب دار المترجم يتذاكرون فى المسائل العلمية والمعارف الذوقية، وأنه كان ظهر يوم خميس جالسا مع صاحب الترجمة بباب داره يتحدثان فيما حل بأهل مكناس من كثرة الموت ويأسفان على كثرة من أصيب بذلك الحادث الجلل، وإذا بالمترجم التفت إليه وقال: لعلنى يا سيدى العربى من زمام من يصاب بهذا الواقع، غير أننى أسأل الله أن أكون سبب الفرج عن أهل البلد واللطف بهم، قال: ثم بقينا بعد ذلك نتحدث حتى حان وقت العصر فودعته وذهبت لدارى.

ومن غده بلغنى بعد صلاة الجمعة نعيه فرعبت وفزعت لداره لأتيقن الخبر فوجدت أهله فى تجهيز جنازته، ولما سألت عن كيفية الواقع أخبرت أنه بعد فراقنا دخل لداره وتوضأ وصلى العصر ثم توجه بصحبة ولده المولى سرور لزيارة الشيخ محمد بن عيسى الفهدى، وبعد الزيارة طلب من مقدم الضريح إحضار أعيان أولاد الشيخ إليه، فلما حضروا واجتمعوا جميعا بداخل قبة الضريح طلب منهم موضعا لإقباره داخل الضريح فأجابوه بعد تردد جميعا لذلك، ولما تم الأمر بينهم وجه ولده المذكور للإتيان له بالثمن الذى وقع التراضى عليه فأتاه به وسلمه لهم، وعين المحل الذى اختاره لنفسه قرب الدربوز على يمين الداخل لقبة الضريح المذكور، ثم رجع لداره قرب المغرب وبعد صلاة العشاء الأخيرة نزل به ذلك

الحادث، ولم يزل الأمر يشتد إلى أن ختمت أنفاسه عند أذان المؤذن الأول زوال يوم الجمعة أوائل شعبان عام واحد وسبعين ومائتين وألف.

قال سيدى العربى رضى الله عنه: فازددنا يقينا بأنه ممن له عند الله منزلة كاملة، وأنه كوشف بما يحل به وقد حقق الله رجاءه فى اللطف بعباده، فكان رحمه الله خاتمة المصابين بذلك الحادث.

٩٠ - إدريس بن العلامة السيد التهامى أجانا.

حاله: فقيه علامة خاشع متواضع زاهد ناسك ورع، كان يدرس فى المسجد والقضيب بيده، ولا يدرس التوحيد إلا فى محل خاص مستترا عن العوام، وتخرج على يديه طلبة كثيرون، وكان يؤدب الصبيان احتسابا لله تعالى، ورحل إلى الحج راجلا على ما أخبرنى به من وثقت بخبره من أهل العدل، ودخل مصر وقرأ بها.

وكان يذهب كل يوم أربعاء وخميس لسجن بلاده المكناسية ومرستانها يخدم المساجين والمعتوهين ويقضى حوائجهم بنفسه، ويقول: لى فى ذلك فائدتان: وعظ نفسى، وتعريفها بنعم الله عليها ومعافاتها مما ابتلى به كثير من الخلق من السجن والقيود والأغلال وغير ذلك كى تنزجر وترتدع وتقبل بكليتها على شكر المنعم وحمده.

جعل كفنه بصدر بيته يشاهده ويعتبر ويتذكر به كلما دخل وخرج.

وله أحوال كثيرة من هذا النوع، وكان يخيط أكفان الموتى ويباشر غسلهم ويحترف بتسفير الكتب وإصلاح المبتور منها ويبيعها ويتعيش بثمنها.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه الوزير الفقيه السيد موسى بن أحمد، وأخوه السيد عبد الله عامل فاس وزَرْهُون، والسيد عبد السلام بن محمد بن الحاج

التهامى بن عبود، والسيد أحمد بن عمر الصوفى المتقدم الذكر، والفقيه العدل السيد محمد بن سميه فرموج، والفقيه السيد أحمد بصرى المترجم قبل ومن فى طبقتهم.

شعره: من ذلك قوله ومن خطه نقلت: جمع كاتبه سامحه الله بمنه كتب صحيح البخارى على ترتيبهم بصورة المخاطبة لغيره وأمره بما تضمنته معانيها فى هذه الأبيات وهى:

إذا رمت يا ذا الفضل عزا وأن ترى	أخا شرف فى الناس للحق مبصرا
تحل بإيمان وعلم تسد به	وكن بوضوء واغتسال مطهرا
ولا تقرب الحيض الخسيس فإنه	أذى وتيمم للصلاة مبادرا
لدى وقت أد جمعة ثم عجلن	وصل صلاة العيد والوتر أخرا
ومد للاستسقا يدى متذلل	وكن فى كسوف للركوع مكررا
وإياك أن تلغى سجود تلاوة	وفى السفر المرضى صلاتك قصرا
وعند هجوع الناس كن متهجدا	وعجل سجود السهو إن صرت ذاكرا
ومهما مررت بالجنائز فاعتبر	وأد زكاة المال والفطر صابرا
وإن كنت مسطاعا فبادر بحجة	وزد عمرة واحلل إذا كنت محصرا
ولا تؤذين صيدا إذا كنت محرما	وأد جزاء إن فعلت لتطهرا
وكن عارفا فضل المدينة واجتهد	بصوم فإن الصوم للنفس قاهرا
وفى شهره قم للتراويح واطلبن	بآخر ذاك ليلة القدر ساهرا
ولا تك فيه لاعتكافك تاركا	وإياك عند البيع تفعل محظرا
وإن كنت مسلما وإن كنت شافعا	لشخص فكن بالحق للحق ناصرا

وكن للأجير فى الإجارة مرضيا ولا تلزمنه بالحوالة مجبرا
وإياك والتوكيل فى الحرث واشربن زلالا والاستقراض عجله للورى
ودع عنك يا ذا الفضل كل خصومة ملازمة والقط إذا كن مشهرا
ولا تقربن نحو المظالم والزمن لدى شركة حكما لها قد تقررا
وإن حزت رهنا كنت فيه مخصصا وعجل بعتق للرقاب محررا
وفى هبة اشهد وصالح بشرطه وأوص بخير المال إن صرت محضرا
وجاهد عدو الله حق جهاده وفى بدء هذا الخلق كن متفكرا
وكن بجميع الأنبياء مصدقا وصحب رسول الله فضل على الورى
هم حضروا معه المغازى وقد شروا نفوسهم لله حقا بلا امترا
وواظب على التفسير للذكر واعرفن فضائله إن كنت للرشد مبصرا
ونفسك هذب بالنكاح وجانبن طلاقا وللإنفاق للأهل كثرا
وأطعم صديقا من عقيقتك التى ذبحت وكن للصيد بالحل عاقرا
ومن طيب الأموال قرب ضحية ولا تشربن يوما نبيذا مغيرا
ومهما مرضت فانبذ الطب لابسا حلِى أدب واضرع لمولاك صابرا
وذا البيت فاستأذن ولا تك ملغيا دعاء وخوف بالزمان وذكرا
وبالقدر المقدور ويحك صدقن ولا تك للأيمان والنذر مكثرا
وكفر يمينا إن حنثت وصححن فرائض وأقسمها بعلم وحررا
وإذ ما حدود قد أقيمت فسلمن ولا تك يوما للمحارب ناصرا
وعن سبب الديات نفسك باعدن وذا ردة إن تاب بالفوز بشرا

ولا تكرهن شخصا على فعل زلة ... ودع حيلا إن كنت يوما مخبرا
وعن فتن كن قاعدا متقاعدا ... وعن خطة الأحكام نفسك أخرا
ولا تكثرن قول التمنى وصدقن ... لقول امرئ فرد إذا كان مخبرا
ومعتصما كن بالكتاب وسنة ... ومن كلمة التوحيد قلبك عمرا
وكثر على خير الأنام محمد ... صلاة وتسليما وعظم ووقرا
عليه صلاة الله ثم سلامه ... على عد ما أملى من الوحى للورى
وآله طرا والصحابة كلهم ... ولله ربى الحمد بدءا وآخرا

قلت: قد أبدع رحمه الله فى الصنيع، وبرهن على أنه لا معرفة له بعلم القافية والكمال لله.

وفاته: توفى أوائل دولة سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن هشام على ما أخبرنى به بعضهم، وقد كان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف حيا يرزق، وضريحه بروضة سبعين لحية بين ضريحى المولى عبد الله بن حمد والسيد أحمد الحارثى، برد الله ثراه بمنه.

٩١ - إدريس بن الطيب بن محمد بن حم بن إدريس بن أحمد بن عبد الواحد - يدعى وحود - بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن على منون الشريف الحسنى.

شيخ الجماعة بالحضرة المكناسية.

حاله: علاَّمة مشارك متفنن نقاد، مقرئ أستاذ مجوّد، له اليد الطولى والمهارة الكاملة فى علم الأوفاق وسر الحرف، كان يؤدب الصبيان على عهد والده، ثم تصدر للشهادة بسماط عدول العاصمة، وقفت على عقد إشهاد له بخط يده بتاريخ سابع عشرى ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائتين وألف.

ثم انتخب للإمامة بمسجد القصبة الإمامية المعروف اليوم بجامع القصبة فكان الإمام الراتب به، ثم أخر عنها، وولى مكانه سيدنا الجد المولى على بن محمد بن عبد الملك بن زيدان، وسبب ذلك أن السلطان العادل مولانا سليمان جاء يوما للمسجد المذكور بقصد أداء فرضه جماعة فيه، فاتفق أن الإمام الراتب تخلف لعذر وكان الجد المذكور من الملازمين المواظبين على الجماعة، فأمر مولانا سليمان بإقامة الصلاة على الجد وأمره بالتقدم فامتثل وأم، ومن ذلك الوقت صيره الإمام الراتب به، ثم لما علم المترجم بالواقع أبدى أعذارا مقبولة أباحت له التخلف، فعين إماما راتبا بالضريح الإسماعيلى، رحم الله الجميع بمنه.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن العباس آتى الترجمة فى المحمدين فى جماعة، ولم أقف على وفاته.

٩٢ - إدريس بن الطيب بن اليمانى بن أحمد بو عشرين.

حاله: من بيت علم وديانة وفضل وصيانة، قال فى «خمائل الورد والنسرين»: إن بنى العشرين من الخلف الصالح الأنصارى الذين ظهروا بأرض المغرب وشاع فضلهم وظهرت آثارهم من الخير والصلاح وشعائر الدين ونشر العلوم الشرعية، قال: والذى تحقق عندنا فى أول استقرارهم بالديار المغربية أن انتقالهم لهذه العدوة كان من عدوة الأندلس، وأن أولهم الذى خرج من الأندلس هو أبو الحجاج يوسف البياسى، وكان من سادات زمانه علما ودينا وضخامة قدر وجلالة جاه، قال: والذى رويناه عن بعض الأثبات الثقات المعمرين الأخباريين من أهل مكناسة وذكرته للشيخ العلامة الكاتب سيدى اليمانى رحمه الله فى حكاية ذكرتها فى «الجيش العرمرم» فلما عرضت عليه ذلك الذى نذكره الآن أقره وصدق الذى حكاه لى، والذى حدث به ذلك المحدث المذكور، هو أن انتقالهم كان من تونس إلى تلمسان، ثم إلى فاس، ثم إلى سلا، ثم إلى جبال الزبيب، ثم إلى مكناس، فلما ذكرت ذلك للفقيه المرحوم سيدى اليمنى، قال: ذلك صحيح، إلا

أن الذى أعرفه أن الانتقال من تونس إنما كان إلى فاس لا إلى تلمسان ثم إلى فاس. انتهى. وقد زيف ما يخالف هذا مما قاله صاحب وفيات الأعيان فى ترجمة البياسى.

وكان المترجم فقيها أديبا كاتبا مجيدا وجيها استوزره السلطان سيدى محمد ابن عبد الرحمن بعد وفاة والده السيد الطيب صبيحة يوم السبت تاسع عشر شعبان عام ست وثمانين ومائتين وألف وذلك بالحضرة المراكشية، فقام بأعباء الوزارة أتم قيام مع الجد والحزم والنصح فى الأعمال والإخلاص لجانب الأمير والمأمور.

وقد كان رحل إلى الحج قيد حياة والده، وذلك عام تسع - بتقديم التاء على السين وسبعين بتقديم السين على الموحدة - ومائتين وألف فأدى فريضة الحج وزار قبر خير الأنام، وتاقت نفسه للجوار فاشترى داره الشهيرة بالمدينة المنورة، ثم آب للديار المغربية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج فاتح عام أربعة وتسعين بأهله وذويه، وأقام بمكة إلى فاتح عام سبعة وتسعين، وفيه رحل لطيبة الطيبة بقصد الجوار فطاب له بها المثوى والقرار.

وفى فاتح اثنين وثلاثمائة وألف دخل مصر والآستانة العظمى لمعالجة أَلَمٍ أَلَمَّ به فلقى من السلطان عبد الحميد ورجال دولته تكرمة وإجلالاً، ثم عاد إلى المدينة.

ثم فى فاتح سنة ثلاث وثلاثمائة وألف رجع إلى الديار المغربية لصلة رحم قرابته وقضاء بعض مهماته، فوجد السلطان بالثغر الرباطى فأجله واعتنى بشأنه ورافق جنابه العلى إلى الحضرة المكناسية، فراوده وألح عليه فى المقام على وَظِيفِهِ فاعتذر واستعفى وأبى إلا العود لجوار المصطفى، فساعده الإسعاد بالمساعدة وعاد لمدينة خير رسول معرضا عن كل ما يثبطه ويلهيه، وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين.

شعره: من ذلك قوله مؤرخًا تمام بناء روضة الأنيق بالمدينة المنورة

بـالله والجـــــار طـه	حل الـهنـا والتــــدانـى
والفـــوز دنيـــا وأخـــرى	بنـجل ابن الـيــــمـــانى
إذ تمم الـله قـــــصــــدا	لـــه بـأســـنــى مـكـــان
تاريـخـــه فى حـــروف	(أبشـــــر به بـأمـــــان)

ولادته: ولد بمكناس فاتح عام ستين بتقديم السين على المثناة فـوق ومائتين وألف كما أفادنى بذلك ولده الفقيه الحيى الأديب السـيد الحاج محمد خليفة عامل فاس فى العصر الحاضر.

وفاته: توفى بالمدينة يوم الأربعاء خـامس رجب سنة خمس وثلاثمائة وألف وصلى عليه بعد فريضـة الظهر من يومه بالروضة الشريفة ودفن ببـقيع الغرقد بين مشهد سيدنا إبراهيم بن خير العالمين ومشهد إمامنا مالك رضى الله عن الجميع.

٩٣ - إدريس بن أحمد بن التهامى مسامح.

حاله: كـان فقيهـا أستاذا مـقرئا علامـة متقنا له مشـاركة حسنة فى الفـقه والأصول والحديث والنحو والبيان والمنـطق والقراءات وكان يؤدب الصبيان إلى أن اصطفاه وزير وقته السـيد محمد بن العربى الجامـعى لتأديب أولاده، فصار يظعن بظعنه ويقيم بإقـامته فى التنقـلات السلطانية كلها إلى أن اختـرمته المنية بـالحضرة الفاسية.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح السيد المختار الأجراوى وهو عمدته وعن المفضلين السوسى، وابن عزوز، وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

٩٤- إدريس بن أحمد الخطابى الزرهونى.

حاله: كان فقيها عدلا رضًا، تولى نيابة القضاء بالزاوية الإدريسية عن قاضى مكناسة ونواحيها السيد أحمد بن سودة المرى، إلى أن أعفى لعجزه وكبر سنه، وأقيم مقامه ولده المترجم آنفا، وقفت على رسم بخطابه مؤرخ بسبع وتسعين ومائتين وألف.

وفاته: توفى ليلة الخميس مهل قعدة الحرام عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور بمقبرة خيبر من الزاوية.

٩٥- إدريس بن أحمد بن محمد البخارى المدعو البرنوصى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه حيسوبى، جليل القدر نبيه، له مهارة كبيرة فى الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس.

تولى الأمانة على دفع مُؤَن الجيوش السلطانية إلى أن مات عنها وحضر مع السلطان المولى الحسن فى وقعة فاس الشهيرة الآتية الشرح والتوضيح بعد بحول الله، وهو الذى تولى رمى منار مدرسة الطالعة من فاس، ثم لما مرض بفاس واشتد به المرض طلب التوجه لأهله وذويه بمكناس، فأذن له فاخترمته المنية قبل وصوله.

وفاته: توفى يوم الأربعاء ثامن عشرى محرم الحرام فاتح عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف بأرض سايس، ودفن من الغد بضريح الولى الكامل سيدى محمد ابن عيسى المعروف بالشيخ الكامل يمين الداخل للضريح من باب المعراض.

٩٦- إدريس بن المكى البخارى.

حاله: كان متوليا رياسة الجيوش المخزنية، وقورا مهابا مهما، حل بالبساط

الملوكى، يقوم إجلالا له كل من به من الجيوش ولم يكن ذلك لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر، وكان جوادا كريما شجاعا مقداما فصيح اللسان، قوى الجنان، ثبتا فى سائر شئونه، عارفا بالسياسة ونواميس المخزن وضوابطه، له مهارة كاملة فى الحساب والأوفاق واستخدام الجان، يتقن رواية ورش وقالون والبصرى إتقانا جيدا، خيرا دينا، ذا حزم وعزم، لا تكاد تجده فى وقت من الأوقات على غير طهارة مهما حدث إلا وأسرع للوضوء حضرا وسفرا، تقى نقى، ذاكر ناسك.

أخبر عنه بعض خواصه أنه كان يصبح تحت وسادته كل يوم مائة مثقال فيدفعها للقيم بصائر داره فيصرفها بتمامها ولا يدع منها شيئا، وأنه كان يغلق عليه بيته فى بعض الأحيان ويأمر أهله بالتنحي عنه وعدم الوصول إليه إلا بعد إذنه لهم بالدخول عليه، فيسمعون كلام الغير معه، فإذا قضى أربه صفق إذ كان ذلك علامة على الإذن لهم فى الدخول عليه، فإذا دخلوا عليه وجدوه وحده مستقبلا القبلة وسبحته بيده وقد تواتر هذا وأمثاله عنه.

وكان لا يهاب لا رئيسا ولا مرءوسا، ومن عادته التى لا تتخلف إذا أمره السلطان بالدخول عليه أدخل يده تحت ثيابه وحل السراويل فإذا قام أوهم الرائين أن السراويل حل واشتغل بشده هنيهة قليلة، ثم يدخل على السلطان فلا يواجهه بما يكره ولو وشى له به، وربما صرح السلطان بأنه مهما رام مشافهته بسوء خرس لسانه بمجرد وقوع بصره عليه.

وفاته: توفى بمكناسة عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف ودفن بالزاوية الناصرية.

٩٧- إدريس بن الحاج حفيد برادة الفاسى.

حاله: كان شابا نجيبا، حييا أريبا، فقيها نبيها، ذا سمت حسن، استخدم أمينا على الصائر على الدار السلطانية بالحضرة المكناسية، ودرس بجامعها الأعظم

«الخلاصة» و«الآجرومية» وختمها ثم أعفى ورجع لمسقط رأسه فاس، ثم نقل لرباط الفتح وامتحن رحمه الله بالسجن، وبرباط الفتح كانت منيته.

مشيخته: أخذ عن شيخنا ابن الجيلانى ولازمه فى «المختصر الخليلى» وغيره، وكان القارئ لديه أيام حضورى دروس الشيخ المذكور زمن رحلتى فى طلب العلم بالحضرة الفاسية.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى زَرْهُون الحالى ابن عمنا سيدى محمد بن إدريس، والفقيهان العدلان المبرزان: السيد عبد الله المدعو جمعان، والسيد محمد ابن سميه التراب ومن فى طبقتهم.

٩٨- إدريس بن القائد محمد بن أحمد الفيضى الأصل المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه ميقاتى ماهر متضلع حيسوبى متقن مطلع.

وفاته: توفى بعد التاسعة من هذا القرن.

٩٩- إدريس بن شيخ الجماعة القراء فى وقته الأستاذ البركة السيد اليزيد.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا مقرئا مجودا، حسن الصورة، حسن الصوت، حلو التلاوة، تأتى الناس لاستماع قراءته من الحومات البعيدة، يحفظ السبع حفظا متقنا، فاق أقرانه بل شيوخه، فكان حامل لواء القراء فى زمانه.

وكان أول أمره لا يحفظ شيئا، بعيد الإدراك والفهم يسخر منه صغار الولدان، ولما ضاق ذرعا من ذلك رحل إلى الجبل وأظنه جبل العلم فمكث ثَمَّ زمانا طويلا يتعاطى التعليم بقريحة وقادة وجهد واجتهاد حتى وقع له شبه اختلال وأنف من الاجتماع بالناس، فصار يذهب بلوحه لغابة قرب جبل العلم حيث لا يصل إليه أحد، ودام على ذلك مدة حتى لقى بعض الأخيار ولقنه قراءة بعض

السور القرآنيـة، فذهب ما به وفتح له وذللت له الصعـاب وحصل على حظ وافر من المعلومات.

ثم رجع لمكناس بعـد وفاة والـده حافظا ضـابطا متـقنا، واشـتغل بالإقـراء والتدوير والتدريس، وأقر له بالتفوق الفقهاء والقراء المرءوس منهم والرئيس، درس «درس الشاطبية» و«تصـوير الهمز» وغير ذلك مما لم يتصدر لتدريسـه غيره، ويقال إنه من آل البيت الأطهـار حسنى إدريسى والله أعلم، وكـان يحترف ببـيع الدقيق ولسانه رطب بالتلاوة.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول بن عزوز وغيره من علماء الجبل وأساتيذه، وعن السيد العربى بن شمسى.

الآخذون عنه: أخـذ عنه شيـخنا العرائشى، وقـاضى الأحواز أبو العـباس الناصرى، والعربى بادو، وجماعة.

وفاته: توفى مطعونا فى ثالث رمضان عام خـمسة وتسعين ومائتين وألف، وهو يصلى التراويح، يقرأ بحـرف حمزة فى قوله تعالى إن إبراهيم كـان أمة قانتا لله حنيفا وذلك بمسجد ضريح ولى الله سيدى أحمد بن خضراء.

١٠٠ - إدريس الوزير بن محمد بن إدريس العـمراوى بن محمد بن إدريس ابن محمد بن إدريس.

ثلاث مرات.

يرفع نسبهم إلى محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، كان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بنى عمر منهم من عهـد قيام مغراوة على الأدراسة واختفاء الأدراسة فى أغمار القبائل كذا فى «الجيش العرمرم».

حاله: كريم السجايا، طويل النجاد، صادق اللهجة، حازم ضابط فقيه، نبيه

أديب لبيب، من أبرع الكتاب وأنبـههم، آية فى الترسيل وقرض الشعر، صاحب أخلاق حسنة، وأفعال مرضية مستحسنة، سعاء فى قضاء حوائج العباد، هين لين مقتصد بشوش.

وجهه مستوزره السلطان سيدى محمد سفيراً لفرنسا فى ثالث عشر قعدة الحرام عام ستة وسبعين ومائتين وألف، وكان وصوله لباريز عشية يوم الأربعاء متم الشهر، وأقام بباريز اثنين وأربعين يوما، وقد ألف فى رحلته هذه رحلة سماها «تحفة الملك العزيز بمملكة باريز» وصف فيها ما شاهده فى سفره من المتنزهات ودور الآثار والسكك والسلاح والسياسة والنظام والمدن التى دخلها والعوائد والأخلاق التى رآها وصفا كاشفا.

وقال: إن من جملة ما خاطبنا به وزير خارجية فرنسا منذ مقابلته لنا إن جميع مملكة فرنسا ممنونة ومتشكرة بإحسان مولانا السلطان مولانا محمد بإنعامه بهذه السفارة، وهى مبدأ كل خير بيننا فأجبناه بما يطابق كلامه وكِلْنا له بالمدّ الذى كَالَ لَنَا بِهِ.

واتفق أن وجد فى سفارته هذه عم السلطان فى احتضار، وفى يوم الأحد سادس يوم من يوم الدفن صدر الإذن لهم بمقابلة السلطان بعد الزوال بساعة ونصف، ولما مثلوا بين يديه خاطبه السفير بقوله: بعد أن نهدى أيها السلطان العظيم لمقامكم الرفيع التحية التى تناسب حضرة عظماء الملوك، نعلم جنابكم المعظم أن سيدنا ولى نعمتنا سلطان المغرب أيده الله وأعزه، وجهنى إليكم سفيراً لنسلم عليكم فى اسمه الشريف، ونجدد العهد بدولتكم الفخيمة، ونهنيكم بلسانه العزيز على ما منحكم الله من السلامة ويسر لكم من الجلوس على كرسى ملك أسلافكم العظام، وجمع كلمة الجنس وزوال ما فيها، ونبين لكم ما عنده من السرور نصره الله بذلك على عادة الملوك المتحابين لا سيما مثل سلطنتكم التى لأسلاف سيدنا معها المحبة القديمة والمواصلة الأكيدة، ونقرر لكم ما عنده أعزه

الله من المحبة التى ورثها عن أسلافـه والحرص على المحافظة على العهود والمواثيق التى تدوم بها وتتصل وتزيد المـواصلة، وهذا كتابه العزيز نتشـرف بمناولته لمقامكم متـضمن لما ذكـرناه، ونحن نرجو من الله أن تكون سـفارتنا هذه ووصـولنا إليكم زائداً فى عقد المحبة وتوثيقها وتعليـة بنائها، وأن لا تزال فى المستقبل تتجدد وتنمو وتعظم حتى يكثر نفعها ويعم خيرها عـلى الرعيتين، كما أنا نشكر لحضرتكم هذه المقـابلة الـتى قـابلتنا بهـا الدولـة وولاتهـا منذ خـرجنا من بلادنـا إلى أن وصلنا لحـضرتكم، والبـرور تلقـونا به، ونذكره دائمـا، وذلك صـدر عن أمركم وعليـه نجازيكم بالخير الكثير.

وكلما قرأت فـصلا وقفت حتى يقرأ التـرجمان عليه ترجمـته حتى وصلت ذكر كتاب مولانا نصره الله فأخرجته وناولتـه إياه فقرب منى حتى قبضه بيده هنيئة وناوله للوزير المذكور خلفه.

ثم أجابه السلطان بقـوله: إنه لما بلغنا وفاة مولانـا عبد الرحمن رحـمه الله تأسفنا عليه غاية كمـا فرحنا بجلوس مولانا ابنه على التخت، لأن الشىء وقع فى محله.

وأما المحـبة والمودة فهى عندى أعـز من أن يضع ملك يده فى يدى أو أضع يدى فى يده ولعل سفارتكم تكون سبب الخيـر بين الدولتين، وكمال الاتصال بين الإيالتين.

وأما ما قابلتكم به رعيـتنا من البرور والإكرام فأنا الذى أمرتهم بذلك، وهو واجب علينا فى حق كل رجل معتـبر يأتى من عند دولة كبيرة سـيما دولتكم التى هى أحب الدول عندنا، ولا يأتى تشويش بين الدولتـين إلا من عدم المحافظة على الحدود.

وأما المطالب فـلا أقصـر فى قضائهـا على أكمل وجـه، وسنأذن للوزير فى استماعها منكم والمفاوضة فيها معكم.

قال فأجبته بأن مولانا نصره الله غير مقصر فى أمر الحدود، وحريص على إجراء الأمر فيها على القانون المعهود، وإن وقع شىء من رعاع الجيران وسفهاء الناس فعن غير رضا منه أيده الله ولا موافقة له، ولا يزال يسعى فى زجر من يسعى فى إفساد ما بين الإيالتين بغاية إمكانه، وحيث يسر الله فى ثبوت المحبة والمودة فمباشرة أمر ذلك تسهل بحول الله.

فأجاب بأن ذلك هو الظن وهو غاية ما نحب.

قال ثم لما تم الكلام وسكت وسكتنا استأذناه فى الانصراف فأذن لنا فانصرفنا.

ثم وجه سفيرا للإصبان وكانت له حظوة ومكانة مكينة، ولا غرابة، فبيتهم من البيوت العريقة فى المجد وممن تقدمت لهم خدمات مخزنية، وستأتى ترجمة والده فى المحمدين بحول الله.

(شعره) من ذلك قوله

رأيت غزالا بباب أسير ... يصيد القلوب بلحظ كسير

رمانى بسهم من أجفانه ... فغادر قلبى لديه أسير

فيا أيها الركب قولوا له ... إذا ضاع قلبى بماذا أسير

وقوله:

يا راحة القلب مالى ... عن حسن وجهك راحه

وكيف أبغى سلوا ... وأنت للقلب راحه

فلا تردى محبا ... إن مد نحوك راحه

تخذت وجهك روضى ... وروح قلبى وراحه

بالـهـــجـــر كلمت قلبى	داوى بوصل جــراحــه
وطال بـالصـــبـــر شـجنى	فلتطـلقـــين ســـراحـــه
فـــالبـعـــد عنك عــذاب	والـقـــرب منـك إراحـــة

وقوله فى رجب سنة ١٢٤٤ لما عزم مـخدومه السلطان سيدى مـحمد على السفر للغرب:

ما لذ لى العـيش مذ فارقت حـضرتكم	كـلا ولا طاب لـى كـأس ولا وتر
بانت حـيـاتى مـذ بانت ركـائبكم	وحـال حـال فـلا عـين ولا أثر
أفـديـه من قـمـر بالقلب مطلعـه	والقلب مـنزلة يحـتـلهـا القـمـر
ركـبت بحـر الهوى فى حـبـه خطرا	وفى مـحـاسنه يسـتـحـسن الخطر
كم لـيلة هاج أشــواقـى تذكـــره	واعـتـادنى المؤلمان الفكر والسـهـر
تبـارك الله مـا أحلى شـمـائله	ما العنبر الشحر ما الريحان ما الزهر

وقوله متشوقا لمراكشة الحمراء وأهلها:

ألا ليت شـعـرى هل أبـيتن ليلة	بمراكـش بين الأحـبــة ثـاويا
وهل أعـبـرن أم الـربيع وأتركن	مـهـامـه تـامـسنا هواء ورائـيـا
وهل أردن من واد صـبرة منهـلا	ويبـدو منار الكتـبـيـين أمـامـيـا

وقوله:

ألا ليت شـعـرى هل أبـيتن ليلة	بمراكش حـيث الغـريب عـزيز
وهل أردن من واد صـبرة منهـلا	وهل يبـدون لى رمـرم وجلـيـز

وقوله:

يا سـيـد الرسـل إنى أنزلـت رحلـى ببـابـك
وهل يخـيب عـبـيـد آوى لـظـل جـنـابـك

وقوله:

شفاعة خير الرسل أرجو غدا ومن يقـول إذا عـز الشـفـيع أنا لهـا
شـفـاعـتـه يرجـو المسىء وإننى جـدير بأمـداحى له أن أنالهـا

وقوله:

هنيـئـا أبا عـبـد الإله لك البـشـرى فهـذا زمان السعـد قد أظهر البـشرا
وهذى رياض الأنـس تزهو أريضـة وهذى بشـارات السـعود أتت تتـرا
فـرد من زلال الود غـيـر مكدر وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
فـقـد وصلت من بعـد طول تشـوق غزال بليل الشـعر قد أطلعت فـجرا
سـرت وظلام اللّيل أرخى سـدوله وزارت على بـعـد الديار لـنا بدرا
عجبت لشمس زارت البدر فى الدُّجَى وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
حكت ظبـية الوعـسـاء جيـدا وناظرا وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا
يشـوق منهـا القرط صـوت خـلاخل فـأرسل للإتيـان بالخـبـر الشـعـرا
وقد غـردت من فوق غـصن قوامـها حـمـائم حلى آذنت باللقـا جـهـرا
تريك عـقـود الدر عند ابتـسـامـهـا وتسقيـك من سلسال ريقتهـا خمرا
ولا عيـب فيـها غيـر سقم جـفونـها وكـفل رداح ثقلـه أنحل الخـصـرا
وغيـر حديث قـد حكى السحـر رقة له فى سـويدا قلب سـامعـه مسـرا

فواصل بهـا وصل السرور ودم على ... ذرى المجـد والعلياء مـرتديا فخـرا

وخـذها كـمـا شـاء الوداد خـريدة ... تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا

ودونكهـا كالروض قـد نشـر الحيـا ... بأرجـــائه من دمع ديمـــتــه درا

فـفـتق من صــون الكمـام أزاهرا ... فأعـبقت الأرجاء من طـيبهـا نشرا

ونادت طيور الشكـر فوق غصـونها ... «هنيـئا أبا عبـد الإله لك البـشرى»

وقوله من قصيدة فى مدح الشريف مولاى المأمون أخ السلطان مخدومه:

عــذر المتـيم فـى عــيــون العين ... وفـتــورهن على الغـرام مــعـين

كم من شـهـيد بين أرجـاء الحـمى ... بفـتـور ألحـاظ وســحـر جـفـون

ومــســهـــد من نـومـهن ومـنتش ... من سـكرهن وهائـم مــحـــزون

لم ألف فى زمـر الأحبـة مسـعـدا ... فى حـبـهن سـوى عيـون عـيـون

وخشيت من قلبى التقلب فى الهوى ... لما اكـتـــوى فطلبـتـه بضـمـين

دينى علـيـهن الوصـال وقـــد وفـا ... شـرطـى فـهـلا تركـن مطل ديون

يا عـاذلى كن عـاذرى فى حب من ... قـد طال شـوقى نحـوها وحـنينى

لو أبصـرت عـينـاك أقـمـار البـهـا ... من فـوق كثـبان سـمت وغصـون

ورأيت طعن خـنـاصـر بمـحـاجـر ... من تحـت ليـل ذوائب وقــــرون

وشـهـدت برق مـبـاسم كـالدرفى ... أسـلاكـه والطلع فى العـرجـون

وشــمـمت عـرق مــواسم بمبـاسم ... لشفاهـها كالأَرْىِ(١) والزَّرَجُون(٢)

---

(١) الأرى: العسل - والندى يسقط على الشجر.

(٢) الزرجون: قُضْبَان الكَرْم - والخمر.

لعذرت من ملك الجمال قياده | ولدنت في شرع الهوى بالهون
وعلمت أن لا شيء يفضله سوى | مدح الخليفة سيدى المأمون
علم تسربل فى العلا حلل الرضا | وعلا بتسليم وحسن يقين
وسما به الظن الجميل لرتبة | لم يرض قبل صعودها بالدون
عرفت به همم سمت من زخرف | فأبان عن سفسافه الموهون
وأتى الرعية حظها من رفقه | فإن رهبة حكمه فى اللين
عف الضمائر والجوارح فيهم | عن نيل مظلمة وكشف ظنون
خلق كأخلاق النسيم لطيفة | وشمائل كالروض غب هتون
ومواهب تحكى السحائب عفوها | بعطاء لا نزر ولا ممنون
مغناه مغنى للمبيت ولفظه | مغن عن التوضيح والتلقين
لم تلقه إلا مشمر ذيله | متأهبا للخير غير ضنين
أسنى الدخائر عنده ما يقتنى | لعلا العساكر أو أمور الدين
والذ شيء عنده عرض الجيا | د مع السلاح المنتقى المتقون

وقوله يرثى العلامة سيدى حمدون بن الحاج لما توفى وذلك عشية يوم الاثنين سابع ربيع الثانى عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف:

حياض المنايا للبرايا مناهل | وكل الورى للورد منها نواهل
قضاء من الرحمن حتما على الورى | وكل قضاء الله لا شك واصل
فلابد للأحياء من ورد حوضها | كما وردتها فى القديم الأوائل
وما هذه الدنيا سوى دار رحلة | ولابد من يوم تشد الرواحل

فيا أيها المغرور والأمل البقا تزود من الدنيا فإنك راحل

ولا تغترر منها بحسن زخارف فكل سوى الله المهيمن باطل

فظاهرها للجاهلين محاسن وباطنها للعارفين رذائل

وما نحن إلا كالجياد بمضمر وتسبق فى الميدان منا الأفاضل

رأيت المنايا تنتقى كل سيد لها كل يوم غارة وجحافل

وتردى صميم المجد من فتكاتها كأن لها ثارا عليه تقاتل

(تحامى الرزايا كل خف ومنسم وتلقى رداهن الذرا والكواهل)(١)

أما وجدت عنا الخطوب معرجا أما ردها عنا العلا والفواضل

لقد هد ركن الصبر يوم نعوا لنا إمام العلا من فى الفضائل كامل

وقلت لا والله ما كنت داريا من الوجد والأحزان ما أنا قائل

أحقا عباد الله حمدون قد قضى لقد ثكلتنا عند ذاك الثواكل

نعم قد قضى شيخ الجماعة والتقى وغالته من دون الأنام الغوائل

لقد كورت شمس السيادة بعده وبدر العلا والمجد والعلم آفل

وهد سماء الجود والمجد واعترى بفقدانه أرض القلوب الزلازل

وغاضت بحور العلم بعد طفوحها وعاد رياض النظم والنثر ذابل

وسدت طريق السالكين إلى العلا وعادت طريق المتقنين مجاهل

رزيته أزرت بكل رزية وفقدانه خطب لعمرى هائل

لئن كان شمسا قد هوى فوراءه هلال بآفاق السيادة كامل

---

(١) فى هامش المطبوع: «البيت الأول لأبى العلاء المعرى ضمنه المترجم وأجاد». .

وذكـــر ســـرى بين البـــرية طيب كـــمـــا هب ريح عطـرته الخـمـــائل
وأوضـــاع علـم يسـتـضـــاء بنورها ونظم ونـثـر للـمـحـــاسن شـــامل
فـــصـبـــرا أبا عـــبـد الإله فـــإنما بقـدر جليل الخطـب تعطى الجلائل
وإن مـصـــاب المسلمـــين بفـــقـده مـــصـاب عظيـم هاج منه البـــلابل
أحـمـدون من للمـشكلات يبينهـا إذا قـصـرت عن فهـمـهن الأفـاضل
ومن لعلـوم الدين يتـقن درســـهـا فـتـــشـرق نـورا من ذكـاه المســائل
ومن للمـــعـــانى والبـيـــان يبـينه بعـــضب لســـان للجـــهـالة قـــاتل
ومن لامـــتـــداح المصطفى بمدائح عليـهـا مـن السـحـر الحـلال دلائل
ومن لذوى المعـروف إن عنّ حـادث فـــيلقـــاهم بشـــر لديك ونـائل
لقـــد كنت غـــوثا لـلأنام ومنهـــلاً إذا مـــا عـــرتهـم من زمـــان نوازل
وكنت دلـيل الســـائرين إلى العـــلا وبدرا بآفـــاق الهـــدى مـــتكـامل
وكنت لـهـــذا الدهر زينـا وحليـــة فـهـا جيـده من بعـد بعـدك عـاطل
وكنت لذى الحـاجات خـير وسـيلة إذا عـــدمت فى العـــالمين الوســـائل
فـأصبـحت مقـصى فى ديار جنيبـة وقـد عدمت تـلك العلا والفـضـائل
وأضـحت ربوع العلم وهى كـئـيبـة خـــوال ونور العـز بـعـدك حـــائل
وأصـبحت الطلاب بـعدك فى ظمـا وقـــد كـــدرت للـواردين المناهل
وعاثت جيوش الحزن فيهم وحكمت على الرغم فى الأحشا الظبا والعوامل
ونار الجـوى بين الجـــوانح أجـجت وسـحب الدمـوع فى الخـدود هوامل
فمـا عيشـهم من بعد بعـدك صالح ولا فى الحـيـاة بعـــد فـقـدك طائل

فلو كنت تفدى بالنفوس تسابقوا ولم تغلهم فيك النفوس الجلائل

ولكن قضاء الله حم فما امرؤ يرى دون ما قد قدر الله حائل

لقد صرت للبدرين قبلك ثالثا به تم بين العالمين التماثل

كأن لم ترى شبها لفضلك فى الورى فأصبحت بالشبه المماثل نازل

ثلاثة أقمار ثوين بروضة عليها من النور البهى شمائل

جبال علوم راسيات لدى العلا بحار لعمرى ما لهن سواحل

سقى ترب ذاك الروض شؤبوب رحمة وسحت عليه الساريات الهواطل

وبوأ من قد حله الله جنة لهم بعلا الفردوس منها منازل

بجاه إمام المرسلين وآله وأصحابه أهل الرشاد الأفاضل

عليهم صلاة الله ما ذر شارق وما سجعت فوق الغصون البلابل

وستأتى بعض قصائده الرائقة فى ترجمة السلطان مولاى الحسن إن شاء الله.

وفاته: توفى بالوباء برباط الفتح صبيحة يوم الخميس رابع عشر جمادى الثانية عام ستة وتسعين ومائتين وألف ولا زال عقبه بمكناس إلى الآن.

١٠١- إدريس بن الحاج بوعزة الميسورى.

حاله: فقيه أستاذ مجود متقن ذو صوت حسن حلو التلاوة يحفظ القراءات السبع حفظا جيدا، عارفا بمخارج الحروف، رشح لتعليم بعض أفراد أبناء العائلة السلطانية بالدار المولوية المحنشة من الحضرة المكناسية، ثم رحل لفاس بصفة كونه مؤدبا لصنو مولانا المنصور بالله البركة الفاضل الذاكر المجتهد مولاى محمد فتحا نجل السلطان المقدس المولى الحسن وذلك بعد العشرين من هذا القرن، ومكث به مدة ثم رجع لمسقط رأسه مكناسة ولم يزل بها إلى أن لقى ربه.

---

١٠١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع - ص ٢٨٦٥ فى موسوعة أعلام المغرب.

مشيخته: أخذ عن شيخ جماعة المقرئين السيد العربى بن شمسى، والسيد فضول السوسى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وغيرهم.

وفاته: توفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بمقبرة سيدى الحريشى من هذه الحضرة المكناسية.

١٠٢- إدريس الأمرانى بن عبد السلام بن محمد فتحا بن عبد الله بن الظاهر بن محمد بن عبد الواحد بن العربى بن محرز بن على بن يوسف بن على الشريف بن الحسن الصغير بن محمد بن الحسن القادم من ينبع النخيل إلى تافيلالت رحم الله الجميع بفضله وكرمه.

وأمه الدرة المصونة السيدة نفيسة بنت السلطان الأفخم مولانا عبد الرحمن بن هشام.

حاله: فقيه أديب نبيه لا تكاد تتمشى عليه الحيل فى أخذ ما بيده، راوية محاضر، أريحى مهذب عالى الهمة، فخور وقور، يحب الفخر والتفرد بالمعالى ونفائس الأمور، آية فى الإنشاء والترسيل، نشأ نشأة حسنة بين أبويه فتأدب وتهذب، وقرأ القرآن المجيد وجوده بحضرة مكناس وحفظ أمهات الفنون وأشعار العرب ووقائعها، وأكب على تلقى العلوم بجد واجتهاد حتى نبغ وبرع وفاق أقرانه، ثم بعد أن فتحت له النجابة بابها رحل لفاس ولازم مجالس دروس عظماء أعلامها مدة وشارك فى فنون، ثم رجع لبلاده مملوء الوطاب واشتغل بالفلاحة وصرف كل وجهته إليها ولكنه لم ينس نصيبه من المطالعة.

أصله من شرفاء زاوية الأمرانى بسجلماسة، تلك الزاوية المباركة الشهيرة ذات الحرمة العظيمة، خرج جد المترجم السابع وهو المولى عبد الواحد من

---

١٠٢ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٤٥.

سجلماسة مع السلطان المولى الرشيد، زمن فراره من أخيه المولى محمد، فنزل بالزاوية الدلائية بعد ما استقل مولاى الرشيد بالملك، وأخذ العلم بها عن أهله ثم نزل بأفران من بلادزيان واستوطنها، وبها توفى، وضريحه هنالك مشهور.

وقد كان لبنيه من بعده جاه ووجاهة عند بنى عمهم الملوك العلويين، ولا زال عقبهم محل تجلة وإكرام إلى وقتنا هذا.

صاهر المترجم السلطان المولى عبد الحفيظ بأخته السيدة حفصة، ورشحه لإخماد نيران فتن البربر التى ثارت عليه، وشقت عصا الطاعة، وتمردت وعاثت فى السبل، وخيمت بحللها برأس الماء قرب فاس، وقطعت المواصلة بين فاس ومكناس بل سائر الجهات، ومدت يد النهب والسلب فى المارة وبالأخص بسايس.

وقد كانت فاتحة أعمالهم بنهب شيخنا العلامة السيد الحاج المختار بن عبد الله ابن عم الوزير أحمد بن موسى السابق الترجمة وخلفه فى الوزارة، وستأتى ترجمته بحول الله.

وكان ترشيح السلطان المذكور لصاحب الترجمة لهذه المهمة بإشارة من بعض من له فى المترجم شهوة وغرض، وأفرغ ذلك للسلطان فى قالب أن القبائل البربرية خدمة للشرفاء الأمرانيين لا يرفعون أمامهم رأسا ولا يردون عليهم كلاما ولا يعصون لهم أمرا، وأن للمترجم ووالده وجده وسلفه من الحرمة والمكانة ما يقضى عليهم بالانقياد والرضوخ للطاعة.

ولما استقر ذلك فى ذهن السلطان أمر وزيره الصدر الأعظم حينه السيد المدنى بن محمد الأجلاوى بأن يأمر صاحب الترجمة بالتوجه لهذه المهمة، فوجه عليه وبلغه الأمر المولوى فتعلل واعتذر ولم يأل جهدا فى التنصل، وذلك بعد أن كان السلطان وجه لهم القائد عبد المالك المتوكى أحد أعيان دولته، وكبار عمال



مولاى إدريس الأمرانى

والده، وصنوه السلطان مولاى عبد العزيز مـن قبله، وذلك بصفة كونه بربريا وله مع بعض زعمائهم يَدٌ، وَسـابقية معروفة، واجتـمع بذوى رأيهم قرب دار دبيبغ، وراجت بينه وبينـهم المخابـرة فى الرجوع عـن البغى والـتمـرد والرجـوع لطاعـة السلطان، وتحمل لهم بكل ما يرومـونه من السلطان، ولم تحصل من تلك المخابرة أدنى نتيجـة سوى تحصيل الفئة البـاغية على تسريح أساراهم الذين كـانوا بسجون فاس.

ولما سرحوا تمادوا، وحاولوا تشتيت محلة السلطان التى كانت مخيمة بمصلى باب الساكمة، أحد أبواب فاس الشهيرة، وعين قادوس، والاستيلاء على ذخائرها وعدتها وعددها واقتحام فـاس، وصمموا على ذلك فكانوا كل يوم يهجمون على تلك المحال ذات العدة والعـدد، ويشتد القتال بين الفـريقين وتبقى الجثث مبـعثرة طعمة للكلاب والغربان.

ولما لم تقبل من المترجم معـذرة ورأى أن لا مناص أخذ على الوزير المذكور العهـد والميثاق على أن لا تخفـر له ولا لهم ذمة إن هم أجابوه للرجـوع للطاعة، وتكفل له بذلك قنصل الدولة الفرنسية إذ ذاك بفاس المسيو كيار.

فعند ذلك وجه بعض أصـحابه لمن له بهم معرفة من أعيان البـرابر يستأذنهم فى الخروج إليهم فأجـابوه لذلك، فخرج إليهم لرأس الماء وفى معيـته أخوه العدل الرضى مولاى سـعيـد، فتلقوه بالـترحيب والإجـلال، وأظهروا له من الخـضوع والانقيـاد ما لم يخطر له ببال، وأمـسكوا فى ذلك اليوم عن الهـجوم على المحلة احتـراما له وتعظيمـا، وظل يومه يعظ ويذكـر ويحذر وينذر ويعد ويمنى زعـماء أولئك الأوباش الأنجاس كى يردهم عن طغيانهم.

فتصدى للكلام معه من رؤساء فـتنتهم القائد حم الحسين المطيرى البوررزونى والقـائد عق المطـيرى البويدمانى والقائد محمـد بوزومة الأغواطى، والقائد محمد

بو كـرين المطيرى وغـيرهم من أركـان البغى والعـتو، وبعـد أخذ ورد تحلمـوا له بتشـتيت تلك الجموع وتفـريق كلمتها بكـيفية لطيـفة معينة على نقض مـا أبرموه وتحالفوا عليه، وجـعلوا معه على ذلك جعلا يؤديه لهم نقدا معـجلا يفرقونه على رءوس تلك القـبائل وذوى الرأى منهم، فـالتزم لهم بذلك، وأخـذ منهم عمـامة وأخذوا منهم برنوسا على العادة البربرية فى التحالف على عدم التخالف.

وطير الإعلام للسلطان بالنتيجة فأجابه بواسطة وزيره المذكور بالمساعدة التامة على إمضاء ما أبرمه.

وكانت مدة مقامه بين ظهرانيهم يومين بليـاليهما فما راعه إلا ورقاص متأبط لكتاب لعق وبوزمة المذكـورين من بعض رؤساء المحلة من خاصة حـاشية السلطان يأمرهما برفض مطالب المترجم رفضا كليا، وأن يعـيراه أذنا صماء ويردانه خاسئا، وحذرهما من صدور هذه المزية على يده، فقلبوا عليه ظهر المجن، وأظهروا له من النفور والجفاء ما صيره فى حيص بيص، يتـوقع الإيقاع به واحتجوا عليه، ثم بعد محـاججـة ومراجـعة، منهم من رجع إلى الانقـياد ومنهم من تمادى على الـنفور والشرود، ومنهم من أظهـر الطاعة وأصر على المخـالفة والشقـاق كالمكتوب لهـما بالتحذير من إسعاف رغبة المترجم.

وكان آخـر اتفاق وقع بينهم وبـين صاحب الترجـمة أنهم وقت مـا أمكنهم تفريق كلـمة تلك الجمـوع يطيرون الإعلام إليـه ليأتيـهم بالدراهم المتفق عليـها، وبظهير سلطانى بالعـفو عما جنوه والقبض على صـاحب الكتاب الساعى فى دوام توقد نيران الفتن وتوليته خليفة عليهم واسطة بينهم وبين السلطان.

وبعد تحـمله لهم بما ذكر رجع لفـاس وتلاقى مع الجلالة السلطانيـة وقرر له جميع مـا راج من المبدأ إلى المنتهى، فأجـابه بجميع ما اشتـرطوا إلا القبض على صاحب الكتـاب، وأمر الوزير الصدر بكتب الظهيـر بما ذكر وتنضيد ثمـانية آلاف

ريال - أربعين ألف فرنك -، وتمكين صاحب الترجمة من الجميع وإلزامه الرجوع إليهم من حينه وعدم سماع كل عذر يبديه فى التخلف، فلم يسعه إلا الامتثال مع تحققه سوء المنقلب فوجه رسولا إليهم يخبرهم برجوعه لطرفهم.

ولما وصل إليهم الرسول وقص على الأصدقاء منهم القصص، أخفوه عن أعين رؤساء العتو المظهرين خلاف ما يبطنون، ورجعوه إلى مرسله المترجم، وحذروه من الخروج ولا سيما قبل القبض على من اشترط القبض عليه، وعرفوه بأنه إن خرج إليهم قبل إذنهم له ووقع فى محذور فإنهم لا يغنون عنه شيئا، وربما كانوا عليه، هذا والأوامر المخزنية تتجدد وتتوارد على صاحب الترجمة بالإزعاج للخروج، حتى أتاه كاتب الصدارة الأول أبو العباس أحمد الزمورى بأمر بات، فلم يسعه إلا الامتثال فخرج فى التاسعة صباحا وحمل ما يحتاج إليه من أخبية ومئونة، إذ كان فى عزمه التخييم بين أظهرهم حتى تنحسم مادة البغى والعتو.

ولما وصل لنزالة فرجى الشهيرة خارج باب فاس وفى معيته أخوه المولى سعيد المذكور آنفا، وكاتبه الفقيه العدل السيد محمد بنونة ناظر الصغرى الآن بمكناس، وجدوا الوطيس أمامهم قد حمى ومدافع المحلة تصب قنابلها صبا، فتقدم المترجم إليهم وأشار للفريقين بالإمساك عن القتال فأمسكوا، ثم تقدم للفئة الباغية فحياه حملة راياتها وأظهروا له من الخضوع والانقياد ما سُرَّ به وتيقن نجاح مقصده.

ولما لحقت به أوعيته وأثقاله بالنزالة المذكورة وجهها مع أخيه المذكور فى خفارة بعض بنى مطير، ورجع هو بقصد الملاقاة مع السلطان والمفاوضة معه، فتعرضت له شرذمة من خيل الفساد وهجموا عليه وأنزلوه عن فرسه بغاية العنف والقساوة، بعد أن قطعوا حزام سرجه وجرحوه هو بمدية فى رجله وجردوه من ثيابه بكيفية شنيعة كاد أن يموت بها خنقًا، ولم يتركوا عليه غير قفاز وسراويل،

ولولا أن رجلا من قبيلة مجاط رق لحاله وأركبه فرسا وألبسه برنسا على وجه العرية لهلك، ولم يأل جهدا فى المدافعة عنه.

ثم قصد المترجم خِبَاءِ كَبِيرِ المحلة المخزنية، وهو إذ ذاك الطالب أحمد بن مبارك الشاوى الحاجب فى ذلك الحين فلم يجده، وإنما وَجد الطالب إدريس بن منو السوسى نزيل سطات فى الحين الحالى، ورد الفرس والبرنس لصاحبه شاكراً فضله وجزيل إحسانه.

وبعد أن استراح واطمأنت نفسه دخل فاسا على حالة يرثى لها، وقص على السلطان القصص، وذهب لداره يتقلب فى أليم الألم، وما قاساه من التنكيل والهوان، ولم يزل يقاسى من ذلك شدة بضعة أيام، والوزير فى كل يوم يوجه له عن الأمر السلطانى مرات بترجيع الدراهم التى كان أخذ بقصد إنفاقها فى سبيل الإصلاح طبق ما أوضحناه رغمًا عن نهبها له فى جملة ما نهب من حوائجه وبهائمه.

وأما أخوه المولى السعيد والكاتب والأثقال، فإن البرابر التفت بهم وقصدت بهم رأس الماء، وبينما هم فى أثناء الطريق إذ وجدوا الرسول الذى قدمه المترجم للمتمردين أمامه، فأشار إليهم بخسر المسعى ووخيم العقبى، فلم يجدوا مناصا لحصولهم فى شبكة إخوان الشياطين المتمردين المحدقين بهم، فصاروا يضربون الأخماس فى الأسداس، ولات حين مناص، وزمر البرابر تلتحق بهم رجالا وركبانا إلى أن أشرفوا على رأس الماء محل تعشيش فسادهم، فوجدوا البقية الباقية فى انتظارهم حول الخيام فالتحقوا بإخوانهم المفسدين، ومدوا يد النهب والسلب والضرب، ولما استولوا على جميع ما كان معهم من مال ومتمول تركوهم حفاة عراة كيوم ولدتهم أمهاتهم، غير المولى سعيد فإنهم أبقوا عليه بعض ما يستر عورته، وتفرقوا فى رأس الماء شذر مذر، بين خيام البغاة المعتدين، بعد أن

سمسروا سلبهم أمامهم وهموا بإحـراقهم وجمعوا الحطب لذلك فعلا، ولكن الله سلم، وباتوا شر مبيت لم يلتق واحد منهم بصاحبه ولم يدر ما فعل به.

ومن الغد اجـتمعـوا ودخلوا فاسا فى حـالة تعساء، يقـف لسان القلم عن وصفها والتعبير عن شرحـها، ولما حل المترجم بفاس ومثل مولاى سعيد بين يدى السلطان، رق لحاله وأعطاه كسوة من ملبوسه.

وأما العـتاة فـقد ازداد عـيثهـم وتكلبهم على النهب والقـتل، وتمادوا على الهـجوم علـى المحال المخـزنيـة فى كل بكرة وعشـى، وأجلبت بخيلـها ورجلهـا وضيقت بالعاصمة الفاسية، وقطعت عنها السبل وحاصرتها ونازلتها بين أسوارها، حتى فنيت صناديـد رجال المخزن، وعدمت أمـواله، وأصبحت المـدينة وأهلها فى خطر عظيم، وصار الكور والرصاص ينزل أمام السلطان بقعو داره، وأحزاب العتو والفســاد فى هيجان حـتى صارت تشتـرط على السلطان الشروط وتهـدده وتأمره بالرجـوع للجادة فى زعـمهم وإبعـاد بطانة السوء عنه، وحـصروها فى أفـراد من حاشية بساطه وعظماء دولته، سمـوهم له وإعطائه كفيلا لهم يرضونه يلتزم بالوفاء بجميع ما شرطوه.

فعنـد ذلك اضطر السلطان إلى الإرسال لدولة فـرنسا يسـتنجد بهـا، فلبت طلبتـه ووصلت جنودها لفاس، ومـزقت جمـوح أحزاب الفئـة الباغـية كل ممزق وانتشرت أعلام السلم.

ثم بعد ذلك قام العـسكر المنظم ضد البعثة العـسكرية المكلفة بتنظيم الجندية المغربية، وامتنع من قبول النظام والقوانين حـتى وقعت مذبحة إبريل المشئومة على البلاد والعباد فلقد هم الجنرال موانى قائد الجيش الفرنسى بإطلاق أفواه المدافع على فاس، وتـقويض أركـانه، ولولا وجود سـفيـر الدولة الفرنسـية المعـروف بالرزانة والثبات والعقل والسـياسة رينو، ووقوفه أمام تيار غـضب الجنرال المذكور وإقناعه

بالحجة بأن أهل فاس برآء مضروب على أيديهم لا دخل لهم فى الواقعة لهدت صوامع ومساجد.

ومع هذا فقد كانت النتيجة إعلان الأحكام العرفية بالبلاد، وانتزعت الأسلحة من الأهالى وقبض على كل من وقع الاشتباه فيه بمداخلة فى القضية، وقتل كثير منهم صبراً وخلد بعضهم فى السجون، ولا زال البعض إلى الحين الحالى.

وقد تقدمت له خدمات مخزنية، منها الترشيح لعمالة الدار البيضاء بعد وفاة عمه الذى كان خليفة بها سيدى محمد، وذلك عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ثم أعفى بطلب منه، ودونك نص ظهير إعفائه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى الفخيم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، أنه لما كان ابن عمنا ونخبة أصهار أسلافنا الكرام، مولاى إدريس بن المرحوم مولانا عبد السلام الأمرانى مطوقا ولاية عمالة الدار البيضاء بكمال واستحقاق، وقام بالواجب فى تلك الولاية قياما يشهد له بحسن السيرة على الإطلاق، وتمشى فيما أُنِيط به من أمورها على النهج القويم، والصراط المستقيم، ثم حدث له الآن من شئون عائلته وعائلة والده وعميه المتفرقات بفاس ومكناس، مع عدم من يعتمد فيها عليه، ما خشى معه صدور إخلال منه بالقيام بوظيفه المذكور، ومن أجل ذلك طلب من جانبنا الشريف كفاية مشقة تلك العائلات أو إعفاءه من ذلك الوظيف، فاخترنا له الوجه الثانى وهو الإعفاء من الوظيف المذكور نظراً لمصلحة العائلات التى هى فى نفس الأمر عائلاتنا، ليتفرغ لمقابلة ضرورياتهم كالنائب فى ذلك عن شريف جانبنا، وقد أعفيناه من الولاية المذكورة ملاحظة لما ذكر، راضين عنه رضاء يتكفل له بزيادة الحرمة والوقار، والتمييز والاعتبار، وينيله

فى سائر المحافل الرسمية والهيآت المخزنية كمال العز والافتخار، فهو عند جنابنا العالى بالله اليوم كما كان بالأمس سواء بسواء، إذ على قدر العمل يكون الجزاء، ونأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف أمرنا أن يعلمه ويعمل بما فيه ولا ينافيه، والسلام، فى ثالث عشر محرم الحرام عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

قد سجل هذا الظهير بالوزارة الكبرى بتاريخ يوم كتبه صح به محمد الجباص وفقه الله» ومحمد الجباص هو الصدر الأعظم إذ ذاك.

مشيخته: أخذ عن عمه المولى الكامل، وعن المفضلين ابن عزوز، والسوسى، والتهامى بن عبد القادر المدعو الحداد، وقاضى مكناسة أبى العباس بن سودة وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وأبى مروان عبد المالك الضرير، وأبى عبد الله محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القادرى، وأبى العباس أحمد بن الخياط الزكارى وغيرهم.

ولادته: ولد أواخر ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف على ما كتب لى بخطه.

وفاته: توفى رحمه الله فى الساعة الحادية عشرة وثلث قبل زوال يوم الخميس رابع عشرى حجة الحرام عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف ودفن من يومه بالضريح الإسماعيلى أمام المحراب بالمباح الشرقى من الصحن الكبير لصق الجدار الشرقى منه رحمه الله وبرد ثراه.

١٠٣- الأمين: العطار دفين جبل زرهون.

حاله: ولى كامل صالح فالح واصل، ظهرت له كرامات وخوارق عادات، وله مكاشفات صحيحة، وهو من الرجال الذين عدهم الشيخ زروق فيمن لقى.

مشيخته: ينتسب لسيدى عبد القادر الجيلانى، وأبى يعزى صاحب تاغيا، يقال إنه رآهما فى المنام فأمداه، وكان عقد مع الله أن كل نافلة يعملها فثوابها لهما، فرآهما بعد ذلك وهو عند قبر أبى يعزى فأعطياه.

الآخذون عنه: منهم العارف العالم العامل السيد أحمد بن عيسى البرنوصى الفاسى المعروف بزروق المتوفى ليلة الأحد ثامن عشرى صفر عام تسعة وتسعين بتقديم التاء فيهما وثمانمائة وناهيك به.

وفاته: توفى سنة ستين وثمانمائة.

١٠٤- إسماعيل: أبو النصر بن الشريف بن على الينبوعى السجلماسى الحسنى السلطان.

الذائع الصيت فى المشارق والمغارب، فخر ملوك المغرب الأقصى.

حاله: رجل السيف والثبات، له فى اجتثاث ما يسخط الله تعالى وَثَبَاتٌ، وطنى غيور، حر الضمير، صلب فى دينه، متمسك بحبله المتين، يعاقب العقوبة الصارمة، كل من ظهرت منه مخالفة فى الشعائر الإسلامية، أو مروق من الدين.

قال مؤرخ فرنسا (سان الون) سفير لويز الرابع عشر ملك فرنسا للمترجم فى رسالة وجهها لملكه المذكور يصف له أخلاق صاحب الترجمة:

«أما أخص أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ فى الدين، لا تأخذه فى الدين لومة لائم، مستحضر لآى القرآن فى كثير من أحواله، ومضحيا نفسه فى سبيل نشر الدين وعلو كلمته، وبالجملة فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين مثل مولاى إسماعيل منذ قرون، مطلع على العلوم الدينية، متفقه مستحضر لمسائلها الأصلية، يتمذهب بمذهب مالك، يصوم زيادة على رمضان شهرين فى

---

١٠٤ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٥/ ١٩٩٦..



فخر الملوك وأعظم السلاطين

مولانا إسماعيل بن الشريف بن على الحَسَنى

دفين مكناسة الزيتون - رحمه الله

العام، وما شـرب قط مسكراً فى عمره، ويعتمـد على الله فى سائر أحواله، وإذا دخل فى صلاة توجه بكليته إلى ربه، ويتجرد من نخوة الملك وحلته، ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الإكثار من الدعاء له بظهر الغيب.

وقد أقام سنة صلاة الاستسقاء فى سنة الجدب التى كانت سنة ١٦٨٠ فخرج بنفسه فى اليوم السابع عشر من مـارس حاسر الرأس حافى القدمين فى بذلة خلقة مصحوبا بسائر حاشية ملكه، والجم الغفير من رعيته.

ويعد إقامة الصلاة بذلك الجمع زار سائر مـساجد المدينة واستغرق ذلك يوما كاملا، ولما رجع إلى قصره أصدر أمره لسائـر المسيحيين الذين بإيالته بتنكيس سائر الأصنام التى بكنائـسهم ومـحال عـبـادتهم، ويعظم أرباب الزوايا وأهل الصـلاح المشهورين بالاستقامة، ويدعو المسيحيين للدخول فى دين الإسلام.

صدرت منه مكاتب بذلك لجل دول أوروبا، أشهـرها كتابه للويز ١٤ يذكره بكتـاب النبى إلى هـرقل عظيم الروم، ويدعـوه إلى الإسـلام، ويدعـو الرهبـان الموجودين بـإيالته لحضـرته، ويناظرهم فى الدين ويأمـرهم بإحضار مـا لديهم من الكتب والحجج والدلائل على معـتقداتهم، ويتناول ذلك بالنقد والبحث، مـعتمدا على التآليف الإسلامية التى كان يحضرها فى المجلس.

وله اهتـمام كبـير ببناء مكناس - عـاصمـة ملكه - وتعمـيرها وزخـرفتـها وتزيينها، كأنه يريد أن يحدث لأمته آية من آيات ملكه تكون عجبا لقومه، وآية لمن يأتى من بعده».

قال: «وكـان من مزيد اهتمـامه تجاوز حـد المهندسين الفنانين فى أعـماله، يهتم فى هذا الأمر بجليله وحقيره، فيصدر الأوامر للبنائين بنفسه، ويراقب أعمال العملة بشخصه، ولا يترفع عن تناول المسحاة - الفاس - أو أى آلة من آلات البناء

بيده، ويختبر الجير والتراب وغيره خشية أن يكون فيه غش، كما يختبر أيضا استقامة الجدرات حتى لا يكون فيها ميل أو عيب من العيوب، ويهتم أيضا بنقل الأشجار وغيرها من الأمور اللطيفة حتى لا يقع فيها كسر، وبالجملة فإنه لا يفوته شيء ولو كان لا أهمية له.

وقال: «إن سائر ما في مكناس من العظمة والضخامة راجع فضله للمولى إسماعيل، وكان يحبها حبه لإحدى بناته، وكان يفاضل بينها وبين فاس، ويفضلها عليها، والظروف السياسية والاقتصادية تطابق فكره في انتخابه لها عاصمة». انتهى.

الغرض من الرسالة.

وقال في حقه صاحبا الكتاب الموسوم بأهم مراحل تاريخ المغرب المطبوع بباريز سنة ١٩٢١ صحيفة ٦٧:

«إن مولاي إسماعيل قام بأمر عظيم يمكن أن يشبه بأعاظم ملوك تاريخ فرنسا».

وقال في حقه مؤرخ فرنسا الشهير الكنت دوكاستري في الصحائف ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ من كتابه المعنون بـ «مولاي إسماعيل وجاك الثاني»: بعد أن سرد ما وصفه به بعض مؤرخي أوروبا وبالأخص رؤساء الدين منهم من الشدة والقساوة ما ترجمته:

«إننا نجد أشياء خالية عن كل حجة تتناقلها الأفكار بأوروبا مما كان يقاسيه الأسارى من النصارى عند مولاي إسماعيل من الشدة، مع أنه لم يكن يعاملهم بأكثر مما يعامل به غيرهم من الجناة، وإننا لم نجد ما يعتمد فيما نسبوه إليه إلا ما نقله الأوروبيون في تواريخهم وخصوصا رجال الدين منهم، وذلك بعيد جدا عن الصحة، فإنهم كتبوا ذلك بدون تروٍّ، إنما قصدهم إغراء القراء وإيغار صدورهم

وتهييج الأفكار لمقاومة هذا الملك لأن مؤرخى العرب لم يتعرض واحد منهم لشرح هذه القساوة».

ثم قال: «فـممن وصف مـولاى إسماعـيل بالإفراط فى القـساوة (بوسنو) و(الأب فرانسـيسكو) فتـلقى منهم ذلك المسيو (بلانـطى) و (كاستـيلانوس) بدون تروٍّ.

وممن رفض ذلك واعتبـره من باب الخرافات المسيو (الامـارتنينلان) وأقربهم إلى الحقيـقة المسيو (بودجيت ميكـين) حيث قال: إن قساوة مولاى إسـماعيل هى نتيـجة أحوال زمـانه الذى يعيش فيـه، ولئن فاق الملوك قسـاوة فلقد فاقـهم قوة، وبسبب جهل المؤلفـين للزمان والمكان فإنهم أغفلوا التـحفظ عند تتبعـهم الأعمال الدموية التى قام بها مولاى إسماعـيل، ومن أجل ذلك حكموا عليه بصرامة خالية عن كل إنصاف.

ثم بعد أن وصف مولاى إسماعـيل بالقوة الكاملة فى الباءة التى أوجبت له تعدد الأزواج المباح له فى شريعته السمـحة وما علقه الأوروبيون على ذلك، قال: فإننا نرى مولاى إسماعيل يطوف فى مماليكه وتمر عليه الأربعة والعشرون سنة وهو على رأس جيـوشه يحارب ويقطع الرءوس ويأخذ الجـبايات ويستقـبل سفراء دول النصارى ويناظر (الآباء دولا مرسى) مناظرة علامـة موحد، ويخطب فى المساجد، ويدير أمور مملـكته، ويقابل بنفـسه بناء قـصوره العظيمـة، وينظم حرسـه الأسود الشهيرة، ويكتب لجاك الثانى، ويحاجج فى دين المسيح.

وحياة مملوءة بأعمـال كهذه لا تترك وقتا للشهـوات، وذلك قاض بالاعتراف بأنه لم يكن منهمكا فيها».

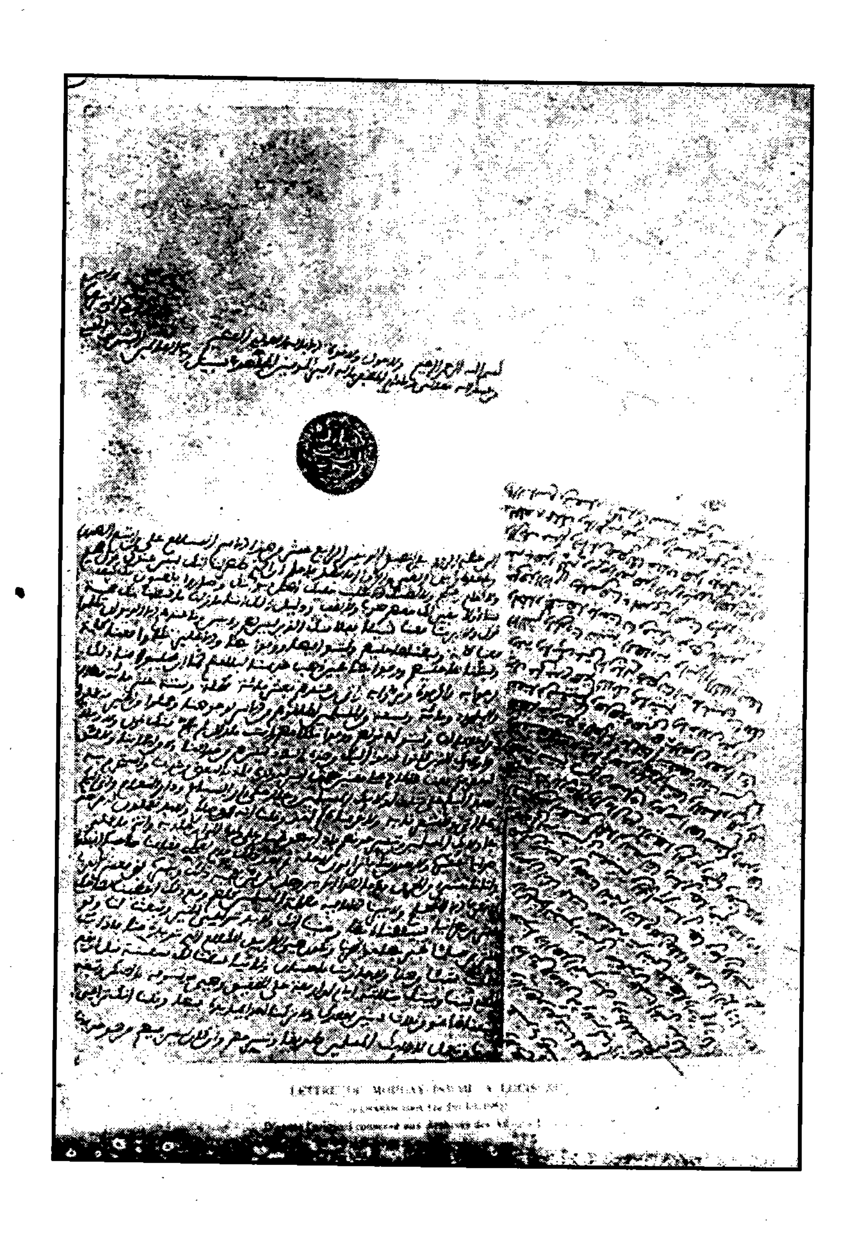
ومن أكبر البراهين وأوضح الأدلة على ما كان بينه وبين عظماء ملوك أوروبا

من العلائق السياسية ما وقفت عليه فى عدة مكاتب ومخابرات صدرت بينه وبينهم، ألم بكثير منها مؤرخ فرنسا الماهر الشهير الرحالة الفيلسوف الخبير الكنت دو كاسترى فى عدة من كتبه، وإليك نصوص بعضها وصورها الفوتوغرافية، وقد خاطب فيها لويس الرابع عشر ملك فرنسا وجامس ملك الإنجليز ودرنكرلوس ملك إصبانيا.

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله تعلى الإمام المظفر بالله أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى، أيده الله ونصره، ثم الطابع بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، والله وليه وبدائرته العز والإقبال.

«إلى عظيم الروم بفرانصيص لويس الرابع عشر من هذا الاسم، السلام على من اتبع الهدى، وباعد طريق الغى والردى.

أما بعد: فاعلم أن الذى ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح، ولا كلام رجيح، ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك، وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا ولا بقى لك معهم ضرب ولا لقب، ودليل ذلك أننا ما زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئا، ففلا منك الذين ليس لهم رئيس وما عندهم إلا الديوان تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم، وثبتوا فيها ووفوا بها، والإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم ووفوا بها، فحين ذهب خديمنا لبلادهم لما أن طلبوا منا ذلك فرحوا به وأكرموه وبروا به، وأتى من عندهم بعشر ماتة مكحلة، وستة عشر ماتة قنطارا من البارود ومائة وسبعة من المسلمين، أطلقوهم من الأسر لوجوهنا، وعملوا من الخير ما عملوا مراعاة لنا، وثبتوا فى قولهم ووفوا بكلامهم، وأنت لازال لم يصح منك قول ولا وفاء وأولئك الذين كانوا قدموا إليك من هذه البلاد، ليس هم من خدامنا ولا من أصحابنا ولا ممن له معرفة



ظهير مولاى إسماعيل للويز الرابع عشر ملك فرنسا

معنا، فالحاج على معنين حيث أسر له ولده لاذ بالبعض من خدامنا واستحرم به، وقدم إليكم على شأن أولئك المسلمين، وجار على دار السباع ودار النعام، وأتى إليكم بما أتى ولا شعرنا به ولا عرفناه كم أخذ، وقلنا: إنه إن وصلكم ولابد تعملون له غرضه فى أولئك المسلمين، وتسرحونهم، فإذا به هو تحيل على ولده إلى أن جاء به وأنتم ما عملتم صوابا فى غيره، ولا صدر منكم ما تراعون لأجله.

ثم بعد ذلك قدم لعلى مقامنا صاحبكم انبشدور واتانا بشىء من الخرق مع فالصوا الحرير وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره ؟ فنحن معشر العرب لا نعرف إلا الصحيح، ولا يسرنا إلا ما فيه مصلحة المسلمين كلهم، ومع ذلك أعطينا لصاحبك عشرين نصرانيا سيفطناه بها، وظننا أنك ولابد تراعى الخير وتبعث لنا ولو عشرين مسلما تجبر بها خواطرنا، وتكون هى الطريق للكلام الذى تريده منا، فإذا بك ما عملت شيئا من هذا، ولا جازيت بإحسان.

وثانيا قبضنا لك سفينة قبل أن يقع الكلام بيننا وبينك بثلاثة أيام أو أربعة على التحقيق، وهى موسوقة بالسكر وتبغة وثقفناها نحواً من ثلاث سنين بقصدك، ولا تركنا أحداً يمد يده فيها، وقلنا إنك تراعى خيرنا، وتعمل لأولئك المسلمين طريقا وتسرحهم، وإن كانوا ليس فيهم من هو خديمنا ولا من هو محسوب من جيشنا، ولا من هو معرفتنا، فما هم إلا من لا خلاق لهم، ولا يركب البحر عندنا إلا أهل التمرين، ولو أطلقتهم وإن كانوا ليسوا بشىء فتكون عملت الخير بذلك، وتقول إنك عملت مسألة تراعى عليها، وأعظم من ذلك كله هو أن رئيسا من بلادنا اسمه التاج كان أعطاه صاحبك الذى أتانا خط يده على أنه يشترى سفينة من الجزائر يسافر بها قرصان وما عليه فيمن لقيه من فرانصيص، فلما أن اشتراها وسافر بها وغنم قطارمة موسوقة بالرخام والريال مع ما فيها من الحرير وغيره وبعثها مع أصحابه ستة وعشرين مسلما، وتعرضوا لها سفنكم وأخذوها وثقفتها أنت أيامًا، ثم بعد ذلك مزقتها والمسلمون الذين كانوا معها خدمتهم فى الغراب، فلماذا لم تردها وثقفتها ثلاث سنين كما ثقفنا نحن

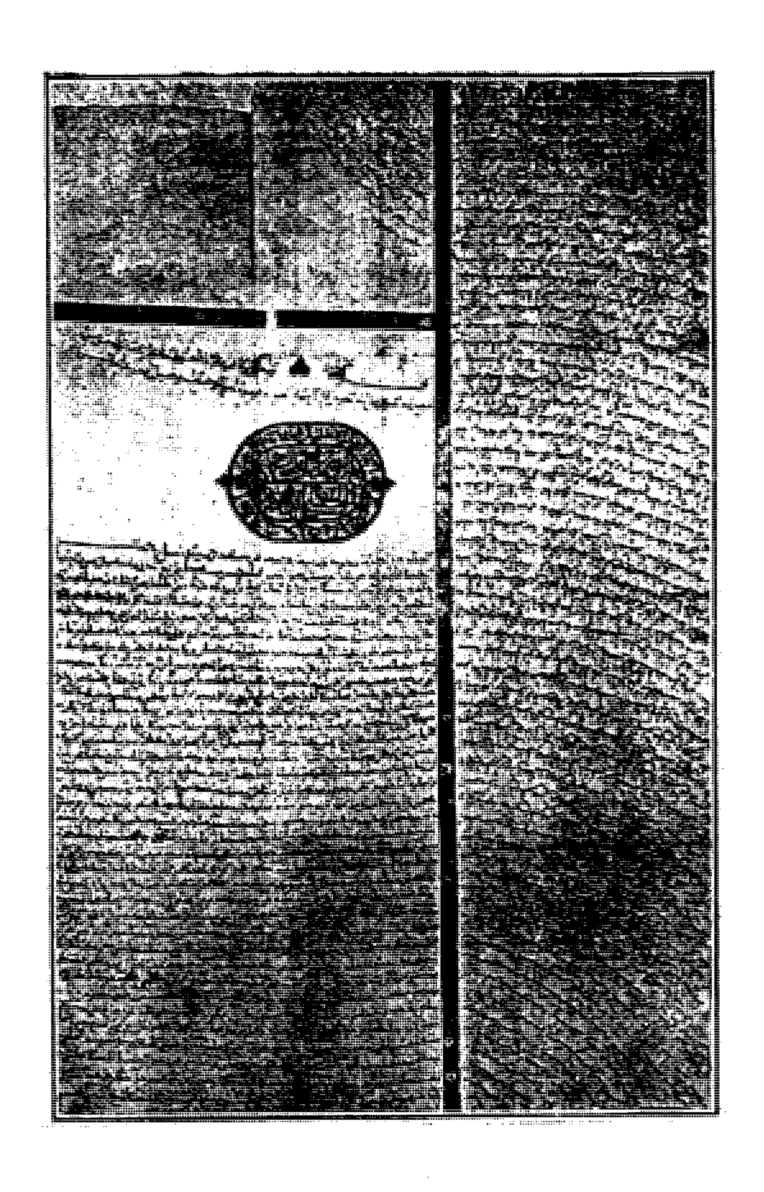
سفينتكم؟ وهل هذه هى صحة القول ؟ فـهذا مما يدل على عدم صحة كلامك ومما يثبت الإخلال بقولك، وقلة وفائك.

فحتى الآن، فالذى ظهر لنا أنه ما يليق بنا معك إلا الشر، وإذا أردت تثبيت المهادنة وإبرام الكلام فيها وإمضاء حجـتها، فابعث لنا من عندك قونصو بالتفويض على الأمر، ويجلس هنا فى إحدى مراسينا ويكون الأمناء معه فى هذا كله، ونبرم معـه هذا الأمر ويكون من أهل الحل والربـط عندكم، وإلا فإن ظهـر لكم خلاف ذلك فأعلمنا، وعرفنا بما عليه عملـك، وبما أضمرته طويتك والسلام على من اتبع الهدى وفى التاسع من شعبان المبارك سنة خمس وتسعين وألف.

وذكر المؤرخ الكنت المذكور فى كتاب له طبع بباريز سنة ١٩٠٣: أن المترجم كتب لسلطان الإنجليز بما نصه: الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، لا رب غيره، ولا معبود سـواه، ثم الطابع السلطانى بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، وبدائرته إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيـرا، أيده الله بعزيز نصره وأمده بمعـونته ويسره وخلد فى الصالحـات شريف مناقبه، وجميل ذكره، آمين يارب العالمين:

«إلى طاغـية الإنجليـز القاطن ببـلاد الفرانصـيص يعقـوب المسمى بلسـانهم جـامس، سـلام على من اتبع الهـدى، وتجنب سـبيل الـغى والردى، وآمن بالله ورسوله ثم اهتدى.

أما بعد: فـإنا كتبناه إليك وأوردناه عليك وأوصلناك بهذا الكـتاب. واعتنينا لك بهذا الخطاب لمسألتين اثنتين إحداهما دينيـة والأخرى سياسية دنيوية، وموجب إيرادهما عليك التنبيه لك والإيقـاظ والنصح والإرشاد، وذلك أن أخاك الذى كان مملكا على الإنجليز من قبلك كان عرف لنا من الحق ما عرف، وتقرر عنده من لدنا ما لهـذا الدين الشريف عـلى غيره من الشـفوف والشـرف، فكان من أجل ذلك يطلب منها المهادنة على طنجة، فبعث لـمقامنا العلى بالله من أصحابه وخدامه المرة



ظهير مولاى إسماعيل لجيمس الخامس ملك الإنجليز

الأولى والثانيـة من بعث إنافة بمحلنا وتنويـها بشريف مكاننا وكـانت المواصلة بين الملوك والمراسلة مستنة ومشروعة وإن اختلف اللسان وتباينت الأديان.

فجازيناه على فعله. وكافيناه على شغله. ووجهنا له من خدامنا أنباشا دورا وصل إليه. وقدم عليـه. كما شاهدته ورأيته ففرح بسـفيرنا وأكرمه إكرامـا كثيراً، وسر به وبمقدمه سروراً كبيراً. ورجع من عنده مغبوطا مسرورا.

فلم نزل نراعى لهم ذلك، ووفينا له فى جـميع ما كنا عملنا مـعه فى طنجة ولم نرد البـال إلى شىء مما كان يعـمله بها حين أراد الـرحيل عنها، وكـان ينقل خزائنهـا ومدافعهـا وسكانها، وأهل جوارها من المسلمـين يرون ذلك وينهونه إلينا ويقصون ما يشاهدونه علينا وما ألقينا إليه فى ذلك البال. ولا التفتنا إليه بحال من الأحوال. وما ذلك إلا مكافاة له على صنيعه مع سـفيرنا، ووفاء بالقول الذى كان طلبه منا، وودنا أن لو كـان أخوك بقى حيا إلى أن يشـاهد صنع الله الذى صنعه لنا فى فتح العرايـش من يد لصبنيول، ويرى محاصـرة سبتة اليوم ومـا كان أهلها يصرفونه عليها من الأموال، وما كان يلزمهم فى مؤنتها من ملايين الريال، لتحقق وفاؤنا له، وغـضضنا الطرف عنه وعلم أن الـقول والعهـد الذى أعطيناه لم ننقص شيـئا منه، فالصـواب الذى كان من أخيك والحـق الذى كان يعرفـه لنا هو سبب الكتب إليك مكافأة على صنيعه، وهو الذى أوجب مكاتبتك بهذه المراسلة لنعرض عليك فيهـا الأمرين المذكورين أول الكتاب، فـأما الدينية منهمـا ففيها خـير الدنيا والآخرة لما فيها من رشادك ونصحك إن وفقك الله تعالى.

وذلك أن تعلم أن الله سبـحانه جل جلاله، وتقدمت صفـاته وأسماؤه، إنما خلق هذا الخلق ليعبـدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا، قـال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الذاريات].

وهذه العبادة التى أوجب الله على خلقه لابد لها من وسائط يبلغون عن الله لخلقه ما أمرهم به، ومن رحمته بخلقه ورأفته بهم أن جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم، أرسلهم إليهم من أنفسهم واختارهم من أنفسهم، فبعث لهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده، فآمن بهم من أراد الله سعادته، وكفر بهم من كتب شقاوته.

وختمهم بخاتم أنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وجعله خاتم النبيئين وسيد المرسلين، وجعل دينه خير الأديان، وشريعته أفضل الشرائع، وملته خير الملل.

ولقد بشر به وبمبعثه عيسى، كما بشر بعيسى موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، ونبينا عليه السلام وإن كان آخر الأنبياء بعثا فهو أولهم خلقا.

ومما يجب اعتقاده أن الانبياء كلهم يجب الإيمان بهم فلا نفرق بين أحد منهم، وأن المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أحد الرسل الذين جاءوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون، ولا إطراء مما تطرون، قال الله تعالى فى حق أمه الصديقة: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم]: وقال تعالى فى حقه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران]: وقال تعالى: ﴿... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء].

ومن المعتقد أن المسيح رفعه الله إليه، وأن اليهود لعنهم الله ما قتلوه وما

صلبوه ولكن شبه لهم، وأنه ينزل بين يدى الساعة فيجد المهدى من هذه الأمة من ولد فاطمة ابنة النبى ﷺ يقاتل الدجال، ويجده قد أقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدم يا نبى الله أو يا روح الله، فيقول له عليه السلام عليك أقيمت فيصلى خلف رجل من أمة نبينا ﷺ ويحكم بشريعته، ويقتل الدجال فينكره النصارى، ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمه الحجر، ويقول يا بنى الله هذا يهودى ورائى فاقتله.

وقد أخبرنا بهذا كله نبينا ﷺ بقوله والذى نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولا يقبل إلا الإسلام.

وهو معدود فى أصحاب نبينا ﷺ وقد عرف هذا جماعة من أعلام النصارى وملوكهم الذين هداهم الله ومن عليهم باتباعه كالنجاشى ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا ﷺ يوم مات وهو بأرض الحبشة، وهو أحد من خاطبه النبى ﷺ ودعاه إلى الاسلام، كما خاطب قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذى لجأت إليه وأنت مقيم لديه، ولقد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأ كتابه ووعاه وكان عنده من العلم المكنون ما عنده، سأل من حضره من العرب عن صفاته وأحواله وسيرته وما يدعو إليه وما يأمر به وما ينهى عنه فقال إنه النبى المنتظر الذى بشر به عيسى، وسيملك موضع قدمى هاتين وشاور أرباب دولته وأهل ملته فى اتباعه فضجوا وحاصوا حيصة الحمر الوحشية فساعفهم وساعدهم بخلا بملكه وحين بلغ خبره نبينا ﷺ قال: ضن اللئيم بملكه فلقد رسخت فى قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الأديان لكنه لم يسمح بملكه.

وبكل حال من الأحوال فهذا الدين الحنيفى هو الذى اختاره الله دينا، وارتضى له نبيا أمينا، وجعله أفضل الأديان، قال الله سبحانه فى محكم القرآن: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ... ﴿١٩﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن

يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عـمران]. فمن أمـعن النظر واستعمل الفكر ووزن الأديان بميزان الحق والعقل عرف أن دين الإسلام هو الدين، وأن غيره كله لعب وعبث من لدن بعث الله نبينا الذى ختم به الأنبياء، وتقرر لديه أنها كلها باطلة وأهلها للنار.

وقد وقع اختبار الأديان وأيهم أفضل لبعض عـقلاء النصارى، وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيمـا عليه النصارى وفيما عليه اليهود فأراد أن يختـبرهم من جهة المعقول، فأتى نصرانيا وقـال له أى الأديان أفضل؟ دين النصارى أو دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصرانى دين النصارى أفضل، فقال له وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصرانى: دين المسلمين.

فأتى اليـهودى وقال له أى الأديان أفضل دين المسلمـين أو دين النصارى أو دين اليهود؟ فقـال له: دين اليهود، فقال له: وأيهمـا أحسن أدين النصارى أم دين المسلمين؟ فقال له: دين المسلمين.

فأتى المسلم وقـال له: أى الأديان أفضل؟ فقـال له دين المسلمين فـقال له: وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين النصارى؟ فقال له: لا خير فيهما معا.

فالدين الـقويم هو دين المسلمـين، فعرف هذا الـنصرانى المذكور بـعقله أن الدين هو دين الإسلام وأن ما سـواه محض ضلال، وأن اليهود والنصـارى ليسوا على شىء وقد وقع معنى هذا فى كـتابنا قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ... ﴿١١٣﴾﴾. [سورة البقرة].

وها نحن قد أملينا عليك نبذة من الآى القـرآنية والأحاديث النبوية والدلائل المعـقولية المـطبقـة على أفضليـة هذا الدين القويم، وغـيره كله إنما هو فـى سواء

الجحـيم، وأنت إن خممت مع رأسك وفـكرت فى نفسك واختـرت الدار الآخرة على الدنيـا ودخول الجنة علـى النار، فأنت عـرفت سبـيلهـما، فـاتبع هذا الدين الحنيفى وانطق بالشهادتين فإن من قـال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ولو قـالها مـرة فى عمـره، ويدخلها بشـفاعـة النبى ﷺ فإن له فى أهل الكبـائر والجرائم والذين نفذ الوعيد فيهم شـفاعة عظمى خصه بها ربه فى الموقف العظيم، والله إن أنت اعتقـدت هذا الاعتقاد ووفـقك الله إليه وعلمت ما عمله قـيصر من اعتقاده بقلبه وتيقنه به فى نفسه حتى تحمد ذلك حالا ومآلا إن شاء الله.

فهذه المسـألة الدينية التى نصحناك بها والمسألة الدنيـوية هى إذا أنت أحببت الإبقـاء على دين الكفـر فـدين قـومك الإنجليـز أخف وأيسـر عليك من عـبـادة الصليب، ومتابعة الذين يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم، وأى شىء رأيت فى تغريبك عن وطنك وبعدك عن بلـدك وخروجك عن ملة أبيك وجدك وتدينك بدين غيـر دين قومك، وإن كان الجمـيع على ضلال فدينكم أنتم معـشر الريكس أيسر من أولئكم المتوغلين فى الكفر، وحتى امرأتك الـفرنسيسة التى كانت تحوزك على التـعبد بـدينها، هأنت الآن افـترقت مـعها، فـعلى ماذا أنت بـاق فى جوار الفـرنسيـس تارك ملتك وادع ملك أبيك وأخـيك لغيـرك بالفـلامك يتـملك على جنسك وأنت بالحـياة، فـوالله مـا أحبـبنا لداركم ولا لمملكتكم يـتولى رياسـتهـا الفلامك أو غـيره، فالغ عنك ما تقـدم بينك وبين قومك فإن الصواب مـعهم فى الإنكار عليك بسـبب الدين الذى اخـتلفت معـهم فـيه، واعـتذر لهم وعـاودهم وراجعهم، والله لولا أنا أناس عرب لا معرفة لنا بالبحر، أو كان عندنا من يحسن معرفته، أو نستوثق به فى الجـيش ونطلقه فى يده حتى نكاتب الإنجليز ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى به ملكك.

ولكن مسألة واحـدة نعرفك إياها فحاول حتى تنتـصل من بلاد الفرنسيس،

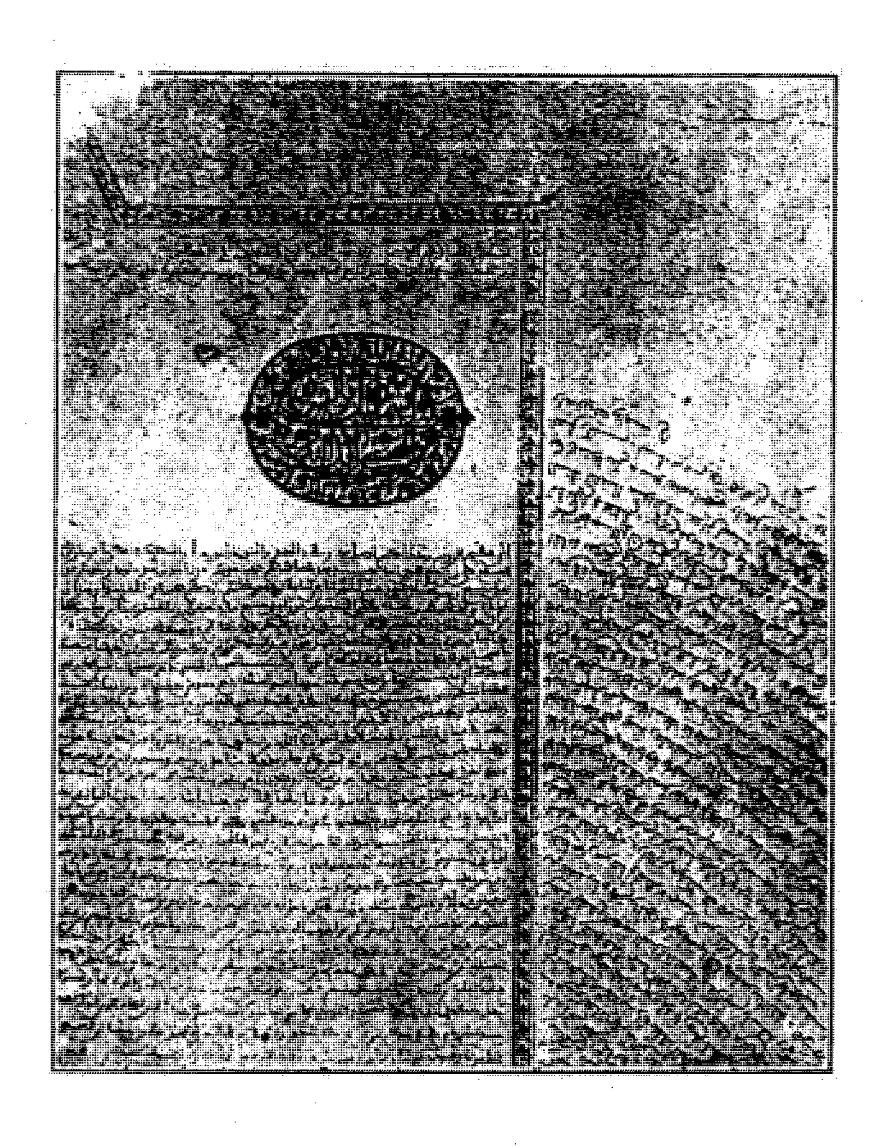
واقصد لجوبة بلاد البرتقال وها زوجة أخيك البـرتقالية اليوم هنالك، ولقد كان لها عند أهل ديوانكم وجه وكلام ومن هنالك تقرب المسافة بينك وبين قومك، وتسهل عليك مناولة الكلام معهم، لكن بحيث لا يكون للافـرنسيس بك شعور، وأما إذا عرفوا منك فلا يتركونك ولا يطلقونك لمسألتين: إحداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع إلى دين قـومك، والثانيـة يخـافون أنك إذا راجـعت قومك ربما تعـاديهم وتحاربهم لا سيما حيث عرفـتهم وعرفت عزة بلادهم، والملوك دائما تحذر من مثل هذا، وقـد نصـحناك وأريناك مـا يليق بك فى دينك ودنيـاك ووالله مـا نكره لك الهداية والرشاد.

وقد بلغنا أنك تروم الوصول إلى رومـة، فإياك وأن تحدث نفسك بشىء من ذلك، فإنك إذا دخلتهـا تحتل بها ولا تطمع فى الخروج منهـا ولا فى ملك بعدها أبدا، فعلى كل حال إن أنـت راجعت قومك ودينك نجدد معك مـا كان بيننا وبين أخيك، ووالله ما زال خديمنا الذى كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ما أوجب مكاتبتنا لك بنصـحنا، وقد أحببنا أن تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فـتنتفع بها على كل حال إن شاء الله، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب فى النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومائة وألف».

ومن ذلك ما وقفت عليه خطابا لملك الإصبان وإليك لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله المفوض أمـوره إلى الله، أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى أيده الله آمين، ثم الطابع الملوكى بداخله إسماعيل بن الشـريف الحسنى أيده الله ونصـره وبدائرته: إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا:



ظهير مولاى إسماعيل لملك الإسبان فى افتكاك بعض الأسارى وانتقاء بعض الكتب

«إلى عظيم الروم وملك أقاليم إصبانية وبلاد الهند والمتولى أمورها والمتصرف فى أقطارها (دون كراوس) السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فقد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم (دون منويل بيردلون) وخديمكم (دون ابيل مسيح) وهو الكتاب الذى وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذى أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفرايلى قبل هذا وبعد أن قرأناه وفهمنا لفظه ومعناه وألقى إلينا خديمكم (دون ابيل مسيح) ما فى خاطركم وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من النصارى الذين وقع الكلام قبل هذا، رددنا إليكم جواب كتابكم، ووجهناه مع خدم دارنا العلية بالله كاتبنا ومتولى الخط الأقرب من بساطنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير، ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا، وأذنا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبى الحسن القائد على بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه، فوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرا له ومرافقا، وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الإسلام المظفر بالله على نصارى العرايش وفى علمه وعلى باله كان ما كان فى ذلك من الكلام والأسباب، وكيفية الخبر فى ذلك.

فثقوا به وتعرفوا منه فإنه حفظه ووعاه من أوله إلى آخره لملازمته لبساطنا العلى بالله فى سائر أوقاته، ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح، ولكن وقع من النصارى ما اختل به منهم من الأنساب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك، فمنهم من كان ينادى بلفظ مينا على رءوسهم، ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك لذلك القول وكاد يفتك بمن دخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم، وبعضهم ركب لجج البحر فارا بنفسه حتى أدرك وقتل على الموج، وحاجنا مع هذا كله كبار ملتنا وعلماء شريعتنا وأئمة ديننا بأن قالوا لنا: إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتئذ ووقع الغلب والظفر،

ولم يبق للنصارى إلا الموت بالسيف أو بالغرق فلا وجه لسراحهم فى الشريعة رأسا.

وكنا فى أثناء هذه المدة كلها نتراد الكلام مع هؤلاء العلماء حفظهم الله، وقالوا لنا: هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه، كيف وقد أخذوا العرايش من أول وهلة بلا موجب، بل أضغطوا الشيخ ابن السلطان الذهبى وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم العرايش على ضغط منه وعلى غير تأويل حقيقى فى ذلك.

وذكرونا فى مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة وغيرهم بما يزيد على الأربعين ألفا بعد تعدد الشروط على ستين شرطا، ولم يوفوا لهم بواحد منها إلى غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس فى كل بلد وقرية بعد بلد وقرية، فألفيناهم ما تكلموا إلا بالحق، وبقينا فى حيرة من أجل هذه المسألة من وجهين: الأول لا نقدر نخالف شريعتنا التى هى أساس ديننا، والوجه الثانى ذلك القول الذى سمعه فى تلك المائة أحببنا الوفاء به، وأنفت نفوسنا أن يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولا نوفى بها، ولولا معاوضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوى لكنا شرحنا هذه المائة مع الفرائلى وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا مسرحين، فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا فى هذه النازلة لابد منه ولا محيد عنه، وأحببنا أن تسمع الناس أنا وفينا فى قولنا ولم يلزم فيه حرج ولا معارضة ولا كثرة اعتراض ولم يلزم فيه من حجة الشرع إثم، فأردنا كم تعملون لنا وجه خلاص هذه المائة بالوجه الذى عملناه لكم وأعطيناكم فسحة فيه، وإلا فالمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة إخوانهم.

وذلك أن تعطونا فى الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب مائة كتاب عن كل نصرانى من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة فى خزائنهم

بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها وتعطون خمسمائة أسير من المسلمين فى الخمسين الأخرى عشرة أسارى لكل نصرانى، وإن لم توجد الكتب التى هى مرادنا فاجعلوا عوضها من أسارى المسلميين وأعطوهم لنا من الأسارى الذين فى الأغرية وغيرهم، وقبلنا منكم فى العدد المذكور الرجل والمرأة والصبى والصغير أو الكبير والشيخ المسن من إيالتنا وغيرها، إذ ما لنا قصد إلا فى الأجر والثواب فى فكاك أسرى المسلمين كيفما كانوا، ومن أى بلاد كانوا.

وإلا فالاعتناء الكلى إنما يكون بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين إنما نقصد بفكاكهم وجه الله تعالى، فإن أنتم سارعتم لهذه المسألة فما عملكم إلا الخير فى أرواحكم وفى إخوانكم، وإن ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدروا عليه فأرجعوا خديمنا الكاتب الذى وجهناه إليكم فى أمان الله كما أتاكم والمائة من النصارى نصيرهم من جملة الأسارى إخوانهم يخدمون مثلهم.

وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد فى ابتغاء مرضاتنا وأنجزتم بأرواحكم فى هذه المسألة فلا ترون منا إلا ما يعجبكم وحتى باقى نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرايش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام فى سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم إن عملتم الواجب الذى لنا عليكم، وتعرفهم الصواب الذى تعين عليكم كما ذكرتم فى كتابكم، وبرجوع خديمنا حامله بما ذكرناه فى هذه المسألة نتلقاه هذه المائة نصرانى لسبتة ويكون ملتقى الجميع فيها ولا عندنا معكم فى هذا إلا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى.

وكتب لسادس عشر ذى الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة وألف».

وهداياهم للمترجم من الشائع الذائع الذى لا نحتاج معه لإقامة دليل ولا

برهان لوروده فى غير ما تاريخ من التواريخ الأروبية المهمة كتواريخ الكنت المذكور وكتب مويت الأسير وغير ذلك.

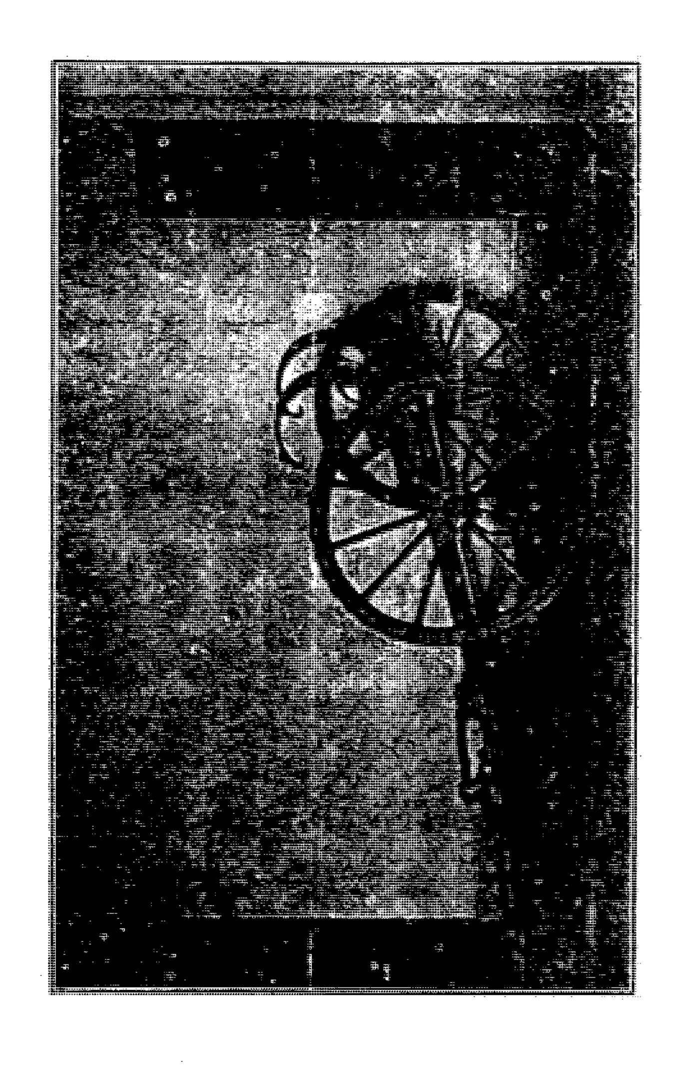
ومن الآثار الباقية من تلك الهدايا الملكية لحد الآن المشاهدة بالعيان البقية الباقية من آثار العربة التى وجه بها للمترجم الأمير العظيم الطائر الصيت لويز الرابع عشر.

ومن ذلك هدية ملك الإسبان التى بعثها لمولاى إسماعيل وهى تشتمل على مائة وخمسين ألف (أبياسطر) عينا وفتاة تركية معها عدد من الفتيات الجميلات، ودبين، وأربعة كلاب من أرفع جنس، وأربعة من الغزلان الجبلية كما نقلت ذلك مجلة (سبريس) عن تاريخ دوكاسترى.

ومما ذكرته المجلة المذكورة سنة ١٩٢٨ : أن الجزء الثالث فى تاريخ العلويين من عيون التاريخ للمستعرب الكونت دوكاسترى الفرنسى الذى هو الجزء ١٥ من المجموعة كلها يحتوى على السنين الست التى ابتداؤها من ثانى شتنبر ١٦٨٦ وآخرها ١٢ إبريل ١٦٩٣.

وأن هناك مخابرة كانت بين المغرب وفرنسا وقد تسببت هذه المخابرة بين دولة المغرب ودولة فرنسا على نقض الصلح المنعقد بينهما سنة ١٦٨٢.

وسبب نقض هذا الصلح هو استفحال أمر القرصنة بسلا - أولا فقد كان عدد الأسرى من الفرنسيين وحدهم فى ذلك الحين بالمغرب ما ينيف على ٤٠٠ - وثانيا ما حدث من سوء التفاهم فى المخابرة بين على بن عبد الله باشا طنجة وبين الدولة الفرنسية، لأن قنصل فرنسا وبعض قناصل الدول الأخرى لم يستطيعوا أن يخابروا المولى إسماعيل رأسا سنة ١٦٨٦ لأنه كان غازيا بالسوس الأقصى إلى أن نشأ عن سوء التفاهم المذكور توجيه أسطول صغير لشواطئ المغرب تحت رياسة



العربة التى أهداها لويز الرابع عشر لمولاى إسماعيل

(مونت مـار) ينتظم الأسطول من قطع ٧ فهبت عليه عاصـفة فـرقت شمله ولم ينجح، وأخفق سعيـه فى الكرة ثانيا لمصادفة الحال اشتغـال ملك فرنسا فى حروب داخلية مع فئة (أو كسبور).

ثم أصدر لـويز ١٤ أمره سنة ٨٧ بقطع الوصلة التـجارية بينه وبيـن المغرب لأنه كان لا يمكنـه أن يحمل التجـار الفرنسيـين المتعـاطين للتجارة بـالمغرب على مبارحته وإخـلائه لقضاء مصالحهم عليهم بالبقاء به، ورغـما عن ذلك فإن التجارة بقيت مستمرة مع ضعف، ونجح تجار الإسبان والإنجليز فى ذلك الوقت، وفى عام ٨٨ ألزمهم مولاى إسماعيل بأداء غرامـات باهضة اضطر بسببها لويز ١٤ للإرجاع فى منع التجارة التى كان حجـز بينه وبين الدولة المغربية، وذلك إثر رجوع مولاى إسمـاعيـل من حركـة السوس وعـادت المواصلة لما كانت عليـه، وأصدر مـولاى إسمـاعيل أمره بجـمع الأسرى الذين بالمغرب وتوجـيههم لمكـناس وجعلهم تحت نظره، وهذا أول حجارة وضعت فى بناء أساس المودة بين لويز ١٤ وبين السلطان.

ولما حل الأسـارى بمكناس بالغ السلطان فـى إكرامـهم وأجـزل لهم العطاء وغـمرهم فى البـر، وأسقط عنهم كل كـلفة كـان يتحـملها أسـارى غيـرهـم من الأجناس.

ومع ذلك تأخـر عقد المعـاهدة فى تلك السنة لاشتـغال مـولاى إسمـاعيل بمحاصرة العرايش وحرب باى الجزائر.

ثم لم يلبث مولاى إسمـاعيل أن تكدر جو السياسة بينه وبين فـرنسا بسبب حادثة غريبة، وهى أن أحد أشراف المسلمـين كان قد أسر ولبث زمنا طويلا بفرنسا إلى أن افتـداه مولاى إسـماعيل مع جـمع من الأسرى، فلمـا ورد مكناس وردها مجذوم الأنف أصلم الأذنين، فاستاء مـولاى إسماعيل مما عومل به ذلك الشريف

ولم يسكن غضبه حتى قرر له سفير فـرنسا أن الأسير المذكور استوجب ذلك عقابا لاغتياله بعض الناس بفرنسا.

ثم اشتـغل مولاى إسماعـيل بقضية العـرايش وافتداء أسراها مع الإصـبان وأذعن الإصبـان لأن يفتـدى كل أسيـر من أسراها بعـشرة من المسلمـين، مع أن المفادات مع فـرنسا كانت رأسا برأس، وأشار فـى هذا الجزء لقضية فـتح العرايش بأمتع بيان، فليرجع إليه من أراد الاستقصاء.

وبعد افتتاح العـرايش تفرغ مولاى إسماعيل لإبرام المعاهدة مع سـفير فرنسا فتمت فى ١٢ إبريل عام ١٦٩٣.

وتجد أيضا فى الجزء نفســه من الحوادث الداخلية التى وقعت فى المغرب فى السنين المذكورة كأخـذه لترودانت من يد مولاى الحسن وغزوه للسوس واسـتيلائه ومحاصرته للعرايش إلى أن وقعت فى يده ومحاربة باى الجزائر.

قال: ولا ننس فضل دوكاسترى على تاريخ المغـرب فى تحقيقه لهذه المسائل ومن أراد مزيد البـيان بمراجعـة وصف هذه الحروب فليـراجع ما كتـبه الأتراك فى التأليف المســمى دفتر التشـريفات الذى نشره (ديفل) سنة ١٦٥٢ وقـد أعاد الكنت دوكاسـترى طبعه باللســان التركى الذى كتب به مع التـرجمة الفرنسـية بقلم ديفل المذكور الناشر الأول، وترجمـة أخرى بقلم دوكاستر الناشر الثانى مصـححة معلقا عليها.

هذا وقد وصف مـولاى إسمـاعيل غيـر واحد ممن درس حيـاته بأنه آية فى الدهاء والسياسة والنبـاهة وصدق اللهجة، نشأ فى حرز وصـون وعفاف، وكان ذا جد واجتهاد وحزم وعزم ونجدة وشهامة وشجاعة ومروءة وقناعة ومتانة دين.

قال فى تاريخ انقلاب دول الغرب (لابريط ويت) الانجليزى صحيفة ٥:



مولاى إسماعيل خارجا وسط جيشه من مكناس

«إن مولاى إسماعيل كان غير أكـول قنوعا من كل شىء غير النساء محافظا على أمور ديانته محافظة تامة».

وقـد كان عـارفـا بفلسـفة التـاريخ وأيام العـرب وأنسـابها وأحـوال الأمم ووقائعها، إماما مرجوعا إليه فى السيرة النبوية وضبطها.

استخلـفه أخوه المولى الرشيـد بفاس ومكناس فحسنت سـيرته، ثم بويع له بالخلافة العامة بعد وفاة أخيه المذكور سنة اثنتين وثمانين وألف وهو إذ ذاك بمكناسة الزيتون كـما فى الترجمان المـعرب، فوفد عليه عـلماء فاس وأعيانهـا وأهل القوة والبأس منها ببيعتهم، ثم تتابعت وفود القبائل المغربية على أعتابه ببيعتهم.

فنهض بأعباء الخلافة وأقام للعدل قسطاسا، ورتب أمور المملكة ودوخ البلاد سهلها والجبل، واسـتنزل العصاة من صياصيهم وقـام فى وجه الثوار الأقارب من إخوانه وبنى عمه وأولاده وغيرهم من الأباعد، وكان النصر حليفه.

وفتح من الثـغور: المهدية والعـرايش وأصيلة وطنجة، وضـبط الأمور وبنى الدور والقصور والمساجـد والرباطات والقلع فى الغور والنجد من وجدة إلى وادى نون، وعمـرها بالجنود السـود لحراسة السـبل وتأمينـها ونزع السلاح والخـيل من القبائل، ولم يتـرك شيئا من ذلك إلا لأهل الريف وآيت يمـور من البربر والودايا وعـرب المعقل وجـيش العـبـيد، ومن نتج لـه فرس يكون للحـكومة، وأمـرهم بالاشتغال بالفـلاحة والقيام على الماشية والاشتغـال بما يعنيهم من صناعة وتجارة، فعظمت ثروة البلاد وكثر الروجان الذى لم يتقدم له نظير، وجمع أهل الذعائر من كل قبيلة وأودعهم سجونه فكانوا يخدمـون فى البناء مع أسارى الكفار ويبيتون فى الدهاليس، فسـاد الأمن فى دولته حتى كانت المرأة والذمى يسـافران، المدة لطويلة فى البلاد القفرة فلا يتعرض لهما أحد بسوء، بل ولا يسألهما من أين ولا إلى أين إلا ما كان من الحرس المكلف بتأمين السبل وحياطة المارة.

ونفقت فى أيامه الزاهرة سلع العلم والأدب، وتوالى الخصب وعم الرخاء، وإلى ذلك أشار أبو القاسم الزيانى فى ألفية السلوك بقوله:

فى عام جفش [١٠٨٣] تم بدره وصال ... ومهد المغرب سهلا وجبال[١]

وقال للسلاح والخيل اغربى ... من كل حى عجمى أو عربى

وجمع الذعار فى الدهالس ... وغيرهم من أرباب المناحس

وجمع العبيد من كل بلد ... جند كل السود لم يترك أحد

وصارت الغنم والذياب ... ترعى بسرح ما لها أنياب

أيامه غزيرة الأمطار ... كثيرة الخيرات والثمار

الزرع والإدام والمواشى ... رخيصة وكل شىء فاش

وطهر الثغور من أهل الصليب ... وعمر الحصون وفق ما يجب

حتى أتاه القدر المحتوم ... فى شقطل [١١٣٩] فحلت الهموم

ولا يخفى ما فى هذا النظم من الكسر والركاكة[٢] وإنما سقناه لفائدته التاريخية وشهرة صاحبه.

وكان المترجم يرشح مهرة الطلبة العارفين بنسخ الكتب وضبطها وإتقانها أصحاب الخط البارع من فاس ومكناس وغيرهما من العواصم المغربية لنسخ كتب الأحاجى والروايات كألف ليلة وليلة، والعنترية سيرة عنترة بن شداد وغير ذلك، ويعدد النسخ منه ويفرقها فى جيشه وكبراء عسكره ويلزمهم مطالعتها ومزاولتها

---

(١) فى هامش المطبوع: «لم يراع الكسر وإلا فبيعته كانت فى متم عام ١٠٨٢ دون نزاع. انتهى. مؤلف».

(٢) أبقيناه كما هو لرغبة المؤلف.

حتى تصير لديهم من الضروريات، وقصده بذلك صيروتهم على بال مما جمعته من مكايد الحروب والكر والفر وتدبير نزول الجيوش والأخذ بالأحوط فى ذلك، وكيفية الهجوم وافتتاح المحاربة، وعقد الصلح والمهادنة، وترتيب الشروط، وتعلم الإقدام والمخاطرة، وإدراك المراتب بالمزايا زيادة على ما فى ذلك من إعانة العسكر على السهر للحراسة وغير ذلك.

ومن المقرر المعلوم أن المحاجات والأسئلة والأجوبة تحد الذهن وتذكى العقل وتعلم الصغار التحيل فى الكلام واختيار ما يأتى وما يذر. وحكايات مجالس الحكام والوزراء لها أثر كبير فى ردع رؤساء الدولة واحتياطهم فى أحكامهم وتأنيهم فى قضاياهم خشية أن ينقل عنهم ما يشين فيفتضح غرضهم، وهذا أمر محسوس فى الأدب والتربية، ومن لم يكن يحفظ فصولا عدة من تلك الأحاجى والروايات لا يعد من عبيد البخارى الأحرار.

استطراد: أما مدينة المهدية فهى من جملة مدائن يفرن فى القديم، انتزعها من يدهم أمراء برغواطة وعَمّروا ساحتها ببنى حسن الذين هم بها لهذا العهد بالضفة اليسرى من وادى سبو، وخربوها فيما خربوه من المدائن.

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة جدد بناءها جوهر الصقلى، ولما أنزل يعقوب المنصور الموحدى العرب من رباح الهلاليين ببلاد الهبط أنزل بنى مالك منهم على الضفة اليمنى من النهر المذكور، وجدد بناءها وجعلها مركزاً لرياسة العرب الهلاليين، فأعاروها جانبا من البداوة وبقيت على حالها إلى أن هدمها أسطول صاحب برشلونة سنة ثلاث وستين وستمائة، وبقيت على خرابها إلى أن نزل بها البرتقاليون سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فشرعوا فى تحصينها، وبعد ثلاث سنين أخرجهم منها أبو عبد الله الوطاسى.

ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وألف استولى عليها الإصبان وحصنوها وعمروها

إلى أن أخرجهم منها صاحب الترجمة سنة ثنتين وتسعين وألف، وأنزل بها جيش العبيد وأوزاعا من عرب الناحية وهى على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة العرايش: فهى مدينة قديمة تعرف بـ «سفدد» بباء فسين ففاء فدالين، كان صاحبها من بقية الأدراسة أحمد بن القاسم جنون تحت طاعة محمد الناصر صاحب قرطبة سنة ٣٣٧، ثم أخرجه منها جوهر قائد جيش الفاطميين، ثم صارت تابعة لعمال المروانيين ومن أتى بعدهم إلى أن أنزل بَها يعقوب المنصور الموحدى العرب الهلاليين فجعلوها قاعدة رياستهم وأطلقوا عليها اسم العرايش، فصارت إلى البداوة أقرب، سيما وقد هدمها أسطول الإفرنج سنة ٦٦٨ وبقيت على خرابها إلى سنة ٩١٠، فنزلها البرتقاليون وبنوها وعمروها إلى أن أخرجهم منها المنصور السعدى سنة ٩٨٦، فاعتنى بها وحصنها وبنى قصبتها، ثم فى سنة ١٠١٩ ساعد محمد الشيخ الإصبان بتسليمها لهم وبقوا بها إلى أن أخرجهم منها المترجم سنة ١١٠١ وهى على ذلك إلى الحين الحالى.

وأما أصيلة: فكانت ساحتها تقام بها سوق أوائل القرن الثالث يقصدها الناس من الأمصار بأنواع المتاجر وتكاثر البناء بها إلى أن صارت قرية آهلة، ثم قدم إليها القاسم بن إدريس عندما أخرجه أخوه محمد من البصرة فنزلها وزهد فى الملك، وبنى مسجدها على ضفة البحر وسورها وبنى قصرها، ثم تولاها ابنه إبراهيم ولم تزل بِيَدِ بنيه إلى أن صارت للحسن الحجام، ثم لموسى بن العافية سنة ٣١١ إلى أن نزل عليها أسطول بنى العزفى وأهل سبتة سنة ٦٦٣، فهدَّ أبو القاسم منهم قصبتها وخربها، وفى عام ٨٧٦ قام بها أبو عبد الله محمد الشيخ ابن أبى زكرياء الوطاسى مؤسس دولة بنى وطاس واتخذها عاصمة.

وفى السنة نفسها نزل عليها أسطول البرتقال واحتلها فى غيبة أبى عبد الله، وظفر ببيت ماله وأسر ولده محمد فبقى فى أسره سبع سنين ورجع، فكان يدعى بمحمد البرتقالى.

وحصنهـا البرتقـاليون وجـددوا بناءها وأقاموا بـها إلى أن فتـحهـا صاحب الترجمة سنة ثنتين ومائة وألف، وعمرها أهل الناحية فهى على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة طَنْجة = بفتح فسكون = فهى بشاطئ البحر المحيط بمدخل الزقاق الفـاصل بين قـارتى إفريقـيـة وأوروبا مـقابلة لـلجزيرة الخـضـراء، أسس بناءها القرطاجنيون وكانت من أعظم مدائنهم بإفريقـية، حازت من الضخامة وعلو الشأن ما لا يدرك شأوه، ثم طغى عليها البحر وبقى طرف منها لهذا العهد يعرف بطنجة القديمة جاء الفتح الإسلامى وخرائب هذه المدينة العتيقة قائمة للعيان.

قال أبـو عبيـد البكرى فى المسـالك عند ذكر طنجـة وليلى الحادثة وطنـجة البيضاء القديمة المذكورة فى التاريخ فيـها آثار للأول كثيرة من قصور وأفناء وغيران وماء مجلوب فى قناو رخام كثير وصخر منجور وتحتفر خزائنها فيوجد فيها أصناف الجواهر فى قـبور أولية وغيرهـا من المواضع وقد غلب على مدينة طنجة الـقديمة الرمل والعمارة اليوم فوقها انظر تمام كلامه فيه[١].

ثم عندما دخل المسلمـون قارة إفريقية فـتحت طنجة على يد عقـبة بن نافع الفهـرى سنة ثنتين وسـتين من الهجـرة، وولى عليهـا من قبله وعقـد الصلح من يوليان صاحب سـبتة، وأعمال غـمارة على الجزية وبقيت طنجـة تعلو وتسفل مع الزمان إلى أن استولى عليها البرتقاليون سنة تسع وستين وثمانمائة، فأقاموا بها إلى أن اندمج البـرتقاليـون تحت حكم دولة الإصبـان، ثم تنازلت عنها لدولة انكـلترا وبقيـت تحت ولايتـهم إلى أن كانت سـنة خمـــس وتسـعين وألف، فحاصرها أبو الحـسن على بن عـبد الله الريفى فـى جيـوش أهل الريف بإذن سـيدنا الجـد السلطان صاحب الترجمـة، ولما اشتد الحصار عليها عـمد من بها من الإنجليز إلى تخريبها وهدم حصـونها وركبوا سفنهم وتركوها، فدخلتهـا الجنود الإسماعيلية من

(١) المسالك والممالك للبكرى ٢/ ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٨.

غير قتال، وجدد ما تهدم منها، وأسس مسجد قصبتها وغيره وهى على ذلك لهذا العهد.

هذا وقد أفردت ترجمة هذا الإمام المترجم بمؤلف وسميته بـ «المنزع اللطيف، فى التلميح لمفاخر مولاى إسماعيل بن الشريف» ورتبته على أربعة وعشرين بابا:

- الباب الأول فى التعريف به.
- الثانى فى سيرته.
- الثالث فى شفقته على الرعية وحنانه.
- الرابع فى شغفه بالعلم ورفعه منار أهله.
- الخامس فى صدق فراسته.
- السادس فى سيره فى جيوشه.
- السابع فى فتوحاته.
- الثامن فى علائقه السياسية مع الدول الإسلامية والأوروبية.
- التاسع فى اهتمامه بتحقيق أحساب وأنساب سكان عاصمة ملكه مكناسة الزيتون وأمره بتدوين ذلك.
- العاشر فى قضاته.
- الحادى عشر فى خلفائه من أولاده.
- الثانى عشر فى وزرائه.
- الثالث عشر فى نسائه.
- الرابع عشر فى عماله وولاة أمره من أمناء ونظار وحجاب.

- الخامس عشر فى سفرائه إلى الدول.
- السادس عشر فى أطبائه.
- السابع عشر فى شعراء دولته.
- الثامن عشر فى بناءاته.
- التاسع عشر فيما غرسه من الجنات والبساتين.
- العشرون فى عدد ما خلفه من الأولاد.
- الواحد والعشرون فيما خلفه فى سجونه من الأسارى وأرباب الجرائم.
- الثانى والعشرون فى إخلاص رعيته فى محبته.
- الثالث والعشرون فيما قيل فيه من الأمداح.
- الرابع والعشرون فى وفاته، وكل باب يحتوى على فصول وفوائد تاريخية مهمة تسر الناظرين.

مشيخته: أخذ عن وزيره اليحمدى حسبما صرح بذلك عن نفسه كما أخذ عن غيره من الأعلام.

ولادته: ولد بالسوس عام ستة وخمسين وألف هكذا فى بعض التواريخ والشائع عند جميع أشراف تافيلالت على ما شافهنى به الشريف العدل البركة الضابط مولاى عبد السلام بن محمد بن الشريف بن على بن عبد الرحمن بن الحران بن محمد بن على الصغير دفين باب إيلان من مراكش قائلا: إنه تلقى من أعيان كبراء الأشراف وأعلامهم الأثبات أن المترجم ولد بتافيلالت بالقصر المعروف بامجار، وأن القبة التى ولد بها لا زالت معروفة محترمة، عند الخاصة والعامة إلى الآن وحتى الآن لا يلحقهم فى ذلك أدنى شك ولا تردد وعند الله علم الحقيقة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام تسعة وثلاثين ومائة وألف وقبره مزارة شهيرة عليه صيب الرحمات.

١٠٥- أيويس: بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو وسكون الياء والسين المهملة كذا ضبطه فى الأزهار الندية قال وهذا من الأسماء التى يتعذر بيان معناها.

حاله: فقيه علامة مفتى نوازلى ورد على فاس بعد العشرة السادسة ولازم الأخذ عن الشيوخ حتى برع فى الفقه المالكى، ولازم أبا على بن رحال بمكناسة الزيتون مدة، ثم رحل لفاس وكان يذهب لباديتها ويحضر أسواقهم ويستفتونه ويأتونه بالهدايا، وربما أفتى بغير المشهور.

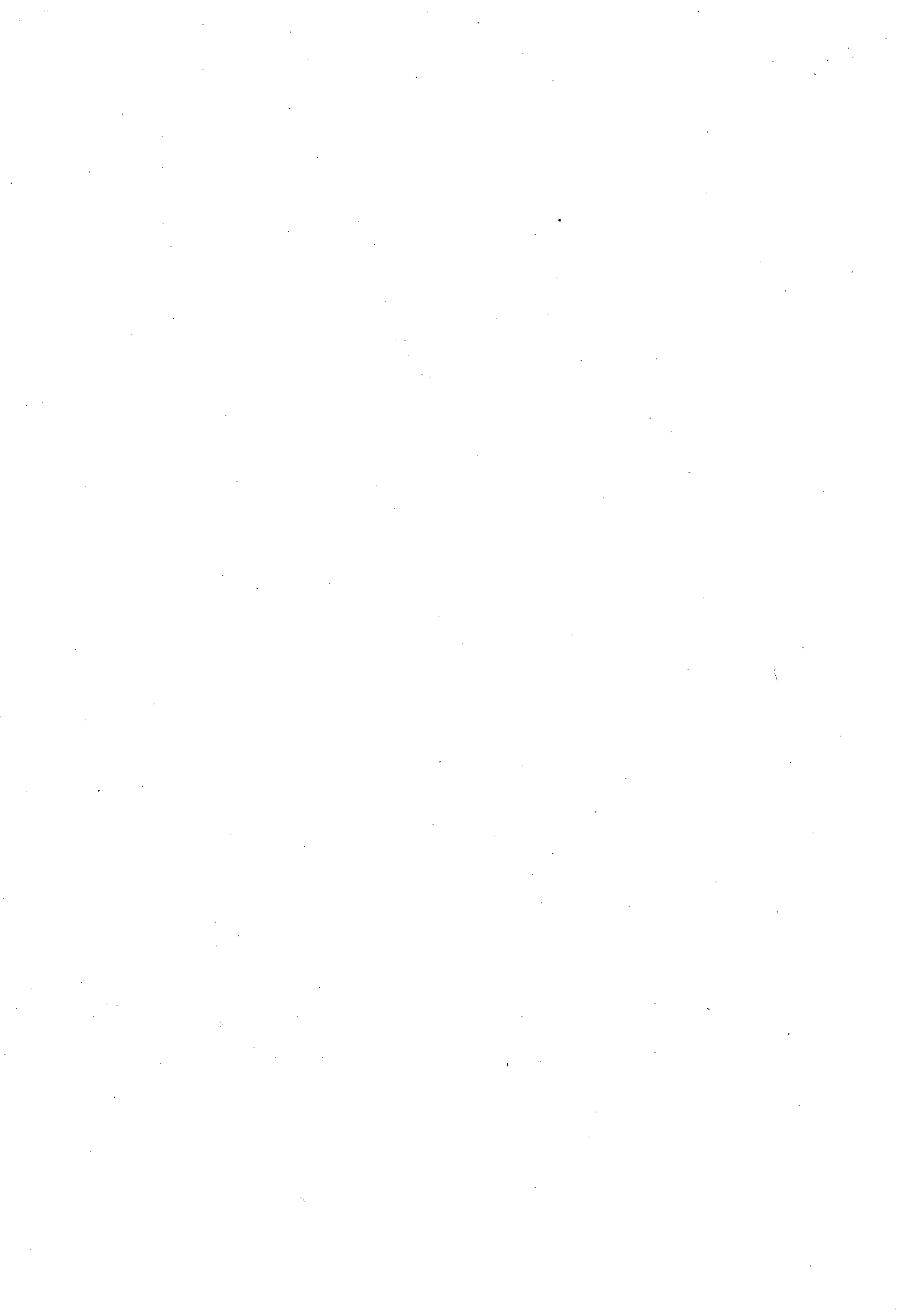
مشيخته: أخذ عن أبى على بن رحال ومن فى طبقته.

وفاته: توفى بفاس عام سبعين ومائة وألف.

***

---

١٠٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/ ٢٢٨٧.



(حرف الباء)

* * *

١٠٦- بوسلهام بن على بن المؤذن الخلطى البوجنونى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار، من أولاد المؤذن، إحدى فرق قبيلة الخلط المشهورة.

حاله: فقيه أستاذ حيسوبى ميقاتى كانت له وجاهة وحظوة ومكانة ورياسة على علماء الميقات فى زمنه عند السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وكان من الملازمين لحضرته السلطانية ظعنا وإقامة، وكان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف حمزة وهو منصت له، وكلما ختم ختمة بالحرف المذكور أفاض عليه سجال عطاياه الملوكية وغمره ببره وإحسانه، فيجمع الأساتذة ويهيئ لهم أنواع الأطعمة الفاخرة ويبسط لهم موائد البر والإكرام إظهاراً لما هو مغمور فيه من النعم السلطانية، ولم يزل على ذلك إلى أن لقى ربه.

وكان السبب فى تصديه للقراءة هو أن السلطان المولى عبد الرحمن لما وقع بينه وبين الأوداية ما وقع من المخالفة والشقاق، والحال أن سائر الوظائف المخزنية الداخلية والخارجية بأيديهم لا يشاركهم فيها غيرهم إلا نادراً، أمر عند مقدمه لمكناسة الزيتون باشاها القائد محمد بن العواد الخلطى البوجنونى بانتخاب عشرة من طلبة الجيش البخارى لتعلم التوقيت والحساب، فكان المترجم من جملة المنتخبين وكلف السلطان بإقرائهم العلامة المتضلع النقاد السيد عبد الرحمن بن محمد بصرى فبذل المجهود فى التعليم، وأكب المرشحون على ما رشحوا له بجد واجتهاد حتى نبغ منهم أربعة وأحرزوا قصب السبق فى التبريز فى فنون شتى منها ما ذكر، وكان المترجم أنجب الأربعة وأمهرهم واستخدم الكل بالحضرة السلطانية ولازم الباب العالى حضراً وسفراً.

وفاته: توفى عام خمسة وستين ومائتين وألف ودفن بروضة الشيخ الكامل السيد محمد بن عيسى من ناحية باب البراذعيين أحد أبواب مدينة مكناسة الزيتون، وقبره ثَمَّ معروف.

١٠٧- بوعزة بن العربى بن بوعزة المدعو الفشار، السفيانى الأصل، المكناسى النشأة والدار والقرار والإقبار.

حاله: فقيه أستاذ حيسوبى ماهر خاشع ناسك متواضع، شديد الحب فى آل بيت الرسول، منعزل عن الناس لا يحضر الولائم، ولا يأكل طعام أحد، ما شرب الأتاى قط، ذاكر تال لكتاب الله عز وجل مواظب على قراءة دلائل الخيرات، يقوم الليل ويصوم الدهر، لا يفطر فى غير الجمع والأعياد، ولا يركب دابة إلا نادراً فى المواكب الرسمية، يركب فرسا سرجه مغشى بكتان ولا يلبس من الثياب إلا ما خشن.

استخدمه السلطان المولى عبد الرحمن فى حنطة فراشه وكان ملازما لصلاة الخمس مع السلطان المذكور، وقراءة الحزب فى كل بكرة وعشى، ولما آنس السلطان رشده كلف به من يقرئه الحساب، ولما حصل على الغاية القصوى فيما أريد منه وظهرت نجابته وصلاحه رشحه للأمانة فجعله أمينًا كبيراً على جيوشه المظفرة فى حركته للقطر السوسى.

ثم فى عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف استخدمه أمينًا كبيراً على رواتب الجيوش بالحضرة المكناسية، وأمينا على داره الكريمة ورئيسا على أمناء صائرها يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، مفوضا إليه فى تنفيذ كل ما يحدث من زيادة أو نقص فى المؤن والرواتب الشهرية بالدار السلطانية بالحضرة المكناسية، وتقييد ضحية النحر الموجهة لها، والوقوف عليها حتى تحل محلها والخليع اللازم لها، ودفعه فى وقته بجميع ما يلزم من ضرورياته مع تنفيذ ما عهد لها من عوائد المواسم والليالى

الفاضلة، ولمن فى حسابها من الشرفـاء والشريفات خارج الدار وغير ذلك من كل ما هو من متعلقات داره وما هو منضاف إليها.

ولا يقبل زمام صـائر الأمناء على الدار العلية إلا بعد اطلاعه عليـه وتسليمه له بإمضائه عليه بخط يده.

وأنابه السلطان عنه فى تولى قـبض مفتاحـه على بيت مال المسلمين وفتـحه عند إرادة الإدخـال إليه أو الإخـراج منه فى ظعن السلطان وإقـامتـه، وذلك زيادة على المفتاح الذى بيـده بصفة كونه أمينا، إذ لبيت المال هذا مـفاتيح أربعة، والعادة فيها أن يكون أحـدها بيد الجلالة السلطانية، وثانيها عند عـامل البلد، وثالثها عند أمناء الصـائر، ورابعهـا عند أمين الدار السلطانيـة الذى هو أكبـر الأمناء لا يمكن فتحه إلا بالمفاتيح الأربع، وذلك كله أخذاً بالحزم والأحوط.

وأقره على جمـيع ما ذكر السلطان سيدى محـمد ونجله المولى الحسن، ولم يزل على تلك الوظائف العالية محبـوبا مبجلا عند أولئك السلاطين العظام إلى أن توفى.

وكان الوصى على سائر أبنـاء العائلة الملوكية، وكذا أبناء الجـيش البخارى، ومن عجيب أمره فى ذلك أنه كان لا يضـيـف مال أحد لمال آخر قل أو جل، يبقى كـلا على انفراده، ولا يضـيـف سكة إلى أخـرى مع كثـرة الموصى عليهم ووفـور أموالهم ومستفاداتهم وتنوع السكك، ومن ورعه أنه لا يأخذ على ذلك أجراً.

مشيخته: أخذ عن الفقيه البـركة السيد محمد بن عبد الله من نسب المترجم وعمن عاصره من الشيوخ.

وفاته: توفى رحمـه الله يوم الأحد الثانى عشر من ذى الحجـة عام ثلاثمائة وألف، ودفن بجامع الأقواس المعروف اليوم بالزاوية الدرقاوية بحومة بين العراصى من الحضرة المكناسية.

١٠٨- بلقاسم بصرى وهو ابن محمد بن بلقاسم بن محمد الطيب بن الصغير بن مسعود المكنى بأبى سرحان بن محمد بن محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن بن عمران الولهاصى.

حاله: فقيه نبيه من بيت علم وفضل وصلاح ووجاهة، حسبما بيدهم من ظهائر عظماء ملوكنا العلويين، كمولانا الجد الأكبر المولى إسماعيل، برد الله ثراه مما سيمر بك بعضه فى تراجم بعض أسلاف المترجم فترقب.

عدل رضى مبرز موثق ذاكر عابد متهجد ناسك خطيب مصقع، مبجل عند العامة والخاصة، محبوب عند الكبير والصغير يلقن الورد التجانى بل إمام الطريقة ومقدمها شديد المحافظة على صلاة الجماعة.

رحل فى طلب العلم للحضرة الفاسية بعد أن حصل ما قسم له من المعلومات بمسقط رأسه الحضرة المكناسية، وتصدر للخطبة بالمسجد الأعظم بعد وفاة والده، وولى خطة العدالة بالأحباس الكبرى من الحضرة المكناسية فى رابع عشرى حجة الحرام عام ثلاثة وثلاثين وتسعين ومائتين وألف.

مشيخته: منهم العلامة العامل السيد العربى بن السائح العمرى، والسيد العباس بن كيران، والسيد الحاج مبارك السجلماسى، والسيد المهدى ابن الحاج السلمى، والحاج محمد جنون مختصر الرهونى، والسيد أحمد بنانى المدعو كَلاًّ، ومن فى طبقة هؤلاء الأئمة الجلة.

ولادته: وجد بخط ولده أن والدته أخبرته أنها كانت تسمع من والده أنه سمع من والدته أن جده السيد بلقاسم توفى ليلة سابع ولادة المترجم، وذلك يوم

---

١٠٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٠١.

الجمعـة تاسع عشرى جمادى الأولى عـام ثلاثة وخمسين ومـائتين وألف، فتكون ولادة صاحب الترجمة يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف.

وفاته: توفى بعد غـروب يوم الأربعاء تاسع عشرى محـرم الحرام فاتح سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة جده الشهيرة بالحضرة المكناسية سيدى بصرى رضى الله عنه، ورحم الجميع بمنه.

١٠٩- بويكر المراكشى الأصل.

حاله: فقيه جليل نبيه كامل مـتفنن مدرس نوازلى مفت تولى رياسة الفتوى بحضرة مكناسـة حسبمـا وقفت على ذلك برسم يتضمن الإشهـاد على جملة من فحـول الأعلام بصحـة نسب فرقة من الأشـراف الحسنيين الإدريسـيين من أولئك الأعلام المتـرجم محلى فـيه بالأوصاف المذكـورة وذلك بتاريخ ثالث عـشرى ربيع الأول عام عشرين ومائة وألف مكتوب ذلك العـقد فى رق غزال مزخرف الجوانب الأربع بالخطوط الذهبية الغريبة الصنع العجيبة الشكل.





(حرف التاء)

***

١١٠- التهامى بن عبد العزيز المرى.

حاله: فقيه جليل عالم فاضل مبجل، تولى النيابة عن قاضى مكناسة السيد محمد الطيب بن محمد بصرى ووقفت على رسم مسجل عليه محلى فيه بالشريف وبالأوصاف المذكورة بتاريخ منتصف شوال عام مائتين وألف.

١١١- التهامى الغيائى.

حاله: علامة مدرس نفاع، لم أقف له على ترجمة غير أنه كان بقيد الحياة فى جمادى الأولى عام تسعة وأربعين ومائة وألف من جملة مدرسى الأعظم كما بقائمة المرتب الشهرى للعلماء المدرسين فى ذلك العصر.

١١٢- التهامى أبو الفتح بن المرابط البركة السيد حمادى بن عبد الواحد المطيرى الحمادى المكناسى.

حاله: علامة مشارك مطلع نحرير، أديب أريب، نقاد محدث متقن متضلع، تولى خطة القضاء أولا بمكناس ثم مراكش، وقفت على رسم مسجل عليه مدة توليته بمكناس بتاريخ ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، محلى فيه بالعالم الناسك البركة الخطيب البليغ القدوة المدرس المحقق الحجة، ونص شكله التهامى ابن محمد المطيرى الحمادى.

وكان شيخ الحديث فى مجلس السلطان المولى عبد الرحمن، ثم اصطفاه للقراءة معه سفراً وحضراً يظعن بظعنه ويقيم بإقامته، ثم وجهه بين يديه لفاس فعاجلته المنية.

---

١١٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٢٠.

وأصله من بنى مطير القبيلة البربرية المشهورة من فخذ يقال لهم آيت حمادى، منازلهم الآن قرب فاس.

مشيخته: أخذ عن العلامة إدريس بن زين العابدين العراقى، والشيخ الطيب ابن كيران وأجازاه عامة ودونك نصوص إجازتيهما له ومن خطوطهما نقلت:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. الحمد لله الذى جعل حبل الإسناد. من أوثق الصلة بين الله والعباد. والصلاة والسلام على أجل واسطة. وأتم رابطة. مولانا محمد المختار. وعلى آله وأصحابه الأخيار.

أما بعد: فإن المتمسك بهذا الاستدعاء الفقيه الألمعى النبيه. الأديب الأريب النزيه. السالك الإدراك المتثبت أبا عبد الله السيد محمد التهامى بن المرابط البركة السيد حمادى ألهمه الله رشده، ممن لزم الجثو بين أيدينا فى مجالس العلوم. واقتنص فى إشراك فهمه من إملائنا شوارد الفهوم. برهة واسعة من الزمان. كان فيها المجلى عن الأقران. حتى حصل بحمد الله على علم وافر. ويمن فى حسن الملكة ظاهر.

ثم لما أراد الرجوع إلى مسقط رأسه. الذى هو مناط لمثمر غرسه. وكان الإسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء، طلب من هذا العبيد الظلوم لنفسه أن يجيزه. وينصف بعامل الانتساب إبريزه. وإنى وإن لم أكن لذلك بأهل. ولا ممن أحرز فى مجاله الخصل. لكن مقابلة الرغبة بالإسعاف. كما قيل من شيم الأشراف.

فأقول: قد أجزت السيد المذكور. وفقنا الله وإياه للسعى المشكور. فيما قرأه على وفى غيره من كل ما تصح لى روايته عن أشياخى المعتبرين من منقول ومعقول ومنظوم ومنثور إجازة تامة. مطلقة عامة. بالشرط المعتبر. عند أئمة

الحديث والأثر. وعليه بشكر الله على ما أولاه من العلم، لأن الشكر مناط الزيادة وليتق الله فى السر والعلانية، لأن العمل ثمرة العلم والله ولى الهداية. فى المبدأ والنهاية.

وكتب أفقر العبيد لرحمة رب العالمين. إدريس بن على زين العابدين. حلاه الله بصفات اليقين. العراقى الحسينى أحسن الله حاله. وجعل إلى الفردوس مآله».

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. حمداً لمن رفع الذين أُتوا العلم درجات. وجعل نفوسهم تسرح من رياضه فى حدائق نضرات. وأذاقهم حلاوة التحقيق فهاموا طربًا بما حصرت فيه اللذة الدنيوية من العلوم والإدراكات. وصلاة وسلاما تامين على سيدنا محمد أعلم من أسند عنه الحكماء والرواة. وعلى آله الأمجاد السراة. وصحابته الأنجاد الهداة.

وبعد: فإنه لما تقرر لدى أولى الحجَا. واشتهر اشتهار الزبرقان فى الدُّجَى. أن أنفس ما تنفق فيه نفائس الأعمار. وأبهج ما تلهج فيه الألسنة وتعمل فيه عوامل الأفكار هو إنشاء حقائق العلوم. والارتقاء إلى دقائق الفهوم.

العلم نور مبين ... به اللبيب تحلى ... فقل لمن فى سواه
غلا وعنه تخلى ... شتان ما بين ليل ... داج وصبح تجلى

العلم نور مبين يستضاء به ... وخطة ما لها فى الحسن من مثل
فاملأ جرابك منه غير مكترث ... بما يراه أخو كبر وذو خجل

ولما مَنّ المولى الكريم. من فضله العميم. على كاتبه العبد الضعيف بصرف آونة من عنفوان الشباب الوريق الوريف. إلى اقتطاف نبذة من أزهاره. واستطلاع

شيء من أنواره. وورود مورد عذب من موارده. واقتناص بعض من شواذه وشوارده. جرتني الأقدار إلى إملاء بعض الدروس. إسعافا لطلاب عطشى الأكباد غرثى النفوس. فتصديت لا عن أهلية منى لذلك المنصب الوسيم. ولكن إذا اقشعرت البلاد وصوح نبتها رعى الهشيم.

ثم إن المستدعى في الأوراق قبله الطالب الأرشد. الأنجب الأسعد. أبا عبد الله السيد محمد التهامى بن محمد الحمادى. بلغه الله أمله وأسبغ عليه جلائل الأيادى. كان ممن لزمنى مدة. وأعد للأخذ عنى عدة. فحضرنى فى مجالس منقول ومعقول. وفروع وأصول. وآلات ومقاصد. ومباحث وفوائد. وحصل بتوفيق الله على ما يسر له من فهم وعلم. وظفر بما أتيح له من حفظ وقسم. وبدت آثار رشده وهدايته ولاحت معالم تحصيله ونجابته. ولذلك أسعفته فيما التمس من الإجازة تبركا بطريق السلف وإيثاراً للاتباع. وإن كنت أقول المدار اليوم على إظهار ما وصل إليه الباع. فهو الشاهد لك أو عليك. والحجة القاطعة لديك فأقول: قد أجزت الطالب المذكور فيما رويت أو دريت إجازة تامة. مطلقة شاملة عامة. بشرط التثبت والتحرى. وأن يقول فيما لا يدريه لا أدرى. فإنها مما يكمل وليست مما يزرى. ولقد أجاد من قال:

ومن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدرى أصيبت مقاتله

وذكر ابن عبد البر فى مقدمة التمهيد أن الإمام مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنين وثلاثين لا أدرى، واشتهر عنه فى كتب الأصول أنه سئل عن أربعين فقال فى ست وثلاثين لا أدرى والله يرشدنا وإياه إلى سواء السبيل. وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم. وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكى التسليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وكتب عبيد ربه سبحانه وتعالى محمد الطيب بن عبد المجيد شهر بابن كيران. لطف الله به وعامله فى الدارين بجزيل الإحسان».

وقد أخبرنى من وثقت بخبره من أهل العلم أنه أخذ عن السيد أحمد بن التاودى بن سودة ومن فى طبقته والله أعلم.

الآخذون عنه: منهم أبو المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسى الفهرى المتوفى بالطاعون ثامن عشرى رمضان عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، والقاضى أبو زيد عبد الرحمن البريبرى الكبير الرباطى المتوفى عاشر شوال عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، والأخوان القاضى الأعدل أبو عيسى المهدى بن سودة المرى وأبو حفص عمر المتوفى فى متم ربيع الأول سنة خمس وثمانين ومائتين وألف، والمحدث الأشهر سيدى الوليد العراقى المولود سنة تسع بتقديم المثناة ومائتين وألف كما وجد بخط يده المتوفى فى ربيع الثانى عام خمسة وستين ومئتين وألف، والعلامة السيد محمد بن عبد القادر الكردودى، وأخو المترجم السيد محمد، ومحشى ميارة السيد الطالب بن حمدون بن الحاج، وأجاز عامة للثلاثة الأخيرين باستدعاء منهم له وقفت على نص ذلك الاستدعاء ودونك لفظه:

«حمدا لمن أطلع فى سماء العلم للرواية والدراية شموسا وأقمارا، وعينهم لافتضاض الأبكار من غوانى الأفكار حتى أجرى من ينابيع حكمهم بحوراً وأنهاراً، وأهلنا للارتشاف من خلاصة رضابهم المغنى عن أحلى الضرب، حتى أسعدوه بالإرشاد نحو لمحة من فنون علمهم المزرية بشذور الذهب، وصلاة وسلاما على يتيمة الدهر، الجامع لأشتات الفضائل والفخر، المصطفى المختار، المجيز من استجازه دون إنكار، وعلى آله الأتقياء الأبرار، وأصحابه الأجلة الأخيار، وبعد: فالمطلوب من إحسان شيخنا قاضى القضاة ومن إليه المرجع فى حل المشكلات الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن

النعت والسمت، العلامة الدراكة المشارك، الذى لم يعقبه عن دائرة التحقيق متدارك، الإمام الذى به فى كل فن يقتدى، النجم الذى هو ضياء فى مشكلات العلوم وهدى، العلم الفرد الذى قصرت عن إدراك شأوه الجموع. العالم الذى انتصبت له فى الخافقين أعلام الثناء المرفوع. إمام الفصحاء. وحامل راية البلغاء.

هو البحر لا بل دون ما علم البحر — هو البدر لا بل دون طلعته البدر

هو النجم لا بل دونه النجم رتبة — هو الدر لا بل دون منطقه الدر

هو الكامل الأوصاف فى العلم والتقى — فطاب به فى كل ما قطر الذكر

ذى الخلال التى تكل عن الحصر. والخصال التى يعترف له بها نبهاء العصر. الجامع لأوصاف الجمال وجمال الأوصاف. الحائز لأصناف المحاسن ومحاسن الأصناف. ذى السر الواضح السامى. أبى الفتح سيدى محمد التهامى بن العارف الأكبر. الولى الأشهر. الذى يحدو بمحاسنه الحاضر والبادى أبى المواهب سيدى حمادى الحمادى.

مذ أبصرت عينى محاسنه — وشاهدت منه الجمال الجميل

حملت قلبى من محبته — ما لم يكن يحمل قبل جميل

كيف لا وهو الفصيح الذى إن تكلم أجزل وأوجز، وأسكت ابن السكيت وابن العميد ببلاغته وأعجز، وأخمد نباهة قتيبة وابن قتيبة فى علم اللغة والغريب.

وأما السنة والكتاب، فقد أبدى فيهما ملكة مالك وابن شهاب. ولم يشك سامع أنه ابن القاسم أو ابن إدريس. إن توجه لعلوم الفقه بالفتوى والتدريس. بيد أنه هذب بتنبيهاته الحسان كل مختلطة من مقدمات المهرة الأعيان، وإذا تعرض للتصريف. أو انتحى للنحو الجليل. خلته معاذا الهرّاء العفيف. وابن أحمد الخليل. يتصرف فى بديع الإنشاء. بما يشاء.

إن هز أقلامه يوما ليعملها ... أنساك كل كمى هز عامله

غير أن كلامه فى الألباء يسرى مسرى كئوس الصهباء لو قرطت بيواقيته آذان ابن عبد الحميد أصبح فى صناعته غير حميد، والحريرى وابن خاقان لما اهتديا إلى جمع المقامات وقلائد العقيان، ما برز فى موطن بحث إلاّ برز على الأقران، ولا أجرى جياد علومه إلى غاية إلا كانت مطلقة العنان. إيه وفيه جرى. كل الصيد فى جوف الفرا. ضم إلى علمه العمل ووصل مما أراد إلى أقصى أمل، فهو الرئيس الذى به المفاخر تحمد كعبة المجد والوفا والسخا والدين والحلم والفخار المؤيد جرت فى بحر محاسنه سفن الأذهان، فلم تدرك قراره، وعجز النظراء والبلغاء أن يخوضوا آثاره.

سما فى أهله طفلا وكهلا ... وأحرز كل مكرمة حقيقة

فبالإكرام وإلا كبار حقا ... ترى أبدا سيادته حقيقة

ولكن لا يستغرب من التبر الذهب، ومن معادنها الدرر، والسبط لابد أن يقفو الأثر.

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه ... وتغرس إلا فى منابتها النخل

أن يمن بالإجازة على المتمسكين بأذيالكم والمترددين صباحا ومساء على مجالسكم والمقبلين ثرى نعلكم وأقدامكم المسندين لحماكم المنيع واللائذين بجنابكم الأعز الرفيع محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالى الحسنى الشهير بالكردودى، والفقيهين الأجلين أخيكم سيدى محمد وسيدى محمد الطالب بن العلامة سيدى حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى المرداسى، ونحن وإن لم نكن لذلك أهلا فاقبلوا ذلك منًّا منكم وفضلا، عسى أن يهب علينا من نفحاتكم العظمى ما نستوجب به من الله مزيد الرحمى.

ولسنا لـذا أهلا ولكن فـضلكم به نرتقى والمرء يسمو بكم قـدرا

وتكون تلك الإجازة من سيدنا مـحققة مصرحة القـرينة مطلقة على الشرط المعتبر فى الأداء عند أهل الأثر، شاملة للمعقول والمنقول فى كل حكم محصل أو معدول، جامعة للأصول والفـروع فى نوع المفردات والجموع، ليحصل لنا الدخول فى حماكم العظيم، والتشبث بجانبكم الأعز الكريم، ونظفر بالمنى والنجاح ونتشبه وإن لم نكن مثلهم فالتشبـه بالكرام رباح، وإن رشحت ذلك بذكر من تحملت عنه العلم من الأئمة الأكابر الذين افتـخرت بهم على الأوائل والأواخر، كان ذلك تمام الأمنيـة وإنما الأعمال بالنـية، وحاشـاك أن تمد إليك الأيدى فتـردها خلواً، وأنت الحائز لكل الفضـائل والفواضل، أخا صنوا أو يقرع فـضلك فلا تفتح بابك، ولا تسدل على المعتقين أطنابك وغير مستغرب إقبالكم على أمثالنا وإعطاء من لاذ بكم البغية والمنى:

ولا غرو أن يعطى المنى لائذ بكم ويلقاه وجـه السعد متضـح البشر

وفـضلكم يغشـى المطيع وغيـره كما تمطر الأمطار بالترب والصخر

ويعلم الله أن النفس لا تـسمح بهـذا الأمر لسـواكم ولا تبـوح بمرامهـا إلا لعلاكم:

بقـيت بقاء الدهر يا كـهف أهله وهذا دعـــاء للبـــرية شـــامل

وصلى الله على سيـدنا محمد خاتم أنبـيائه ومبلغ أنبائه وعلى آله وصـحبه وسلم تسليما».

شعره: من ذلك قوله مادحا شيـخه سيدى إدريس بن زين العابدين العراقى كما بنص استدعائه الإجازة منه:

مـا كل ربة ملك جل بلقـيـسـا ولا الذى يخرق العـادات تأسيسا

لا تحـسبن الهـدى بحـسن بادية فكم ترى من وضى فـاق إبليـسـا

وكم حكيم ولكـن ليس ذا حكم ويدعى أنـه بجـهله عـيـسى

وكم أجوب بـشوق كاد ينـشرنى على أحظى بمن مـا حـام تدليسا

فما ظفرت وهب أنى سمعت به فـذاك أشـبه بـالعنقـاء إن قيـسـا

حتى تـبسمت الآمـال عن شنب كـسا الليـالى ترصـيعـا وتجنيسـا

فـإذ أنا بابن زيـان الذى شـرفت به المعـالى العراقى الحـبر إدريسـا

دامت لنا طلعة النحرير فى وهج وزاده الله تـأييـدا وتقـديسـا

وقوله مادحا شيخه ابن كيران وموريا باسمه فى استدعائه الإجازة منه:

أكـرم به لوذعـيـا عـز تمثـيـلا ومـفـردا فـاق إجمـالا وتفـصـيـلا

لا عـيب فـيه سـوى من قـد ألم به ينال فـخـرا وتأييـدا وتبـجـيـلا

قد طيب الدهر من طيب اسمه كرما فـدام فى مـفـرق الأيام إكليـلا

وقوله مادحا العلامـة أبا العباس أحمد بن التاودى بن سودى بمناسـبة ختمه المختصر الخليلى عام ثمانية عشر ومائتين وألف بفاس القروين:

حنانيك نبـه غـائبا يـرقب السعـدا بطلعـة سلمى أو بجـارتهـا سعـدى

وما زال يـستشـفى الغرام بـطيفـهـا فـمـا منحت إلا التـأرق والصـدا

فـهـا عـرفهـا ناجى الفـؤاد ولم يبن يصـافـحنا ممـا به أخـجل الوردا

وكنت أخـال الحلم حـتى تبـينت فأبدت ذكاء فى دجى جـمعت ضدا

وحـورا وريعـا والقـواضب والقنا بناعم خوط يغضب السـمر والأسدا

وجـيـد منصـى لا لتـزداد بهـجـة ولكن ليـبـدى حـسنه أيمـا وردا

وطرف كـحـيل فـاتر دون حـاجب أزج فـحـيم يرهب العـادى الوردا

ومن عجب طعن الجفون وهل سرى طعـان جـفـون دون أسيافـهـا قـدا

وفـرع أثـيث حـالك بـذوائب ثلاث يغـشى مـتـنهـا رائقـا جـعـدا

عـجبت له يغـرى مسـامع قرطهـا حـديث خـدام فـى خـداه لهـا رأدا

وبالـغـرة الغـرا تردى تولـهى بوجنتـه حـتى انثنت خلـتى رشـدا

فقلت لهـا رحماك يا روح مهـجتى بصب رهين فـى جـمـالك لم يفـدا

وكم جاب من فـرط الجوى ولواعج من الشوق صحصاح الفلا الغـور والنجدا

وكم لعـجت منه الحـوائج والحشـا ولولا صبـيب الغور أنضـجت الجلدا

وكم طلق الغـمض الثلاث جـفونه طلاق الحسام العـضب يوم الوغى غمدا

وكـاد الهوى العـذرى ينحو بعطفـه إلى نحو عرف العطف منك فهل أبدا

فـقـالت فـأبدت منه أنفس جـوهر فـمـا خلت إلا أنـهـا نثـرت عـقـدا

هنيـئا وطب نفـسا بدانى احـتفـالنا ودونك بعـد البـين مـن وصلنا ودا

رشفـنا كئـوسا من معـين رضابـها فـآونة صـهـبـا وآونة شـهـدا

ولا عـيب فـيـهـا غـيـر أن إزارها وثيـر كمـا بالخيـر قد وشـحت بردا

وممـا أثـار للـفـؤاد أنيـنـه رنين جـمـال أو سـوار علت زندا

وقـد خـضبت رخـص البنان بعندم تمثل دمـعى رأد بينونـة الغـيـدا

وأعـجب منه ظنـهـا فـتـبـسـمت بأى نظـام خلتـه الجـوهر الفـردا

بذات أقـاح كـان طى لـنشـرها ورثنا الذى أبدى الـشـر ود له فـقـدا

فأعزز بها من منحه بين بضة | رداح وبين جنة قد حوت خلدا
ولا عاذل واش ينم بولينا | عدا الأعطرين المسك إذ ذاك والندا
كأنا وأفنان الرياض وزهرها | همام يحلى جنده الدر والنقدا
كأن الربى إذ خدد النهر خدها | بعذب فرات ناضر طيب الوردا
أكف علاها الوشم أو طرس بارع | يسجله أو أرقم رائد بيدا
كأن الغضا والبان فى حركاتها | بأيدى الصبا صب يميس بها وجدا
ولما تلت أوتارنا آية الهنا | وباحت بتحليل العناق ولا حدا
وشى بالذى نلنا بالبلابل غبطة | فصاحت على الأدواح تلتمس الرصدا
فسل لذاك الصبح صلت جبينه | وأفضت إليها الشمش من رمضها جندا
كأن سناه طلعة الحبر أحمد بـ | ـن سودة فى أفق العلا صافحت سعدا
ولاحت على وجه الخوافق فانثنى | صقيل الردى من بعد عمته السودا
كما بدت الغراء للدين غرة | فبان ذكاء لا كنار علت طودا
فأعشى عيون الملحدين شعاعها | وأمست ممضاة الجفون به رمدا
وأصبح هذا الدهر يزهو مطاولا | على صدره إذ حله فاقد ندا
وحق له بالجهبذ المرى الذى | أشاد سنام المجد من بعد ما هدا
ومن بان فى أفق المكارم مذ نشا | هلالا ولكن لا أفول ولا أردا
ومن لم يزل متن الثريا نعاله | وما فوقها الجوزاء من تحته مهدا
ومن عز بعض من حسان خلاله | فعز فأضحى فى براعته فردا
ولا عجب من نقطة اليم والحيا | ولا سيما إن كان صيبه جودا

ومـــا ذاك إلا من عـــذول مـــعنف يرى حصــر أوصاف السميــذع والحدا

ولم يدر إن أربت على المزن والحصا ومن لى برد المزن أو حـصـرها عـدا

وهب حصرها مـا كان ضرك لو سرى بك الفكـر فى آياته الألف والأحـــدا

وهل يجـحد الشـمس المنيـرة نورها سوى مـائن أو من يرى الطعن واللحدا

رويدك هل مـا قـد كفـاك فـإنه ابـ ـن فخـر سرى أسس الفخـر والمجدا

وكـــعــبــة ســؤدد وذروة عـــزة وبحـــر يمـــوج بالـعلوم وبالأســـدا

وبدر سـبـيل الديـن والحق والتـقى وطود الهـدى مـا أنـفك رائده يهـدا

وأفـضل ذى حلـم وصـفح ورأفـة وكـــان بأمـــر الـله منصلـتـــا جلدا

وخـيـر إمـام قلد العـدل فى الورى ومن قـد تولى فـيهم الحل والـعقـدا

حلاحل من بالأرض شـرقا ومـغربا ومصقـعهم من فاخر الفخـر والسعدا

له ضِنْضِئٌ[1] قد طاب فرعا ومحتدا ولا زال يســمو ما ســما ووفــى جدا

بدور ســمـــاء كلمـا انـقض واحـد بدا مـــثله أو فـــائق أثره ســـردا

فـــدمـتم ســراة الناس يا آل مـــرة ولا زلتم فـــيــهـم مـــشــقـفـــة ملدا

ولا زال نجل التـــاودى مـــحـــمـــد ســماء ســحاب تمطر العلم والأجـدا

لعـمـرك قـد أحـيـا مـــوات قلوبنا حيـا علمه الوبل الذى لـم يزل رغدا

فـعـاد غشـاها من صـداء جـهـالة نضيرا وغض العطف يحكى لنا الجدا

وقلد أجـــيـــاد العـقـــول فـــرائدا منـضـــدة فى سلـك لفظ لـه أندى

فـما الغـانيات مـا الرحـيق معـتقـا ومـا الطيـر فى أفنانه ينشـد الرصـدا

---

(١) الضِنْضِئ: الأصل.

إلى أن قال:

عشيرتنا قد تم الدهر ودنا ... بيوم وصال من خليل وفى وعدا

فظلنا وهذا اليمن والسعد خادم ... وهذى سرادق الْهَنَا خيمت جدا

فمن منح ما أسلف الدهر مثلها ... فلله ربى أُدمن الشكر والحمدا

جزى بجزيل الجود والطول والولا ... أئمتنا من منهم بان أو أودى

حماة حريم الدين من جنف الهوى ... ومن بذلوا فى حمل أعبائه الجهدا

أراحهم فى رحب خير جنانه ... بخير جوار الخاتم الرسل والأهدا

عليه صلاة الله ما قال منشد ... حنانيك نبه غائبا يرقب السعدا

وقوله:

هم بالذى سكن الوجود بسره ... ودع السوى فى حبه وتجرد

وأقم على النفس الحدود فإن أبت ... فجزاؤها من سجنها لا تفتدى

وقوله:

أتطمع فى الحياة بغير موت ... ويعجبك الثناء وفيه داء

وأقبح ما ترى من ذا وذاك ... غرام ليس يتبعه سخاء

إذا ما البخل أصبح عند قوم ... فقد أمسى بأرضهم البلاء(١)

نثره: من ذلك قوله فى استدعائه الإجازة من شيخه سيدى إدريس بن زين العابدين العراقى المذكور:

«الحمد لله الذى زان نوع البشر بإجازة أفراس فكره فى مجال المعانى.

---

(١) فى هامش المطبوع: «البيت للإمام الشافعى».

وأكمل مزاياه من بين سائر جنسه بترجمان البيان وعنوان المبانى. فلم ينفك مقتنصا ظبـاء الفـرائد. ومـعـربا عن عـرب العيـن الخرائد. إلـى أن بدت رافلة فى حلل الطروس وحلى السطور. شاهدة ببراعة القدرة وبداعة المقدور.

وأشـهد أنـه الله الذى جل ثناؤه. وكـمل سناه وسناؤه، وعـمت رحـمتـه وآلاؤه. وعذب لأوليائه لأواؤه.

وأشهد أن سيـدنا محمدا عبده المحلى بحلى الفـضائل والفواضل. والموشح بوسـيم الوسائل. وسـرى المسائل. الصـادع بأحكام الأحكام المعنوية والحـسيـة. والمفسر حديث أسرار الحـضرة القدسية. أعظم الحائزين قصبـات السبق فى ميادين الكمالات. وأفخم الفائزين بروائع الخـلال وجوامع المقالات صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصـحابه الذين حـملوا لنا راية الفـروع والأصول. وظفـروا بقصـارى الأدب ونهاية الوصول. صلاة وسلاما دائمين صادقين بلا مين.

وبعد: فإن أنفس ما تنافست فيه نفائس الأفكار. واصطفته على حسان حور الأبكار. وماست به طربا. وهويته منى واربا. واستطابـته شذى وريا، وفاخرت به طلعة الثـريا، وفيه عـذب رشف كئوس المنيـة. وبه تمت الخلال السنية. وتحـققت الحقائق. وكـشفت البراقع عن وجوه الـدقائق. وشيدت أركان المراقى. ومـيز بين السافل والراقى. وفى فضله تقاعست الألسنة. واستـحوذ عليها فتور وسنة. فنون العلم التى ناهيك فى علو شأنها. وعزة قدرها وسلطانها. أن منها ما عرف إيحاء. وما كان أنحاء. وما تفنن عن ذى الأصـول الجليلة. وما هو إلى الكل وسيلة. بيد أن بعض القلوب جـبل على الغبطة. وذلك أفلح مطلوب وأنجح خـطة. وكيف لا وقد قـرن الله تعالى شـهادته بشـهادة أهله. وجـعل سبحـانه البينونـة بين إدراكه وجهله. كما جاء أنهما فى غاية المباينة. وليس الخبر كالمعاينة. وبعض الأفئدة طبع عليه بطابع الحـسد. وأفصح بذلك عنوان الجـسد. فعمل بموجـبه ومقتـضاه. وآثر

للشيطان هواه ومرتضاه. غير مكترث بأنه من أعظم السيئات. وإن ما قدره سبحانه لا بُد آت. فما أخسر متجره ونصيبه. وما أعظمها عليه من مصيبة. ولقد ابتليت بقوم عميت عليهم الأنباء. وحملوا من الأضغان والإحن الأعباء. فهم عن غرر المحاسن لا يتساءلون. ولا بطلعتها يتفاءلون. وإنما يبحثون عن الأدون والمساوئ. دون الأرجح والمساوى. ومهما عاينوا تحبيرى فى فن من الفنون. خاب رجاؤهم وساءت الظنون. وكادت تعاجلهم المنون. يودون حينى. واندثار رسمى وأينى. ومع هذا فهم كما قيل:

لنا صاحب مولع بالخلاف | كثير الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجا من الخنفساء | وأزهى إذا ما مشى من غراب

إلى أن قال إثر شعره المتقدم:

«ثم هأنا أقترح من أنامل قرائح الجنان. وأستوهب من سحائب البنان. أن تسمح بإجازة رافلة فى معرض الإتقان. على بهجة تخر لها الأذقان. ما نسج بارع على منوالها، ولا ظفر طامع بأحوالها. تزرى بكل أنيس مطرب، ويغبط فى روائعها المشرق والمغرب» وهو أطول من هذا وأطنب فيه وأطاب وأبدع ما شاء.

وفاته: توفى فجأة برباط الفتح يوم الأربعاء حادى عشر صفر الخير سنة تسع وأربعين ومائتين وألف، ودفن بدويرة بالزاوية الناصرية بحومة أبى القرون.

١١٣- التهامى: ابن المهدى المزوار المكناسى النشأة والدار.

حاله: نابغة أديب أريب، وجيه لبيب، ناظم ناثر، واعظ فصيح اللسان عدل رضى مبرز.

تولى الوعظ بالضريح العلمى وبكرسى عنزة المسجد الأعظم وخطة العدالة بالحضرة المكناسية وتصدر للشهادة وكان يتعاطاها لتاريخ شعبان عام اثنين وتسعين

ومائتين وألـف وقبل ذلك وبعده ثم استكتب بالديوان السلطانى مـدة ثم أُخر عنه مدة ثم أُعيد إليه فصار يظعن بظعن الجناب الملوكى ويقيم بإقامته.

له شعر رقـيق يفرغه فى قالب رشيق حـلاه عصريه السيد أحـمد بن الحاج الفاسى فى بعض مـؤلفاته بما لفظه: الفـقيه الأديب الماهر الحـائز قصبـة السبق فى الفصاحة والبلاغة النـاظم الناثر الهمام الذى لا يقاوم والماجد الذى لا يزاحم، من سمـا فى سماء التـوثيق بدرا، وارتفع فى سلم العلوم سرا وجـهرا العدل سـيدى التهامى المزوار المكناسى. انتـهى. وكان معدودا من شعراء الدولة الحـسنية وأعيان كتابها لو جمع شعـره لجاء فى مجلد ضخم لكن مع الأسف ضاع جله إن لم نقل كله.

مشيخـته: أخذ عن خاتمة المحققـين الفقيه القاضى سيـدى الحاج المهدى بن سودة والعـلامة القاضى سـيدى العبـاس بن كيران ووالده سيـدى محمـد المهدى وغيرهم.

شعره: من ذلك قوله وهى قصيدة تسمى بالسحر الحلال فى الذب عن أهل الكمال أو تشـنيف المسامع بتوبيـخ البذىء بأفظع المقارع أو نصـرة الأماجـد بقمع الأباطح:

دع عنك أهل الجحـد والأهواء ... وانبـذ بشـيع كـلامـهم بورا

لاموك من حيث ارتضيت أخاهم ... لجناب عـزك حـارسـا بـفناء

إيلام من لأخـيه أصـبح حاسـدا ... فى فـعلـه ومـقـوله لسـواء

مـا ذاك إلا من اليم العجـز عن ... إدراك هذا الـشـأو دون مـراء

مع أن ذا شـرف لهم بـأخـيـهم ... إذ صـار يحـرس منـزل العظمـاء

لكنه قـد فـاقـهم بالقـرب من ... حـبـر شـريف من بنى الصلحـاء

ذاك الشـريف المرتضى مثـواه من ... مـثـواه طال كـواكب الجـوزاء

من معشر أهل السيادة والسعادة والـندا والـفـــــــضـل والآلاء
من معشـر حظى الزمان بعلمهم ووجـــودهم بسـعـــادة شـمـــاء
من مـعشـر لهم المآثر والمفا خـر قــد سـمت من قوق كل سـمـاء
سل عنهم الحطاب فى كم موضع من شـرحه لأبى الضـيـاء ضيـاء
وسل ابن رحـال مع الفـاسى فى تثـبـيـتـه فى الليـلة الليـلاء
وسل التـتائى والمحـشى تلق مـا يشـفـيك فى الأنقـال والأنبـاء
وسل الزمـان وأهله عـما حـووا من رتـبـــة ومـــزيـة ودهاء
ومـــجـــادة وزهادة ونـزاهة وكـرامـــة مـصـحـوبة ببـقـاء
ناهيك من شـرف فخيم قـد غدا فى الدهر مـثل الغـرة الغـراء
ناهيك من مـجـد تأثل واعـتلى فى عـــزة مـسـمـوكـة عليـاء
من ذا يطاول سـادة قـد خلدت آثارهـم بدفــاتر الـعلمـــاء
من ذا يطاول شـبلهم علامـة الـ أعـلام فى فـهـم وحـسن وذكـاء
من ذا يضـاهى مـجده وكـمـاله فى حلة الـتـقـريب والإقـصـاء
يا سـيـدا أهـدى لنا من يمـه دررا تبــــدت عن سـنى سـناء
لا تنزعج مما عـراك فـمن عـوى يرمى بهـا ذى الصخـرة الصمـاء
هذا وعن قـرب ترى ما تشـتهى فى سـائر الأعــداء والرقـبـاء
فـلأنـتم من نسـبـة مـبـرورة جلت مـفـاخرها عـن الإحصـاء
لا شك أن الله يحـمى جـاهكم ويغـار فى الإصـبـاح والإمـسـاء
أومـا درى القالى بأنك من سـلا لة سـيــد الإرسـال والإنبـاء

وبأن بدرك فى حمى مولاى إدريس ... الرضى الحامى من الأسواء
وبأن مولانا أمين الله قد ... غطاك منه بعطفه الوضاء
أو ما درى ببنى الشهيد المرتضى ... السادة الحجاب والوزراء
أن قد أحلوكم حمى أكنافهم ... بعناية ومبرة وولاء
وحموك من أهل العناد فكل من ... قد رامكم يرمى بسهم بلاء
أعظم بهم من ماجدين وسادة ... وأهلة وأئمة كبراء
سادوا وأسدوا للأنام معاليا ... محفوفة بسوابغ النعماء
عمت مكارمهم فأصبح جودهم ... فى سائر الأقطار كالأنواء
أحيوا مآثر قد تلافاها بهم ... رب العباد بسيرة حسناء
أيلوم مثلك فى اتخاذ الكلب من ... لم يعرفن أحكامه بوفاء
لو كان مطلعا لما أبدى الذى ... أبدى من العذل الشديد الداء
فالشرع نص على اتخاذ الكلبين ... حيث القياس على كلاب الشاء
ومن الغباوة نكر ما هو ظاهر ... ومقرر فى الشرع دون خفاء
فى كلب أهل الكهف منه كفاية ... فى صحبة الأخيار والنبلاء
بالقرب منهم نال فضلا شامخا ... ومزية عظمى وحسن ثناء
فلأجل ذا نال المزايا كلها ... كلب الرضى مثواه دون خفاء
فلم التمشدق بالأباطيل التى ... قد زخرفت بالحجة العمياء
لا سيما فى جنب بحر زاخر ... أسراره كالشمس دون غطاء
هلا ارتدى برداء تسليم ولم ... يتعرضن لعداوة الفضلاء

ياليتـــه غطى بصـــمت جـــهله ... فـــالـــصـــمت منجـــاة من الأدواء

مـــاذا من الأســـواء جـر لنفـــســه ... بإذاية الأشـــــراف والفـــقـــهـــاء

ولحـــوم أهـــل العلم يـعلم أنهـــا ... مـــســـمـــومـــة تدعـــو لكـــل عناء

فـــالكاملون يرون كـــلا كـامـــلا ... من غـــيـــر تنقـــيص ولا إزراء

والناقـــصـــون يرون بالنقـــصـــان من ... لاقـــوا من الكـــمـــال والنبـــهـــاء

وجميع أهل النقص ليس لهم شعور ... بالـــذى فـــــيـــــهم مـــن البـــلواء

فـــتـــــراهم أبدا علـــى طول المَدَى ... مـــــتلـــونيـــن تلـــون الحـــــرباء

فكذا يكون الـــناقـــصـــون من الورى ... وكـــــذا يكون مـــعـــاشـــــر اللؤمـــاء

ملئـــت بواطنهم بحـــــقـــــد كـــامن ... وعـــــداوة فـــى غـــاية الإخـــــفـــاء

يلقـــون من لاقـــاهم بـــبشـــاشـــة ... وطلاقـــــة وتـــودد وحـــــبـــــــاء

وقلوبـــهم من أجلـــه مـــحـــشـــوة ... مملـــوءة بمكايـــد البـــغـــضـــاء

فـــالله يـــكفـــينا ويكـــفـــيكم أذى ... الجـــهـــال والأوغـــاد والبـــخـــلاء

والله يكفـــينا جـــمـــيـــعـــا كل مـــا ... نخـــشى مـــع الأحـــبـــاب والأبناء

بالمصطفى والآل والأصـــحـــاب والـ ... أقطـــاب والأبدال والـــنقـــبـــــاء

صلى الإلـــه وسلمن عـــليـــه مـــا ... مـــشـــواه راح بـــنصـــرة الـــشـــعـــراء

ومن ذلك قوله فى خـــتم السلطان الأفـــخم أبى على مـــولانا الحسن صـــحيح البخارى:

حـــيـــاك مـــا أملـــت من أوطار ... فـــاهنأ بـــعـــز شـــامخ المقـــدار

وبشـــير ســـعدى قد أتـــاك مبـــشرا ... بســـــعـــــادة الإيراد والإصـــــدار

فلذكرها فيه ارتياح القلب والـ ... أرواح والأشباح والأفكار
ما ذاك إلا أنها قد أحرزت ... شرفا بحب المصطفى المختار
خير الوجود وحصنه وأمانه ... من سائر الأسواء والأغيار
فهو الشفيع المرتضى يوم القضا ... فى المذنبين لدى التهاب النار
فبجاهه لله كن متوسلا ... تبلغ جميع السول والأوطار
وكن المتيم دائما بحديثه ... فى حالة الإقصار والإمرار
واحضر مجالسه الشريفة تدركن ... ما شئت من فضل الإله البارى
أوما رأينا الحاضرين لها غدوا ... بالروح والخير العميم الجارى
وانظر إلى الدنيا تلألأ نورها ... فرحا به وبختمه المعطار
وانظر إلى الرحمات بين قبابه ... تسعى لدا الآصال والأبكار
وتجر من طرب ذيول دلالها ... فكأنها ثملت بصرف عقار
وتقول ياللأكرمين تمتعوا ... بحضوركم لمحافل الأخيار
وردوا حياض علومه وتنعموا ... برياضه المتنوع الأزهار
هذى نجوم الأرض دائرة به ... فكأنها الهالات بالأقمار
بسكينة وتواضع وتخشع ... وتأدب وتنسك ووقار
ختم شريف قد تحلى عصرنا ... بوروده وعلا على الأعصار
فى حضرة الملك الهمام المرتدى ... بردا النَّدَى والجود والإيثار
المالك البر الذى حاشاه أن ... يلفى له فى المعلوات مجار
المالك المولى الشريف السيد الـ ... ـحسن الشمائل طيب الآثار

فـرد المفـاخــر من ذؤابه هاشم فـذ التـقى فى الجـهـر والإسـرار

مأوى الديـانة والسماحـة والدها والصـفح والإغـضـا عن الأوزار

رحـمى الإله ومن بغـرة مجـده سـعـد الوجـود ونال كل فـخـار

النعـمة الـعظمى التى عم الورى إحـســانهــا كـــالـوابل المدرار

لله نهـــضـتــه وفـيــه سكونه وقـــيـــامــه فـى ليله ونـهـــار

مــا همه إلا اكـتـساب مـحامـد ومـــحـــبــة العـلمــاء والأبرار

همم لعـزته الشـريفـة تجـمع الـ أعـــــدا وتسـكنـهم بـدار بوار

قل للذيـن عن الطريق تحـرفـوا كـفـوا عن الطغـيـان والإصـرار

هذا خليـفـة ربـنا المنصـور قـد وافى ليـــقطع هـامـة الـفـجــار

بشـر عـــداه بأخـذة ســمـوية تردى جـمـيع كـبارهم وصـغـار

هيـهـات لا وزر يقـيـهم لا ولا وطن ولا مـصـر مـن الأمـصــار

هذى أسود الـغاب تخشـى بأسه وعـــــزيز سـطوتـه بلا إنـكار

فلم التــحـــصن بعـــد هذا إنه لســـفـاهـة الأوغـاد والأشـــرار

لكن عـــذاب الله حق عليـــهم فـعـموا وصـمـوا عن نِدا الإنذار

فليـهن سـيدنا ومـولانا الرِّضـا هذا الخـــتـــام المـشـــرق الأنوار

أديت حـقـا للـبـخـارى وافـيـا ورفـعـت ذكـر صـحـيـحـه بمنار

وجعلت يا نجـل الرسول ختـامه عـيـدا سـعـيـــدا نيط بالأسـرار

وأفضت فـيه من المواهـب أبحرا أزرت بجـــود البـحـــر والأمطار

ناهيك مـا أوليـت من نعم ومن بر ســجــيل فـضــة ونضـــار

فالله يبقى نصرك الممدود فى عز وعافية مع استمرار

والله يبقى الملك فيك مخلدا ما هبت الأرواح فى الأسحار

والفتح والتمكين والتأييد لا ينفك طوع يمينكم ويسار

وبقيت منصورا بقاء الدهر يا كهف الأنام وقرة الإبصار

بالمصطفى وبآله وصحابه والتابعين وسائر الأنصار

أزكى الصلاة مع السلام عليه ما حياك ما أملت من أوطار

وقوله فى ميلادية أنشأها عام ثمانية وتسعين ومائتين وألف وأنشدت بين يدى الجلالة السلطانية الحسنية بحضرته الفاسية:

هذى السعادة قد مدت إليك يدا والوصل أنجز عزما ما به وعدا

أم هذه نفحة الأحباب قد وفدت من نحو ليلى وهذا عطفها وفدا

أهدت لنا طربا أهدت لنا إربا أهدت لنا قربا لا تنتهى أبدا

قد طال ما كنت أرعاها وأرقبها قدما وأطلب منها الوصل والرغدا

حتى غدوت بها فى كل آونة أهفو وألهج لا أخشى بها أحدا

هيهات لى كيف أسلو عن هواها وهل أقوى وهل أستطيع الصبر والجلدا

لا يسلينى أبدا عنها سوى شغفى بمولد المصطفى أجل من ولدا

خير الورى وشفيع الخلق قاطبة يوم الزحام إذ الإحجام عنها بدا

أعلى الخلائق جاها عند خالقه وخير من يرتجى يوم القيام غدا

أصل الوجود ومن لولاه ما خلقت أرض ولا كان كون لا ولا وجدا

فهو البشير النذير المستغاث به وهو الذى رحم المولى به وهدى

كم آيـة ظهـــرت فى آن مـــولده   كم نعـمـة بهـرت من دان أو بعـدا
يا ســيـد الرسل داركـنا برحـمـــة   تكسـو الجـمـيع على مـر المدى بردا
وأسـدل على نجلك الميمـون سيـدنا   عطفـــا وهيئ له مـن أمـره رشـــدا
هذا الإمـــام الذى جـلت مــــآثره   عن أن يحـيط بهـا من رامـها عـددا
هذا الإمام الشريف الطيب الحسن الـ   ـبر الذى صهوة الإحـسان قد صعدا
هذا ابن فـاطمة الزهراء من شـرفت   أخـــلاقـــه وعلت فى المعـلوات يدا
هذا هو ابن رســول الله كـعـبـتنا   هذا الذى قـد غدا فى الحلم منفـردا
هذا الذى هو مـأوى الخيـر أجـمعـه   هذا الغـنى للذى أبـوابه قـصـــدا
هذا الذى أســعـد الله الوجــود به   فـــضــــلا ومنا فلـم يتـــرك به أودا
هذا الذى أصـبـحت فـينا سـيـادته   كـهفـا منيفـا وحـصنا لـم يزل سندا
هذا المؤيـد والميـــمـــون طالعـــه   هذا الذى بعـلاه الخلق قـد سـعـدا
فـجر الملوك ومن صـارت مناقبـه الـ   ـغـراء حـرزا بها نسـتـدفع الكمـدا
فليـهن عليـاك يـا تاج الملوك ويا ابـ   ـن المصطفى لـيلة خـصت بكل ندى
خـصت بمكرمـة خـصت برحـمـة   خـصت بمرتبـة قـعـسـا وكل هدى
نلنا بهـــا من بهـا عليـــاك كل منى   نلنا بـهـا الربح والأوطار والـرشـدا
دم سيـدى لابسا ثوب السـرور على   مـر الدهور فـمـا ترضاه قـد وجـدا
لازال نصـر وفـتح يخـدمـان مـعـا   هذا الجناب الذى أروى الورى مـددا
واليـمن والسعـد والإسـعاد يتـبعـه   مع الســـلامـــة إصــدارا وإن وردا
مـا أم ركب أمـين الله رحـمــتـه   فـراح والعطف قــد أولى إليـه يدا

وقوله فى ميلادية عام واحد وثلاثمائة وألف ومن خطه نقلت:

نور السعود بدا أم نور تجديد ... عم البلاد بعز منه ممدود

أم هذه نفحة جاء البشير بها ... من نحو ليلى بوصل غير محدود

سقيا لها أذكرتنا جيرة رحلوا ... يقفون بالعزم مغناها بتجريد

قد غادروا الصب فى شوق وفى قلق ... لا يستطيع حراكا حلف تسهيد

يا ليتهم رحلوا بالقلب إذ رحلوا ... فى حين يضرب بطن البيد بالبيد

حتى إذا ما رأوا تلقاء كاظمة ... أنوار طيبة مأوى الخير والجود

ألقوه فيها ففيها كل منيته ... فيها أجل شفيع خير مولود

من خصه الله بالقرآن معجزة ... تبقى فلا تنقضى بقاء تخليد

فهو الشفيع الرضا والمستغاث به ... إن أحجم الشفعاء يوم موعود

أعلى البرية عند الله منزلة ... ومن أتانا بإيمان وتوحيد

كم آية ظهرت فى حين مولده ... ميمون من غير تكييف وتحديد

فى ليلة أكرم الله الوجود بها ... علت على القدر قدرا دون تفنيد

من أجل ذلك مولانا وسيدنا ... يجدد الخير فيها أى تجديد

يحيى سوائعها فى كل ما سنة ... تبدو بمدح وتحميد وتمجيد

سنت سيادته عيدا لمقدمها ... ناهيك من شيم ناهيك من عيد

يحيى مواهبها يعلى دعائمها ... يشيد أعلامها وأى تشييد

يأتى حجيج الورى بادى الضجيج إلى ... نادى نداه بوفد غير معدود

فينظرون جمالا جل عن مثل ... ويشهدون بعلم لا بتقليد

وينظرون بـحـار الفـضل فـائـضـة على الوجـود عطاء غـيـر مـحـدود

وينظـرون رياح النصـر واقـفـة بالبـاب خـادمـة من غـيـر ترديد

فى حضرة الملك الأسْمَى الهمام ومن إفـضـاله الجم عـم كل مـوجـود

خليـفـة الله رحـمـاه ونعـمـتـه المـهـداة للخلـق من بيض ومن سـود

روح الوجود وبـضعة الرسـول ومن سـاس العـبـاد بتـوفـيق وتسـديد

ذاك ابن فاطمـة الزهرا الشريف ومن أعـد للبـر بـابًا غـيـر مـسـدود

المالك الحسن الأخلاق والحسن الـ أنبـاء والحسن الأسـمـا إذا نودى

مـاضى العزائم مـوفور المكارم غـفـار العظـائم مـصـدوق المواعـيـد

مـولاى يهنيـك مـا أولاك ربك من عـز وفـتح ومن نـصـر وتعـضـيـد

وليـهـن عـزك غـراء الليـالى التى حيت يـسـعد وإسـعـاد ومـقصـود

فـيهـا أفـضت أدام الله نصـرك إحـسـانا غـدا يمـه مـحـمـود مـورود

شـيـدت للديـن أعـلامـا أقـمت له دعـائمـا ترتـضى من بعـد تأويد

مع نفحة نفـحت من عطف عزك أر واحـا بأذكى من الـنسـرين والعـود

دامت مفـاخرك العلـيا الشريـفة فى حـفظ وعـافـيـة تكسى بتـأيـيـد

بالمصطـفى وبآل والصـحـاب ومـا فى الأرض من صالح من غيـر تقييد

دامت عليـه صـلاة الـله مـا طلعت أنوار سـعـد لمولانـا بتـمـهـيـد

وقوله مادحا الشريف الأصيل المولى المهدى بن عبد المالك الإسماعيلى:

أمن البـدور الغـر نيـر حـالك فـتـهـلـلى بدرى برؤية حـالك

وتمنـطقت أيـد بدر خطـابهـا ناهيك مـن در نضـيـد سـالك

لما شـمـمت نسيــمـهـا أحيـا بنا ... مـا كـان ميتـا من رميم حـاسك
يا عـاذلى فى حـبـهـا لو حمتـهـا ... كنت السـمـيـر بهـا فـهل من تارك
أولو نظرت أخـى لطيف خـيـالهـا ... مـا لمت حـبى فى هواها الـفـاتك
جـاءت تزور فـقلت ها نفـسى فـدا ... أمـا الـقليب فـإنه فى عـارك
قـالت فـإنى لا أبـقى لحظة ... حتـى تصيـر لنا وحـيـد ممالك
واها عليـهـا لـيتـهـا جـاءت على ... صب لهـا لو بالـلسـان المـاسك
إذ من لسـان أطرب الأحـشـا بهـا ... قـولى فـهل مـن عـودة لهـلالك
حـتى إذا استـشعـرت قطع وصالهـا ... أسـعى أقـول وكـيف لى بخـيـالك
لا يطـلع البـدر المنيـر بليـله ... حـتـى يقـول لـيس ذا بالتـارك
كلا ولا شـرقت شمـوس فى الهوى ... إلا وقـد ظفـرت بلثم نـعـالك
والصـبح مـا أهدى وحـاز ضـيـاءه ... إلا بـذوق مـن سـنـا إعـطـائك
حل السـقـام بمهـجـتى فـأتى لهـا ... شـوقى يسـألهـا بقـوله مـالك
قـالت له هذا اللهـيب أضـر بى ... فـأجـابهـا إذ قـال إنى نارك
لا تسـدلى هـجـرا بزائر منظر ... حـاشـاك تبـديه لصب جـارك
منك استـمد العـاشقون فـأصبـحوا ... سكـرى فـلا يدرون ذا مـن ذلك
حـتى غـدت أجـفـانهم مَـلأى بما ... دمع من الشـوق المذيب الضـانك
أبدانهـم ممزوجـة بسـقـامـهـا ... لا تسـتـريح سـوى بـوصل المالك
الناسـك بن الناسـك بن الناسـك بـ ... ـن الناسـك بن الناسك بن الـناسك
أعنى الـشـريف اللوذعى المـتـقى ... بدر الهـنا نجل بن عـبـد المـالك

شمسا عيون تقشعر بنورها — أو مثل بدر فى كمال ضاحك
إن رمت ساحته يخاطب جهرة — أهلا أنا المهدى فهل من دارك
مجدا أصيلا حازه بوراثة — عن قاسم عن نافع عن مالك
مكناسة بعلائه ونواله — وكماله فى رخو عيش سامك
منه ازدهت منه اقتنت كل الولا — منه اقتنت عليا كمال بارك
وافى كصبح ناسخ بضيائه — ما هم من شر شديد شائك
وافى بآداب بحر ذيوله — حتى محا بالحلم سفك السافك
هد المظالم أسس التقوى بما — يرضى الإله فيا له من سالك
من طيبه الأذكى كذاك بخلقه — أسدى الهدى للهائم المتمالك
فالله يحفظه ويكلاه بما — يسلبه الدارين سلو تدارك
ما أعذو ذبت شمس العشى بلونها — الأبهى المجدد ذكر عهدها لك
ما سبح الأطيار فوق غصونها — سحرا وصبحا للكريم المالك
إلا وتهدينى شميم نداكم — يسمو سمو النور فوق الحالك

وقوله مادحا الباشا عبد الله بن أحمد:

ما ترتجيه من الإقبال والإرب — وافاك مرتقيا فى أبهج الرتب
والوصل دان وشمل الود مجتمع — والسعد ينبئنا بأنفس القرب
هذا أوان اللقا هذا أوان الرضا — هذا أوان الهنا فانهض إلى الطرب
وهذه نفحات الخير لائحة — فقر عينا وطب نفسا وطب وطب
واعلم بأنك قد حللت ساحة من — سادت مآثره بالعلم والأدب

وقـــد أنخت بباب مـن مناقبـــه ... قـد طرزت بـحـلاها سـائـر الكتب
وقـد أتيـت إلى من نور طلعـــتـه ... فيـه الهدى والندى يصب كـالسحب
عـبـد الإله الذى تنجى مـحـبـتـه ... من حـادث الدهر والأسـواء والنوب

إلى أن قال:

بالأنجم الزهر قـد حفت مـجالسـه ... والخـيـــرين وأهـل العلم والـنسب
ناهيك من شرف حازت ومن ظرف ... ضمت ومن كرم ضـخم ومن حسب
فليـــهن فـاس حلول الألمعـى بهـا ... فـالآن قـد أمنت حـقـا من العطب
كـمـا به أمنت مـكناسـة وسـمت ... وبلغـت كل مـا تـرجـوه مـن طلب
يا سـيـداً شرفت أخـلاقـه وزكت ... أفـعـاله من بـالإقـبـال واسـتـجب
ها وفـد مكانسة قـد جاء مـرتجيـا ... منك الرضـا ولـذاك خـيـر مـرتقب
فامنحهم منك مـا شاءوا وما طلبوا ... وجـد بعطف سـريع منـك منسكب
لازلت فى عـزة تسـمـو وعافـيـة ... فى النفس والأهل والإخوان والعقب

وقوله فيه أيضا:

بدريـة سلبـت حــــشى وقلـوبا ... ببـــديعـــهـــا وأنالت المرغـــوبا
جـاءت تميس من الدلال فـصاحـة ... من حـسنـهـا راح الفـؤاد سليـــبـا

إلى أن قال:

شـــمس الأئـمـــة والذى آلاؤه ... قـد عـمـرت للقـــاصـدين جـيـوبا
عـــبـد الإله وحــجـــة الله الذى ... شـــرفت مـآثـره وفـاحت طـيـبـــا
بدر البـــدور وجنة الدنيـــا التى ... عـمت بخـيـر قـاصـيـا وقـــريبـا

والنعمة العظمى التى قد حببت ... فى المكرمات وأهلها تحبيبا

ما من أديب قد تأثل مجده ... إلا ومن نعماه كان أديبا

فإذا أردت مديحه لاقاك إسـ ... ـعاد يكون ملبيا ومجيبا

وإذا أتاه الطالبون لحاجة ... نظروا الغنا والسعد والترحيبا

كل القلوب تحبه وتحب أن ... تلقى محياه الرضى المحبوبا

يا من بعزته وعطفة مجده ... نلنا الأمانى مشهداً ومغيبا

وصلت هديتك السنية بالذى ... سلا وطيب نفسنا تطيبا

نلنا بها آمالنا فى محفل ... قد رتبت أقماره ترتيبا

جمع المكارم والدهاء فلا ترى ... إلا إماماً فاضلا وأريبا

جمع الأئمة والنجوم وكلهم ... يحلو بأسرار العلوم كروبا

وسراجنا من بيننا العلامة الـ ... ـمختار إكليل ينير قلوبا

فتراه فى أحيانه متفرغا ... للمكرمات مبادرا منسوبا

وترى مجالسه على طول المدى ... مثل الثريا صوبت تصويبا

أرواح سيرته الحميدة كل آ ... ن بالوداد لنا تهب هبوبا

لا زال مجدكم ومجد علاكم ... بسلامة وسعادة مصحوبا

فى النفس والأولاد والإخوا ... ن والأزواج مع من أحرز التقريبا

وقوله مادحا قاضى الحضرة المكناسية أبا العباس بن سودة المترجم آنفا:

جاء وصل الرضى ووفى وعوده ... فى ابتهاج أبقى الإله وجوده

واستبانت فواتح من سعود ... عمت الكون غوره ونجوده

ألبستنا من السرور برودا | يا هناء الذى كسته بروده
مثل ما قد كسا حبور قدوم | للهمام الرضى الأجل ابن سوده
بحر علم يموج فهما وحفظا | وذكاء يبدى الفنون المفيده

في غير هذا:

وفاته: توفى فى محرم الحرام فاتح عام عشرة وثلاثمائة وألف بمحروسة فاس.

١١٤ - التهامى بن الطيب أمغار المكناسى الأصل والإقبار.

حاله: فقيه علامة مدرس متقن أديب فاضل شاعر بليغ، نفاع لوذعى، لبيب ضابط، ملازم للصمت، كثير الحياء.

مشيخته: أخذ عن السيد الغازى بن الحاج العربى بن عبود، وسيدى محمد ابن الحسن الوكيلى الشريف وغيرهما.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد ـ فتحا ـ بن محمد بصرى صاحب الثبت المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، وناهيك به وغيره.

شعره: من ذلك قوله من مقصورة تقصر عن الإتيان بمثلها نبغاء فحول الأقران وقد قدمناها بتمامها فيما نقلناه فيما قيل فى مدح مكناسة:

لله ما أبهى عمائر الحمى | معالم الأنس مطالع المنى
معاهد ما برحت محفوفة | بظل أمن من فراديس الهنا

وفاته: توفى صبيحة عيد الأضحى من عام... [1] ومائة وألف.

---

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

١١٥ - التهامى أجانا المكناسى الأصل والدار.

حاله: فقيه وجيه علامة مدرس نبيه.

وفاته: كانت وفاته أواسط المائة الثالثة بعد الألف.

١١٦ - التهامى البورى نسبا الدرعى منشأ.

حاله: علامة مشارك متضلع نحرير فاضل ناسك مدرس نفاع محرر ضابط، حجة محقق خطيب مصقع بليغ.

تولى القضاء بمكناسة الزيتون فحمدت سيرته، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ سابع عشرى ربيع الثـانى علم ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف وآخر بمهل ربيع الأول عام أربعـة وثلاثين ومائتـين وألف، وآخر بتاريـخ سادس عشـر رجب عام ثمانية وعـشرين ومائتين وألف، محلى بالفـقيه الأجل، العالم العـلامة الأفضل، الصدر النحرير الأكمل، القدوة والبركة الأحفل، الحافظ الحجة الأعدل قاضى هذه الحضرة السلطانية الهـاشمية مدينة مكناسة الزيتـون وخطيب مسجدها الأعظم وهو التهامى بن حم البورى وتولى أيضا قضاء مدينة صفرو.

مشـيختـه: أخـذ عن الشيخ الطيب بن كـيران والشـيخ حمـدون بن الحاج والشيخ أبى عبد الله الزروالى والشيخ أبى عبد الله بن منصور وغيرهم.

مؤلفاته: منها شـرح أرجوزة شيخه ابن كيران فى الاستعـارات وعليه إقبال الطلبة الآن وبه يقرءون النظم المذكور.

وفـاته: توفى بمحروسـة فـاس سنة ثلاث وأربعيـن ومائتـين وألف، ودفن بروضة العلماء شيوخه متصلا قبره بقبـر شيخه ابن منصور عند رجل شيخهما معا سيدى الطيب رحم الله الجميع.

١١٧ـ التهامى بن عبد القادر المركشى المدعو بابن الحداد المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله فقيه أستاذ مجود علام بقراءة السبع انتخبه السلطان المولى الحسن لتأديب إخوته بالحضرة المكناسية ثم رشحه لتأديب أولاده ووجهه معهم لبلاد أحمر بالقصبة الإسماعلية، ثم عينه السلطان المولى عبد العزيز لتعليم شقيقه الخليفة السلطانى الحالى بفاس سيدى محمد المهدى، فاستوطن فاسا لذلك مدة أعوام ثم رشحه السلطان المولى عبد الحفيظ لقضاء فاس الجديد إلى أن أعفى منه بطلب منه، وقلما باشر الأحكام بنفسه، وإنما كان له نائب وهو العلامة السيد محمد بن عبد القادر بن سودة يباشر الأحكام غالبا ويخاطب على الرسوم، ورحل إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، ودخل مصر وجرت له من ابن عمنا وشيخنا قاضى مكناسة الحالى العلامة ابن العباس بن المأمون البلغيثى قضايا عجيبة فى هذه الرحلة، منها أنه أى المترجم ندبه إلى زيارة أبى طالب وأكثر الإلحاح فى ذلك فقال له إنى لا أزور كافراً فأجابه بأن الإجماع منعقد على إيمان أبى طالب، وإنما الخلاف فى أبى لهب.

ومنها أنه ذهب لدار أبى سفيان فلما دخلها ابتهج ابتهاجا زائداً وصار يقول اللهم لك الحمد اللهم لك الحمد فقيل له فى ذلك فقال لأنا آمنا لأن النبى ﷺ قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقد هجاه شيخنا المذكور بقصائد وقطع من ذلك قوله:

رمانى ابن حداد بجهل ديانتى	بمحفل علم بين قوم أفاضل
فلما استبين الفدم عن وجه جهلها	بدا أنه غمر وأجهل جاهل
عجبت ولكن لا تعجب من فتى	يرى العلم جهلا والبذا فى الأفاضل

إلى أن قال:

فإن عدت نحوى يا قمامة كانس ... بفرية كذاب على جنب كامل

نعد عودة أخرى بنعل عددتها ... لقمعك تبقى نشدة فى القبائل

وإن تبت من إيذاء جانب أحمد ... نزلت بربع آهل غير ماحل

فود ذوى القربى سعادة مهتد ... وبغض ذوى القربى شقاوة خامل

ثم بعد تاب المترجم وأناب وشد الرحلة لشيخنا بالدار البيضاء مدة توليته خطة القضاء بها وقبل قدميه وطلب منه السماح فيما صدر منه فى جانبه وذلك شأن الكرام المهتدين فعفا وصفح ثم فى صدر دولة سلطاننا الأعظم المولى يوسف أبد الله نصره وزين بمزيد الترقيات عصره رجع المترجم لمسقط رأسه مكناسة الزيتون ولم يزل بها إلى أن ختمت فيها أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن المفضلين ابن عزوز والسوسى، ومولانا عبد الله الكامل الأمرانى، وربما كان السارد بين يديه والشيخ ماء العينين، والفقيه الحاج محمد جنون مختصر الرهونى، وسيدى محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا سيدى محمد القادرى، وغيرهم من عظماء شيوخ فاس ومكناس.

وسمع من أبى عبد الله محمد الوادنونى المسلسل بالأولية عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف ومن أبى جيدة الفاسى المسلسل بالقراء بوضع اليد على الرأس عند قراءة آخر سورة الحشر عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان السابق المولى عبد الحفيظ وقد ذكره فى نظم مغنى اللبيب بقوله:

كشيخنا طود العلوم الراسى ... بحر الهدى التهامى المكناسى

والعلامة السيد محمد السوسى، وسيدى مشيش بن المختار الشبيهى نقيب الأشراف والفقيه الأستاذ السيد محمد - فتحا - بن العربى بن شمسى، والفقيه العدل مولاى على بن الشاد الأمرانى وعم مولانا المنصور مولاى بو بكر بن السلطان سيدى محمد، ومولاى الكبير صنو مولانا المؤيد المنصور وغيرهم.

مؤلفاته: له شرح على نظم المولى عبد الحفيظ السلطان السابق فى علم القضاء الموسوم بالياقوتة فى جزأين وكان يستعين فى تأليفه ببعض نجباء الطلبة المكناسيين وغيرهم،وعهدى بهذا الشرح فى الخزانة الحفيظية، وشرح على مولد شيخنا ابن جعفر الكتانى إلا أنه لم يكمل، وقد لعبت به بعد موته أيدى التلف والتأليف فى الجهاد إلا أنه أصبح فى خبر كان.

وفاته: توفى رحمه الله يوم الإثنين فى آخر يوم من شعبان عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى بوطيب.

لطيفة: من عجيب الاتفاق أنه فى ذلك اليوم عزل قاض وولى قاض ومات قاض والكل بمدينة مكناس فالمعزول هو شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، والمتولى هو القاضى أبو العباس عواد السلاوى نظراً لكونه أسلم مباشرة الأعمال فى ذلك اليوم وإن كان حلوله بمكناسة كان يوم الأحد، والمتوفى هو المترجم باعتبار تقدم قضائه بفاس.



(حرف الجيم)

* * *

١١٨ - الجيلانى بن الهاشمى بن محمد بن الجيلانى بن محمد ـ فتحا ـ بن محمد بن الشيخ سيدى عبد الله الخياط دفين جبل زرهون.

حاله: فقيه أستاذ عشرى ولى صالح، علم واضح، صاحب كرامات وعجائب، وكشوفات ومناقب.

وفاته: توفى رحمه الله سنة أربع وأربعين ومائتين وألف وضريحه عليه قبة قريب من ضريح جده بجبل زرهون أسفل منه بيسير عن يمين الطالع إليه.

١١٩ - الجيلانى بن حم البخارى المكناسى النشأة والدار.

حاله: بطل شجاع عارف بالكر والفر ومكايد الحروب، ذو شيبة منورة وسمت حسن وهيبة ووقار ورياسة وكياسة وحدة زائدة وجد وحزم فقيه ماهر فى فن الحساب والوقت والتعديل وأحكام النجوم والرياح والجفر والرمل والأوفاق وسر الحرف، وقد كان يدرس ذلك بمدرسة جامع الدار البيضاء من أجدال بالحضرة المكناسية.

وكان خرج بأهله من مكناسة زمن شبت نار الفتن التى أضرمت آخر الدولة السليمانية ونزل وسط لصوص البرابر ولم يزل معهم إلى أن تم الأمر للسلطان مولاى عبد الرحمن وتمهدت له البلاد وطفئت نار الفتن البربرية واستقام الأمر، ثم رجع لمكناس بمن كان فى معيته من أهله وذويه، وعرف به السلطان وبما له من المعلومات التى تفرد بإتقانها والمهارة فيها دون أبناء جنسه من معاصريه فعظم فى عينيه وقابله بالترحيب والإجلال ونظمه فى سلك خاصة حاشيته إلى أن أسند إليه

---

١١٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب، ٧/ ٢٦٦٠.

رياسة مشوره ولم يزل على وظيفه ذلك بقية دولة المولى عبد الرحمن وصدرا من دولة ولى عهده خلفه من بعده سيدى محمد، إلى أن رشحه لعمالة مراكش ثم رده لوظيفه رياسة المشور وتولى عاملا على الزراهنة ولا أحفظ تاريخ توليته عليهم.

وبعد وفاة سيدى محمد ولاه ولده السلطان من بعده مولانا الحسن عاملا بفاس بعد قبضه على عاملها إدريس السراج وترحيله لمراكش فى واقعة ابن المدنى بنيس الشهيرة، وذلك عام تسعين ومائتين وألف حسبما نشرحها بعد ثم نقله لطنجة عاملا بها عام واحد وتسعين، ولم يزل عاملا بها إلى أن نقله الله إليه، وبالجملة فقد تقلب فى الوظائف العالية ما ينيف على الخمسين سنة.

وفاته: توفى بطنجة عام خمسة وتسعين ومائتين وألف.

١٢٠ - الجيلانى المدعو القصعة البخارى المكناسى.

حاله: كان فى أول أمره شرطيا مستخدما فى جملة الجيوش السلطانية مدة مديدة إلى أن جذبه الله إليه وكان مكاشفا بالمغيبات تواتر عنه ذلك على ألسنة أهل العدل والدين وغيرهم يلبس صيفا وشتاء نحو العشرين جلابة لا يفتر من إيقاد النار آناء الليل وأطراف النهار فى سائر فصول السنة يخاطب كل الناس بقوله: أعز - بفتح الهمزة والعين وتفخيم الزاى تفخيما، تكاد تنقلب معه ميما.

وكان يحب أكل الرءوس المشوية حبا شديدا، ولما قرب أجله نقله محتسب الوقت وهو الحاج محمد ابن العربى أجانا لداره فمكث عنده ثلاثة أيام ولبى داعى مولاه.

وفاته: توفى يوم الجمعة ثالث عشر قعدة الحرام عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بعد صلاة الجمعة من يومه بمحله الذى كان به قبل بروى مزيل، وكانت

---

١٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٨٩..

لجنازته رنة عظيمة لم يتخلف عنها أحد من الوجهاء والأعيان ولفيف الناس، وكان الذى تولى الصلاة عليه هو نقيب الأدراسة الفقيه سيدى المختار الشبيهى، والذى تولى وضعه فى قبره هو عمنا الفقيه مولاى عبد القادر رحم الله الجميع.

١٢١ - الجيلانى بن عزوز الرحالى من ذرية الشيخ أبى محمد رحال الكوش دفين زمران.

حاله: كان رحالا جوالا بحاثا عن الصالحين وأهل المقامات والأسرار وقورا مهابا ملحوظا بعين الإجلال والإكبار عند الخاص والعام، فقيها نزيها، قدوة مرجوعا إليه فى العلوم الفلكية ومتعلقاتها من تسطير الرخامات وغير ذلك، وله معرفة تامة بعلم الأسماء والأوفاق وسر الحرف وله إلمام بالنحو والفقه كثير الأذكار لا ينام الليل قط، كثير التهجد، ألوف للغرباء كثير البذل والمعروف لهم غريب الأحوال مسموع الكلمة عند رجال الدولة ذو همة عالية، ونفس آبية.

أخبرنى من وثقت بخبره ممن كان يركن إليه ويسارره أنه لقيه ذات يوم خارجا من المسجد فأخرج له من تحته سبيكة ذهب وقال له: من يكون له علم بصنع هذا، كيف يطمع فى أغنياء الوقت؟.

ومما هو معروف بالاستقرار من حاله أنه كان مهما وجد امرأة أو رجلا يبيع رملا أو بقلا أو غير ذلك مما هو من هذا القبيل يبادر لشراء ذلك منهم بأجمعه بما يطلبونه فيه من الثمن، ولم يكن له فيه أَرَب، ويقول مثل هؤلاء ما حملهم على تعاطى هذا السبب الدنى عند الناس إلا الحاجة وعلو الهمة عن السؤال فهم أولى بالصدقة من غيرهم يعنى والصدقة الخفية هى المقصودة من شراء ذلك منهم.

وكان يلزم الأغنياء الإحسان إلى الضعفاء فيعطونهم وهم كارهون ولا يعصون له أمرا خصيصة خصه الله بها.

١٢١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٨٩.

وكان يشترى أمعاء الشاه ويطعـمها الكلاب، حيث إن فى كل ذى كبد رطبة صدقة، وكـان يلبس الثياب الرفيعـة الغالية الثمن تارة والخـشن الذى لا يلبسه إلا أهل الكد والفلاحين، ويقول لمن رأى من حاله الإنكار عليه: تبدوا واخشوشنوا فإن الرفاهية لا تدوم، وهو حديث نبوى أخـرجه أبو الشيخ فى السنن وابن شاهين فى الصحابة، والطبرانى فى الكنى، وعنه أبو نعيم فى المعرفة عن القعقاع بن أبى حدرد مرفوعا: «تمعددوا واخشوشنوا واحلولقـوا وانتضلوا وامشوا حفاة» ورواه أبو الشيخ والطبرانى فى الكبير عن عبد الله بن أبى حدرد مرفوعا وأبو الشيخ عن أبى هريرة والرامهرمـزى فى الأمثال عن رجل من أسلم، وأبو حـفص العكبرى عن بلال بن أبى حدرد.

قال الحـافظ السيـوطى فى الجامع الكبـير: الحديث مـرسل لأن القعـقاع لا صحبة له وفيه عبد الله بن سعيد ضعيف بمرة. انتهى.

ونحوه قول السخاوى مداره على عبد الله بن سعيد، وهو ضعيف.

ومن عجيب أخباره أيضا ما شافهى به الـفقيه القاضى أبو العباس أحمد بن يوسف الناصرى وكان من أخص الناس به أن الفقيه السـيد العباس الصريدى وكان ممن شارك المترجم فى مصاهرة الباشا عبـد الله بن أحمد، كان ملازما لذكر بعض الأسماء فـبينما هو كذلك ذات يوم وقف جنـى أمامه على بعد فأفـزعه ذلك باطنا وصار هـذا عمل الجنى مـعه فى أوقـات الذكر إلا أنه فى كل يوم يزداد منه قـربا فتـحصن الصريدى منه بـإدارة الكتب التى عنده بنفسه فـلم تغن عنه شيئـا وصار الجنى إذا قرب منه نفخ فى وجهه فـيسقط بعض شعر لحيته فـاشتد على الصريدى الأمر فى ذلك فذهب لـصاحب الترجمة وشكا له ذلك فـأمره أن يرجع لمحله وأن يوجه له آنية، ففعل فكتب له فى الآنية وأمـره بمحوها وأنه إذا حضر الجنى فليملأ فاه من مائها وليمجه أمام الجنى فلمـا فعل ذلك صار الجنى يضمحل قدامه إلى أن فنى بالكلية واستراح منه الصريدى المذكور.

مشيـخته: أخذ عن قـاضى مكناسة السيد الـعباس بن كيران، وعـن السيد محمد بن الطاهر الأحـبابى الفاسى بفاس، والسيد محـمد الجنان الفاسى والطريقة المختارية عن أبى عـبد الله محمـد بن أحمد بن دح الأزمورى وغـير هؤلاء وكان يلقن أورادها.

الآخذون عنه: منهم السيد عبد الله الأحـبابى موقت القرويين الحالى وأخوه السيـد محمد الموقت سـابقا بالقرويين أيضـا وسيدى السعـيدى المنونى الذى تولى خطة التوقيت بعده بالمسجد الأعظم من حاضرتنا المكناسية وخلق.

وفاته: توفى فى ربيع النبوى عام تسعة وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الكتنية بمحروسة مكناس.

١٢٢ - الجيـلانى بن البـاشا حَمُّ بن الجيـلانى البـخـارى المكناسى الأصل والنشأة، والدار والإقبار.

حـاله: فقيـه نجيب دراكـة، كـاتب أريب لبـيب، له إلمام بالفـقه والنحـو والتصـريف والمنطق متـجرد من لباس الدعـوى منصف بالإنصاف لمن دونه فـضلا عمن هو أعلم منه.

وحل لطلب العلم بمحروسة فاس وجد واجتـهد فى تلقيه من فحوله العظام ثم آب لمسقط رأسه بعد تحـصيله ما قسم له، ثم تولى خليفة عند ابن أخـيه الباشا صالح بن بنعيسى صدر الدولة الحفيظية.

مشيخته: أخذ عن شيخنا ابن عبـد السلام الطاهرى وشيخنا محمد القصرى والمفضل السوسى والطاهر بوحـدو، والسيد التهامى المدعو الحـداد، وابن التهامى الوزانى، وقاضى فاس الحالى السيد محمد بن رشيد العراقى، وشيخنا أبى العباس

---

١٢٢ - من مصادر ترجمته: سل النصال ص ٢٩٣٠ فى موسوعة أعلام المغرب.



جلالة السلطان المقدس مولاى الحسن

ابن الجيلانى، وشيخنا أبى العباس بن الخياط، وشيخنا الحاج المختار بن عبد الله، وشيخنا أبى عيسى المهدى الوزانى المتوفى متم صفر عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف بفاس، وغيرهم.

وفاته: توفى فجأة بعد العشاء الثامن عشر من ربيع الأول عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف ودفن بمقبرتهم بسيدى الورزيغى.

* * *



حرف الحاء

***

١٢٣ - الحسن السلطان أبو على بن السلطان سيدى محمد بن السلطان مولاى عبد الرحمن بن السلطان مولاى هشام بن السلطان سيدى محمد بن السلطان مولاى عبد الله بن فخر السلاطين وجد عظام الملوك مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى الينبوعى السجلماسى.

دفين مكناسة الزيتون.

حاله: نشأ نشأة حسنة فى حجر جده السلطان أبى زيد عبد الرحمن بن هشام وكان له بتأديبه وتهذيبه وتدريبه اهتمام واعتناء زائد، وكان يحبه محبة شديدة، ويختار لتعليمه جلة الأساتذة وفضلاء الأعلام، ولما شب وظهرت منه لجده مخايل النجابة والفلاح وجهه للقراءة ببلاد أحمر الشهيرة بأحواز مراكش، إبعادا له عن الاشتغال بالمألوفات عن تحصيل العلوم حسبما يستفاد من ظهير أصدره المولى عبد الرحمن جد المترجم لولده سيدى محمد ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، عبد الرحمن بن هشام الله وليه، ولدنا الأبر الأرضى، سيدى محمد أصلحك الله ورضى عنك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإن الطالب محمد ابن عبد الواحد بن سودة طلب التوجه لصلة رحمه فأذنا له فى ذلك فادفع له خمسين مثقالا من زكاة أهل فاس، وذكر أنه يقيم بداره هذه الأشهر الثلاثة حتى يصوم رمضان ويعيد بها، فإذا مضت أيام العيد فوجهه والسلام فى ٢٤ جمادى الأخيرة عام ١٢٧٢.

ومنه فإن سيدى حسن أصلحه الله أراد القراءة ولم نجد له فقيها فقد عرضنا ذلك على كل من هنا من طلبة مراكش فلم يرد أحد الذهاب لأحمر، وكتبنا لك

بذلك فلعلك لم تجد من يقبل ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه ظهرت فيه قريحة ومولع بقراءة الأمهات المختصر وغيره، فلابد انظر وابحث عسى أن تجد من يصلح لذلك مادام الغصن رطبا فإن تعلم الصغر كالنقش فى الحجر صح».

وذلك بعد مكثه مدة بدار خاله الوزير الصدر السيد العربى الجامعى ليكتسب اطلاعا على ما لم يطلع عليه غيره من أفراد العائلة الملوكية المقصورين على المكث بالدار العلية.

ومن اعتنائه به أن ضم إليه جماعة من كبراء السن من الخدام المطلعين على سير الملوك الذين أدركوا عصرهم وأمرهم بأن يكونوا يحدثونه بما شاهدوه وحفظوه من ذلك، فكانوا يجدون منه الرغبة الحارة فى الاطلاع على ما عندهم من الأنباء زيادة على ما كانت تتوق إليه همته من تحصيل العلوم الدينية والأدبية والرياضية والاجتهاد فى لقاء من له مهارة فى العلوم وخصوصا أرباب العلوم الرياضية.

وجمع شتات المؤلفات من سائر الفنون حتى خصص جماعة وافرة من مهرة النساخين المتقنين، ولما جلس على أريكة الملك ازداد شغفه وولوعه بذلك، ولم يزل عمله مسترسلا على ذلك فى عواصم المغرب مدة حياته فرفع بهذا العمل المفيد للعلم راية وأفاد المعارف خدمة جليلة.

ثم لما توفى جده المذكور وبويع لوالده ازدادت عنايته به ومثابرته على تعليمه ما يستحق به أن يكون أولى بنيه بولاية عهده، إلى أن ظهرت عليه ملامح النجابة والقيام بالمأمورية فاصطفى له من أعيان نبهاء الدولة وساستها ومهرة العلماء وقاداتها وعقد له على راية من صناديد الجيش الذين حنكتهم التجارب وتدربوا على الكر والفر ووجهه لقبائل الجبال من بربر نتيفة ومن جاروهم وكان على شاكلتهم من الانحراف عن الجادة، ولعرب السهل والسراغنة وبنى مسكين لما كان حصل فى نظامهم من الثلم والخلل، وذلك عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف.

فقام بمأموريته أتم قيام وبرهن على نجدته وحسن إرادته وصدق فراسة والده فيه وأصلح ما كان اختل من النظام وبث روح الطاعة والخضوع لسطوة المخزن فى قلوب تلك القبائل الشاردة، ورجع منصور الراية وهو إذ ذاك يسحب ذيول مطارف الشباب فى سن يقضى عادة باستحالة ولوج ذلك الباب.

ولما قرت عين والده بأوبته ظافرا مصحوبا بسوابغ الآلاء والنعم واتضح له صدق فراسته فيه أخذ يدبر فى عقد راية أخرى له أوفر من الأولى تنشيطا له وإظهاراً لترقيه، واعترفا بكفاءته، فعقد له عام ثمانين ومائتين وألف على جيش بقصد تمهيد قبائل قطر سوس الأقصى، وسياسة من دنا من تلك القبائل ومن استقصى، واختار له من صالحى العمال ومخلصيهم من يصلح لرفقته ويليق بديوانه، ومن العلماء صادق اللهجة والمقال العلامة أبا الحسن على المسفيوى، والنحوى البارع لطيف المذاكرة والمنادمة والمسامرة السيد محمد بن عزوز الرباطى، واستوزر معه الفقيه الكاتب الهين اللين المهذب السيد محمد بن دانى، ووجهه للقطر المذكور فتوجه والعناية تقدمه، والسعادة تخدمه إلى أن بلغ أقصى سوس ودوخ قبائله التى مضى عليها زمن طويل وهى معطلة من حلى طاعة الأمراء والسلاطين وأظهر من السياسة والدَّهَاء واللياقة ما سد عنه أبواب العتاب، ووحد وجهة والده إلى ايثاره بولاية عهده رغما على كل وسيلة كان يتوسل بها غيره إلى نيل تلك الولاية.

وكان فى حركته تلك بلغ وادى ماسة بل جاوزه ثم ثنى عنان عزمه لباقى بلاد سوس مثل هشتوكة وهوارة وراس الوادى فدوخها ومهدها، واستخلص واجب بيت المال المرتب فى ذممهم.

ثم ولى وجهه إلى الحضرة المراكشية ومر فى طريقه على عمه المولى عبد القادر الذى كان مخيما بوادى القيهرة لاستخلاص ما توفر بذمم مزوضة ودويران وسكساوة ونتيفة ومتوكة وأولاد أبى السباع.

ولما وصل أرجاء الحضرة المراكشية أمر والده الجيوش والأعيان للخروج لملاقاته، وكان يوم دخوله من الأيام المشهودة، وكانت مدة غيبته فى هذه الحركة عشرة أشهر.

وبعد مقدمه بأيام قلائل نهض والده من مراكش ووجهته الديار الغربية لتفقد أحوال الرعية بها، فاستخلف المترجم بالعاصمة المراكشية فكان فى ذلك إعطاء القوس باريها، وأبان صاحب الترجمة فى ولايته عن كفاءته وحسن تدبيره وقيامه بالإدارة فيما أسند إليه النظر فيه من أمور النواحى الحوزية، وربما كان يقابله بالشدة فى موضع اللين والإعراض فى محل الإقبال، إيقاظا له وإنهاضا لهمته وعروجا به عن الوقوف دون ما يراد به، وربما كان يعاتبه أشد عتاب ولسان حاله يقول:

أدعو عليك وقلبى   يقول يا رب لا لا

وكان عامل حاجة ولد أبهى ظهر له من السلطان سيدى محمد قبول وإقبال حمله على التصريح بأنه المعتمد فى تلك الجهات الحوزية، وأنه لا دخول له تحت ولاية وخلافة المترجم، فكان من قدر الله أن قامت عليه إيالته، ومدت يد النهب والتخريب إلى داره حتى اضطر إلى الاستنجاد بصاحب الترجمة فأنجده حتى أفلت، وقدم على السلطان سيدى محمد لفاس وجعل يلوح إلى أن ما حل به هو بتدبير المترجم، فلم يلق السلطان إليه بالا لتمكن مكانة ولده لديه، بل وجه العامل المذكور مستخدما فى حنطة أصحاب الفراش المعينين لصاحب الترجمة.

وكان باشا مراكش القائد أحمد بن داود يستشعر من الأثرة والشقة لدى السلطان ما أداه إلى عدم المبالاة بالخليفة المترجم، فقضى الله عليه، أن خرج عنه أهل مراكش وهمّوا بقتله ونهب داره، ونصبوا أحد أولاد ابن عامر بمحله فقام المترجم بنصرته والذب عن نفسه وداره.

فكتب ابن داود إلى السلطان بما يقتضى إغراء صاحب الترجمة لأهل مراكش على ما فعلوه فقابل وشايته بالرد وفند زعمه وبرأ ساحة ولده المترجم من تلك الوصمة، ونهض من فاس إلى مراكش مصممًا على تأديب أهل مراكش وأخذ ثار العامل منهم، ولما حل بمراكش عزم على تنفيذ ما هم به لهم فوقعت الشفاعة فيهم فقبلها على استثناء أفراد ممن قاموا بتلك الثورة.

وبعد مدة يسيرة أنهض ولده المترجم للحركة إلى البلاد السوسية ليستوفى ما وظف على أهلها من الأموال، واستوزر له الفقيه أبا عبد الله محمد المفضل غريط الذى صار صدراً أعظم فى الدولة العزيزية.

ثم فى السادس والعشرين من ذى الحجة عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف عقد له راية متسعة الأكناف ووجهه لبلاد تادلة وجوارها من قبيلة الشاوية، ووالده إذ ذاك مقيم بالديار الغربية.

ولما دوخ المترجم تلك النواحى وساسها وأسس نظامها وحسن أحوالها، أوقع القبض على القائد أحمد الفكاك أحد قواد الشاوية وخليفته أخيه زويويل لسوء سيرته واضطراب أمره واختلاطه، وولى مكانه القائد محمد بن العربى المعروفى، ولم يزل مقيما بدار الفكاك المذكور حتى لحق به والده السلطان بها، ثم نهضا معا وكل بمحلته إلى أن وصلا للحضرة المراكشية وذلك بعد استقامة كل معوج من الرعية فى تلك الطريق، وصلحت الأحوال واستخلص الواجب المعين كما يجب.

ولما جاوز الركاب السلطانى بلاد تادلا بدا له أن يولى عمالة مراكش خديمه الطالب أحمد بن داود فوجه له عقد ولايته قبل وصوله لتلك الحاضرة، وذلك بإشارة من حاجبه الناصح الضابط أبى عمران موسى بن أحمد، ورفيقه أبى محمد عبد السلام البقالى.

ولما حل السلطان بعاصمة مراكش وفرغ من مقابلة وفود التهنئة بسلامة القدوم،وانسلخ شهر رمضان، وانتهت حفلة إقامة سنة عيد الفطر، أمر جميع الواردين عَلَى عَلِيّ جنابه من العمال والقبائل وأعيان الرعية بالإقامة لحضور وليمة عرس فلذة كبده وقرة عينه وخليفته ولده المترجم، ثم أقام لذلك أفراحا وولائم أفيضت فيها أنواع الإكرام الضافية على سائر الطبقات، ووسع فيها على الأرامل والأيتام والضعفاء.

وكان ابتداء الشروع فى تلك الأفراح فى واحد وعشرين من شوال عام أربعة وثمانين ومائتين وألف، وتفيأ بظلالها الظليلة جمع غفير من الأشراف والموالى، واندمجت أعراسهم فى سلك متسع أكنافها، وزينت لاتخاذ تلك الولائم حدائق أجدال،وزينت بساتينه وفرشت بالزرابى المبثوثة، والنمارق المصفوفة، وأبيحت للدخول، فأتى الناس إليها أفواجا،ورتبت المراتب فى الجلوس، وانضاف كل جنس إلى جنسه وامتدت أفراح تلك الوليمة سبعة أيام بلياليها.

ثم فى الخامس عشر من ربيع النبوى سنة تسع وثمانين ومائتين وألف عقد له والده على راية أخرى، وأمره بالتوجه لناحية قبائل تادلا والشاوية فنهض فى اليوم المذكور وسار إلى أن خيم بالمحل المشهور بصخرة الدجاجة وأقام ثم نحوا من ستة أشهر.

وبعد استيفاء الغرض المقصود من تلك المأمورية وتوطيد الأمن وحسم مادة البغى والعدوان بتلك الجهات، أمره والده بالنهوض واللحوق به بالمحل المعروف بطالع كرماط، ولما لحقت جنوده بجنود والده وقص عليه جميع ما راج فى رحلته المذكورة سُرّ واستبشر، ودعا له بمزيد التوفيق والتسديد، وأمره بالتوجه للحضره المراكشية فسمع وأطاع، ونهض والسعادة تقدمه.

واقتفى أثره والده فصار كلما رحل المترجم من محل نزل به والده إلى أن

نزل الجيشان على رأس الغابة بين قبائل زعير وأولاد محمد من الشاوية، ثم نهضا إلى المحل المعروف بالكيسان، ثم إلى محل تخييم المترجم أولا، وذلك ما قدمنا من تقدم المترجم فى جنوده أمام والده.

وفى يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية من العام ثارت فتنة بين أهل مراكش وعاملهم أبى العباس بن داود المذكور، بسبب مد أصحابه يد العداء فى بعض الخرازين، فقام الدباغون فى وجه الشرطيين وكثر الهرج والمرج، واتقدت نيران الفتن بينهما واجتمع الغوغاء ومن فى قلبه مرض من طاعة المخزن وانضم إلى صعاليك الدباغين، واجتمع الأعيان والعلماء وأهل المروءة والفضل للمفاوضة فى كيفية التوصل لتسكين الهيعة وتطمين البلاد، وتخيروا وجه الخلاص ثم توجهوا بأجمعهم لأبواب القصور السلطانية لاستشارة من بالمنشية من العمال والخلائف لغيبة السلطان وخليفته المترجم، فاتفق رأيهم بعد أَخْذٍ وَرَدّ على أن تلك الفتنة لا تنحسم مادتها إلا بإلزام العامل المكث بقعر بيته وعدم العود للمداخلة فى شىء من الأشياء إلى أن يقدم السلطان.

ولما اتصل هذا الخبر بالأمير ساءه وأسره فى نفسه وتمادى على ما هو بصدده من رتق ما انفتق من أمور الرعية وتأديب من يستحق التأديب ممن عتا وسعى فى الأرض الفساد مثل بنى محمد وبنى زمور.

ولما مهد البلاد، وكسر شوكة أهل العناد، نهضت المحلتان لدار ولد الراضى ثم للوادى المعروف بالزم ثم لعين القصب بأبى جعد وخيمتا هنالك نحوا من خمسة عشر يوما، ثم رحلتا لقصبة تادلة بآيت الربع ثم للزيدانية ثم لبنى موسى ثم لوادى داى ثم دار بوزكرى العميرى فدار القائد الغزوانى ببنى موسى ثم لوادى العبيد فالدشرة فتاستاوت فالقاطر قرب أولاد محمد الصغير بالسراغنة فتملالت فزواية ابن ساسى بشاطئى وادى تنسيفت، وذلك يوم السبت متم شعبان العام

وهنالك خرج أهل مراكش بأشرافهم وأهل زواياهم وطوائفهم وصبيانهم بألواحهم متشفعين، وفى العفو عما أجرموه راغبين وتفرق الباقون من أهل مراكش فى الحدائق والجنات المكتنفة بنهج مرور السلطان للمطارحة على وجه الصعيد أمامه طلبا لعفوه ورضاه.

ثم إن بعض الأوباش ومن لا خلاق له تعرض للعامل المذكور وشهروا السلاح فى وجهه ومنعوه من الخروج للقى السلطان، فاتصل بالسلطان ذلك الخبر فثار غضبه وتحفز للوثبة عليهم وأمر بالاستعداد لذلك، فلجأ القوم بأخبية العلامة مولاى العباس ليتدارك الأمر قبل إنتاجه، فانشال عن صهوة فرسه وقبل الأرض أمامه ولم يزل يستعطفه إلى أن سكن غضبه وعفا وصفح وسامح.

ثم فى ثامن عشر ربيع النبوى عام تسعين ومائتين وألف عقد لصاحب الترجمة على جيش عرمرم أكبر من الجيوش والرايات التى قبله، ووجهه لقبائل حاحة لرتق ما فتقوا وجمع ما فرقوا لهجومهم على عاملهم وهمهم بالإيقاع به حتى خلص ناجيا بنفسه وعياله، وهو إذ ذاك القائد محمد ولد الحاج عبد الله أبهى، وبقيت القبيلة المذكورة فوضى لا رئيس لها،ولم يزل المترجم يعالج أمرهم طبق ما تقتضيه الظروف من شدة ولين إلى أن انقادوا كلهم ودخلوا فى سلك الطاعة أفواجا، كذا فى البستان الجامع لكل نوع حسن.

ثم إن السلطان عراه انحراف فى مزاجه إلا أنه لم يمنعه من التحرك ومباشرة الأشغال، ثم إنه تناول أكل شىء من التين الرطب ولبن النوق فألم به بسبب ذلك ألم حاد، ألجأه إلى استعمال المسهل فلم ينجع، فكرره فأصابه خفقان مترادف وكان ذلك يوم الاثنين خامس عشر رجب عام تسعين، وبقى الألم بحاله ولكنه لم يمنعه عن الخروج ومباشرة الأشغال بنفسه،ولما كان زوال يوم الخميس دخل للغرفة المعدة للآلات التوقيتية فختمت بها أنفاسه.

ولما أنذر بذلك حاجبه موسى بن أحمد دخل عليه، ولما تيقن موته خرج كئيبا حزينا واستحضر أخاه العلاف الكبير السيد عبد الله بن أحمد، وخليفته السيد محمد الجامعى، والوزير الصدر إدريس بو عشرين، والسيد عبد السلام البقالى وأخبرهم بوفاة السلطان.

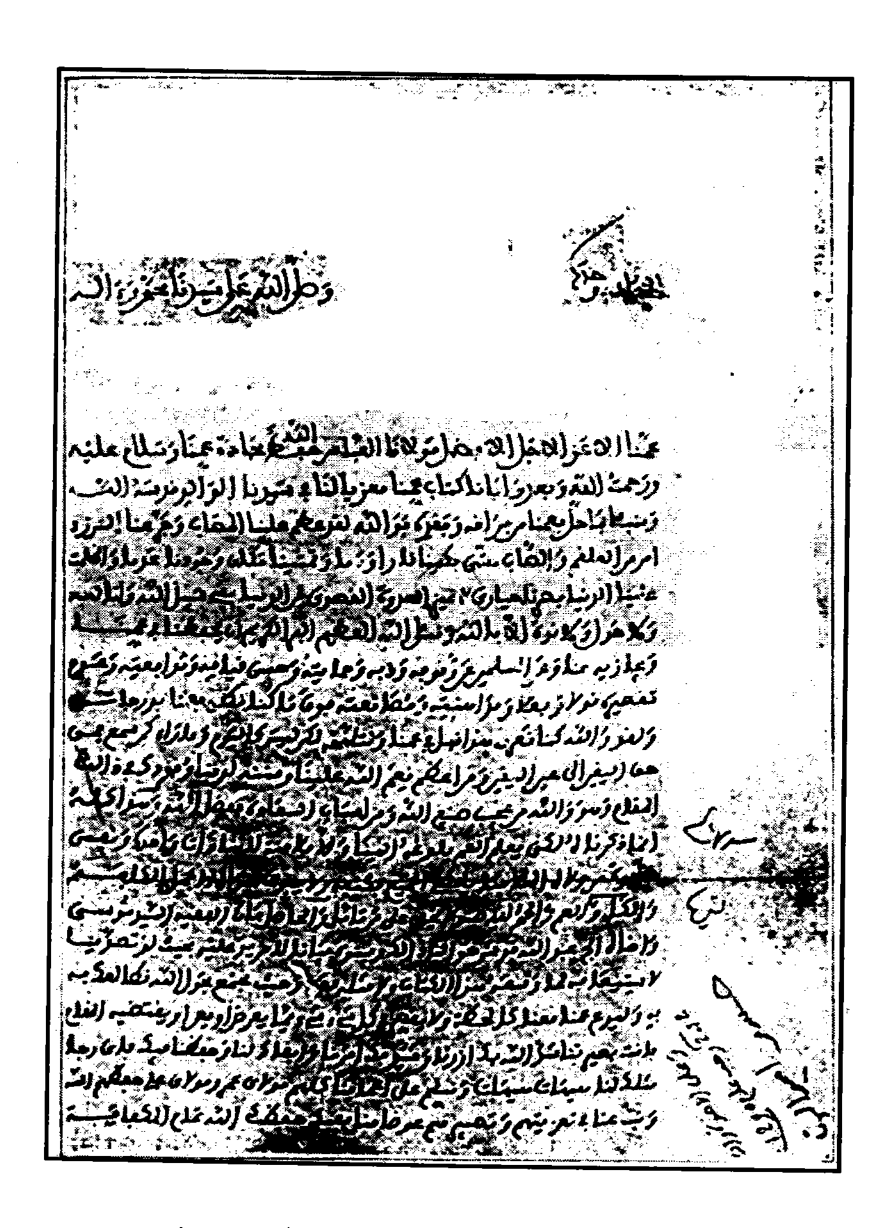
فوقع اتفاقهم على جمع الكبراء والأعيان من الشرفاء والقواد للمذاكرة فى مبايعة من يقوم بأمر المسلمين.

ولما اجتمعت جموعهم بادر عامل الرحامنة المكين المكانة لدى السلطان المتوفى والمسمى عنده بشيخ العمال والمستشار لديه فى مهمات الأمور، فصرح بمبايعة المترجم، وقال مسمعا لما استروح الخلاف: أنا أنصره على سكينى، ثم قام بعده عم المترجم وصهره العلامة مولانا العباس بن عبد الرحمن، وأبو عبد الله الجامعى المذكور مصرحين بما صرح به العامل المذكور، فلم يبق محل للنزاع وانعقدت البيعة لصاحب الترجمة وكان الذى تولى كتابتها أولا بخطه مولانا العباس المذكور ثم وضع من حضر من العلماء شهادتهم بذلك وشهد العدول على غيرهم وأدَّوا شهادتهم بذلك لدى القاضى.

ثم كتب للمترجم عمه مولانا العباس المذكور وكذا المذكورون معه بوفاة والده، وانعقاد البيعة له، كما كتب له بذلك بقية الرؤساء معزين ومهنئين ومستقدمين له، وقفت على جواب صاحب الترجمة لعمه المولى العباس عما ذكر ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، عمنا الأعز الأجل الأفضل مولانا العباس حفظ الله مجادة عمنا وسلام عليه ورحمة الله.

وبعد: وافانا كتاب عمنا معزيا لنا فى سيدنا الوالد رحمه الله، ومنبئا بما حل بعمنا من فراقه وفقده فوالله لقد عظم علينا المصاب وجرعنا الرزء أمرّ من العلقم



وصلى الله على سيدنا محمد وآله

كتاب السلطان مولاى الحسن لعمه مولاى العباس

والصاب، حتى بكينا ناراً ودما، وتمنينا مكان وجودنا عدما وأظلمت علينا الدنيا، فصرنا حيارى لا نميز العدوة القصوى من الدنيا، وفى سبيل الله، وإنا لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسأل الله العظيم، البر الكريم أن يحفظنا فى عمنا ويجاريه عنا وعن المسلمين عن وقوفه وذبه وحمايته، وحسن قيامه ومدافعته، وعدم تقصيره قولا وفعلا ومداهنته ومصانعته فوق ما كنا نظن بعمنا بدرجات، ولقد والله كنا نعرف هذا قبل فى عمنا ونتلمحه، لكن ليس كاليوم، وما راءٍ كمن سمع، فمن حق اليقين إلى عين اليقين.

ومن أعظم نعم الله علينا ومننه لدينا وجودك فى ذلك المقام وهو والله من عجيب صنع الله، ومن أسباب السعادة بفضل الله، وهذا كله إنما ذكرناه لكى يعلم مولانا العم بلوغه إلينا، وإلا فلا منة، لأننا ذات واحدة، ونفس متحدة من ولاه الله منا يغطى الجميع بكنفه ولا يفوت سواه إلا بحمل الكلفة والكل، وسيدنا العم والحمد لله صنو لا يخفى على من تأمل.

والحاصل أن الفقيه السيد موسى وأخاه الحاج عبد الله قد شرحوا لنا ذلك وبينوه بيانا لا مزيد عليه، بحيث لو تصدينا لاستيعابه لما وسعه هذا الكتاب ولا مثله معه، وحيث تجتمع بحول الله نطالعك به وليدع عمنا معنا فى كل لحظة ولا يقصر فى كل شيء شيء مما يعرض أو يعن أو يقتضيه المقام، فأنت بصيرتنا، شد الله بك أزرنا، وشيد بك أمرنا، وأبقاك لنا وحفظنا فيك، فأى رجل مثلك لنا هيهات هيهات، ونسلم على أعمامنا كلهم مولاى عمر، ومولاى على حفظهم الله، ونُبْ عنا فى تعزيتهم وتصبيرهم عوضا منا، ففيك حفظك الله تمام الكفاية وعلى الأخوة والسلام فى ٢٤ رجب عام ١٢٩٠ حسن أمير المؤمنين».

وأدبا مع عمه المجاب وتنازلا لمقام عمومـته لم يضع علامته بأعلى الكتاب، وإنما وضعها أسفل، وزاد فى مواضع من الكتاب بخطه لفظ مولاى ومولانا.

وقد جزع المتـرجم جزعا شديدا لما بلـغه نعى والده، ولما اتصلت به المكاتب الحاملة لذلك النبإ المحزن أحضـر وزيره إذ ذاك أبا عبد الله غـريط، وأطلعه على تلك المكاتب، ثم أحضر قائد مشوره إدريـس بن العلام، وأمره بجمع كبراء المحلة وقوادهـا،وأمر الوزير بقـراءتها عليـهم، ولما قرئت عليـهم أسفـوا لموت السلطان الفقيد، وابتهجوا بنصر المترجم وأعلنوا ببيعته وأطلقت بالمحلة الطلقات المدفعية.

ونهض المبايع له إلـى مراكش، ولما شارفـها وجد الوزراء والرؤسـاء والقواد والأعيان والجـيوش المخزنية مـستقبلـين جنابه الشريف بالآلة الملوكية والخـصائص السلطانية والشارة الحسـنة، فدخل مراكش صبيحة يوم السـبت سابع عشرى رجب واستقر على عرش ملكه، ووردت عليه الوفود والبيعات من كل ناحية.

وفى ثانى شعـبان بويع المتـرجم بطنجة ونواحـيها ووجـهت المكاتب لتطوان معلمين لهم بوقوع البيعة والأمر بالدخول فى زمرة إخوانهم المسلمين حسبما وقفت على التصريح بذلك فى كتاب من الحاج محمد بركاش، لموسى بن أحمد الحاجب السلطانى.

وفى يوم الأحد ثامن عـشرى رجب تحقق بفـاس خبر وفاة السلطان سـيدى محـمد والبيـعة لنجله وخليـفتـه صاحب الترجـمة، فاجـتمع العلمـاء والأشراف والوجهاء والأعيان وعامل البلد السيد إدريس بن عبد القادر السراج، بين العشاءين بدار عديل الشهيرة بحومة الأمعادى، واعلنوا بنصر المترجم.

ونودى بذلك بالأسواق والطرقات والحومات وبالاجـتماع ضحوة غده الذى هو يوم الاثنين بمسجد أبى الجنود لكتب البيـعة به وفق العادة المقررة فى ذلك، ولما

أصبح الصباح هرع الناس للمسجد المذكور فرادى وأزواجا، ولم يتخلف أحد من أهل الحل والعقد وأولى العصبة، وأتى الخليفة السلطانى صنو المترجم مولاى إسماعيل للمسجد المذكور وفى معيته أعيان الجند وذوو الوجاهة ممن بفاس الجديد على اختلاف الطبقات.

ثم فتحت مقصورة المسجد للخليفة والقاضى وأعيان العلماء والعدول وصاروا يدعون طوائف الناس لوضع خطوطهم بالموافقة على البيعة للمترجم طائفة بعد طائفة، الأشراف أولا، ثم العلماء، ثم الأعيان، ثم القواد والرؤساء، ووقع الإشهاد على الجميع بالبيعة للمترجم على المنشط والمكره والسمع والطاعة.

وكان أول من وقع الإشهاد عليه بذلك الخليفة المذكور، ثم الفقيه العلامة مولاى إدريس بن عبد الهادى، ثم عم المترجم مولانا عبد القادر.

وفى يوم الأربعاء مهل شعبان وردت جميع القبائل المجاورة لفاس التابعة له وأدوا بيعتهم كما يجب، ووقع الإشهاد عليهم وطير الإعلام لصاحب الترجمة، ووجهت له المكاتب بذلك.

وبويع له بمكناس ونواحيه ووجهت لحضرته السلطانية كتب البيعات وقصائد التهانى. فمن ذلك قصيدة تهنئة وتعزية للفقيه الأديب السيد العربى بن على المشرفى الفاسى وهى:

ضحكنا سرورا بعد ما عمنا الحزن	وخفنا وعن قرب تداركنا أمن
سرور وحزن دفعة قد تواردا	كصيحة رعد بعدها قد هما مزن
نرد هجوم الروع والقلب فارح	كمن يتدلى بالثمار له غصن
مزجنا بماء الأنس خمرة حزننا	وأتلفها الساقى فليس لها عين
لئن فل سيف الحق قد سل بعده	حسام رقاب الجاحدين له جفن

وإن غاب نجم لاح فى الأفق بعده ... ببرج سعيد نجم سعد به يمن

وإن حل تحت الترب عنتر حربنا ... فذا شبله من دأبه الضرب والطعن

لقد كاد ليل الحزن ينشر جنحه ... علينا ولكن ما استقام له كون

بكينا ولكن ما استتم بكاؤنا ... إلى أن ضحكنا ليس بينهما بون

فما هو إلا أن عبسنا وجاءنا ... بشير له بشر فقرت به العين

أنخشى وفينا من نؤم خليفة ... هو الحسن المرضى والنجل والابن

إذا خر ركن الملك فهو يعيده ... ويحميه حتى لا يطوف به وهن

تعز أمولانا الإمام كذا القضا ... يسر ويبكى لا يدوم له شأن

وأنت بحمد الله مالك ملكنا ... ومن ربنا لاشك يصحبك العون

ولازلت فى نصر وعز عناية ... تصوغ مزايا ما وعت مثلها أذن

وخذ من نفيس الدر عقدا منضدا ... على شعراء الوقت يبقى به دين

وقول العدل الرضى العلامة السيد الطاهر بوحدو المكناسى ودونك لفظها:

سعد الزمان وساعدت ... أيامه فلك البشائر

والجيد منه قد تحـ ... ـلى بالعقود من المفاخر

ظهرت بواهر من حسا ... ن بالعقود من الجواهر

وتبسمت منه الثنا ... يا فأذهبت كرب الخواطر

وأريض روض قام فى ... أغصانه ميمون طائر

فالعجب من ورق صغت ... لخطيب ورق فى المنابر

فتمايلت طربا لوعـ ... ـد صح نقلا فى الدفاتر

بطلوع شـــمس المجـــد فى | أفق السعود إلـى النواظر
يهـــدى سناها فـى ســمـــا | ء سنائهـــا من كـان حـــائر
حـسـنينا (الحـسـن) الحـلا | المحـسـن السيـر المآثر
فـــإلى مـــسـمـــاه الإشـــا | رة باسـمه (الحـسن) المظاهر
ملك تمـلك من ســيـاســ | ته المـمـالك والحـرائر
وعنـت له منهـا وجـــو | ه بالبــواطـن والظـواهر
لجـــلاله دانت رقـــا | ب الخلق وهى له صـواغـر
وعلى مـحـبـتـه انطوت | منها مـضـامـر الضـمـائر
نجـل المـلـوك المـالـكيـ | ـن أزمـة المجـد الأكـابر
مـــا منهم مـلك مـضـى | إلا أتى مـلك يفـاخـر
بحـــر النـدى والعلـم ها | آثاره كـحل البـصـائر
طود مـنيـف ســيـد | ملك عـزيز النفـس طاهر
فى وجـهـه نور الهـدى | وبـكـفـه نور الأزاهـر
سـامى الذرى حـامى الورى | من كل ســوء بل وضـائر
تخـشى لسطوته أسـو | د الغـاب بالبـيض البـواتر
لـلوائـه نشـــر تضـ | ـمن فى الوغى نصر العساكر
من كـــفـــه هامـى الموا | هب وأكـف مـثل المـواطر
وهاب طـلاب الحـبـا | مـا لـيس يخطر بالخـواطر
مـــا حــاتم جـــودا على | إســداء نائلـه بقــادر

من رام طاعـــــة ربـه فـركن طـاعـتـه يبـادر

فـهـو للإله خليـفـة فى أرضـه قطب الـدوائر

والـطـرق منـه أمنـت من طارق فـيـهـا وثائر

ومـجـدد لـلدين يبـدو فى البـوادى والحواضـر

ابن الرسـول المجـتـبى خـيـر الأوائل والأواخـر

فـبـجـاهه صلى عـليـه الـلـه والآل الـطـواهـر

خلـد له نصـرا عـزيـزا ظاهرا يا خـيـر ناصـر

وأدم عـــلاه لآمـل فـيـئـول بالمأمـول ظافـر

وقول أبى عبد الله محمد بن المعطى المزطارى المكناسى

خبـرت بنصـركم النجـوم الطلع وعنت لمجـدكم الجـهـات الأربع

واستـبشرت هذى الديـار بنصركم وجـرت بعرف جـمـالكم تتضـوع

وأمـدكم رب العـلا بـفـضـيلة مـلأ البـسيطة نورها المتشـعـشع

وعليـكم فـتح مـبـين ناشـر رايات عـز مـا حـواها تـبع

إن كنت فى الهيـجا فأنت غـضنفر أسـد تذل له الملـوك وتخـضع

تروى رمـاحك من نحـور عـداكم فـتـرى القنـاة مع الأسنة تـلمع

وترى الخيول كما اشتهاه فى الوغى هذا يـجىء بـذا وهذا يـصـرع

فـالعـز فى نصب الخـيـام عليـهم والنصـر يأتى وجـهـه لـك يسطع

يا أيهـا البطل الذى لبس الـتـقى درعـا يدوم لبـاسـهـا لا يخلع

يا نبـعة الشـرف الذى بهـر الورى عـدلا وذاك غـريزة لا تصـنع

يا ابن الأعزة يا خلاصة هاشم ... يا درة الحسب الذى هو أرفع
يا ابن الملوك الطاهرين وحرزهم ... وسلالة المجد الذى لا يدفع
يا ابن الرسول وموضع الكرم الذى ... وسع الأنام فبذله لا يقطع
إن قيل من ساد الملوك برفعة ... فإليك يا حسن تشير الإصبع
أخليفة الله المتوج بالرضا ... يهنيك نصر بالسعادة يشفع
ألفت سجاياك المروءة والندى ... وحلا لبانهما بثدى يرضع
نظمت جواهر عقد فخركم على ... نحر الصدور وحقكم لا تنزع
يا مالكا متبسما لسؤاله ... يقرى نوالا عاجلا لا يمنع
يغشاكم نور النبى فجبينكم ... من حسن نور محمد يتضلع
لم لا وقد ظهرت مخايل فضلكم ... ونشأت فى أمر المهيمن تسرع
وأخذت فى كل العلوم مجاهدا ... بعزيمة ما مثلها يتوقع
حتى وصلت وكنت فيها مقدما ... علم الحديث من جنابك يسمع
وحويت من غر اللغات أجلها ... علم القريض زمامه لك أطوع
هيهات فضل الله عمكم فلا ... أحد يساويكم بذا أو يطمع
لكم المزايا والمواهب جملة ... وإليكم أمر الخليفة يوجع
خذها أمير المؤمنين خريدة ... تختال فى حلل الجمال وترتع
وإليكها يا خير من حاز العلا ... كالروض يسقيه السحاب فيربع
أمسيت مسرورا وهأنا ناشر ... خبرت بنصركم النجوم الطلع

إلى غير هذا مما لو تتبعناه لجاء فى مجلد.

ثم لما تم أمر البيعة واطمأنت النفوس بطلعته، تاقت همته الأبية إلى التجول فى أقطار البلاد والنظر فى أحوال الرعية وتوطيد الأمن وقطع جرثومة البغى والتمرد، نهض من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان وكانت مدة مقامه بها شهراً واحداً وستة أيام، ووالى الأسفار لهذا المقصد الحميد بنجدة وجدة وحزم وعزم، ولم يزل يوالى الحركات والتجول بتوالى السنين والأعوام منذ جلس على أريكة ملك أبيه وأجداده إلى أن قبضه الله إليه.

وكان إذا أراد الشروع فى التأهب للنهوض للحركة يصدر أمره أولا للأمين بالشروع فى صنع الخزائن والراويات والبرادع ثم لأمِينَىْ مستفاد آزمور الدار البيضاء بتوجيه العدد اللازم من قروش المجال وقدره ألف وخمسمائة قرش، ومثل ذلك من الشواريات، ثم لعمال الديارة بتوجيه ألف تليس، وأخذ ما لجانب المخزن تحت يد القبائل من الخيل والبغال والإبل وبيان ما يقع عليه توقف من الأنواع الثلاثة للتفريق فيقسط على أولئك العمال، ويؤمر كل منهم بتوجيه ما قسط عليه فى التاريخ الذى يعين لهم بعد تعويض الضائع، وإبدال الراك ثم للعمال كافة بالتأهب للحركة والكون على بال من النهوض مهما أمروا به.

ثم يخرج أفراك وتضرب به الأخبية السلطانية، ثم يؤمر عمال الحوز بالقدوم للحركة للربط بالمحل الذى يعين لهم، وبعد ذلك يؤمر عمال الحوز بالقدوم للحركة للربط مع أفراك، حيث يقرب نهوض الجناب السلطانى ثم يؤمر كبراء الأحناطى بالإتيان بتقاييد ما يخصهم من ضروريات عملهم وشغلهم فتدفع تلك التقاييد لأمين الصائر، ويؤمر بقضاء جميع ما فيها، ودفع ما لكل حنطة لكبيرها، ثم تكتب المكاتب بتيسير المئونة للمحلة فى الطريق التى يكون المرور عليها، ثم يؤمر أمناء مرسى العدوتين باشتراء عدد من التبن والشعير ووضعهما تحت يدهم بقصد دواب المحلة.

ويؤمر محتسب الرباط بالشروع فى طحن عدد من القمح وادخاره تحت يده، فإن احتيج إليه وجد ميسراً، وإن كان للجناب السلطانى غرض فى قبيلة من القبائل التى يكون المرور عليها أو معهم كلام فى واجب ونحوه، فتتقدم إليها سرية من الجند والعسكر وبعض القبائل صحبة أحد من أصناء المترجم فى محلة للشروع فى مباشرة الغرض المولوى معهم، وإن كان الكلام بموضعين فتتقدم إليهما محلتان وحيث يصل إليهم صاحب الترجمة بجنوده الجرارة فتكون تلك المحلة تتقدم أمامه بمرحلة أو مرحلتين كالطالعة للجنود المولوية المنصورة، وغالبا يرشح أبو عبد الله محمد الأمرانى للغرب، بقصد تفقد أحوال البرابر أولا، ثم تجتمع عليه قبائل الغرب بحركتهم وينهض معهم للتخييم بالرباط إلى أن يؤمروا بما يقتضيه النظر السلطانى السديد من تقدم لملاقاته، أو مكث بمحلهم حتى يصل إليهم ركابه الشريف.

هكذا كان نظام سائر حركاته ودونكها على الترتيب حسبما بكناشتى ميقاتييه الشهيرين المهندس الميقاتى الكبير أبى العباس أحمد بن الشادلى البخارى المكناسى، وأبى عبد الله محمد بن بو سلهام الخلطى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار اللذين كانا يرافقانه فى أسفاره كلها، ويتقدمان أمامه لضبط المراحل وتقدير مدة السير فى كل مرحلة بغاية التحقيق والتدقيق بالسوائع والدقائق، ومن خطيهما نقلت جل ما أُثبته فى هذا الموضوع، لأنهما أضبط من غيرهما وأتقن لمباشرتهما ذلك بأنفسهما ومشاهدتهما له بأعينهما، وما راءٍ كمن سمع، ولذلك ترانى ربما خالفت ما جاء فى الاستقصا.

الحركة الأولى من مراكش إلى فاس عام ١٢٩٠:

كان نهوضه من مراكش يوم الاثنين رابع رمضان عام ١٢٩٠، ولما عزم على النهوض استخلف أخاه الأنجد المولى عثمان وعضده بباشا قصبة المنشية من الحضرة المراكشية أحمد بن مالك السوسى وباشا المدينة محمد بن داود المراكشى.

ولما أوقع الرحيل كتب لعامل فاس أبى العلاء إدريس السراج معلما له بمبارحة الأسمى الحضرة المراكشية، ومبينا مراحل الطريق التى رام المرور عليها، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب إدريس السراج، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:

فإنا قد كنا قفلنا من حركتنا السعيدة بحاحا وحللنا هذه الحضرة المراكشية المحروسة بالله حلول يمن وظفر وسعادة، كان المراد إذ ذاك أن ننهض فى محلتنا المنصورة وجيوشنا الموفورة لناحية الغرب من غير مهلة، ثم اقتضت المصلحة المكث فى هذه الحضرة أياما لترتيب أمورها، وإصلاح شئونها، وتسكين قبائلها، واستقرار كل أمر فى مركزه حتى يبقى جميع ذلك على أحسن ما يراد وينبغى بحول الله، وقد يسر الله جميع ما نويناه ورتبنا جميع ما ذكر بحمد الله، وعلى قواعد الجد والحزم بحمد الله بنيناه، ووجهنا حينئذ بعون الله الوجهة لناحية الغرب، ونهضنا بحول الله ومنته. وطوله وقوته. يوم تاريخه معتمدين على ما دعونا الله من تيسيره وتأييده. ونصره وتسديده. وخيمنا بمحلتنا السعيدة بزاوية ابن ساسى والأحوال بحمد الله صالحة. ونعم الله غادية ورائحة.

ونيتنا إن شاء الله المرور على الطريق التى ورد عليها سيدنا الوالد قدسه الله هذه المرة الأخيرة على طريق تادلا، ومنها لورديغة، ثم بنى زمور، ثم السماعلة، ومنها لزعير ومنها بحول الله لزمور، ومنها لمكناس إن شاء الله بحوله وقوته، وأعلمناكم لتشكروا نعمة المولى. وتشاركوا فى حمده جل وعلا. على ما أسدى وأولى. وهو المسئول بنبيه ﷺ ومجد وعظم. أن ييسر جميع الأمور. فى الورود والصدور. آمين والسلام فى رابع رمضان المعظم عام تسعين ومائتين وألف».

ثم بدا له لما بارح مراكش المرور على غير الطريق التى عين فى هذا المسطور الفخيم لأمور، منها: أن الزمان كان زمن برد وشتاء يصعب بسبب ذلك سلوك ذلك السبيل مع قلة التبن والشعير لعلف الدواب فى ذلك الإبان(١) بتلك القبائل.

ومنها تطارح عمال الشاوية وأعيانهم على أعتابه الطاهرة، راغبين فى مرور جنابه الشريف ببلادهم لأمور سياسية ومصالح عامة النفع.

ومنها: طلب القائد الغزوانى الموسوى عدم مرور الركاب العالى ببلادهم لكونه رجا إصلاح إخوانه الذين خرجوا عليه بحسن السياسة ومرور المحلة ببلادهم تروعهم وتشردهم وتنفرهم، فتبطل طريق السياسة التى سلك معهم ويحتاج الأمر إلى إرغامهم للرجوع للجادة وذلك يؤدى إلى ضياع أموال ونفوس، فرأى أن المصلحة فى إسعاف رغبة الجميع وجبر خواطرهم، حسبما وقفت على ذلك كله فى ظهير مولوى أصدره المترجم للسراج المذكور بتاريخ ١٤ رمضان المذكور، فسار من مراكش لقبيلة السراغنة، ثم البروج، ثم كيسر من بلاد تامسنا، وهنالك اتصل به خبر ثورة الغوغاء من أجلاف رعاع أهل فاس الدباغين على أمين المستفاد بها أبى عبد الله محمد بن المدنى بنيس ونهبهم لداره وأمتعته وهمهم بقتله لولا أن الله عصمه منهم بالاختفاء عنهم فى الحمام.

وذلك أنه لما تقررت بيعة المترجم بعاصمة فاس أزيلت المكوس التى كانت موظفة على الأبواب والأسواق، ومن جملتها ما كان يؤدى إلى بيع الجلد، وكان الأمين المفوض فى ذلك هو أبو عبد الله بنيس المذكور، وكانت له عند السلطان والد المترجم يَدٌ ومكانة مكينة لما اتصف به من رجحان العقل والإصابة فى الرأى وعدم التداخل فيما لا يعنيه.

---

(١) إِبّان الشىء: أوانه.

ثم فى يوم الجمعة ثالث شعبان اجتـمع بنيس الأمين ببعض من كان مرشحا لقبض الوجيبة المتحصلة من فندق بيع الجلد، وكان من أهل النسبة الطاهرة، فأظهر له الضعف وشدة الفاقة، واقترح عليـه ترجيع المكس على سوق الجلد ليستعين بما كان يستفيده من الأجرة على ذلك، وأكثر الإلحاح وشدة الاضطرار، فرق له بنيس وواعده بالرجوع لذلك المحل فى العاجل القريب.

ثم بعـد مفـارقة الشـريف له استـشار بنيس بعض أصـدقائه وهو الشـريف المفضال سيدى الفاطمى الإدريسـى، وكان ذا إصابة فى الرأى فحذره وأنذره وأشار عليه بإرجاء الطالب الملح إلى مـقدم صاحب الترجمة، ولا تحـدث نفسك بالإقدام على شيء ولو قل، فإن عاقبته محققة الضرر.

فتحقق صدق مقال المستشار وصمم على أن لا يفعل هذا، والطالب لـم يزل مُجداً فى الطلب مكثراً فى الإلحاح والترداد إلى أن واعده وعداً غير مخلف، ونبذ التحذير والإنذار وراءه ظهريا ﴿...لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً... (٤٤)﴾ [الأنفال].

ولما سمع بذلك الدباغون توجهوا لعامل البلد السيد إدريس السراج، وقصوا عليه القصص، فـأشار عليهم بالتوجه للقـاضى الشريف العلامة مولاى مـحمد - فتحا - بن عبـد الرحمن العلوى، فتوجهوا إليه وطلبـوا منه أن يعين لهم من يقيد لهم بيع الجلد بالفندق فـأمرهم بأن يختـاروا لأنفـسهم من يصلح لهم وهو يـنفذه لهم، فاختاروا ستة بعد أن فاوض بعضهم البعض فيمن يصلح لذلك.

ولما علم بذلك بنيس تـوجه إلى القـاضى المذكـور، وسأله عن السـبب فى تعيين الطلبة للسوق المعدة لبيع الجلد، فأجابه بما ذكر، فقال له بنيس: إنى أريد أن أجعل نـصف موزونة للمـثقال تكون تؤدى عـن البيع، فحـذره وأنذره وذلك يوم الجمعة عاشر شعبان، فانتصح الأمين، والتزم أن لا يعود للكلام فى هذا الأمر.

ثم إن الطالب الملح توجه للفندق من عندية نفسه وجلس ليقبض المكس فثار الغوغـاء وسفلة الأخـلاط من الدباغين وتجـمهـروا، وذهبوا لدار الأمـين المذكور لعرض مـا ذكر عليـه وذلك يوم الأحد ثانى عشـر شعبـان من السنة، ولما وصلوا لباب داره وجدوا أحـد عبيده جالسا هنالك فـسألوه عن سيده بلهجـة قوية وحالة مرعـدة فسـبهم وشتـمهم وسد الـباب فى وجوههم ودخل الدار وأخـرج مكحلة وأطلق عمارتها فى الهواء ظنا منه أنهم ينزجرون بذلك وتتفرق جموعهم الفاسدة، فوجـد النهاب السبيـل لما أرادوا وتلاحق اللاحق بالسابق وتسلح القوم، واجـتمع الغوغاء من كل حدب وصوب، وصمموا على الهجوم على الدار.

ولما كثر الهرج والمرج أتى بعض الجوار بسلاليم ونصبها وراء الدرب، وطلب من نساء بـنيس أن يخرجن لداره خـوفا عليهن من الـفضيـحة، وأوعـز إليهن أن يصبـحن معهن ما لهن من الحلى والمجـوهرات والذخائر النفيـسة الخفيفـة الحمل الغالية الثمن، فأَبَيْنَ ذلك وامتنعن من الخروج، فما شعرن إلا وباب الدرب انفتح، وأبواب الدار تكسرت والضـجيج بالغ حده ونيران الفتن تتقـد فطلع النساء إذ ذاك للسطوح وألقين بأنفـسهن لدور الجوار، ودخل النهاب الدار واستـولوا على ما بها من النفائس والذخـائر والأموال، واستأسـدت الذئاب وفقد القوم الشـعور، حتى صار المضروب لا يبالى بمن ضربه، ولا يلتفت المجروح لمن جرجه، وهاجت الفتنة بالمدينة وماج الناس بعضهم فى بعض وخصوصًا بالقطانين والعقبة الزرقاء.

ولما اتصل الخبر بقاضى الحضرة الفاسـية المذكور ركب بغلته وقصد دار بنيس ظنا منه أن أولئك الغوغاء الأخساء يقيمون له وزنا وينصتون لمقاله، ولما وصل الدار لم يلتفت إليـه أحد، ولا وقع بصره على من يعـرفه وهو بوسط الدار يطوف على جموع تلك الطوائف الضالة الفاقدة للحيـاء والسمع والبصر، حتى كادت نفسه أن تتلف وهو يعظ ويذكـر ويحذر وينذر، فلم يجـد ذا أُذن واعيـة، ولا من له قلب يعقل به حتى غشى عليه من شـدة الازدحام، وكاد أن يسقط على الأرض وتدوسه

الأجلاف بأقـدامها، فـحمله بعض من عرفـه وأخرجه من البـاب الضيقـة المقابلة للحوانيت خوفا عليه، وذهب به إليه، إلى أن أوصله لحـومة جرنيز، ولـم يزل معه إلى أن أفاق مـن إغمائه، وتيـقن أن هذا الخرق لا سـبيل لرتقـه، هذا كله وبنيس المذكور مختف بحمام ابن عباد بحومة القطانين حيث صادفه الحال يغتسل هنالك.

ولما اتصل بالخليفة السلطانى بفاس مولانا إسماعيل وهو بفاس الجديد، خبر هذه الفتنة المدلهمة، أرسـل الباشا الحاج سعيد لإطفاء تـلك النيران الموقدة، ويأتيه بالخبر اليقين، والسبب الداعى لإيقاد نيـران هذه الفتن ليطير الإعلام بحقيقة الواقع لصاحب الترجمـة، وعززه بلفيف من الجند المخزنى، فتـوجه ودخل الدار بمن معه من أهل النجـدة فلم يعبأ به أحـد، ولـم يرفع إليه رأس، ولما رأى أنـه لا طاقة له بكف أذاهم رجع من حيث أتى ناجيا بنفسه.

ولما وقع الإتيان على ما كان بالدار من الأثاث والأمتعة بل حتى أوانى الخليع والسمن والزيت والدقـيق وما أشبـه ذلك، أتى عامل البلد الباشـا إدريس السراج المذكـور راكبـا على بغلته، ولما وصل الدار ورام كـف أولئك المتمـردين باللين فى القول لم يبال أحد بمقاله، وأعرضوا عنه إعراضا كليا، وتمادوا على فعلهم الذميم، ورجع الباشا وأعلم الخليفة بما شاهد.

ثم إن أولئك الأوباش لـم يكتفوا بنهب الدار التى بالقطانين، بل عمدوا حتى للعرصة التى له بالدوح ونهـبوا جميع ما بهـا، بل أزالوا حتى الأبواب والسراجب وجوائز السقف وخربوها وتركوها بلاقع فى أقرب الأوقات وأقصرها.

ولما تم نهب الدارين، وهدأت الأصوات وتفرق معظم تلك الجموع، اجتمع بين العشـاءين الشرفاء الأدراسة وغـيرهم من الأعيان، وأتوا بنيس وأخـرجوه من الحمام وجعلوه وسطهم كأنه واحد منهم وتوجهوا به للحرم الإدريسى، ولما حل به أدخله الشريف أبو حامد العـربى الإدريسى لعلو له بزنقة الوادى، ولما اطمأن صار

الناس يفدون عليه يهنئونه بسلامة النفس من العطب، ويسلونه عما ضاع من مال ونشب.

وسمع بعض الحاضرين يتحدثون بأن سبب هذا الحادث هو عزمه على رد المكس بفندق الجلد، فحلف يمينا جمع فيها كل الأيمان الراجعة للبتات وغيره، إنه ما أذن في ذلك ولا عزم عليه بمحضر جمع من الأعيان والعلماء، منهم أبو العباس أحمد بن الحاج السلمي صاحب الدر المنتخب المستحسن، الملخصة هذه الواقعة منه وبقي بنيس بالعلو المذكور أياما ثم انتقل لمنار ضريح أبي العلاء مولانا إدريس الأزهر.

ولما رفع للمترجم خبر هذا الحادث الجلل، عقد للقائد إدريس بن العلام على عشرين من الخيل ووجههم بكتاب شريف لكافة أهل فاس، وذلك يوم الخميس ثالث عشري شعبان العام ووصل لفاس يوم الأربعاء سابع رمضان ومن الغد الذي هو يوم الخميس قرئ الكتاب الكريم على منبر القرويين وفق المقرر المألوف في المكاتب السلطانية، ودونك نص ذلك الكتاب بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«خدامنا الأنجاد، كافة أهل فاس نخص منهم الشرفاء، والعلماء والأعيان والعرفاء، وابن عمنا الفقيه القاضي مولاي محمد بن عبد الرحمن، والعامل الطالب السيد إدريس السراج، وفقكم الله وأرشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنكم منا وإلينا، والمعروفون بالخير والصلاح لدينا، ولكم القدم الثابت في محبة جانبنا العالي بالله وخدمته والنصيحة له مما لم يكن مثله لجميع الناس، ولم يزل لكم الذكر الجميل في كل منزل، والأثر الجليل في كل معضل،

وقد جريتم على سننكم المعهود فى جمع الكلمة، وأظهرتم من أثر المحبة والنصيحة والخدمة، ما استوجبتم به علينا غاية الاعتبار والحرمة، وجددتم قديم تلك العهود، وأكدتم صالح تلك العقود، كما ظهر منكم عند وفاة سيدنا الوالد المقدس بالله رحمه الله أصلحكم الله ورضى عنكم.

ثم بلغنا بعد ذلك أن بعض السفهاء ظهر منه طيش وبغى، واستهواهم الشيطان فاتبعوا سبيل الغى، فتمالئوا على خديمنا الأمين الحاج محمد بن المدنى بنيس ونهبوا داره ولم يراعوا ماله بسبب خدمتنا الشريفة من الحقوق، ولا خافوا سطوة الخالق، ولا استحيوا من المخلوق، وذلك لا يجمل الإغضاء عنه ولا السكوت عليه، ونحن على بصيرة فيكم، ونعلم أن أهل الخير والصلاح منكم لا يحبون ذلك ولا يرتضونه ولا يوافقون عليه فى سر ولا علانية لكونه صدر بغتة، ولكن السفيه إذا لم ينه فهو مأمور.

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليكم تداركوا هذا الواقع، وقوموا على قدم الجد فى رفء هذا الخرق قبل أن يتسع على الراقع، واعملوا ما تحبون أن نسمعه عنكم ويجلب لكم رضا الله ورضانا. واسعوا فى مداواة هذا القرح إسرارا وإعلانا. واعلموا أنكم قدوة لغيركم وإنما ينتظر الناس ما يسمعونه عنكم وفى الحديث الشريف: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وها نحن فى الأثر قادمون عليكم بحول الله وقوته، فنحب أن نصل إليكم وصدورنا كما كانت سالمة عليكم ولم يبق من جهتكم سوء ولا مكروه، ونطلب الله لجميعكم الهداية والتوفيق. إلى أقوم طريق فى ٢٢ شعبان عام ١٢٩٠.

ولما تلى هذا الكتاب على مسامع الخاصة والعامة فهم السفهاء منهم غير المقصود، وتوهموا أنه إيعاد لهم وتهديد، وأمر جازم برد ما نهب من دار بنيس، فتجمهروا واجتمعوا وسط مسجد القرويين وخافت الناس الفتنة ثانيا، ومد اليد فى الأسواق ودكاكين التجار، وكثر اللغط وارتفعت الأصوات، واكتظ المسجد المذكور وما اتصل به من الطرقات بالأخلاط والأوباش، واتخذ المثرون العسس على أبواب دورهم ودكاكينهم، ووقع الناس فى حيص بيص، ودخل المولى محمد القاضى والعامل السراج وبعض الأعيان من العلماء لمقصورة القرويين للمفاوضة فى كيفية مقاومة تيار الغوغاء الذين لا يتدبّرون العواقب، وبعد المفاوضة وإمعان النظر فى وجه الخلاص، اتفق رأيهم على أن يوجهوا لبنيس للحرم الإدريسى من يطلب مسامحته فيما نهب من داريه، ويخرج من الحرم آمنا، وعينوا للذهاب إليه الشريف أبا عبد الله محمد بن أحمد الصقلى، وأبا العباس أحمد بن محمد بن الحاج السلمى المذكور آنفا، وبيتا على التوجه إليه صبيحة الغد الذى هو يوم الجمعة، فتوجهوا إليه فى عاشرة النهار ووجدوا معه جماعة من الأعيان وطلبوا منه الخلوة معهم ليفضوا إليه بكلام حملاه إليه، فأمرهم بالإفضاء إليه أمام جلسائه بما شاءوا، فسلوه ووعظوه وبالغوا فى استعطافه فى المسامحة، فأبى كل الإباية وصرح لهم بأنه ضاع له أضعاف ما ببيت المال.

ولما لم يسعف بنيس رغبة الراغبين، توجه القاضى مولاى محمد صبيحة يوم السبت للخليفة السلطانى مولاى إسماعيل وأخبره بما راج، واقترح عليه أن يوجه للشرفاء وأعيان البلد وعاملها ويعرفهم بأن مراد السلطان فى كتابه لهم إنما هو الإغراء على الانكفاف والزجر عن العود خوفا من أن يقع للغير ما وقع لبنيس، وليس المقصود من الكتاب السلطانى رد ما نهب الناهبون.

فأرسل الخليفة المذكور بالأمر بالحضور لمن ذكر فحضر القاضى والشرفاء والأعيان، ولم يحضر العامل لتوهمه أن ذلك الاستدعاء شبكة نصبت للقبض عليهم وجعلهم فى الأغلال والسلاسل والتوجيه بهم للحضرة السلطانية على أقبح الحالات.

فتحزب وجمع عليه ما يزيد على ثلاثمائة من الرماة وطلع لقصبة أبى الجلود يريد الدار العالية وهو راكب بغلته والرماة محدقة به وباقى الأخلاط الزائدة عن العد منتشرة بالأزقة والطرقات الموصلة للقصور السلطانية حيث الخليفة السلطانى، ولما سمع الخليفة المولى إسماعيل بذلك وجه للسراج وأمنه وشرح القصد من جمعهم، فلم يثق هو ولا من معه بأمان الخليفة ولا مقاله، فراجعه الخليفة وأقسم له بالأيمان اللازمة وأعطاه عهودا ومواثيق على أنه لا يرى ولا يسمع ما يكدر باله، وإنما مراده بهذا الجمع الإصلاح وتسكين الروعة وتفهيم من لم يفهم، فلم ينفع فى السراج وأحزابه من ذلك شىء، وتمادوا على الامتناع والإباية، وازداد اللغط والهرج والمرج والضجيج ووقع التشاجر والتخالف حتى كاد أن يقع الضرب بالبارود، ورعب السراج وخاف لحوق الأذى عاجلا والمسئولية آجلا ورجع لداره بعد عناء شديد.

ثم وجه للخليفة مولاى إسماعيل وقال له: إن كنت فى قصدك صادقا فانزل لمسجد أبى الجنود وبه يكون اجتماعنا والمفاوضة فيما تريد، فحذر القاضى والعلماء مولاى إسماعيل من التوجه للمسجد المذكور لاختلاط الحابل بالنابل واشتداد شوكة السفهاء سخفة العقول الذين اعتقدوا أن الحل والربط صار بأيديهم، ورأوا أن يكتب الخليفة للسراج كتابا يشرح له فيه مراد السلطان من الكتاب الذى قرئ على منبر القرويين وفهمه العامة على غير وجهه، فاستحسن الخليفة رأيهم وكتب الكتاب بما ذكر، ووجه به للسراج مع العلماء والأعيان الذين كانوا بأبواب القصور

السلطانية ظنا منهم أن الملأ لا زالوا بأبى الجنود، ولما توجهوا بالكتاب وجدوا الجموع تفرقت بعضها ذهب مع السراج لحراسته بداره، والبعض الآخر للحرم الإدريسى بقصد قتل بنيس، فرجعوا بكتابهم إلى الخليفة وقصوا عليه القصص، فأشار القاضى بتوجيه الكتاب المذكور للسراج بداره وأن يؤمر بقراءته على منبر القرويين، فاستحسن رأيه.

ووجه بالكتاب للسراج لداره فقام مظهرا بالامتثال لتنفيذ ما أمر به، فبلغه فى أثناء الطريق أن البارود وقع بمولانا إدريس، فرجع لداره قائلا: لا أذهب لئلا يشتد الأمر ويقول الناس أنا المتسبب فى ذلك والمغرى عليه.

وأما الأوباش الذين توجهوا لقتل بنيس بمولانا إدريس فإن عاصف ريح التخالف نفخ فيهم أثناء الطريق، وفرقهم أى تفريق، ولم يصل منهم للحرم الإدريسى إلا النزر القليل، ولما رأى ذلك الشرفاء الأدراسة وأنصارهم، سدوا جميع أبواب الحرم وتقلدوا أسلحتهم وارتقوا لسطح الحرم والسطوح المجاورة له، وأخرج الشرفاء المذكورون بنيس من المحل الذى كان به وأنزلوه بشماسة وطاقة من شماسات قبة الضريح، وجعلوا عليه حراسة كافية وأطلقوا البارود من السطوح، فأصاب بعض الضعفاء.

وضج من لا خلاق له من السفهاء وطلعوا للسطوح العالية المشرفة على سطح الحرم الإدريسى لقتل جميع من راج به، ففر جميع من كان بها، وتعذر على الناس المرور فى الأزقة حتى إن رجلا درقاويا كان من الرماة يبيع شاربات، قال: اتركونى أصعد لبرج القرويين وأقابل سطح مولانا إدريس وكل من ظهر به أرميه بالرصاص وأقتله، فأجابه العقلاء بأن حرم مولانا إدريس هو حرم للمغرب بأسره. لا لخصوص الأدارسة القائمين بأمره، فوالله لا نترك أحدا يؤذى به من المحتمين بحماه.

ثم وقف القاضى ومـعه جمـاعة عشيـة ذلك اليوم وقوف الأبطال، وكـفوا السفهـاء عما أرادوا، وتوجهـوا للحرم الإدريسى من جهة الحمـام، ونهى القاضى الأدارسة عن العـود لإخراج البارود وسكنت الروعة فى ذلك الحـين، وبقى الحرم الإدريسى مغلـق الأبواب والعسة على بنـيس قائمة على سـاق، وهذا كله فى يوم السبت.

ولما أصـبح يوم الأحـد رام الأخـلاط ومن لا خـلاق له مـدّ يَدِ النهب فى الأسواق والدكـاكين، وحمل جل التـجار سلعهم لدورهم، وجـعلوا على أبوابهم وسطوحهـم العسس الكافـية، وازداد الأمر شـدة والطين بلة، والقاضى والـعلماء وجلة الناس ووجهاؤهم يُدبِّرون فى كيفية إطفاء هذه النار الموقدة المتطايرة الشرر.

فجاءوا اللأدراسـة بحرم جدهم مولانا إدريس وأمروهم بفـتح الحرم فأذعنوا لذلك، ورجع القاضى ومن مـعه للقرويين واجـتمعوا بـعامة الناس وخاصـتهم، وتصدر القـاضى لشرح الحقيـقة والواقع فى كتـاب السلطان ومراد خليفـته ووعظ وذكر. وحذر وأنذر. وخَـوَّفَ بَأسَ السلطان وسطوته، وضمن لهم أن لا يروا من السلطان إن هم أذعنوا وأطاعوا ما يكرهون، ولا يعنف أحـداً منهم، فرضوا بذلك والتزموه.

وحينئـذ رجع القاضى بمن فى مـعيتـه للحرم الإدريسى، وأخبـروا الأدراسة بالواقع، ففتـحوا الأبواب وانكشف كثيف ما كان من سـحاب الأهوال، ووضعت الفتن أوزارها، وبزغت شمـوس الأمن بأرجاء القلوب. انتهى. ملخـصا من الدر المنتخب وجله بالمعنى.

وفى صبيـحة يوم الخميس تاسع عـشرى رمضان حل برباط الفـتح وأقام به سنة عيد الفطر وغـمر الجند والأيتام والأرامل والأشراف والعلماء وذوى الحـيثيات

والأعيان وسائر الموظفين الدينيين وغيرهم، وختم صحيح الإمام البخارى، وكان شيخ مجلسه الحديثى السيد المهدى بن الطالب بن سودة المرى قاضى الحضرة المكناسية، وحضر ذلك الختم جم غفير من القضاة والعلماء والأعيان ووفود القبائل المغربية كالواردين بالبيعة الكريمة من فاس، وقيل فى ختمه ذلك من الأماديح نيف وخمسون قصيدة، أجاز عليها أصحابها كل بما يستحق.

من تلك القصائد قصيدة الفقيه الكاتب الأديب البليغ الأبرع أبى العلاء إدريس بن محمد بن إدريس العمراوى ونصها:

أرج القبول من المهيمن نام	وندا التعرف بالمواهب هام
وشذا الرضا هبت لنا نفحاته	من مجلس قد جل فى الإعظام
حفت به أعلامهم فتراهم	من طيبهم كالزهر فى الأكمام
بمقام مولانا الإمام تلألأت	أعظم به من مجلس ومقام
فبه البخارى الجليل جنابه	وفت مواعده بحسن ختام
فامْدُدْ أكُفَّك سائلا متوسلا	برواته وقداته الأعلام
واضرع بباب الله عند ختامه	تنل المؤمل من حبا العلام
واعلم بأنك فى مواطن رفعة	وإجابة ومنال كل مرام
باب الإجابة منه يقرع فلتكن	فى السابقين إليه باستسلام
ما أمه ذو حاجة فى معضل	إلا وعاد بنائل متسام
أو خائف نال الأمان بسرده	ذهبت مخافته مع الآثام
فالهج به ورواته عدد تجد	هم فى سما العليا بدور تمام
فهم الأئمة والسراة ونورهم	يمحو عن الأوهام كل ظلام

وهم ذوو القرب الذين بذكرهم أمن الورى من سائر الأنقام
أهل الحديث الفائزون بحفظه تتلى محاسنهم على الأيام
ودعا الرسول منضر لوجوههم إذ أوضحوا معناه للأفهام
وأميرهم فى المعلومات إمامنا الـ ـحبر ابن إسماعيل خير إمام
جمع الصحيح الجامع الحق الذى حاز التقدم فى ذرى الإسلام
ومحا عن الدين الحنيفى القذى وحمى من الأضلال والأوهام
وبنى معاهده المنيعة ديمة صوب الحيا من هاطل أو هام
وجزى الإله أميرنا العدل الرضا الـ ـحسن الخصال بأحسن الإنعام
نهج السبيل المستقيم بسرده وأقر عين العلم فى ذا العام
أحيا مآثر صالحى آبائه مذ قام بالتيسير خير قيام
حاط الشريعة بالسياسة فائزا من خلفها ويمينها وأمام
وأباد جاحدها بعزم نافذ وسطا به كالماجد الضرغام
مولى به الإسلام أصبح ظاهرا والكفر فى ذل وفى إرغام
مولى به ابتهج الزمان وأهله وبه الأمان بذى المغارب نام
مولى بطيب حديثه افتخر العلا فالهند يتلو فخره بالشام
من عصبة نبوية علوية سنية مهدية أعلام
نور النبوة واضح من بشرهم غر الوجوه مطهرو الأجسام
لألاء غرته الكريمة ساطع يزدان فى الجدران والآطام
ويمينه السخاء ضامنة الغنى لم يلوه للمنع قول ملام

ليث العدا غيث الندى رحب المَدَى	علم الهـدى ومـواصل الأرحـام
من لى بحـصر مديـحه فى مهيع	كـلا ولو كـان الفـضـا أقـلام
أم كـيف أسبح فى خـليج صفـاته	حـاشـا ولو عـد النجـوم نظام
لـكننى آتـى بمقـــدور علـى	وسـعى وأرهف فى الثناء حـسام
فلتـهـن مـولانا الإمـام مـآثر	قـد حـازها مـن وافـر الأقـسام
وليـهنـه مـا نـال من أجـر ومن	ذخـر ومن فـضل ومن إكـرام
وليـهنه شـهـر الصـيام ومـا بدا	فـيـه له مـن قـربة وقـيـام
وليـهنـه العـيـد السـعـيد فـإنه	عـيـد يعـود بكل خـيـر نام
أبقـاه مـولانا لجبـر عـبـيده	وأناله نـصـرا مـدى الأعـوام
وأطال فى سـعـد ويمن عـمـره	سـامى اللواء مـثبت الأقـدام
وبجـاه مـولانا الـرسـول سـألتـه	وحـديثه الـعالى وخـير عصـام
وبنيـه والأصـهـار والأزواج والـ	أتبـاع والأنصـار والأعـمـام
أن يجـعل الفـتح المبـين مـلازمـا	لركـابه فى مظـعن ومـقـام
وعليـه من ربى السـلام تحيـة	فـاقت شـذا مـسك وريح خـزام
والآل والأصـحـاب أهل وداده	ما جـال فى الأسماع صفـو كلام

واحتفل بهذا الختم احتفالا لم ير الراءون مثله حتى كـان الطيب كالسحاب المتكاثف وعدد أصناف الأطعمة الفاخرة.

وفى يوم السبت الثانى والعشرين من شـوال خرج من الرباط قاصدا مكناسة الزيتون، حيث اتصل به خبر قيام المولى سليـمان المدعو الكبير بن عبد الرحمن بن

السلطان أبى الربيع مولانا سليـمان، الذى جاء من سجلماسـة يطلب الملك اقتداء بأبيه مـن قبله الذى كان ثار أوائـل دولة والد المترجم فلم تنجح مـساعـيه. وبقى يجوب البـلاد البربرية وأطماعه الأشـعبية تعـده وتمنيه. إلى أن كانت عاقـبة أمره سجنا طويلا، إذ لما حل المترجم بالصـفافعة من قبيلة بنى حسن بلغـه خبر القبض على القائم المذكـور بقبيلة بنى سـادن أو آيت يوسى والتوجيـه به سجينا للخليـفة السلطانى بفـاس، وهو إذ ذاك أخو المتـرجم المولى إسمـاعيل وكتب بـشرح ذلك لسائر إيالته ودونك لفظ ما كتب به بعد الحمدلة والصلاة والافتتاح:

«وبعد: فإن عبد الكبير بن عبد الرحمن الذى سولت له نفسه ما سولت من الرأى المنكوس. والحظ المعكـوس. كان تحـزب بشـياطـين وأوباش من برابرة بنى مجـيلد، وأتوا به لآيت عيـاش قرب فاس، فلمـا سمع بذلك خـدامنا أهل فاس وأخوالنا شراكة وغيرهم من الجيش السـوسى وقبائل الصلاح، قاموا على ساق فى طرده وإبعاده. ونفيه من ساحتـهم وتشتيت رماده. وقابلوه بالنكاية والوبال. ورأى منهم مـا لم يخطر له ببال. ورجع بِخُـفَّىْ حُنَين[1]، ثم بعد الطـرد والإبعاد لم يبال. بما هو عليه من سوء الحال، ولا أقلع عما طمع فيه من المحال، ولا انتبه من نومـته، ولا أفـاق من سكرته، وبقى على دورانه عند البـربر إلى أن ختم مطافـه بالوصول لآيت يوسى فحكم الله فـيه هنالك وأتى به مقبوضـا عليه وذهب ريحه وسقط فى أيدى[2] من كان آواه من البربر وحصلـوا كلهم على الخسران. والخزى والخذلان.

وها الفتان مثقف تحت يد أخينا مولاى إسـماعيل حفظه الله فالحمد لله حق

---

(1) تحـرف فى المطبوع إلى: «رجع بـخف حنين» وهو مثل يضـرب عند اليـأس من الحاجـة والرجوع بالخيبة.

(2) فى المطبوع: «فى أيد من كان». .

حمده. ولا نعـمة إلا من عنده. وهو المسئول بنبـينا ﷺ ومجد وعظم. أن يؤدى عنا وعن المسلمين شكر نعمته. وأن يجرينا على ما عودنا من جزيل فضله ومنته.

هذا وقد كـتبنا لكم هذا بعد مـا خيمنا بحول اللـه ببلاد الصفافـعة من بنى حسن ومحلتنا المـظفرة بالله محفوفـة بالنصر والعز بحمد الـله، وأعلامنا المنصورة بالله رياح السعـادة واليمن تسوقـها، والأرباح تكفل بهـا سوقهـا، وقد أعلمناكم لتأخذوا حظكم من الفـرح بما خول مولانا جل وعلا من عظيم نعمـه، فلله الحمد وله المنة والسلام فى ٢٣ من شوال عام ١٢٩٠».

قلت: ثم بعد مكث الثـائر فى السجن يرفل فى قيود الهوان والصـغار أمدًا بعيدًا عـفا عنه المترجم وسرحه وأكـرم مثواه، وأجرى عليه جـراية تليق بأمثاله من أفراد العائلة.

وقد عـقد صاحب الفتـوحات الوهبية فـى سيرة مولانا الحـسن السنية وهو العلامـة الحسن بن عـبد الرحمن السـملالى فصـلا خاصا بـثورة مولاى الكبـير، وخلاصة ما ذكره أن اسمه سليمان، وأنه لقب بالكبير لأنه أكبر إخوته، وأنه اقتدى فى ثورته على مولاى الحسن بأبيـه مولاى عبد الرحمن بن سليـمان حين ثار على سيـدى محمد بـن عبد الرحمن والد مـولاى عبد الرحـمن لاستصـغاره إياه سنا وعقلا، فإنه خرج من تافيلالت ولما وصل «القصابى» بعث بريدًا لإعلام أهل فاس بأمره فـأجابوه بالموافقـة واستحـثوه فى السيـر قبل مجىء الـسلطان من مراكش، وواعدوه باللقاء فى صفرو، متى نزل بها، فـلما نزلها أخلفوا وعدهم معه وأبوا أن يخرجوا إليه حتى يصل إليهم، ولكنه لما وصل ظهـر المهراز مع أتباعه البرابر وجد أمامه الباشا فرجى قد خرج للقائهم لما تواترت[1] أخبارهم، وكان ذا رأى وحرب وتدبير، فـمزق جيشه أصـحاب مولاى عبـد الرحمن، واستلبوا خـيلهم وبغالهم وأسلحتهم، وكاد المولى عبد الرحمن يقبض.

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «تواثرت» بالثاء المثلثة.

فلما تبدد أتبـاع المولى عبد الرحمن ذهب ولده مـولاى الكبير هذا فى اثنى عشـر فارسا لاسـتصراخ بعض الفـرنسيس النازلين وقـتئذ على بـنى يزناسن لأمر بينهم، فوافقوه على الانتصار له، أى بعد أن تظلم إليهم ووعدهم المغانم، وأكرموا نزوله عند المسمى عـبد القادر بن داود، وأوصوا هذا بمرافقـته لوهران، ثم ارتحلوا عن بنى يزناسن إلى وجـدة متهـمين أهلهـا بممالأة بنى بزناسن، ووظفـوا عليهم ذعيرة يدفعونها فى أجل ثلاثة أيام فدفعوها.

وارتحل الفرنسيون عنهم لتلمسان، فكان أول عمل لهم بها أن ضربوا السلك لملكهم يخبرونه بأمرهم مع مولاى الكبير، وأنهم قبلوا ما عرضه عليهم من النجدة والانتصـار، فأجابهم بإنكار عـملهم هذا وعاتبهـم عليه فندموا على مـا فعلوا إلا واحداً منهم يقـال له «القبطان عك» حـاكم عرب وهران، كان هـو المشير بقـبول الانتصار، فإنه أكد على عبد القادر بن داود فى إكـرام ضيفه، فبقى مولاى الكبير عندهم أربعة أشهر إلى أن كـانت نتيجة مساعى عك وغـيره أن أعين بأربعة آلاف ريال له وألف لأصحابه يدفعها لهم بعض الأغوات إن مروا به ويرجعوا لوطنهم.

فخرج مولاى الكبير من وهران، وأخذ مـا ذكر ورجع لوطنه فبقى به ونفسه متـعلقة بالملك، إلى أن سمع بموت السلطان سـيدى محمـد فأراد انتهاز الفـرصة فسافر من أهله بعد أن سمع ببيعة مولاى الحسن، واجتمعت عليه البرابر وغيرهم، وسار إلى أن نزل بآيت عيـاش فتهافت عليه البربر والعـرب - وكان مولاى الحسن يومئذ برباط الفـتح - وبقى بها مدة ووفود البربـر تذهب وتجىء وتبشر من وراءها بخبره، فاجتمع عنده خلق كثير من بنى مكيلد، وبنى مطير، والغرابة، زيادة على من كان عنده، فـاستكثر الغـرابة عدد أتباعه وراودوه هو وإيـاهم على أن يعينوهم على قائدهم «مـحمد اسعـيد ابربر»، فاعـتذروا ووعدهم بالانتصـار لهم بعد تمام الأمر، ولكنهم لم ييأسـوا بل ألحوا عليه وعلى البربر وهم يجيبـونهم بأن زمامهم بيد الشريف.

وسمع المولى إسماعيل بنزول المولى الكبير بذلك الموضع بتنبيه كان عنده على ذلك، فأرسل إليه الشريف سيدى محمد بن محمد الأمرانى آتى الترجمة لمعرفته بلغة البربر واطلاعه فى جل الأمور على مقاصدهم ليعظه ويذكره بفشل قضية أبيه، وأنه كان منتهى أمره أن خرج من أرض السلف إلى (صفطل) وهو محل بنى مكيلد، ففعل ذلك ووعده بصلة يأتيه بها من مولاى إسماعيل، فاتعظ وتذكر ورجع الأمرانى بعد أن شرط عليه أن يمكث بمحله حتى يعود إليه، فلما بعد عن ذلك المحل وجد رجالا من الغرابة فأخبروه بامتناع مولاى الكبير من نصرتهم وطلبوا منه التوسط بينهم وبين مولاى إسماعيل ليطلب من مولاى الحسن إنقاذهم مما هم فيه مع (محمد اسعيد ابربر) لأنه أطلق عليهم إخوانه آيت حلى فنهبوا أموالهم ومزقوا أعراضهم، وتكفلوا للسلطان بأمر مولاى الكبير حتى يسلموه إياه حيا أو ميتا.

فسار بهم الأمرانى معه لفاس، فلما التقى بالخليفة أخبره بما كان منه مع مولاى الكبير وما كان من الغرابة فاستصوب عمله مع هؤلاء وقبل طلبهم والتزم الوفاء به كما التزم الغرابة الوفاء بقولهم، ولكنهم لما رجعوا وجدوا قومهم قد عرقبوا على مولاى الكبير وأصحابه ساعة غيبتهم، فسار معهم وانتقل من الدار التى كان بها إلى دار قريبة من آيت حلى، أما الأمرانى فإنه رجع بغير صلة لما كان من أمره مع الغرابة فوجد مولاى الكبير قد خالف شرط عدم الارتحال، فاتخذه عذراً لعدم الإتيان بما وعد، فلما التقيا لامه على الارتحال فأجابه مولاى الكبير بما يخالف ما كان بينهما: إن هذا ملك أبى وجدى فلا أسلم فيه، فسكت الأمرانى فرحا بظهور النكث من جانب الآخر معتمدا على ما أبرمه مع الغرابة، ورجع وتركه وكان محمد اسعيد، قد استعد مع إخوانه آيت حلى لمقابلة الضاربين على حللهم، وتواصوا على مكيدة دبروها.

فلما دنت الغرابة ومن معها من حلل آيت حلى حملـوا عليها فانهزم محمد اسعيد واشـتغل الغرابة بالنهب وتشتتوا فى الحلل، فلمـا رأى منهم ذلك كر عليهم بقومه ثم هزموهم وغنموا منهم وحزوا.

وكان مولاى الكبير قد بقى فى الدار لم يركب هو وشرذمة من آيت مرغاد، وآيت حديدو، وأهل الخنك ينتظر أنباء سريته ودخولها صفر، وجلب المساجين.

فلما رأى ما رأى خاف وأمر بقلع الخـزينة وركب هو ومن تبعه وقصدوا دار الشريف سـيدى أحـمد بن عبـد الجليل الوزانى فنجاه الله من الغـرابة؛ لأنهم لما انهزمـوا ساروا إليه يـريدون أن ينفذوا فيـه ما اتفقـوا عليه مع الأمـرانى فى شأنه ليتمكنوا بعد ذلك من محمد اسعيد، فاقتفوا أثره جهة سبو فوجدوه قد عبره ونزل هو عند الشريف إلى انتصاف الليل، فطرقهم أعراب الحياينة وبنو سدن وبنو وراين وآيت شغـروشن وأحدقـوا بالدار، فلما خـرج لهم ربها قـالوا إنا قد جئنا لـنبايع سلطاننا الذى دخل دارك فاطلـب منه أن يخرج حتى نبايعـه ثم يعود إليهـا، فلما خرج إليهم أخذوا بيده وعـاهدوه وأمروا رب الدار أن لا يخرج حتى يراهم، فلما ذهبوا ورجع لمحله ندم على ما صدر منه وتيقن القبض لا محالة، فكتب للأمرانى يستحضره هو ومولاى عبد السلام العدوى لإتمام ما تحدثوا به فى آيت عياش، فلما وصل الكتاب أخـرجهما مـولاى إسماعيل حـالا مع فضول الرامى مقـدم مولاى إدريس إليه، فلـما وصلوا امتنع من الـذهاب معهم لفـاس إلا إذا حضـرت لوحة مولاى إدريس أو الدليل أو السبحة، فـأرسلوا فى ذلك فوجه لهم به.وباتوا ليلتهم تلك، فلما أصبحوا توجهوا لفاس.

وكتب الشريف رب الدار وعمه السيد إدريس بن زين العابدين للسلطان وهو حينئـذ بالرباط يطلبون أن لا تخـفر لهم ذمـة بمولاى الكبير، فـأجابهمـا السلطان لذلك، فلمـا وصل لفاس البـيضاء أمـر الخليفـة بإنزاله بدار بودلاحة أمـارة على

سجنه؛ لأنه أول قفص من أقفاص الامتحان، ثم قال السملالى ما نصه: وكان سفهاء الأحلام حين سمعوا بتوجهه تشوفوا إليه وتلقوه خارج المدينة، وقصدوا مشافهته بما توسوست به نفوسهم من الأمانى الكاذبة، فأتوا إليه فى محله أفواجا ظنا منهم أن النزول نزول إكرام واستراحة ولم يعلموا أنه نزول نكال وعقوبة، فمنعهم الرقيب من الدخول فردهم خاسئين، والرقيب هو الباشا الحاج سعيد بن فرجى.

فسمع هو بذلك فتيقن أنه مسجون، وأن رأيه خاب وخسر، ثم بقى بدار بودلاحة إلى أن قامت قضية ابن المدنى بنيس فنقل لسجن الدكاكين ونزل بها بنيس.

قلت: ثم نهض من الصفافعة إلى دار ابن العامرى وأوقع بأولاد يحيى فريق من بنى حسن وقعة شنيعة كادت أن تحص منهم كل شىء، وألزمهم غرامة طائلة عقوبة لهم على ما أجرموه من الافتيات على عاملهم عبد القادر بن أحمد وهد داره ونهب أمتعته، وسعيهم فى الأرض الفساد، ثم ظعن ووجهته مكناسة ومر فى طريقه على الزاوية الإدريسية الزرهونية.

وكان حلوله بدار الملك عاصمة سلفه الأكرمين مكناسة الزيتون سابع ذى القعدة، وأقام بها سنة عيد الأضحى ووصل أشرافها وأعلامها وسائر ذوى الحيثيات بها بصلات وعوائد، وبالغ فى الإحسان للضعفاء والأيتام.

ثم وجه جيشه لقمع متمردة بنى مطير ومن انضم إليهم وانخرط فى سلكهم من العصاة كمجاط، وبنى مجيلد، وآيت يوسى، فنالت منهم بعد أن كانت الحرب سجالا.

ولما لم يكتف بذلك فى تأديبهم خرج إليهم بنفسه فى جيوش جرارة لاستئصال شأفة بغيهم وعيثهم وعبثهم وإيذائهم بالمارة، فسقاهم كأسا دهاقا من

القهر والغلبة، وأحاط بهم جيوشه إحاطة السوار بالمعصم، واقتحم عليهم معاقلهم ومحال منعتهم، إلى أن دخل فم الخنيق أول بلاد بنى مجيلد وقبض منهم على عدد وافر من المساجين، بعد أن ترك قتلاهم صرعى للذئاب والنسور مرعى، ولما بارت منهم الحيل وعجزوا عن المقاومة والدفاع وحاق بهم سوء ما عملوا، ورأوا أنه لا منجى ولا ملجأ لهم، قدموا طاعتهم صاغرين وأتوا بصبيتهم ونسائهم متشفعين، وعما اقترفوه بالتوبة النصوح معلنين، فقبل توبتهم وعفا عفو قادر عنهم، وذلك منتصف محرم فاتح عام واحد وتسعين ومائتين وألف.

ثم رجع للعاصمة المكناسية وأقام بها، وفى يوم الاثنين ثالث ربيع النبوى منها ظعن لفاس، ولما خيم بضفة وادى النجا خرج لاستقباله لفيف من الأشراف والموظفين والأعيان والكبراء، فأكرم وفادتهم ومثواهم وهش وبش فسروا واستبشروا، وفى صبيحة يوم الخميس سادس ربيع المذكور حل بها وكان ذلك اليوم يوما مشهوداً وفدت عليه فيه للتحية وتقديم مراسم التهنئة المؤذنة بإخلاص الطاعة الأشراف والعلماء والأعيان ومن بها من الجنود على اختلاف الطبقات، وأقام بها حفلة عيد المولد النبوى ووفدت عليه فيها وفود أعيان القبائل مع قوادها بالهدايا ذات البال وفق العادة المألوفة والعرف الجارى.

وفى يوم الخميس - على ما فى بستان السباعى والذى فى الاستقصا يوم الثلاثاء - رابع ربيع الثانى من السنة أمر المترجم أمينه أبا العباس أحمد بن شقرون المراكشى بترتيب الوظيف المرتب على أبواب فاس وأسواقها وفق ما كان فى حياة والده، وذلك أواخر شوال العام، فثقل ذلك على الدباغين ومرضوا فيه وأعلنوا بالتمرد والعصيان، وخلع ربقة الطاعة من أعناقهم، إذ أعجبتهم كثرتهم، وامتنعوا من أداء الوجيبة الواجبة عن بيع الجلد، وآل الأمر إلى إشهار السلاح والمبارزة والكفاح والصعود إلى المنارات المطلة على المدينة البيضاء فاس الجديد، ورمى المارة بالسبل الموصلة إليه، وصار الرصاص يتساقط ببطحاء أبى الجلود.

فعند ذلك أمر السلطان بمقابلتهم على قدر جريمتهم، فطافت بهم العساكر ورموهم بالكور من كل ناحية، ثم اقتحمت طائفة من العسكر سور فاس من جهة الطالعة وأخذوا فى النهب والقتل وعظم الخطب واشتد الكرب، وفى أثناء ذلك بعث السلطان وزيره أبا عبد الله الصفار يعظهم ويعرض عليهم الأمان بشرط التوبة والرجوع إلى الطاعة، فأذعنوا وامتثلوا وانطفأت نار الفتنة الملعون موقدها.

هذا ولم تكد نيران الفتن تسكن برحاب فاس حتى استفحل داء الثائر الفتان بوعزى بن عبد القادر العامرى الشركاوى المدعو الهبرى نسبة إلى بلدته هبرى - بالقصر بين أم العساكر ومستغانم - وكان ظهور هذا الفتان فى أيام سيدى محمد سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف فى آنكاد ثم شتت جموعه.

فلما بويع مولاى الحسن ظهر ثانية فى غياثة واجتمعت عليه التسول والبرانس والحياينة وبنو وراين وكزناية وأولاد بريمة وآيت شغروشن وبنو سدن فنهض المترجم ثانيا فى عام واحد وتسعين ومائتين وألف لقطع جرثومة الفساد خوف الانتشار والاستفحال والضرب على أيدى الساعين فى إيقاد نيران الفتن، فاستأصل شأفة متمردى بنى سادن وآيت شغروشن.

وبعد أن طهر البقاع من سماسرة الفتن توجه لبلاد الحياينة ثم مدينة تازا فدخلها وكان عاملها إذ ذاك الباشا عبد الرحمن بن الشليح الشرادى الزرارى، وبعد استراحة الجنود المظفرة هجمت على المارق الهبرى المذكور وألقت القبض عليه، وأتى به للمترجم حقيراً ذليلا فشهر وطيف به على جمل، ثم وجه به سجينا لفاس وبقى فيه إلى أن نقل لمراكش فمات فى الطريق.

ونهض صاحب الترجمة من تازا ووجهته القبائل الريفية وجعل طريقه على عين زورة، ولما وصل لقصبة سلوان أدركه عيد الفطر فأقام بها سنة عيد الفطر، ووجه على عامل وجدة القائد قدور حيطوط الجامعى وأمره بتأمين الحاج محمد

ولد البشير ومسعود اليزناسنى وأصحابه معه فوردوا عليه بالقصبة المذكورة، ولما مثلا بين يديه عزل حيطوط المذكور عن عمالة وجدة، وولى مكانه ولد البشير امسعود حيث رأى أن إطفاء نيران تلك النواحى لا يتم إلا بذلك، فانقلب المترجم لفاس على طريقه بعد أن وجه لوجدة عاملها الجديد، وأمر العامل المنزوع بمصاحبة ركابه الشريف ونهض بجنوده الجرارة قاصداً فاسا، ولما وصل عقبة موكة المحل الشهير بمكناسة تراكمت الأمطار وتكاثف الوحل وحصل لتلك المحال بسبب ذلك مشاق عظيمة، وأصيبت بخسائر جسيمة.

ولما حل المترجم بفاس وفدت عليه وفود التهانى لقصوره العامرة، ولما استقر به النوى أوقع القبض على الحاج محمد أومنو السوسى قائد الطابور السوسى ووجه به سجينا لتطوان، وولى مكانه على العسكر المذكور الحاج على السوسى الباعمرانى، ثم رشح لعمالة طنجة القائد الجيلانى بن حم، ولعمالة فاس السيد عبد الله بن أحمد.

وبأثر ذلك عقد لأخيه المولى عَلِيّ عَلَى محلة لا يستهان بها، ووجه لاستخلاص المترتب على القبائل الريفية والقبائل القاطنة بنواحى تازا، ووجدة، وأسند قيادة تلك المحلة لباشا تازا القائد عبد الرحمن الزرارى، فاستاء جل القبائل وبالأخص المجاورة لوجدة وأنف عاملها ابن البشير من الرضوخ لأوامره، فكانت المحلة كلما أشرفت على قبيلة اشترط أهلها عدم دخول الرئيس المذكور لترابهم والتزامهم بالقيام بواجب المحلة ومقابلة أخى السلطان المولى على المذكور بما يليق به من الحفاوة والإجلال والخضوع والطاعة لأوامره.

وقد كان ابن البشير تجمهر مع عدة قبائل وصمم على العصيان وشق عصا الطاعة أنفة من رياسة عامل تازا المذكور على المحلة دونه، إذ قد كانت بينهما

المنافسة والعداوة والبغضاء بالغة منتهاها، يطمع كل واحد منهما فى ضم حكومة الآخر لحكومته، ويرى كل أنه الأحق والأولى بالتفرد بالرياسة.

ولما سارت المحلة على طريق آنكاد قاصدة وجدة، قام فى وجهها ابن البشير المذكور فى جموعه ذات العدة والعدد، وناوشها القتال فرعبت ورأت أنها لا طاقة لها بمقاومة تلك الأحزاب، وأنه لا أنجح لها من الرجوع إلى فاس فرجعت أواخر شعبان، والسلطان المترجم فى نزهة شعبانة بدار دبيبغ، وقص عليه القصص إخوة المولى على، فأسرها فى نفسه، وكانت مدة مقامه بفاس ثمانية أشهر.

ثم بعد مدة من رجوع المحلة نهض صاحب الترجمة من فاس لتفقد أحوال رعيته، وذلك منتصف رمضان من السنة فحل بالعاصمة المكناسية، وعزل محتسبها الحاج الطيب غريط المدعو كسكاس وولى مكانه الطالب المختار بادو.

ثم بارحها إلى رباط الفتح، ولما خيم بضواحيه بالمحل المعروف بقرميم بلغه أن هلال عيد الفطر قد ثبت فارتحل ليلا ونزل خارج البلد وأقام سنة العيد قبل دخوله لقصره الفاخر العامر، وبعد ذلك دخل فى موكبه عشية اليوم ترقب الهلال بنفسه وأمر العدول والأعيان من حاشيته برصده وكان الجو صافيا صقيلا فلم يظهر الهلال، فأمر باستئناف الصيام وسجن الشهود الذين زعموا رؤيته، وكان القاضى إذ ذاك أبا عبد الله محمد بن إبراهيم.

ثم نهض المترجم إلى زاوية ابن ساسى وخيم بها ستة عشر يوما، ووظف على الرحامنة أمولا طائلة، وفرض عليهم الخيل وألزمهم إعطاء العسكر تأديبا لهم على جرم أجرموه، ولم يبارح الزاوية المذكورة حتى أدوا جميع ما وظف عليهم وألزموا به.

وبعد ذلك نهض للحضرة المراكشية، فدخلها آخر ذى القعدة الحرام، وكان يوم دخوله لها من أزهر الأعياد وأبهر المواسم.

وفى ربيع ذى الحجة أوقع القبض على مائتين وثمانين نفرا من رؤساء أولاد أبى السباع الذين كانوا خرجوا على عاملهم عبد الله بن بلعيد، وعاثوا على القائد العربى الرحمانى فى شرذمة من الخيل، فنزل بها عليهم وألزمهم أداء ستين ألف ريال ذعيرة لهم على التمرد وإيقاد نيران الفتن، فلم يسعهم إلا بيع ماشيتهم بأبخس الأثمان وأداء الموظف عليهم عَنْ يد وهم صاغرون، ورد عليهم عاملهم ابن بلعيد المذكور وهم له كارهون، فلم يكن لهم بد من الخضوع والرضوخ للطاعة، ولم يزل المترجم مجدا فى الاستعداد لكسر شوكة كل من بغى وتمرد وجمع العساكر من القبائل إلى أواخر صفر من سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف.

وفى هذا التاريخ وفد عليه أبو عبد الله محمد الكندافى[1] فى صاحب جبل تنملل، أحد أشياخ تلك القبيلة الذى كان وشى به للمترجم عامله أحمد بن مالك، وأشاع عنه أنه خلع ربقة طاعة السلطان من عنقه، وأنه يحاول الدعاء لنفسه، وطلب ملك سلفه من قبله.

ولم يزل يوسوس للسلطان المترجم حتى أوغر عليه صدره وأمره بالقبض عليه، فاعتقد ابن مالك أنه حصل على ضالته المنشودة، ووجه له فئة من الجند فأوقع بها الكندافى، شرّ وقعة، إلا ما كان من الجيش السلطانى فإنه لم يمسه بسوء.

فوجد ابن مالك متسعا لترويج أرجافه، وكتب للمترجم بما يزيد حنقا على الكنتافى، وبعد الواقعة وجه الكندافى ولده للحضرة السلطانية بفاس وشرح له حقيقة الواقع وعرفه بأنه من المطيعين المخلصين، وبما يكنه له ابن مالك من العداوة والبغضاء، وينصبه له من شبك المهالك، فشفعه المترجم فيه وولاه على إخوانه، ولم يزل صاحب الترجمة مقيما بالحضرة السلطانية إلى أن أقام بها حفلة العيد النبوى الكريم، وغمر وأفاض العطاء فى الشرفاء والعلماء والجيوش.

(١) فى المطبوع: «الكنتافى» والمثبت من موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٦٢.

وفى مهل ربيع الثانى نهض من مراكش يؤم الديار الغربية، فمرَّ على ثغر الجديدة وتفقد أبراجها وسقائلها، وأقام بها أياما كانت كلها أعياداً ومواسم، ثم نهض لآزمور ووقف على أسوارها وأبراجها وصقائلها وأمر بإصلاح ما يفتقر للإصلاح من ذلك وصيانته، وبالأخص البرج المقابل للمرسى هنالك.

ثم نهض من آزمور ودخل ثغر الدار البيضاء فى الثالث والعشرين من ربيع الثانى، وأعفى عاملها محمد بن إدريس الجرارى فى اليوم نفسه من ولايته عليها، وولاه عمالة ثغر الجديدة، وولى مكانه بالدار البيضاء الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوى، وأقام بها يومين ووقف على أبراجها وسقائلها، وواعد بإصلاح ما هو مفتقر للإصلاح وخصوصا مَرْفَأ المرسى.

ثم نهض من الدار البيضاء وأوقع بعرب الزيايدة لانحرافهم عن الجادة، ثم صار إلى أن دخل رباط الفتح، وذلك غرة جمادى الأولى من السنة، وأقام بها تسعة أيام، ثم نهض وسار على طريق زمور الشلح إلى أن دخل عاصمة سلفه مكناسة الزيتون ثامن عشر الشهر، فأقام بها خمسة أيام.

ثم نهض لفاس، وتهيأ للسفر لحسم مادة الفساد من القبائل المتمردة قبل سريان دائها، واستعجال عدوانها، والقبض على رؤساء الفساد، وتقويض أركانه، فخرج فى جيوش عظيمة جرارة تنتظم من أبطال من انتظم فى سلك إخلاص الطاعة، وقبائل الغرب الأيمن والأيسر سهله والجبل، وذلك منتصف جمادى الثانية.

وكان فى نظره أن يجعل طريقه على الوادى الأخضر ثم مكناسة تازا لبعد طريق غياثة، فلاذ بعض كبراء المحلة ورؤسائها بأبى محمد عبد السلام البقالى وقد كان محبوبا لصاحب الترجمة مسموع الكلمة عنده، بأن يشير عليه بالمرور على مدينة تازا ويحسنه إليه لقضاء مآربهم بها والاستعداد بالتموين منها، ففعل

وصادفت إشـارته من المترجم قبولا حـسنا ليقضى الله أمـراً كان مفعـولا، وجعل طريقه وفق ما أرادوا، فقامت غيـاثة بواجبات تموين المحال وفق المعتاد والمألوف أتم قيام وأكمله، وذلك فى المرحلة الأولى والثانيـة، ولما كانت المرحلة الثالثة من إيالة باشا تازا وهو إذ ذاك مـحمد بن الطاهر الدليمى المتـولى بعد عاملها المعـزول عبد الرحمن الزرارى، تأخر الإتيان بالتموين ولوازمه عن وقته المعتاد لظنهم أن المترجم لا يمر بهم، وحملوا أعلام العـامل الصادر لهم قبل بذلك على الكذب، وأنه إنما أراد جلب ذلك لنفسه. وضمه لكيسه.

فتـهاونوا حـتى رأوا الجنود المولوية تضـرب أخبـيتهـا وتحط أثقالهـا بالمحل المعروف بذراع اللوز، فـعند ذلك قاموا علـى ساق فى أداء اللازم فلم يتيـسر لهم الإتيان بذلك فى إبَّانِهِ.

وكان بينهـم وبين العامل انحراف باطـنى، فاغتنم فـيهم هذه الفـرصة وبلغ للمـترجم عنهم مـا أوغر صـدره عليهم وأوجب همـه بزجرهم، وتسنى للعـامل المذكور إلقاء القبض على كل من يأتى منهم بمئونته، فـكثر الضجيج فيهم، وصار من انفلت منهم يخبر الجـائى بتأسد العامل عليهم، ويهول لهم بحـالة المقبوضين، فيرجع بما أتى به، ولـم يجئ أحـد بعد، فثار غضب المتـرجم وأيد العامل بدعواه، واعتقـد أنه بلغ فيهم مقصوده، فـوجه لهم لفيفا من الجـيش باغتهم به وذلك يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر المذكور.

فاقتحم ذلك اللفيف عليهم حصونهم المنيعة، وسقوهم كأس المنون، وهدموا ما لهم من الدور، وأطلقـوا النيران فى الزرع والخيام وقطعـوا الرءوس، وتركوهم يختالون فى أردية الهوان والبؤس، ورجع الجيش ظافرا غانما.

ولما رأى الشريف المعـتقد أبو العلاء إدريس الوزانى المعـروف بزين العابدين زيادة، اشتداد غيظ السـلطان عليهم حاول إرضاءه عنهم بإظهار الحقـيقة له، وكان

نافذ الكلمة مطاع الأمر عند غياثة، فلم ينجح فى مسعاه، وصمم المترجم على إعادة شن الغارة عليهم واجتثات عصيانهم من أصله.

فنهض لقتالهم بنفسه صبيحة الغد وهو يوم الجمعة السادس والعشرين من الشهر فى شقة بين جبال وعرة المسالك، لا يأمن من لم يكن من أهلها من المعاطب والمهالك، وقدم أمام جيوشه الجرارة المدافع والمهاريس واقتحم الشقة وكانت القبيلة قد تأهبت للقتال، واحتاطت الاحتياط اللازم للأهل والأولاد والأموال، وتناوش الفريقان القتال ودامت المناوشة بينهما إلى أن توسطت المحلة الجبال قاصدة قصبة القلعة لظنها أن جموعهم بها مجموعة، والحال أنهم وضعوا الكمائن ورصدوا الرواصد وشحنوا الكهوف والأنقاب بالرماة، ولم يتركوا غير منفذ واحد يفضى إلى مهواة متلفة، فلم تشعر الجنود المخزنية، إلا ونيران أفواه المكاحل تلتهب، والرصاص كهاطل الأمطار من سائر الجهات وبالأخص من خلفها.

فاشتد الخطب وامتلأت القلوب رعبا، وكثر القتل وعظم المصاب، وألجأ العدو المحلة إلى شعبة بوقربة وهى المعروفة بالشقة فتعذر الرجوع، وعلا الغبار وتكاثف، حتى أظلم الجو وصار الإنسان ربما لا يميز من بإزائه، وأصاب الناس هول عظيم، وتساقط القوم رجالا وركبانا فى تلك الشقة، وكلما سقط واحد ظن الذى وراءه أنه قد وجد مسلكا فيتبعه وهكذا إلى أن امتلأت الشعبة بجثث الأموات من الآدمى والدواب.

وظل الناس يومهم يمرون عليهم بالخيل والأرجل وهم لا يعلمون، ولما كان العشى سكنت الفتنة وقام من بقى يبحث عن السلطان، فألفى فى الشعبة مع حاجبه أبى عمران موسى بن أحمد من غير أن يعرف واحد منهما صاحبه، فأخرجوهما بعد عناء، وكان ممن تولى إخراجهما قواد مسخرى الجيش البخارى

ابن الحفيان قائد المائة والطالب الجيلانى الجبورى المدعو البحر، ولما أطلعوهما من تلك الشقة أركب المترجم القائد إبراهيم الشركى خليفة قائد المسخرين وهو إذ ذاك القائد محمد بن قاسم ونادى القوم بسلامة السلطان وأمر الطبالون وأصحاب الموسيقى بالصدح إعلاما للأباعد بسلامة روح العالم، كى يلتئم صدع من بقى من الجيش وتطمئن النفوس، فصاروا يتلاحقون بالأمير فرادى وأزواجا إلى أن التفت عليه تلك البقية الباقية وهان المصاب بسلامة المترجم.

ومن الغد أمر صاحب الترجمة آغا العسكر البخارى القائد العربى بن حم، والطالب الميقاتى السيد الجيلانى بن أبى الخير بدفن جثث قتلى هذه المعركة التعساء، ولكثرتهم تعذر عليهم دفن كل على حدته فواراهم فى التراب جموعا ووحدانا.

ثم وجه المترجم جيشا ثانيا بقصد أخذ الثأر من هؤلاء الظلمة العتاة فخذل، وكان كلما وجه لهم جيشا رجع عوداً على بدء والسلطان يزداد غيظا ووجدانًا إلى أن قام أنصح القواد القائد الشافعى المسكينى وطلب من الجلالة السلطانية أن يذهب لأخذ الثأر منهم أى المتمردة فى خصوص أبطال إخوانه، فساعده وتوجه إليهم وأوقع بهم وقعة شنعاء ورجع سالما منصورا حاملا لرءوس من مات منهم، فشكر السلطان صنيعه وأثنى على شهامته وصرامته.

ثم بعد ذلك ورد الطغاة على شريف أعتابه تائبين وبنسائهم وصبيانهم متشفعين، ولجأوا لمدافع المحلة واحترموا بهم وفق العرف الجارى فى أمثال ذلك، فقبل توبتهم وقابلهم بالعفو والإغضاء، وعزل عنهم العامل ابن الطاهر الذى كان السبب الوحيد فى إيقاد نيران هذه الفتنة، وولى عليهم القائد منصور حيطوط، وكان إذ ذاك بحنطة أصحاب السكين.

ثم نهض المترجم قاصداً الظفر بابن البشير أصل البلاء كله، ومر في طريقه على عين زورة من قبيلة المطالسة، ولما خيم بقصبة سلوان ودع صدر الوزراء أبا العلاء إدريس بن الطيب بو عشرين، وتصدر في محله أبو عمران موسى بن أحمد، ثم واصل السير إلى أن بلغ وادى ملوية فأقام هناك للاستراحة والاستطلاع على أحوال وأخبار تلك الأنحاء.

ومن هنالك وجه بعض الساسة نسخة من دلائل الخيرات وسبحته للشريف السيد عبد الجليل الوزانى موهما له أنهما للسلطان، وأنه هو الذى أمر بتوجيههما إليه ليوجه بهما لابن البشير تأمينا له، ويأمره بالقدوم عليه والتوجه فى معيته للحضرة السلطانية، فوجه الشريف المذكور بهما لابن البشير، وأكد عليه فى القدوم لديه والتوجه فى خفارته لصاحب الترجمة، فورد عليه وفى معيته جملة صالحة من الأشراف العلماء وسراة القوم من بينهم صهره ولد رمضان الذى كان اتخذه أمينا كبيرا بوجدة فى جيش لا يحصى كثرة.

ولما وصلوا إلى المحلة السلطانية بوادى ملوية رحب بهم السلطان وأظهر لهم مزيد الاعتناء والاعتبار وبالغ فى إكرامهم وأنزل ابن البشير وصهره عند رئيس مشوره القائد محمد بن يعيش، وبعد أن اطمأنوا ألقى القبض عليهما وصفدهما بالأغلال، ووجههما لسجن فاس صحبة القائد الشافعى المسكينى وإخوانه وصاحب مكحلته القائد الجيلانى بن بوعزة البخارى، والقائد إبراهيم الشركسى وأكد عليهم بالأخذ بالأحوط فى سفرهم بهما، ولمزيد الحزم أمر القائد الشافعى أن ينظم كلاً من القائد المحجوب، والقائد إبراهيم مع المقبوضين فى السلسلة كل لية إلى أن يحلوا بفاس، وأوصاهم إذا طرأ عليهم مشوش يبادر كل واحد منهما بقتل صاحبه الذى يليه من المصفدين.

ولم يزالوا يواصلون سير ليلهم بالنهار إلى أن بلغوا للحضرة الفاسية وقضوا مأموورياتهم طبق ما أمروا، ولما اتصل بالمترجم وصول السجينين بمحروسة فاس نهض من مسون ووجهته وجدة لتسكين بقية الروعة، وذلك بعد أن عين لكل قبيلة من القبائل التى جاءت مع ولد البشير المذكور عاملا.

ولما بلغ وجدة ولى عليها القائد بوشتى بن البغدادى الجامعى والد عامل فاس الحالى وتاقت نفسه إلى رؤية المعدن الذى بجبل روبان، فوجه إلى الفرنسى المباشر لخدمته يعرفه بمراده فأظهر عدم الانشراح لطلبه، وأرجأه إلى أن يأتيه جواب رئيسه.

ولما بلغ الخبر الرئيس تسارع للقدوم على المترجم فى لفيف من العسكر والموسيقى فرحا بطلبه، ثم ذهب يستعد لزيارة جلالة السلطان للمعدن، وبعد ذلك توجه المترجم فى موكب حفيل منتظم مِنْ فَارِهِ فرسان القبائل وولاتها وحاشيته الكريمة، وبعد الاستطلاع على المعدن واستيعاب أقسامه والإحاطة علما بجميع تعلقاته انقلب راجعا.

ولما وصل إلى عيون سيدى ملوك بآنكاد، أمر ببناء قصبة بها وأقام هنالك حتى اختط بها مسجداً لإقامة الجمعة ودور السكنى وفرنًا ودكاكين للبيع والابتياع وسوقًا ومحالا لسكنى لفيف من العسكر، وأنزل بها آغا بعسكره، ثم بعد ذلك نهض بجنوده الوافرة ووجهته تازا، وقد كان أصدر أوامره لعاملها حيطوط المذكور بإلقاء القبض على كل من يدخل سوقها من غياثة واستقبال جلالته بهم يوم حلوله بضواحى تازا وعين لهم يوم إناخة ركابه العالى بها، فبادر العامل لامتثال ما أُمر به.

ولما بلغت الجنود المولوية لذراع اللوز خرج العامل للقعدة الحمراء وصحبته المساجين الصادر له الأمر بالقبض عليهم، وبات بها، ولما كان الغد وصلت المحال إليها واطمأنت وجه شرذمة من الخيل تحت رياسة القائد مبارك الشرادى الدليمى

المدعو ولد الشاوية، للإتيان ببعض الحظايا من تازا، كان تركهن بها، فلما توسطوا بهن الطريق قام فى وجههم إخوان المقبوضين بسوق تازا أخذا بثأر إخوانهم ووقع بين الفريقين قتال شديد.

ولما اتصل الخبر بالمترجم أمر جميع ما بالمحال من الخيول بشن الغارة على فساد غياثة، ولما لحقت بالشرذمة المتقدمة الذكر وأتى العتاة ما لا قبل لهم به، فروا منهزمين، ولحق الحريم ومن يخفره بالمترجم منتصرين، ومن الغد نهض قاصداً العاصمة الفاسية، ومنها توجه لعاصمة آبائه وأجداده مكناسة الزيتون وأقام بها مدة وفيها انتهت الخامسة بسلام.

ومما قيل فى قضية غياثة وإخوانها قول الفقيه الأديب الكاتب السيد محمد غريط وأجاد:

سيف اعتصامك بالإله مجرد	ومهند وممهد ومؤيد
سيف الحقيقة بالشريعة يزدهى	ونجاده بضمان نصرك يعقد
قلدته للفتح إرثا خالصا	مع ما سواه من السيوف معدد
متخلف النور المبين وحسبكم	المصطفى المختار جدك أحمد
جاه له دون الوجود بأسره	جاه عظيم بالشفاعة مفرد
ما إن يبارى بأسها متورط	فى بغيه أو ظالم متبلد
أو يستقيم الدين إلا بالظبى	أو رسمه بسوى الظبى يتجدد
وافتك إسعافا ومن أسمائها	عضب بحكمك جازم ومحدد
يفرى الظبى بجماجم فله الظبى	وله الجماجم خاضعات سجد
شقى الشقى بحده وأبيد من	فتكات شدة ضربه المتمرد

حتف بسطوتك القوية قاصف مأثور أنباء الفخار مبدد
أدهى السيوف كذى الفقار فمن يزغ عن أمرك العالى به يتقدد
وكذاك مخدم فى الشوى مستخدم ورسوب يرسب فى الوريد ويغمد
ومشوق الأملاك ساط حاسم حامى الذمار مفصل ومجسد
وهو القضيب ودونه القلعى الذى منه الفرائس فى المواقف ترعد
بتار أعمار الطغاة براحة إسماحها أهل السماحة أعبد
فكأنها بحر خضم مزبد فالخير مطرد الندى لا ينفد
يمنى الإمام أبى على من به صدر الجحافل ثابت لا يفأد
[حسن] ملاذ المسلمين وغوثهم سلطان مغربنا الشريف الأيد
إن سار فى المحل استحال نضارة واخضرت الغبرا وأينع جلمد
فاليمن والبركات فى حركاته بهما المخوف عن المغارب يطرد
أسد الكتائب سابق ومقدم إن ضن بالسبق الكمى الأبلد
حيث المعاقل بالدواهى عقلت حيث البواتر والأسنة تشهد
وهو المقدم كل ليث بيهس بشهامة عزت فليست توجد
لله موقفه بكل ثنية وتنوفة فيها المنايا تورد
وجبينه فيها بأنوار الهدى متلألئ بادى السنا متوقد
كالحاجب السامى الذرى ونظيره كأبى قراب ذا الكتود الأقود
أطواد طاولت السما لم ينفسح فيها مجال يتتحيه السلقد[1]

(١) فى هامش المطبوع: «الفرس المضمر كزبرج».

سلهـا فـعند جـهـينة من حـزمـه   خـبـر الـيـقـين مـقـرر ومـقـيـد

حيث اسـتغاث غـياثة واسـتنجدوا   أوصـــاف رأفـتــه ونعم المنجـد

وتطارحـوا وتملقـوا واسـتـسلمـوا   وأناب صـالحـهم له والمفــسـد

فـاسـتوثـقوا بذمـامـه عن طاعـة   يتلو نتـائجـهـا البـقـاء السـرمـد

فـعـفـا وأصلح والوفـا من شـأنه   والحلم من أخــلاقـه والـسـودد

أكـــرم بمولانـا إذا مـــا أمــه   بالتـــوبة الجـــانى المـسىء الألود

بشـرى كـمـا تتلى البـشـائر عنده   فى كل آن والبــشــائر أسـعــد

إن البـــشـــيــر إذا أتى أبـوابه   لا يسـتـراب حـديـثـه أو يبـعـد

خـــبـــر بمـعلوم ولكـن مـــتنه   يرويه من طريق الصـحيح مـسدد

بشـــرى بصنع الله والظفـــر الذى   أنبـــاؤه فـــوق المـنابر تســـرد

دوخت مـولانا البــلاد جبـالهـا   وسـهـولهـا بسـيـاسـة تتـأكـد

ونصرت حـزب المرملين فـما ونى   عن شكر برك بـالدعـاء مـوحـد

وكـسرت شـوكة كل عـاث ناكث   الغـدر فـيـه سـجـيـة لا تنقـد

حتى وصـلت إلى صحاريهـا التى   لخــلالهـــا بدأ التنقل يـحـمـد

فـــشـددت أزر الدين فـى أقطارها   وبرا العــدا من ذاك غم مـجـهـد

هذا وحـــقكم الصـــلاح وأجـــره   جم الثـــواب من الإله مـــعـــود

وقول الفقيه الأديب السيد العربى المشرفى:

أتت بشـائر بالـتـهـانى كـالعـيـد   والسـعـــد لبـاك زال كل تنـكـيـد

واستحكمت من سـماء الملك ثابتة   طوالع السـعـد فى أبراج تسـديد

فأصبح الغرب فردا لا يعادله … شرق بما جاز من تقديم تقليد
يغار منه عراق وهو ذو مدد … والشام يغبطه من حسن تمهيد
لذاك أرخى ذيول الفخر يسحبها … عزا بملك أبى الموالى والسود
هو الإمام الذى من حسن طلعته … وحسن صورته مستنبع الجود
إمامنا (الحسن) المسدى فواضله … وبالفضائل ساد كلْ موجود
بالبيض والسمر دان كل منحرف … وزائغ عن سبيل الرشد مصفود
لما بدت لعصاة الشم رايته … بواد غياث جال الجيش فى البيد
أتت قبائل ذاك الجو مكرهة … لما أحيط بهم كالغل فى الجيد
وأذعنوا رغم أنفهم وأعينهم … وشاهدوا الفتح لم يكن بمشهود
بفتح مغلق أبواب لثبقتهم … دعوا ثبورا فسحقا للمناكيد
حصون قلعتهم كانت لمتعتهم … قد عاينوا فتحها من دون تفنيد
مآل سبيهم وكل ما اكتسبوا … لمن ولاه إلهنا بتمجيد
شدوا رحالهم من خوفه رهبا … لم تنجهم غابة من شر تشريد
هيهات ظنوا تكن لهم أخى وزرا … فخيب الله ظنهم بتفريد
من أهل طاهر لم تطهر شريعتنا … من رجس بغيهم وظلم تعنيد
وكل جان لهم وجان نسبته … والخبث فى نسلهم من جد مجدود
بنو بوأحمد لم تحمد عواقبهم … وأرضهم للجوار دون تحديد
بنوا قلاعا فى أعلى الشم يمنعهم … من سطوة الله عزها فى محمود
غش الفساد وكر البغى حل به … من النكال وبال غير محدود

سحقا لهم طالما منتهم كذبا نفوسهم بأضاليل وتمريد
أعظم بداهية دهماء قد نزلت بساحة القرب منهم والأباعيد
ظنوا شواهقهم للكل منجية فأين من أسد منجاء للسيد
أمست ديارهم مأوى لبومهم وشتت الله شملهم بتشريد
وكل صاعقة صماء محرقة لم ينجهم هرب فى كل تصعيد
عساكر الحرب للأعداء طالبة لم تغن عنهم جبالهم بتعديد
يتلوها جيش من الأبطال عارفة ركض الجياد عليها كل صنديد
قد ذاقوا طعم وبال الزيغ عن سفه فاستمطروا العفو إظهاراً لترشيد
قد غرهم عفو جده ووالده والشأن أخذ مولد ومولود
ناداهم الضيغم السلطان إنكم لستم بأهل لعفونا وترديد
مذ عدتم عدنا وكان الله منتقما منكم وربنا للأعدا بترصيد
تبارك الله هذا الفتح جل على عن أن يزان بإنشاد الأناشيد
بشراك فأت عنان الحزم محتسبا لله فعليك واصحبه بتحميد
ودر على كل باغ سل مديته واذبحه بالعضب قهرا دون تهديد
وادخل قصورا طيور السعد تنشدكم أهلا وسهلا بألحان وتغريد
قد طال ما غبت عنها وهى شيقة لطلعة من سناك دون تفنيد
لك الهناء يقلك كل معضلة وفتح مغلقها بإذن مودود
ما قال منشده فى رسم دالية أتت بشائر بالتهانى كالعيد

وقول الأديب الكاتب السيد محمد الصنهاجي من قصيدة:

بنو وراين حكمت سيوفه في	رقابهم فانثنت بالسعد والهمل
أغاث غياثة بالحلم شنشنة	بعد التمكن من أرض ومن قذل
زناتة بسيوف العدل قد قصموا	إذ شن غارته جيش الوغى الثمل
سعادة قنصت فتانهم فزعا	من سطوة بهرت أبطال ذى السحل
حتى غدا كل فتان على وجل	من ذى السيوف سيوف الله فى الأزل
يا رب مكن له فى الأرض واقطع به	حماية الكفر فى الأوطان والنزل

ولما كانت سنة أربع وتسعين ومائتين وألف نهض المترجم من مكناس ووجهته مراكش فخيم بسبع عيون، ومنها إلى عين عرمة، ومنها إلى أمحصى، ومن ثم إلى اربعاء بهت، ومنها إلى الخميسات، ومن ثم إلى ضاية رومى، ومنها لعبابو، ومنه على الطويجن ثم لتيداس من بنى حكم.

وأقام هنالك وألقى القبض على عدد من المتمردين، ومن هناك نهض للمعازيز ومن ثم لأغبال، ومنه لظهر الشمس، ومنه للكراريط ومن ثم لأعويد الماء، ومنه إلى الدار البيضاء، ومنها إلى عين السبت، ومنها إلى طالع عك، ومنه إلى تاورتيست، ومنها إلى البيوت، ومنها إلى صبارة فطالع كرماط فأم زردة فمازى فونجين فالكريع فالكمكام فقيشر فبين السواقى فدار بوزكرى العميرى.

وهنالك ألقى القبض على طائفة من بنى عمير كانوا حاولوا الاستيلاء على الادالة التى كان وجهها السلطان سيدى محمد والد المترجم عسة بقصبة آيت الربع، وهناك تعاهدوا وتظافروا على الإيقاع بها وتمزيقها كل ممزق لما بلغهم نعى السلطان المذكور، ولولا قيام أهل أبى الجعد آل الشيخ أبى عبد الله محمد ـ فتحا ـ الشرقى فى وجوههم ومبالغتهم فى التحذير والإنذار لفعلوا.

ثم نهض إلى السراغنة وألقى القبض على مـن تعدى حده وخرج عن طوره من آل الشيخ رحـال، ثم لم يزل يواصل سيره سـاعيا فى حـسم مادة ذوى الزيغ والطيش والشطط حيثما حل وارتحل إلى أن حل بحانوت البقال ثم مراكش.

وقد نظم الشعراء المرافقين لهذه الحركـة مراحلها ووصف وقائعها ومشاهدها فقال:

مـراحـلنا للـحـوز أندية زهر ... ورائدها فى الفتـح يصحبـه النصر

هو الطالع الميـمون لاحت سـعوده ... بأفـلاك عز دونهـا الشمس والبـدر

منازل من سـبع الـعـيـون تعـدها ... حمـاة لدين الله والبيض والسـمر

وجـيش لهام حـيث زمـور أذعنوا ... إلى سيـدى من أمره الجبـر والكسر

وأعطوا يد الطاعات فى عين عرمة ... ومـا لهم فـى ذاك نقض ولا غـدر

وأقـدمنا عـون الإله وحـوله ... لأمحص من جرعـاؤه المورد الغمر

أقـمنا بـه يومـا مـقام كـرامـة ... فـعـاج بنا للأربعـا الزمن النضـر

منازل مـولانا اللواتى تشـوقت ... إليـه كمـا يشتـاقـه النيل والقصـر

هو القصـر منصور بطلعة سـيدى ... فـمـا إن له عنهـا يقـر به صـبـر

يبـاكـره فـوح الـعـبيـر ونشـره ... ويهـدى له أنفـاس آراجـه الزهر

منازل مـولانا بفـسطـاطه الذى ... سـرادقـه أمن وأطنابه خـيـر

مـعـرج بهت من تسلـسل مـاؤه ... رضابا كـأن قد شابه الذهب التبر

فـأزمع منهـا السيـر مـالك رقنا ... وعسكره السـاطى وجحـفله المجر

يصك به الأعـداء صكا وبأسـه ... مـهنده زرق مطاعـنهـا حـمـر

فخيم فى الخميسات فأصبحت | وما لمجال المجرمين بها ذكر
وما لج فى تلك التنائف صائل | ولا ذعر إلا وحاق به المكر
أباد وعفى بغيهم وعنادهم | وأرهقهم من بطشه الخوف والذعر
فأنهضه التأييد حتى استوى على | أعز بلاد عندهم وهم كثر
لضاية رومى والسلامة ردؤه | وحاجاته حمت وقد قضى الأمر
فطورا بترغيب يسوس وتارة | بترهيب فنتاك يدين له الدهر
وحاول فى أعباب تتميم رشدهم | فتم بتداس له ونما الأجر
ولما أجزنا بالطويخى هيأوا | هداياهم فيها المحجلة الغر
فنفذ حكما عادلا فى فريقهم | بنى حكم من حلمه عنهم ستر
ثمال اليتامى عصمة لأرامل | براحته طى المحارب والنشر
فجاءوا حفاة صاغرين أذلة | ولم يأوهم طود ولم يحمهم وعر
وأدوا حقوق المسلمين فما ونى | غشومهم عنها ولا الصالح البر
مراحل للأملاك أسلافه الألى | لهم بأبى السبطين قد ثبت الفخر
هم نسخوا عز المعازيز بالظبا | وما آدهم نجد بعيد ولا غور
فأحيا أمير المؤمنين سبيلهم | كما كان بل قد فاقهم ذلك الصقر
إمام على الدين الحنيفى قابض | فإرضاؤه ربح وإسخاطه خسر
إمام له فى كل شىء فراسة | هى الحق والعلم اللدنى والسر
إمام فحدث عن شمائله التى | بها انفسحت فى الغرب دولته البكر
هو الحسن المنصور لذ بركابه | وإن غال من أعدائك الهتر والمتر

هو ابن رســـول الله أكـــرم راحم ... إذا ازورت عنـك المعـــايـب والوزر

مـــواكبـــه أخنت على كل خـــائن ... بأغـــبـال فى الآثـام أوثقـه الجـــور

وعـاجـله صـرف الردى وأجـــاحـه ... فلـيس له مـــأوى وليس له وكـــر

فـــهل للسهـــول المـارقيـن إنابة ... وهل فى دنى يثـبت العـرف والبـر

أقـمنا بظهر الشـمس نخرج زرعـهم ... من الغـاب إذا أخفـاه عن علمنا الطمـر

فـعـــادوا ولاذوا بالمدافع رهـبـة ... وهم وزغ غـــدر وفـــعـلهم نـكر

ومنهـم لدى مـولاى قـــدم نســوة ... عجائز والصبيـان والأشيب القحر(١)

وســاقـــوا لأعـتـــاب المؤيد إبـلهم ... نجـــائب أدمـــاها التـطارح والنحـــر

فـأبقى عليــهم والبـقـاء سـجـيـة ... به عـرفت أخـلاقـه البدو والحـضـر

وعـــاقب مـنهم من تولـى ضـــلالة ... ولم يغن فيه الحلم والصفح والوصر(٢)

فـهـذا هو الفـتح المبـين فـحـدثن ... به لأعـداك الـفـتح والنائل الغـــمـر

بمنتـــصف الشـهـــر المعظم أقـــبلت ... فـــواتحـه يتـلو أواخـرهـا اليـســر

مـراحل لا أنـفك أصـبـو لـذكـرها ... وهيـهات لا تجـدى الصـبابة والذكـر

دخـلنـا علـى دار الـكراريـط عنـوة ... ودلنا عـويد المـاء فـانشـرح الصـدر

وسـرنا إلى الدار التى فى بيـاضـهـا ... أقـيمت صـلاة العـيـد واتصل الفطر

وأقـبل مـــولانا الإمـام فـــأشـرقت ... مـــصـلاه والدين المـؤيد والعـصـــر

تمنـى مـــصلـى كل أرض صـــلاته ... وتسـبـيـحـه فيـهـا ومكة والحـجـر

---

(١) فى هامش المطبوع: «القحر: الشيخ الهرم».

(٢) فى هامش المطبوع: «الوصر - بالكسر - العهد والصك الذى يكتب فيه السجلات».

كـمــا تأمل الأفـلاك لو بـسطت له
بذا اليـوم فى مـحــرابه الأنجم الزهر

لتـدرك مـن أقـدامـه لثم أخـمص
مواقـفه أقـدامهـا الفتك والـدسر[1]

ودون من بحـر البــلاغـة مـصـقع
له خطبـة قد زانهـا الوعظ والنتـر[2]

فـبورك من عـيـد سـعـيـد مـقـره
بأرض زعـيـر مـا استـفـيـد به دمـر

وعنه انـفـصـلنا واتصلـنا بكل مــا
يسنى لنا البـشـرى وإن قصـر السيـر

لدار أبـى عــيـــاد ذات مــــزارع
وعـين سـبيـت من تسلى بهـا الفكر

وشــمنا على قـــرب الديار زبيـــدة
أماطت خمار البـين إذا حسن الفسر[3]

تحن إليــهــا النـفس وهى بعــيـدة
فكيف وقـــد أدنى مـقلدها اليـــسـر

وطالع عــنهــا شـــوقنا كـل تلعـــة
وطالع عك والشـوق لاعـجـه جمـر

بـلاد بمولانـا أذيـل أســـــــودهـا
وكـســر ناب البـغى واقـتطع الظفـر

فـقـــامـوا بـحق الله والملك رهـبـة
وســرهم بالنصــر أعلن والجـهــر

ورحنا لتـا ورتـيـست حـول زبيـدة
وشـانئنا أودى به الدحـر[4] والتـبـر

وراض بنا يمن الـبـيــوت سـوابقــا
إليــهــا ولكن مـاء جـيــرانهـا نزر

بدعـــوة مـولانا تفــجـر سـيــبـه
وفى صبرا عنه انفـاى الترب والصخر

فـــآن بـأســـرار الأنـاة نزولـنا
بطالـع كــرمـــاط وأســادنا جـزر

---

(١) فى هامش المطبوع: «الدسر: الطعن والدفع».

(٢) فى هامش المطبوع: «النتر - بالمثناة - تغليظ الكلام وتشديده».

(٣) فى هامش المطبوع: «الفسر: الإبانة وكشف المغطى».

(٤) فى هامش المطبوع: «الدحـر: الطـرد والإبعـاد والدفع». والتـبـر - بالفـتح - الكسـر والإهلاك.

ولوحظ فى تـلقـاء زرض مــخــيم | بأرض بنى خـيـران من شرهـم قفـر
هنالـك ولجـين بـه كل شـيـظهم | من العـسكر الجرار أوحـشه الزأر[1]
وقلـب آجــامــا ودكـــدك ذروة | وكـسـر هامـات تخـامـرها الكبـر
على الفور أدوا واجـب الملك فى مزا | هو الطارف الموجـود والدخر والوفـر
وحـيـث أنخنا بـالكريع جـددوا | فـراهم كـثـيـرا لـم يلم به حـصر
ونافسـهـم فـيـه سـمـاعلـة فـمـا | تأخـر منهم عن أدا واجب شـفـر[2]
مـراتع غـزلان بقـمـقـام نفـز | وفى قيشر قـد زانها النفـز والنفر[3]
بتـادلـة أبقى الإلـه رجـالهـا | مـلاذا لعـان مسـه الكرب والعـسـر
ومـوئل تدبيـر الـصـلاح لصـالح | وتدمـيـر جان فـيـه لم ينفع الزجـر
من بيـن السـواقـى حـذرتـه طلائع | لسـيـدنا من شأنـها الرفق والـصبـر
وفى دار بوزكـرى أقـامت بـراهنا | علـى أنه أعـمـى وفى أذنه وقـر
فـصـحـبـه سـيف الإمـام فلم يقم | له فى ابن عـمـيـر حـديث ولا خبـر
مـغيض فـساد خـيب الله سـعيـهم | مـشالم فـيـهم يعرف الـظلم والختـر
وفى حـلق الاغـلال أدرج منـهم | عـديد وأصـمـتـه العـقـوبة والأسـر
منـازله فى أثنـائهـا كل عـارف | كـبيـر علينا فـاض من عطفـه بحـر
كمـولاى من يكنى أبا الهادى من له | مناقب شـتى ليس يجـمـعـهـا سفـر

---

(١) فى هامش المطبوع: «الشيظم - كحيـدر - الطويل الجسم الفتى من الإبل والخيل والجمع شياظمة، والزأر: كالزئير - صوت الأسد».

(٢) فى هامش المطبوع: «يقال ما بالدار شفرة وشفر وشفر أى أحد».

(٣) فى هامش المطبوع: «نفز الظبى ونفر: شرد».

تلالا بالأنوار وجه ضريحه / له الجاه عند الله أكبر والقدر
ومولاى قطب الواصلين وسيدى / سليمان من يدعوه مثر ومعتر
إغاثته عند الشطيبى كأنها / رماح إلى الغوغاء سددها الجبر
مفاتيح مولانا الإمام حماته / ببرهانهم قد شد للملك الأزر
تبارك من أولاه منهم عناية / بها لعصم خضعان أكنهم وجر[1]
رأينا بنى موسى حيارى أذلة / بدار ابن زيدوح يقودهم القسر
نواكس للأذقان تسأل حلمه / سؤال منيب قد أحاط به البور
فلله ما أعلى وأغلى سماحه / وأقربه من مجرم إثمه عذر
منازل أحيا الله أمن سبيلها / فبالحفظ فيها ينهض الشفع والوتر
أبو عقبة منها قراه مهيأ / به يحمد الترحال والظعن السفر
وفى الدثرة الحسنا بشير حلولنا / بتاستاوت يلقاك من بشره نشر
يخبر أن الفوز يوم مبيتنا / حذاء أبى يعزى وذا السيد الغر
كريم كريم منه كان انتقالنا / لتاملت والقلب جذلان والفكر
فقال إلى المنصور حال اعتباره / زيادة أرباب التقى للعلى جسر
وذا السيد الإبدال رحال سره / يشير لمولانا وأعلامه الخضر
فزار عماد الدين فى الحين قبره / وآب بغيث الله إذ أحجم القطر
وبتنا برأس العين والدجن مطبق / ومعه رذاذ عنه تندفع البغر[2]

(١) فى هامش المطبوع: «الأعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه بياض وسائره أسود وأحمر. والوجر: كالكهف فى الجبل».

(٢) فى هامش المطبوع: «الرذاذ: المطر الضعيف، والبغر - ويحرك - الدفعة الشديدة من المطر».

ورحنـا لكرمـــان رواح مـســـرة بذا الغيث من ينمـو به الضرع والبذر

تخـال فـويق الأرض كـل سـحـابة يسح عـلينا من جـوانبـهـا نهـر

إمـام إذا مـا الليل أرخى جـفـونه جـفـا نومـه قـرآنه الملك الحـبـر

إلى اللـه يدعـو والإجـابة بابهـا له صـار مفـتوحـا ومـفتـاحه الذكـر

على مـلكه أهل العـناية أطبـقـوا وعن ملكه قد عنون الكشف والجـفر

فـبـانت لـنا مـراكـش وربوعـهـا ولاح عليـهـا من سنا نوره فـجـر

وبتـنا عـلى جنـاتهـا بقـرارة ومما سـواه راح آمـالنا صـفـر

ولما بدا وجـه الصـبـاح بـدت لنا رجـال بهم نال المفـاخـر ذا القطر

بدور سـمـاء الأصـفـيـاء بجـاههم تبـين من أعـدائـنا الصـقـر والبـقـر

فسـحقا لهم سحـقا أتى المَلِكُ الذى به تأمـن الدنيـا به سـعـد الدهر

وحل مـحـل العـز فى دار مـلكه فـبـشـرى لنا والحـمـد لـله والشكر

ونظم تلك المراحل ناظم آخر نذكر نظمه لما فيه من الفائدة التاريخية قال:

حـمـدا لمن هيـأنـا للحـركـة بقـوة وصـولة وشـوكـة

نشكـره شكر ضـعـيف عـاجـز ثنـى عنـانه عـن العـجـائز

فـسنحـت له مـراحل السـفـر يعـدهـا فى ذا السـجل المختـصـر

فـقـال والـله يسـدد المقـال وهو حـسـبى فـى مـقـام وانتـقـال

مـراحل السلطان مـولانا الحـسن أكـرم أبنـاء حـسـين وحـسن

وسـائل إلـى صـلاح المسلـمـين بسـيـفـه المشـهـور بالفـتـح المبـين

أرخـت بـدأهـا بـشـكـر بـيـن على مـواهب الإمـام الحـسنى

من دار مكناسة الغراء لبهجة الحواضر الحمراء
أولها المبيت فى سبع العيون وعين عرم وهى للحفظ عيون
وامحصى وأربعاء بهت منازل السعد بهذا الوقت
ثم الخميسات وضاية رومى وأعباب والكل لليمن نمى
كذا الطويجن وتداس وزد إلى المعازيز وأغبال تستفد
ثم لظهر الشمس والكراريط ولعويد الما بحزم ضابط
إلى الدار البيضا أبى عياد لعين سبت منهل الصواد
لطلعك لتورتشت لبيوت لصبرا بالرفق لا بالجبروت
لطالع الكرماط فالله معين وأم زرض ومزا ونجين
إلى الكريع وللقمقام لقيشر ظفرت بالمرام
ثم إلى بين السواقى دمت فى كلاءة الله ولطفه الخفى
لدار بوزكرى لسيدى أبى الـ ـهادى الولى الصالح المقرب
إلى الولى سيدى سليمان إلى الشطيبى يا وزير السلطان
يا ملجأ الأعيان والإخوان يا عمدة الملك أبا عمران
بشراك بشراك بتحصيل الفتوح فهذه أعلام دار ابن زيدوح
ومنها ننهض إلى بوعقبة صحبة مولانا لدار الدشرة
لوادى تاستاوت لسيدى أبى الهادى مفيدى باعز مطلبى
إلى تاملت بقيت عاليا وبمديح البلغاء حاليا
لرأس العين ثم للنخلية لحانوت البقال خير نزلة

ومنهـا سل عطف الرجـال السبعـة	ذوى الكمـال والسنار والرفـعـة
فـمـن هنـا بيـرهم نـرتحل	وتحـت رايـة الإمـام نـدخـل
بحـفظ ربـنا لمراكـشـة	فى ذمـة الأمـان والسـلامـة
فنسـأل الله دوام الـنصـر	لملـك الأمـر إمـام العـصـر
ثم الإيـاب مـعـه لفـاس	بكـرم الشـيخ أبـى العـبـاس

وبمراكش أقـام حفلة عيـد المولد وفق المعـتاد من سلفـه ذوى المفاخر العـلية والمواهب السنية واقتداء بمن سن ذلك من أئمة الإسلام وحملة الشريعة فى المشارق والمغارب.

وذلك وإن لم يكن فى القـرون الثلاثة، وإنما حدث بعـد، فلا ريب أنه من أحسن ما ابتدع وأجمله، إذ كان مصونا مما حذر الشارع منه.

قال الحافظ أبو الخير السخاوى فى فتاويه: عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصـالح فى القرون الثلاثة الماضيـة، وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الإسلام فى سائر الأقطار والمدن الكبار يحتـفلون فى شهر مولده عليه الصلاة السلام بعـمل الولائم النفيـسة ويتصـدقون فى لياليـه بأنواع الصدقـات ويظهرون السرور ويعتنون بإقـامة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كـل فضل عميم. انتهى.

وقـال الشـامى: وأول من أحـدث ذلك من الملوك صـاحب إربل من أرض العراق الملك المظفر أبو سـعيد كو كبـورى، كان يحتفل به احتـفالا هائلا ويصرف عليـه كل سنة ثلاثمائـة ألف دينار، وقد عـد العلماء لـه من المآثر العظيمـة ذلك وغيره، وأثنى عليه جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو شامة شيخ النووى.

قال السيوطى فى حسن المقصد فى عمل المولد: وقد ألف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية تأليفا مجلدا لهذا السلطان فى المولد النبوى سماه التنوير فى مولد البشير النذير، فأجازه بألف دينار وقد طالت مدته فى المملكة إلى أن مات وهو محاصر للإفرنج سنة ثلاثين وستمائة.

وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان: حكى بعض من حضر سماط المظفر يعنى صاحب إربل المذكور فى مولد النبى ﷺ أنه عد فى ذلك خمسة آلاف رأس من الغنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة زبدية وثلاثين ألف صحن حلواء، وكان يحضر عنده فى المجلس أعيان العلماء والصوفية هـ.

وقد ترجم للمظفر ابن خلكان فانظره.

وقد قدمت لحضرة المترجم فى هذا الاحتفال عدة قصائد مولوية من سائر الأقطار المغربية، ومما أنشد منها بين يديه قصيدة العلامة الأديب أبى العلاء إدريس ابن محمد بن إدريس بن الحاج العمراوى ودونك لفظها:

علامة إضمار المحبة لا تخفى ... ونار هوى المحبوب فى القلب لا تطفى

وجيش الصبابات المروع للحشى ... يكر على صبرى فيهزمه زحفا

وكيف أوارى الحب أم أكتم الجوى ... ودمع مآقى العين قد ساجل الوطفا

عريب النقا ماذا لقينا من الضنا ... فهل نرتجى مما عرى بكم كشفا

إذا باكرت من بطن نعمان نسمة ... تجدد للصب المصاب بكم لهفا

وإن لمع البرق اليمانى موهنا ... أثار بأحشائى لذكراكم لهفا

بحق هواكم بالفؤاد ترفقوا ... ورقوا لتهيامى فقد جاوز الوصفا

إذا لم يكن وصل فوعد بزورة ... وإن أنتم لم تسمحوا فابعثوا الطيفا

على أنكم مذ غبتم هجر الكرى ... فما نام طرفي بعدكم لا ولا أغفا

أحبة قلبي هل تعود عهودنا ... وهل تنظرن عيني المحصب والخيفا

وهل أردن ماء العذيب وبارقا ... وتمنحني بالمنحنى أسرتي عطفا

وهل بحمى الجرعاء والجزع أحتمي ... وأنشق بالبطحاء من عالج عرفا

معاهد أحبابي وملء محاجري ... سقاها الحيا الوسمي بالديمة الوطفا

أردد ذكراها وأهتف باسمها ... لعلي بذكراها من الوجد أن أشفا

وهيهات لا يشفي المحب من الأسى ... سوى أن يرى عند الحمى ذلك الإلفا

علامَ أصد النفس معتسفا بها ... ومالي أُرجيها بعلي أو سوفا

فهلا امتطيت العزم مطرحا سوى ... مراقي تدنيني إلى المورد الأصفى

وإن شفائي لو وجدت مساعدا ... سماع حداة العيس ترمي بها عسفا

إلى طيبة تطوى المفاوز لا تني ... تبادر لا تخشى شتاء ولا صيفا

إلى روضة المختار أحمد من به ... تمهد دين الحق واتخذ الأكفا

نبي الهدى المبعوث للناس رحمة ... ومن جعل المجد الصميم له وقفا

ومن لعباد الله أصبح هاديا ... فنالوا به الزلفى وقد أمنوا الخوفا

ويلغ للخلق الرسالة ناصحا ... فلله ما أبدا ولله ما أخفى

وأعلى منار المسلمين بهديه ... وأعمل فيمن ضل عن سبله السيفا

وأوضح دين الحق فاتصلت به ... موارد من يسلك بها يأمن الحتفا

وخص من المولى بكل كرامة ... تجاوزت الأعداد والشبه والكيفا

به ختم الله النبيين منة ... وفضله من بينهم وله استصفا

وقــدم فى الإســراء فــهــو إمــامــهم ... وقـد جعلـوا من خلفه كلـهم صفـا

وفى الحـشر يـأتى الرسل تحت لوائه ... وقد عمـهم من فضله الكنف الأوفى

به أظهـر اللـه الجـمـال جـمـيـعـه ... وأعطى لفـرد الحسن يوسف النصـفا

وأخـدمـه جبـريل فى حـضـرة بهـا ... سـقـاه شـرابا مـن مـبـرته صـرفـا

غـداة ترقى قـاب قـوسـين أو أدنى ... وفى الموقف الأعلى له المجـد قد زفـا

فنال مـناه باجــتــبـــاء ورفــعـــة ... وعـاد قـرير العـين بالقـرب والزلفى

وفى المولد الأسـمى بدت مـعجـزاته ... خـوارق عـادات شفـتنا بهـا الشـفـا

كـإيوان كـسـرى إذ تداعـى بناؤه ... ومـا كان يخـشى من وثاقتـه صرفـا

وتنكـيس أصنام ورجم مـــخـــاتل ... يروم استراق السـمع من جهله خطفا

وغارت عـيون الفرس عند خمـود ما ... لهم مـن وقـود لم يـكن أبدا يطفـــا

ومن قـــبل مـــبـــداه أتتـــنا بشـــائر ... من الجن فى الآذان تقـذفـهـا قـذفـا

إلى أن بدا النور الـذى مـلأ الفـضـا ... فلا شـرق يخفى ما استنار ولا جـوفا

كمـا انجاب عن شمس الهـداية ليلها ... فلمـــا تزل تـبـدو ولمـا يزل يخـــفى

وكم من عـلامـات وكم من كـرامـة ... له مع تـزداد العــصــــور به تلـفى

فـقل للذى يرتـاد حـصـر صـفـاته ... أردت مـحالا يا عـديم الحـجـا كفـا

لو اجـتـمع الأمـــلاك والجن دفـعـة ... كذا الإنس ما استوفوا من أوصافه حرفا

إذا اللـه حـــلاه ونوه باســـمـــه ... فكيف يجـيل الخلق فى وصفـه طرفا

نبى الهـدى المـبـرور دعـوة خـائف ... يمـــد على بعـد لمـعـروفك الكـفـا

غـريب بأرض الغـرب أعيت أمـوره ... وضـاقت مسـاعيـه فناداك واسـتكفى

يناديك والأوجال تضعف صوته ... وحمل اكتساب الوزر قد أثقل الردفا

يروم نهوضا ثم يعجزه الونا ... ويغلب لا يسطيع عن نفسه صرفا

فلب رسول الله صوت مؤمل ... وأسدل على عوراته كرما سجفا

وأول ابنك المنصور بالله عطفة ... يحل بها فوق السماء ولا خوفا

ووال له سعدا وفتحا مؤبدا ... يسوق به للمعتدى الهلك والحتفا

فقد يا رسول الله أعمل جهده ... وما حاد عن نهج الرشاد بلى عفا

وقام بنصر الدين محتسبا به ... يجدد ما استبلى ويوضح ما استعفا

وأسهر فى نيل المكارم طرفه ... وأعطى على الإصلاح مهجته وقفا

فساس وواسى ثم آسى بعدله ... ولان لمن والى وقد جانب العسفا

وشاد بناء ثابت الأسّ بالتقى ... وساد وبالمعروف قد بسط الكفا

وجرد للأعداء ماضى عزمه ... وأسرج مرتادا لنيل العلا طرفا

هو الحسن السامى لأعلى مثابة ... له الحسن والإحسان حازهما وصفا

أنله رضى يكسوه حلة مفخر ... وعزا منيفا شامخا يغلب الكيفا

إلى أن يراه العالمون مجددا ... لسنتك الغراء ماح بها الظلفا

حنانيك للبر العطوف الذى به ... تبدى جبين العدل من بعد ما استخفا

حنانيك للفرع الكريم الذى زكى ... وطابت مزاياه وبالعهد قد وفا

حنانيك للحبر الهمام فلم يزل ... لخرق عداة الحق من جده يرفا

أعنه أعنه يا سلالة هاشم ... ويا خير من والى ومن أكرم الضيفا

وكن ناصرا حزب الإله بسيفه ... وأنزل على أعدائه الخزى والخسفا

ومــثلك من حــامى وواســى وإننا على ثقــة أن يحــرز الحب والعطفـا

ســلام علــى ذلك المقــام مــضــمخ بأطيب طيب عــرفــه يمــلأ الســدفـا

وأزكى صلاة من حــمى القدس يزدهى لها العرش والأملاك تستوعب الصحفا

وللآل والأصــحــاب أوفــى تحيــة ننال بهـــا من ربنا العطف واللــطفـا

ولما دخلت سنة خمس وتسـعين بقى مقـيما بمراكش شـفقة على رعيـته لما دهمها فى تلك السنة من حبس المطر وارتفعت بسـببه الأسعار، وبلغ ثمن المد من القمح بمكنـاس أربعة عشـر مثقـالا، فضج الناس وافتـتنوا وكاد أن يأكل بعـضهم بعضا، وصار المرء يفر من أخيـه وأمه أبيه، ويبيع الوالد ولده، ولا زال إلى الحين الحالى يضرب المثل بتلك السنة لا أعاد الله مثلها على الأنام، ولم تزل الأسعار فى ارتفاع والوباء بالأقطار المغربية فى انتـشار والناس فى شدة واضطرار مدة، ثم تجلى الله سبـحانه لعباده بالعـفو والإفضال، فـاهتزت الأرض وربت وأخذت زخرفـها وازينت.

وفى هذه السنة كـانت وفاة باشا طنجـة القائد الجـلانى بن حم وولى مكانه القائد عبد الصادق الريفى.

وفيه وقع الإذن لصنو المترجم وخليفته بتافـيلالت مولاى رشيد وعميه المولى سليمـان والمولى الحسين بالإتيـان من مقرهم تافيـلالت للديار الغربية بقـصد صلة الرحم مع المترجم وبقـية ذوى رحمهم بطلـب منهم، ولما وصلوا الدمنات صادف الحال إصـابة المترجم بانحراف فـى مزاجه، فأصـدر أوامره المطاعـة لعامل دمنات بإكرام وفـادتهم ونزلهم، والقيـام بشئونهم كـما يجب إلى أن تصـدر لهم الأوامر بالإتيان للحـضرة المولوية، ولما تحـسنت حالة صاحب الـترجمـة الصحيـة أمرهم بالقـدوم لحضـرته بمراكش، ولما مـثلوا بين يديه أظهـر لهم من السـرور بمقدمـهم والارتياح لرؤيتهم ما أوجب غبطة غيرهم لهم.

ولما شفى صاحب الترجمة مما ألم به تبارى الشعراء فى التهنئة والقول، فكان من ذلك قول الفقيه الكاتب الأوحد السيد الحاج إدريس بن إدريس العمراوى:

نهار كما شاء السرور سعيد ... ويمن على مر الدهور جديد
وبشرى به الإسلام أثبت طوده ... وقد كادت الأرجاء منه تميد
وفتح به ازدان الزمان وأهله ... وموسم عز قد تبدى وعيد
وفخر وإسعاد وفضل ونعمة ... تباشر أحرار بها وعبد
به رقصت مراكش وتبخترت ... روى البشر فيها خالد ويزيد
بل الشرق والغرب ازدهى لسرورها ... وهشت لها شاماتها وهنود
فقم وانشرح واطرب وطب فحبورنا ... بإبلال مولانا الإمام يزيد
توارى ولا بأس فطاشت عقولنا ... وكادت نفوس العالمين تبيد
ولازمنا داء السهاد تأسفا ... وحارت مهى فى خدرها وأسود
فلما رأينا غرة المجد أشرقت ... وروى أحاديث الشفاء حميد
تراجع أرواح الورى لمقرها ... تبارك مبدى العالمين معيد
وجالت بنا الجرد الجياد وولولت ... كأن تفاصيل الصهيل نشيد
وقهقه أصوات المدافع فانبرت ... بروق تهنى بالمنى ورعود
وأرسلت الخيل العتاق فساجلت ... مواهب بر ذكرهن عديد
ولائم سعد عظم المجد قدرها ... براحة مولانا الهمام تعود
أحاديث من حل الهنا بشفائه ... بها فاز منسوب وخاب حسود
لدى الحسن المولى المؤيد والذى ... له الفخر ينمى طارف وتليد

إلى ابن هشام ينتمى كل سودد ... كريم على كل الكرام يسود
إمام إذ ما المدلهمة أعضلت ... يفرجها رأى لديه سديد
وإن شحت السحب الغزار بوبلها ... يسيح بيمناه الندى ويجود
وإن ثلمة فى الملك أعوز خرقها ... تداركها عزم له وسعود
وإن ركب القوم السفاه فسيفه ... لقصم رقاب المارقين عتيد
وإن ذكر الأملاك فى السبق للعلا ... أقر له مأمونهم ورشيد
ثبات إذا ما الشامخات تضعضعت ... وباع إذا ضاق النطاق مديد
به رفأ الله الخروق بغربنا ... ولولاه دامت فتنة وحقود
وأسهر طرفا صالحا فى مصالح ... رعاياه منها فى الأمان رقود
أمولاى تهنينا سلامتك التى ... بها الدين والدنيا لهن ركود
نها بها والمشرفية والقنا ... وجرد مداك ضمر وجنود
كذاك سرير الملك والتاج هنئا ... بها رسمت فوق القصور بنود
فدم واغتنم واسلم لأمة أحمد ... فأنت لها كاف كفيل رشيد
وأول أبا عمران موسى بن أحمد ... وزيرك برا لا يزال يفيد
فقد بذل المقدور فى النصح واستوى ... لديه قريب فى الرضا وبعيد
وأعمل فى مرضاتك الجهد قاصدا ... رضا الله فانثالت لديه جدود
فمن رأيك الميمون بالله رأيه ... وليس له فى الصالحات نديد
وقابل عبيداً بالقبول فقد أتى ... بأسلاك در ضمنته قصيد
ودونك مولانا الأمير نفيسة ... عقيلة فكر عيطموس خريد

ترى مهرها عين الرضا وزفافها | إلى حضرة العلياء منك تريد
ولا زلت يا كهف الأنام مهنئا | بعافية طول الزمان تزيد
وألبسك الرحمن حلة صحة | مطارف لا تبلى لهن برود

وقول الفقيه الأديب الكاتب سيدى محمد غريط مهنئا الوزير أبا عمران موسى بن أحمد بشفاء صاحب الترجمة:

بشرى بشرح سلامة المنصور | وسروره بالملك فى المنصور
قرت عيون المسلمين بها كما | قرت بطول حديثه المشهور
ترداده بلسان كل مفوه | أشهى إلى أسماع كل شكور
وبيانه بخطاب أهل وداده | أنكى لكل معاند وغيور
أهلا به أهلا فما أحلاه من | نبإ يمزق قلب كل غرور
لم يدر ألطاف الإله بعبده | فى مظهر المحتوم والمقدور
أو يستكين إلى الصواب ويرعوى | عن فهمه المذموم والمحظور
نبأ به التوحيد أصبح يزدهى | فى العز يرفل فى برود حبور
والكفر أبلس والغواة عذابهم | لمآتم ومنائح وثبور
نبأ جميل الذكر متصل الهنا | بإمامنا بحر الهدى والنور
عن أحفظ الحجاب يروى متنه | بنفائس المنظوم والمنثور
ذاكم أبو عمران أكرم شافع | وأجل ساع فى ادخار أجور
ركن السياسة والرياسة والحيا | طود الأناة وجابر المكسور
ثبت الفؤاد إذا تعاظم حادث | عن حمله قد كل كل صبور

موسى بن أحمد لا عدمنا وجهه ... كالبدر فى شرف السنا المنظور

علامة الوزراء ومأوى المعتفى ... ومحل أمن الخائف المذعور

بشرى له بشرى له بشرى له ... يحظى بظل ردائها المنشور

بحصول عافية الإمام المجتبى ... حسن الشريف الطاهر المبرور

سيف الإله يبيد كل ممخرق ... عاث ويكسر هام كل جسور

فخر السلاطين الذين فخارهم ... فى الغرب فوق فخار كل فخور

لا زال فى مرقى السعود مهنئا ... بكمال برء فى قباب قصور

يتلو الزمان بقاءه وشفاءه ... فى بابه العالى على الجمهور

وقول الفقيه الأديب الحسيب مولاى أحمد الرباطى مهنئا باشا الحضرة الإدريسية عبد الله بن أحمد من قصيدة:

فجر اليقين بأفق العقل قد طلعا ... لولاه غيم سحاب الشك ما انقشعا

والبدر حل حلول السعد فى شرف ... ببرج طالعة الجوزاء إذ سطعا

منه الدرارى استنارت فهى فى فلك الـ ... إجلال تسبح والضياء قد نصعا

وشق جيب الدجى عن الصباح كما ... غنى الهزار بصوت للصبوح دعا

والشمس من غيهب بالحمد قد طلعت ... وأشرقت فى سماء المجد فالتمعا

فالملك عوفى والهناء يومئذ ... وصارم العز هام الطيش قذ قطعا

بشرى بعافية الوجود من خطر ... إذ داؤه بالشفا عزما قد ارتفعا

لولا الأمير لعمر الله ما بزغت ... شمس التهانى ويوم السعد ما تلعا

لولا الأمير وراء الخلق ما خمدت ... نيران خيف ولولا الذعر ما ارتدعا

لولا الأمير لما عاش الضعيف ولا | في الأمن شخص على بساطه اضطجعا
للمال حفظ وللأعراض مع سبل | ظل الرعية من حر الوغى منعا
تعطى الحقوق به قد حال صارمه | بين الورى حده برا من امتنعا
مستوجب صالح الدعاء حق له | من الأنام أليس الخطب قد دفعا
فالله يحفظه من كل مؤلمة | طول الزمان بمن فى خلقه شفعا
فر الفساد من الصلاح منهزما | لولا القنا بيمين الملك ما انقمعا
فأهل شقشقة اللسان دونهم | عضب يمانى وكم من مهجة لسعا
قل للذين بإرجاف الورى اشتغلوا | موتوا بغيظكم فالصبح قد طلعا
عار على المسلمين الخوض فى كذب | يدرى العواقب من فى المؤمنين وعا
فالطود أرسخ شىء فى تمكنه | ما اهتز قط للغوكم ولا استمعا
والليث أظفاره تغنيه فى ظفر | يدهى الذئاب سماعه وإن شسعا
ما صرصر الباز حول الطير فى وطن | إلا انزوت والتوت فى وكرها فزعا
إن الخلافة تنظيم العباد فلا | تحصى لها حكم سبحان من بدعا
حق الهناء فبشرى الغرب من فرح | جاء البشير وإن الحق قد صدعا
سر الزمان وكاد القطر من فرح | يختال زهوا ونال الأمن واتسعا... إلخ

وقول الفقيه الكاتب السيد محمد الصنهاجي من قصيدة:

حى الرفاق وسائق الأظعان | وأنخ بمربع راحة وتهان
واجنح إلى سلمى ويمم حيها | تجد المسرة فى رياض غوان
واليمن يشدو والسرور متوج | والسعد يرقص فى بساط أمان

والمجـــد يرفل فى بـرود بشـــائر يـمنيـــــة مـكلـوءة بمثـــان

والكون يـطرب والهناء مـــعـــانق والعـــز ينصع فى ســمـاء مـعـان

حــول الحـمى تجـــد الأنام مطـيلة أعناقـــهـــا لـتـــفـــوز بالعـــيـــان

فــأزال مـــولانـا هواجس فـكرة بـتــــواتر مـــــأثـور عن أبـان

عن بارع بـبـــراعـــة سكنـت بهـــا لب العـــوالم عن أبى عـــمـــران

يا مصـغيـا أذن السمـاع إلى الهدى أبشـــر بعـــافـيـة الـعلى الشـــان

أضــحى الشـفـاء معـانقـا لأمـيـرنا والبـــسط والأفـــراح فـى الإيوان

وقول الفقيه الأديب مولاى أحمد بن الفقـيه العلامة مولاى العربى البلغيثى يهنئ الباشا عبد الله المذكور ويذكر ولده محمداً خليفته:

طاب الصـــبـــوح بأطيـب اللذات اشـرب زلالا فـــالحـبـيـب مـوات

وأصخ لما يبـدى السـمـاع مـجـاوبا بتـــرنم الألحـــان والـنغــمـــات

باكـر وصل وعد الغـوانى مصـافيـا ودع المزاح مـــواتيـــا لســـقـــاة

دارت كـئـوس الشـرب بين أفـاضل من راحـة الـهـيـفـاء بالحـــضـرات

أنســيــــة حـــضـــرية فـــتـــانة بعـــذوبـة الألفـــاظ والنـفـــثـــات

فكأنـهـــا ظبـى الفـــلاة تجـــفلت والروع يشـرفـهـا مـن الهـضـبـات

جـــارت دلالا والدلال يزيـنهـــا لســـعـت بمـثل أســـاود الحـــيـــات

نفـرت فـــأرخت للبـعـاد عـنانهـا وكـوت فـؤاد الصب بالجـمـرات

ســمـحت بنـظرة وردة فى ســوسن بتـــوسط الـطاســـات والكاســـات

والخـال حـــارسـهـا بلـون حـالك مـــتـيــقظ الأجــفـان والـنظرات

قرب الوصال وأشرقت شمس العلا ... جاءت جنود البشر بالرايات

ملأت مسرتها القلوب وأرسلت ... نبأ السرور يطوف بالجمعات

هذى عوائد سيدى من لطفه ... عادت به الأشياء للغايات

يا قاصدا نلت التهانى والمنى ... ومرابع الآمال والحاجات

يمم وهنئ بيت مجد شامخ ... ومعالم الإحسان والحسنات

وعرين غابات الأسود من أحمد ... فهم الكرام وعترة السادات

واخصص ذرى الشمس المنيرة فى العلا ... عبد الإله ومظهر الآيات

فىء البنود مقيله ووطاؤه ... ظهر الخيول تصول فى الغارات

أسد عزائمه النصال وكيف لا ... وهو الكمى الثبت فى الوثبات

إنسان عين العلم إن ذكاءه ... يبدى العلوم بسرعة وثبات

أقنى لباب العقل حكمة قاصد ... مع فكرة أصفى من المرآت

من خصه المولى ونور سره ... حفت به الأقمار كالهالات

فلتهن يا سيدا ربى فى سودد ... بسلامة المولى من الآفات

سلم الوجود ببرئه وشفائه ... سعد البرى وغيره فى شتات

ملك لمبغضه الجحيم وراثة ... والناصحون فى أفضل الجنات

ملك حوى فضل الملوك جميعها ... ساد الملوك فيما مضى أو ياتى

أوصاف مدح فى الثناء كثيرة ... قصرت عليه بواضح البينات

إن رمت حصر صفاته مستقصيا ... رمت نفاد البحر بالآلات

يا نجد كهف الوقت حبر رياسة ... اهنأ بعز يا سليل ثقات

أنت العريق مجادة ومكانة | نلت السمو لأرفع الدرجات
حسنت سجاياك سمى محمد | ورضعت ثدى العلم فى الحالات
دمتم فى حفظ الله ناصر مالك | قد خصكم بمواهب الخيرات
حق الأمير على الرعايا دعاؤها | فى سائر الركعات والسجدات
تبغى له نصرا وعزا مؤزرا | فى كل آونة من الأوقات
إن الدعاء له علينا لواجب | فى غاية الإخلاص والنيات
فأدم صلاتك للنبى محمد | مصحوبة بنوامى التحيات
والآل والصحب الكرام جميعهم | محفوفة باليمن والبركات

وبعد مقدم الأشراف المذكورين من تافيلالت بأيام قلائل توفى أبو عمران موسى بن أحمد وجيه رجال الدولة وحاجبها وممثل رجال صدارتها، فأسف السلطان لفراقه وحضر جنازته بنفسه، وذهب راجلا فى وسط المشيعين من داره إلى محل مدفنه، بضريح جد الأشراف مولانا على الشريف بباب آيلان، ولما كان المترجم قائما على شفير قبر الفقيد طلب منه عمه المولى سليمان المذكور ترشيح ولد المتوفى أحمد المار الترجمة لوظيف والده رعيا لمكانته المكينة، وألح عليه فى ذلك، فقوبل اقتراحه بالتلبية، وفى عشية اليوم نفسه أمر بعمارة المشور ولما أخذ كل مكانه أمر قائد مشوره بإجلاس أبى عبد الله محمد بن العربى الجامعى بمجلس الصدارة وأخيه أبى عبد الله محمد الصغير بمحل وزارة الحربية وأبى العباس أحمد ابن موسى المتوفى بمحل الحجابة الذى هو محل والده الحقيقى.

فلما بلغ ذلك المولى سليمان المذكور تأثر غاية وأعاد الاقتراح على المترجم فأجابه بأنه عينه فى محل والده طبق ما اقترح عليه، وأجابه إليه، وأنه ما رشح قط

الهالك المذكور للصدارة، وإنما كان تصرفه فيها على وجه الافتيات منه ورعيا لسابقية خدمته مع والده استحيا منه ولم يؤنبه وإلا فرتبة الوالد هى التى رشح لها الولد فزال لمولاى سليمان الإشكال وتحقق صدق المقال.

كما قلد المترجم أيضا أمانة الأمناء المالية للأمين الأكبر أبى عبد الله السيد محمد بن الحاج محمد التازى الرباطى الشهير.

قال صاحب الاستقصا: وفى هذه الأيام استدعى السلطان أيده الله خديمه الأرضى، السيد محمد ابن الحاج محمد التازى الرباطى إلى حضرته العالية بالله بمراكش، فقدم عليه الأمين المذكور وأجل السلطان مقدمه وأسند إليه أمر خراج المغرب ومراسيه ومستفاداتها وما يتبع ذلك من صوائرها، وفوض إليه فى ذلك تفويضا تاما لعلمه بنصحه وأمانته وضبطه، قال: وهذا الرجل من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان، وأشدهم غيرة على الدين والوطن، حتى لو كان فى الدولة عشرة رجال على شاكلته ومذهبه لكان يظن أن يكون لها بذلك النجاح التام، نسأل الله تعالى أن يصلح أمرها، ويشيد بمنه عزها وفخرها. انتهى.

وبقى قائما بأعباء وظيفه بغاية الاجتهاد والسداد مصاحبا للركاب السلطانى حلا وارتحالاً إلى أن اخترمته المنية بفاس فى رمضان عام ١٣٠٧ ودفن بضريح مولاى أحمد الصقلى منها بقرب قبر الأمين السيد محمد بن المدنى بنيس الذى كان قبله، فقلد المترجم بدله أخاه الأصغر الناصح الغيور النزيه الطيب الذكر السيد الحاج عبد السلام بن محمد التازى الرباطى المتقدم الذكر فى ترجمة الوزير الأكبر السيد أحمد بن موسى فسار على سيرة أخيه، مع اقتفاء نهج الجد وتوخيه، والقصد والسداد، والجد والاجتهاد، وشدة الاهتمام بمصالح الإسلام، وفيه يقول الأديب الكبير العلامة الشهير أبو العباس السيد أحمد بن قاسم جسوس:

إن عدت الأمثال كان أجلها	بل نورها وسواه كان الشيحا
ذاك العقول إذا كبت آراؤهم	أضحى العويص برأيه مفتوحا
أس الوقار ومنبع المجد الذى	تلقى مكان الحمد فيه فسيحا



وهى قصيدة من غرر قصائده، ودرر خرائده، هنأ بها خليله الأديب الحيسوبى الميقاتى المؤرخ الشريف مولاى الغازى بن الحسنى الرباطى دفين الإسكندرية مقفله من الحج ١٦ صفر عام ١٣٠٧، وهو والد صديقنا الحميم سيدى المدنى بن الحسنى، وصدرها بقوله بعد الحمدلة والصلاة.

«وبعد: فيقول أحمد بن قاسم جسوس مهنئا الشريف الغطريف الأديب الأريب الفقيه الأوحدى الدراكة اللوذعى أبا القاسم مولانا محمد الغازى بن سيدنا الحسنى الإدريسى اليملحى أعزه الله وأعلى كعبه بزفافه ببنت رأس الأكابر الأفاضل، وجامع أشتات المناقب والفواضل، الأمين الأفخم السيد عبد السلام التازى أبقاه الله وكلاه وذلك بتاريخ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٣:

أبدين من تحت البراقع يوحا ... فملكن شوقا عقلنا والروحا

ورمين عن قوس الحواجب أسهما ... غادرن كل غضنفر مطروحا

وخطون فى جنح الظلام تسترا ... فوشى بهن المسك يفضح ريحا

يبسمن عن حب الغمام يشمن عن ... عين الغزال وقد طوين كشوحا

ويملن تيها عن قدود ميد ... غصن الرياض غدا بها مفضوحا

متلفعات بالشباب يدرن من ... خمر التصابى كأسها المصبوحا

لهفى على ذاك الجمال فإنه ... مذ لاح خلى فى الحشا تبريجا

ويحى على شرخ الشباب أضعته ... إن لم أفز يوما به ممنوحا

فلكم قطعت لأجله أجم الليو ... ث وكم ذرعت من الفجاج الفيحا

ومعى أغر محجل ضمرته ... فتخاله عند السباسب ريحا

متأبطا عضبا على صفحاته ... تبدى المنون دماءها المسفوحا

لا نلتقى إلا قتيل محبة | أو مدنف الأحشاء أو مجروحا
لولا اصطباحى كأس حب محمد | غازى لخلفنى الغرام طريحا
ابن الألى قد أحرزوا النور الذى | أضحى به صدر الهدى مشروحا
الراشدين المرشدين الكاملين الـ | طيبين الطاهرين السوحا
ما انفك باب الفضل حيث ديارهم | للقاصدين فتوحهم مفتوحا
سكنوا من الشرف الرفيع حصونه | وتبوءوا العز المنيع صروحا
يا خير ممدوح وخير محبب | حليت شعرا صار فيك مديحا
أقسمت بالمجد الذى أوتيته | وغدا لهيكله سناؤك روحا
ما جال فكرى فى شمائلك العلا | إلا شممت الورد ينفح ريحا
يا سيدا فاق الكواكب رفعة | والبدر نورا والبحار سموحا
ورث السيادة كابرا عن كابر | عن كابر عن كابر تصريحا
مذ كان طفلا والمعارف دأبه | هل فى سواها شمت منه جنوحا
حتى حواها واستقل بعبئها | فغدا بها وبحبها مريحا
مولاى تبقى فى السرور منعما | ويدوم طيرك بالهناء صدوحا
هاك القريض يمانيا أحكمته | بردا موشى من حلال وجيحا
وزففته بكرا عروبا قدها | يهتز غصنا فى الرياض مروحا
طرقتك فى حلى البديع كأنها | تلك التى وافتك تبهر يوحا

إلى أن قال:

واهنأ بصهر قد سمت آراؤه | وحكى البدور مكانة ووضوحا

إن عدت الأمثال إلخ الأبيات الثلاثة السابقة:

يا ابن الرسول بقيت مخدوم الدنا ... مغبوق كأس بالمنى مصبوحا

وتدوم سباقا لغايات العلا ... لا كان طرفك فى السباق جموحا

وقد عارض بها قصيدة حائية أخرى فى موضوعها لصديقهما الأديب الشهير قاضى الدار البيضاء أبى العباس السيد أحمد الزعيمى الرباطى وهى مذكورة بتمامها فى الاغتباط بأعلام الرباط فى حرف الغين منه، فلا حاجة للإطالة.

وبمراكش أقام المترجم حفلة العيد النبوى الأزهر ووردت على سدته الكريمة عدة قصائد من سائر أدباء دولته، وألقى على مسامعه الكريمة منها بمحضر من ساعده السعد من العلماء والوزراء والكتاب والأعيان بحضور الليلة الغراء التى يحتفل لها الجناب المولوى كل سنة أى احتفال، من تلك القصائد موشح العلامة الأديب إدريس بن محمد بن إدريس ودونك لفظه:

يا حاديا يقطع السباسب ... ينشد طبعا من النسيب

استدم السير فى الغياهب ... لا تخش من حادث مهيب

سق المطايا تلو المزايا ... واطو فيافى البعاد طى

حتى ترى النوق كالحنايا ... وارم بها نحو أرض طى

نعم وحاذر وقع المنايا ... إن جزت حول الحمى بحى

وارع هناك الغر الغرائب ... الصائدات القرم الأريب

بوتر الغنج والحواجب ... تستعبد الأروع النجيب

عرب بتلك البطاح حلوا ... دم المعنى لهم حلال

عن الخنا والخلاف جلوا ... للسعد فى ربعهم مجال

وهجر مضناهم استحلوا ... ولم يخن عهدهم بحال

حازوا منى الصب والرغائب ... مذ جاوروا منزل الحبيب
وانتشر حلا الوجد والغرائب ... وأنشد فؤاد الحب الغريب
وحى عنى ربى المصلى ... والشعب والوادى الظليل
ونور سلع إذا تجلى ... والبرق فى ضوئه كليل
هناك بين الربى تملا ... تستنشق الشامى البليل
معاهد ذكرهن واجب ... على المعنى الفتى اللبيب
إن بان طرف لها وحاجب ... يعتاد قلبى بها وجيب
وإن رأيت المقام الأسعد ... حزت الرضا من منى وسول
مقام خير الورى محمد ... المصطفى الهاشمى الرسول
من بمزايا العلا تفرد ... وغيره ما له وصول
لما تجلى بدت عجائب ... فى حضرة السامع المجيب
نال بها منتهى الرغائب ... وشاهد الحق من قريب
فكان ثم الفرد المنادى ... وجبرئيل له خديم
خلف جبريل ثم زادا ... لمقعد المجتبى الكريم
واستكمل القصد والمرادا ... بفخره الطارف القديم
وهو فى الحشر خير عاقب ... إذا ادلهم اليوم العصيب
تلوذ فيه به عصائب ... عند اشتداد الحر المذيب
إذ يبلغ القلب للحناجير ... إلى علاه يلجا ويصمد
أول ذا الخلق والأواخر ... كل ينادى الغياث أحمد

تنصب للأنبيا منابر ... ثم يقوم المقام الأحمد
وكم تبدت لنا مناقب ... يعجز عن عدها الخطيب
حين تدلت له الكواكب ... بمولد ما لها مغيب
أتت بميلاده البشائر ... بألسن الجن والبشر
قس سطيح سعدى تماضر ... كل له عنده خبر
ينقله البدو للحواضر ... حيث حوت فخره مضر
نشأ فى أشرف المناسب ... من كل فحل نام حسيب
يجاذب المجد كل جانب ... فكل فخر له جنيب
مطلعه أبرك المطالع ... نجم الهدى فيه قد طلع
وقبره أشرف المواضع ... لتربه العرش قد خضع
شنف بأمداحه المسامع ... واتل المزايا التى جمع
ودم على ذكره وواظب ... إن تكن الحاذق الأديب
بلفظه طيب المآدب ... يغنى شذاه عن كل طيب
أنقذنا من هوى المهالك ... من بعد جيل بها هلك
وأوضح السبل والمسالك ... طوبى لعبد بها سلك
لولاه ما انجابت الحوالك ... كلا ولا استجمع الفلك
وله نلجا من النوائب ... إذا التحت عودنا الصليب
فالجأ لمغناه غير هائب ... وقل بلفظ الجانى الكئيب
يا سيد الأنبياء طه ... يا ذا المقام السامى النزيه

فخرك فى الخلق لا يضاهى ... وما له فى العلا شبيه

يا من سما مفخرا وجاها ... أنت الشفيع الرضا الوجيه

يا من به ضاءت المراكب ... وانخذلت دولة الصليب

يا خير ماش وخير راكب ... يا صاحب التاج والقضيب

عبدك بالغرب مد كفا ... لنيلك الزاخر المديد

ودمعه يستهل وكفا ... يرجو الذى يأمل العبيد

لو ساعد البخت جاء زحفا ... يبث شكواه بالوصيد

فكن لعبد حشاه ذائب ... ما بين ليث عدا وذيب

وذنبه أوهن المناكب ... والعفو من فضلكم قريب

واعطف على نجلك المفدى ... بالأهل والمال والبنين

بدر الصلاح الذى تبدى ... فى المنهج الواضح المبين

سار وللقصد ما تعدى ... بهديه المشرق الجبين

وقام فى الدين خير نائب ... ولعلا أمركم منيب

وحاز فى الفضل سهم صائب ... ورأيه فى العدا مصيب

بسيفه شيد المعالى ... وبالهدى والتقى ارتفع

صنو الندى صادق المقال ... فمجده فى السما لمع

جيد رعاياه منه حال ... باليمن وإلا من قد صدع

أحلف بالله غير كاذب ... ولا مقالى بذا غريب

ما فى ملوك الزمان كاسب ... لفخره أو له نصيب

الحسن الهاشمي شهم ينميه للمصطفى هشام
يم ندا كفه خضم قد فاز حام به وسام
وإن بدا للشقاق نجم محاه من بأسه الحسام
كم من مسىء أتاه تائب فوجد الصافح المثيب
وبائس ناوش المصائب بمده اكتال والجريب
فالقرب بالعدل منه رائق والسعد فى أفقه رقا
أدواح خيراته بواسق سقاها منه الذى سقا
والعلم من راحتيه نافق يدعو له الدهر بالبقا
مذهبه أحسن المذاهب ودهره الناعم الخصيب
به لدينا انهلت مواهب عند ذراه السهل الرحيب
أوقاته كلها سعود يحوطها اليمن والسعادة
ولمقاماته صعود تتلى بها الفاتحات عادة
بروق نصر لها رعود على العدا ترة معادة
يقود عند الوغى كتائب ينهدمن وقعها الكثيب
من كل قرم حام مضارب يستعذب الحتف كالضريب
ليوث حرب تحت المغافر عودها فى العدا الظفر
من صادق الطعن وهو سافر تشبهه الأسد إن سفر
وساحب السيف فوق نافر يقول للقرن لا مفر
مشارق الأرض والمغارب عادت لصولاته تنيب

والمارق الخـــارج المحـــارب ... بدم عـــتنونه خـــضـــيب
أعمل فى الصالحات جهده ... وكـــبت الزائغ المريد
ألهم فى المكرمات رشده ... وسار سير الرضى الرشيد
فـأظهـر الله ثم جنده ... ومنك يستـوهب المزيد
فكن له الحـافظ المراقب ... وقلدنه العـضب الخـشب
مـهـد لـه أرفع المراتب ... واحفظه فى القرب والمغيب
عطف عليه القلوب جمعا ... وكن له الناصـر الحـميم
وحام عنه دفعا ونفعا ... وافتح له فتحك العميم
واكس المعادى ذلا ووضعا ... وأوردنـه الردى المليم
واحـرس علاه بكل جانب ... وأره صنعك العـجـيب
أم نـداكـم راج وراغـب ... حاشا لعلياك أن يخيب
مولاى يهنيك ما تسنى ... لسعدك الفائز المتين
وأبشـر بنيل الذى تمنى ... من فضل مولاك كل حين
واسعد بعيد بكم يهنى ... وانعم بذا الجوهر الثمين
روق من وصفكم مشارب ... فـازدان منشوره الذهيب
عارض فى النظم وهو راهب ... ما لابن سهل وابن الخطيب
يا أهل بيت النبى أنتم ... لمدحتى البدء والختام
أفلح كعبى إن قبلتم ... وما على من غلا ملام
طاب شذا مدحكم رطبتم ... عليكم منكم السلام

سـلام ربى عليـه دائب　　مـا اشتاق مـضنى إلى الحـبيب

ومـا لـه من آل وصـاحب　　مـا صـاح فى الروض عـندليب

وفى غرة جـمادى الأولى من عام ستـة وتسعين نهض المتـرجم من مراكش ومر فى طريقـه على قبيلتى الرحـامنة والسراغنة، ولما كان بآيت عـتاب أوقع بهم وأكل زروعهم وقطع منهم واحـداً وعشرين رأسـا جزاء لهم على ما اجتـرموه من الزيغ والعيـث، ثم نهض وسار إلى تادلا فزعـير فـرباط الفتح وأقـام به أياما، ثم ظعن منه مصمما على الزحف لبنى مطير إذ كـانوا سعوا فى الأرض الفساد وعاثوا فى الطرقات بسـلب ونهب المارة وأوقعوا بعـرب دخيسـة وأولاد نصيـر الذين كان أنزلهم المترجم بسايس بدلا من مجاط شر وقـعة، ولما شردوهم عن سايس رجعوا إليه مـجاط الذين رحلهم السلطان منه، فـسار من الرباط على بنى حـسن وزمور الشلح وجروان، ثم نزل ببحـبوحة بنى مطير آكراى والحـاجب وأمر بنى مكيلد أن يزحـفوا إليـهم من ناحـية آكـراى، فـزحفـوا وربطوا عليـهم آيت يوسى، وآيت شغروشن، وآيت عياش، وآيت ولان من جهة الشمال.

كما ربط بإزاء المذكورين القائد العربى بن محمد الشركى - والد الباشا عبد الكريم عامل شراكـة وأولاد جامع سابقا القاطن حينه بفـاس - وبقية من جاء مع المحال السلطانيـة من القبائل الغـربية والحوزية، وأحدق الجـميع بعصـاة بنى مطير فضاق بهم الفضاء المتسع، ولم يجدوا خلاصا ولات حين مناص.

ولما أيقنوا بالـثبـور والبـوار، وأكلت زرعـهم الـرطب واليـابس، وهلكت ضروعهم وجاست الجنود المخزنية التى لا قبل لهم بها ولا طاقة لهم عليها ربوعهم وبارت منهم الحـيل لجـأوا إلى المتـرجم، وتطارحـوا على أبواب رحـابه، وأعلنوا بالإبانة وإخـلاص الطاعة والتـوبة النصوح، وتشـفعـوا واستـجاروا بالصـالحين، وتمسكوا بأذيال الحلم والحنان، والعـفو المولوى، فرق لهم المتـرجم لما وصلوا لهذه

الحالة وعفا عنهم عفو قادر، ووظف عليهم غرامة مالية قدرها مائة وخمسون ألف ريال وخمسمائة مرهون من أعيانهم، وأدوا جميع ذلك والتزموا برد الحقوق والمظالم وإخراج قبيلة مجاط من بين أظهرهم وجعل النزائل لحراسة المارة بين فاس ومكناس، وفى هذه الوقائع يقول الفقيه الأديب مولاى أحمد الرباطى من قصيدة:

صلحت بعزك فى الخروج قبائل	فالحب عادت بينهن طوائل
لما حللت بأرضهم حلت بها الـ	بشرى وفكت للحقود حبائل
كانت منازلهم قبيل خروجكم	قفرا وبعده هن منه أواهل
حقنت دماء الفرقتين بعيد ما	كانت رماحا بينهن وسائل
لعقت دماءهم السيوف ودحرجت	هاما وكرت فى النزال قبائل
شابت بمعترك الوغى شبانهم	لولا الحروب لما صرخن ثواكل
دوخت أرضهم بقصد هنائهم	فتهنأوا حتى المحل الهائل
بعد الشتات جمعت شمل فراقهم	أطفالهم أمنت كذاك أرامل
فالحيف مهزوم حسمت ذراعه	بنصال عدل إذ سطوت تناضل
ما خاب ساع فى المصالح إنه	مشكور سعى بالسعادة آئل
تنبى البداية عن جميل نهاية	وعلى الأواخر قد تدل أوائل
فبسائس نيل المراد بسايس	والحق بان به وغاب الباطل
حصل الأمان على الطريق لفائت	نزلت من النزال فيه نزائل
يا معشر القفال بشرى بالهنا	قد عمرت بالراحلين مراحل
ابن السبيل أهم شىء عنده	فى ظل سيفه قد تنام قوافل

قـيل الملوك إمامنا بيت العـلا الـ | بطل الحـلاحل والـهـزبر البـاسل
كنه الـعـــلاء أبو على حـــبـــذا | من مـــثله ذاك الإمـــام العـــادل
ســـاد الملوك بســـودد من أصله | أصل السـيادة هو الرباب الهـاطل
بدر السعادة حـل فى الجوزاء قد | سعـدت ببرجه فى السـماء منازل

إلخ إلخ.

وعقب ذلك أصاب المحلة وباء عظيم أوجب تعـجيل نهوض المترجم عنهم، ودخل عاصمة سلفه مكناسة الزيتـون أواخر رجب من السنة سالما معافا، وبعد أن أقام بها شهـراً عزل باشاها القائد إدريس بن المدعو خنيـشش، وولى مكانه الباشا حم بن الجيلانى، ثم بعـد ذلك نهض لفاس وبها بلغه موت رئيس مـشوره القائد محمد بن بعيش ودفنه بضريح أبى حفص عمرو الحصينى طبق ما طلب من جلالته عند وداع جنابه بمكناس، وولى مكانه رياسة المشور خليفة المتوفى إدريس بن العلام وعين له خليفـة ولد المتوفى القائد إدريس بن يعيش، الذى كان عـاملا قبل بمدينة وجدة، ثم ثغـر تطوان، ثم ولى رياسـة المشور أيام السلطان السـابق مولانا عـبد العزيز.

وفى عام سـبعة وتسعـين ومائتين وألف وجه عـمه مولاى الأمين بن عـبد الرحمن بن هشـام فى كتيبـة عظيمة من الجند لاسـتخلاص المرتب وتسكين الفتن المتقدة بقبيلة قلعية، ورأس على تلك المحلة القائد حم بن القائد محمد بن الحسين البخارى، وعـين الطالب المنجم السيد محمـد بن أبى سلهام الخلطى ميقـاتيا بها، ووجه حركـة أخرى لقبيلة مسـتارة لتسكين الروعة التى قـامت بها والضرب على أيدى الناهبين وقطاع الطريق على المارة لوزان ونواحيه والمضـيقين بأهلها وانتشرت بعوثه وسراياه فى الجبال البربرية لأخذ الجـباية المخزنية والأعشار المترتبة فى الذمم،

إلى أن بلغت إلى آيت يزدك من برابرة الصحراء، فسمع الكل وأطاع وأدى ما لزمه إلا ما كان من آيت حلى فريق من آيت يوسى، فإنهم رفضوا طاعة عاملهم وامتنعوا من أداء الموظف عليهم، فأوقعت بهم الجيوش المخزنية وقعة شنعاء وقطعوا منهم رءوسًا عديدة علقت على أسواق فاس، إرهابا للعصاة أمثالهم، وزجرا لهم عن العود لخلع رداء الطاعة.

وقبضوا على عديد من المساجين وأتوا بهم للجلالة السلطانية بفاس، وأودعوا ببطون سجونها ولم يسعهم غير الإذعان والرضوخ للطاعة، فقبل المترجم توبتهم وأمن روعتهم، وألزمهم ولاية عاملهم الذى سلخوا ربقة طاعته من أعناقهم، وذلك أواخر صفر من السنة.

وفى هذا التاريخ أوقع القبض على عامل الغرب أبى عبد الله محمد بن عودة وولى مكانه ابن عمه القائد بوسلهام بن المصطفى المدعو الرموش، وأقام حفلة عيد المولد النبوى بفاس.

وفى أوائل محرم فاتح سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف بارح المترجم فاسا وأقام بمكناسة الزيتون ستة أشهر كملا، عزل فى خلالها محتسبها السيد المختار بادو، وولى مكانه الحاج محمد أجانا، واحتفل لعيد المولد النبوى وليلته احتفالات عظيمة، ومد منوعات موائد الإنعام الشاملة للخاص والعام، وقدمت لجلالته عدة قصائد مولوية من سائر أدباء رعيته الشريفة، وسرد منها أمامه بمحفل غاص بالعلماء والأشراف والأعيان ووجهاء الوفود الغربية والحوزية.

فمما شنفت به الأسماع قصيدة الفقيه الأديب الكاتب أبى محمد عبد الواحد بن المواز ودونك لفظها.

شدت سحرا ورقاء شدو تغرد ... فأحيت شجا وجدى وأفنت تجلدى

فبالله يا ورقاء مالك رعتنى ... وأكمدتنى من شجوك المتردد

بكيت بلا دمع فأبكيت دامعا ... ونحت على ورد فجرعت مورد

لئن كان ما بى فى الهوى بك مثله ... فعودى فلم ينكر شجاك وغرد

وإن نحت شوقا للمغانى فإننى ... أنوح اشتياقا للحبيب محمد

سلكت الهوى برا وخضته لجة ... وجبته مكارم الحشا جوب متئد

فألفيت أن المحرز النجح من قفا ... سبيل هوى الفرد النبى الممجد

إليك رسول الله ثارت صبابتى ... فهل عطفة تشفى بها قلب مكمد

فما كنت أدرى ما الغرام وما الهوى ... إلى أن ثوى قلبى غرام محمد

ففك حبيب الله أسر عبيدكم ... عشيق بأغلال الغرام مقيد

يحن إليكم كى يفوز بمطلب ... ويصبو إليكم صبوة المتفقد

شجيا غدا مضنى الفؤاد بحبكم ... يبيت بجفن من هواك مسهد

إليك صفى الله سقت وسائلى ... فجدلى بفضل من نداك مؤبد

لقد صار لى طبعا هواك وشيعة ... وحسبى به زادا وخير تزود

وإنى وقد أرقاك ربك رتبة ... تعالت فلن تعطى لرسل وهجد

فأنت رسول الله أكرم من مشى ... على الأرض فى بيد وغور وأنجد

نبى هدى للعالمين ورحمة ... فلولاه لن يهدى من الغى مهتد

بهيبته إيوان كسرى تصدعت ... ودر له ثدى فلم يتخدد

وأشرقت الأقطار ليل ولاده ... وفاح شذا فيها شجا كل أمجد

وسرت بها فيها الملائكة العلا ... وهز له العرش ازدهاء بمولد

ولاحت له فيها براهن فضله ... وبات بها باب السما غير موصد

بها فخرت كل الليالى وقد غدا ... بها شهرها بين الشهور كعسجد

على طه خير الأنبياء محمد ... صلاة بها ننجو من الهول فى غد

بدا فمحا رسم الضلالة بالهدى ... كمحو الدياجى بالسنا المتوقد

هو الأصل فى خلق العوالم كلها ... فلولاه لم تذرأ جميعا وتوجد

فمن نوره قد كان كل مكون ... ومنه تجلى كل نور ممدد

تخصص بالمجد الأثيل وبالعلا ... على شرف محض طريف ومتلد

وكيف من المولى ارتضاه حبيبه ... تناهى حلاه عن فصيح ومنشد

له حجج ما نالها قبل مرسل ... على معجزات أعجزت كل ملحد

حباه إله العرش حوضا وكوثرا ... وشق له البدر المنير بمشهد

وأيده من محض فضله بالصبا ... فكان الصبا يصبو على وفق أحمد

وأسرى به فوق البراق أمينه ... وأدناه والمحبوب غير مبعد

فنال مقاما لا يطاول شأوه ... جلالا وتقديسا على رغم حسد

وأعطاه نصرا باهرا وشجاعة ... فكان يرى فحل العداة كخفدد(1)

بعضب معد للكفاح مصمم ... فويل العدا ياويلهم أن يجرد

وأتحفه دون الورى بشمائل ... كروض بهيجات أزاهره ند

وآتاه خلقا يخجل الشمس نوره ... متى ظفرت عين برؤياه تجمد

---

(1) فى هامش المطبوع: «على وزن هدهد الخفاش كخفدود على وزن بهلول».

وأعطاه في يوم المعاد شفاعة ... تعم ذوى الإسلام جمعا لمفرد

وأنزل قرآنا عليه مفصلا ... أصار جميع الملحدين كجلمد

وأعجز منه الإنس والجن آية ... فيا حسرة العاصى وبشرى لمرشد

وحن إليه الجذع واستأنست به ... ضباب الموامى[1] والوحوش بفدفد

ووافت له الأشجار تسعى كما جرى ... بكفه ماء قد روى اللجب الصد

وقد هز عزما حيث لاقى عكاشة ... فعاد لديه كالصقيل المهند

وقد منح البئر الأجاج عذوبة ... بتفلته حتى حلا كالمقند[2]

وقد ظللته من ذكاء غمامة ... وفك بعيراً منه رام ليفتدى

ورد بفضل الله عين قتادة ... وعافى عليا من قذى به مرمد

وياعجبا فى كفه سبح الحصا ... كذاك طعام منه سبح فى اليد

وأمته قد أخرجت خير أمة ... ويلزم فضل المقتدى فضل مقتد

وأخبره عن سمه عند أكله ... ذراع فلم تستقص آى محمد

عليه صلاة الله ما هام مغرم ... بحبه من غير اصطبار موطد

ومنه الرضا عن آله الغر من سمت ... لهم قدم فى كل فضل منضد

ومن زهرت فى المكرمات مناقب ... لهم مثل روض بالأزاهر أملد

ومن حبهم فرض على كل مؤمن ... وبغضهم يفضى لجمر موقد

---

(١) فى هامش المطبوع: «المومات: المفازة الواسعة والجمع موام».

(٢) فى هامش المطبوع: «القند والقندة - بالفتح فيهما - والقنديد: بالكسر، عسل قصب السكر إذا جمد جمودا، معرب. ويقال: سويق مقند كمعظم ومقنود ومقندى، إذا كان معمولا بالقنديد، هـ. تاج بخ، ومن تواريخ المشرق: كتاب القند فى علماء سمرقند».

هم نسل زهراء ليوم قيامة ... مآثرهم إن رمتها لم تعدد

بهم تنجلى العاهات عن متوسل ... بهم وبهم يدنو المنى إن يبعد

بجاههم تجرى الأمانى لآمل ... بهم ينفرى حبل العويص المصفد

ولا يتهم فى الأرض أمن لأهلها ... وهم فى الورى جبر لكل مخصد

مفاخر آل البيت بحر تزاخرت ... به لجج أن تغترف منه يزدد

ولكنها زينت بفخر إمامنا ... فنال كمالا فى كمال مسرمد

حبانا إياه الله فضلا ونعمة ... فتهنا به فى ظل أمن ممدد

سما حيث لم يدرك فلولا سعوده ... حسبته كيوانا إذا يترصد

بدا نيرا فى الأرض كالنوء شأنه ... هدى وندى فاستمطرن منه واهتدى

به شرفت مرقى المعالى كأنه ... لجسم المعالى مهجة لم تبدد

لئن كان من قبل الملوك تقدمت ... فلم يقس العضب السليل بمغمد

فاقرر به جفنيك طلعة كامل ... بأردية البأواء والفخر مرتد

لسيدنا حلم لوانه للصبا ... لماهر أوراقا لاقنان غرقد

ومجد وملك أحرز عن وراثة ... على نسب صرد[1] ورأى مسدد

وجود كما صوب الحيا وأناءة ... وهيبة ضرغام وتنجيز موعد

وبأس فلم تظفر به شهب السما ... وعلم كبحر بالمعارف مزبد

وخلق كما نشر الكبا وشجاعة ... بحومة حرب لم تكن عند فرهد

---

(١) فى هامش المطبوع: «الصرد: الخالص من كل شىء، يقال: أحبك حبا صردا، أى خالصا. وشراب صرد، وسقاه الخمر صردا، أى: صرفا».

وخلق لـو ان البــدر قــابل نوره ... كساه شجون من شجى وتحقد

هو القطب لـولا أنه كـان مفـردا ... بلا شبـه مـا خلتـه غيـر فـرقـد

فـالمم بمولانا الرضى الحسن الحـلا ... تنل خيـر مـأمـول وتحظ وتسعـد

لكم زان قـدر الليل مـيلاد جـده ... بإظهــار تعـظيم له مـتـعـود

بإنشــاد أمـداح ووفــر ولائم ... وبذل عطيـات وحـسن تهـجـد

وإسـراج أنوار وتطيـيب محـفل ... وجـمع حـمـاظ فضـلهم لم ينـدد

فـلا زال مـزدانا به فـضل مـولد ... وزال مـحـفـوفـا بنصـر مـؤيد

أسـيـدنا مــالى بمدحك مـغـرم ... فـصـار أنيسى إذ أروح وأغـتـدى

مــتى راش ذهـنى مطردا لمدائح ... أرى هدفـا ذلـك الجناب لمطرد

وفـيكم ترى الأمـداح فخـرا لمادح ... وفى غيركم كـالغنج فى عين أرمد

أسـيـدنا هذى عـقـود نظمـتـهـا ... ونضدتهـا كالدر فى سلك عسـجد

ولو لم تفق فى ذاتهـا فلقـد زهت ... بمضـمونـهـا زهو النديـم بصرخـد

وفى نظـم آيات الرسـول تواصل ... لخـيـر وتنـفـيس وسـلوى لأنكد

به نســأل الله الـنجــاة ونـرتجى ... بجـاهه فـتـحا للـوصيـد المشـدد

وحـفظا وتيـسـيـرا وتفـريج كـربة ... وسـترا عـمـيـما لم يزل يـتجـدد

وتأييـد نصـر الله والفـتح والعـلا ... لسـيـدنا الشـهم الإمـام المصـمـد

وبالمصطـفى كم سـاكنـات من المنا ... تحــركن لولا جــاهه لم تـنود

فـيا خـيـر خلق الله عطفـا لناظم ... فــرائد آيـات لكم مــتــودد

ومـدحى لم أحسـبه غـير زبرجـد ... مـعـاد ومـردود لبـحـر

كما لم أخل نظمى مديحا لأحمد ... ولكنما الممدوح نظمى بأحمد

عليه صلاة الله ما ساق سائق ... إليه ركابا فى فلاة وأوهد

صلاة بلا حصر نؤمل فضلها ... لدى يوم هول رائع وتهدد

صلاة تعم الصحب ما قال منشد ... شدت سحراً ورقاء شذ وتغرد

وقصيدة العلامة الأديب الشريف سيدى الفاطمى بن الحسين الصقلى ولفظها:

ضحك الربيع بمبسم النوار ... إذ هنأته بوارق الأنوار

وأتى النسيم مجررا أذياله ... تيها يدوس عمائم الأشجار

ويجيبه مسك النوافج عله ... قد ضاع بين كمائم الأزهار

والنهر يجرى كالمدام بمفصل الـ ... أغصان فهى تميس من إسكار

والورق تشدو والهزار بعوده ... يشجى بما يلهيك عن أوتار

والعندليب مجود ألحانه ... غنَّى فأغنانا عن المزمار

والدوح ترقص فى غلائل أطلس ... طربا بلحن مصوت الأطيار

والغور قد بثت زرابى نبته ... والنجد أسدل سندس الأستار

وأتت ندامى كالنجوم وجوههم ... تبدى السبيل إذا خفى عن سار

من غض ورد كالخدود ملاحة ... والمسك فى تفتيقه المعطار

وشقيقه من فى صفيحة خده ... حسنات حسن قد بدت للقارى

وقريبة النسرين ذى العرف الذى ... تسرى به النسمات فى الأغوار

أو نرجس كضعيف جفن فاتر ... يرنو بمقلة فاتن سحار

وطرى ريحـــان يريك حـواجـبـا — مـــثل القـــسى فى رقـــة الأوتار

وبنفـــسج يـاقـوتـى يحكى عـــذا — را باقـــلا عن مـخـــجل الأقـمـــار

أو أقـــحـــوان مـثـل ثغـــر باسم — عن لمـع برق خـــاطف الأبصـــار

وقـــضـيب بان مـــثل قـــد أهيف — مـــتـــمــــايد بتـــدلل ووقـــار

أو ياسـمـين قـد تدلت من سـمـا — ء زبرجـــد كـــالشــــهب للأنـظار

يحـكى تدلـيـــهـــا تدلـى أنجم — زهر بمـولد أحـــمـــد المخـــتـــار

خـيـر الوجـود وعـلة الإيجـاد من — لولاه كـــان الكون فى إضـــمـــار

أصل الخليــقـة أسـهـا ولبــابهـا — سـر الحـقـيـقـــة مـعـدن الأسـرار

قـوت القلوب وريها ونـعـيـمهـا الـ — ـــنـــامـى أبـــو الأرواح والأنـــوار

لله مـــا قــــد حـــاز يوم ولاده — فـــخـــرا على الأيام والأعـــصـــار

يزرى بـليلة قـــدرهـا وعـــروبة — والفـطر والأضــــحـى بلا إنـكار

صبح به قد أصبـحت شمس الهدى — فى سـعـدها والصبح فـى الأسفـار

أعظم بتلك صـبـيحـة الاثنين قـد — جـــــاءت بقـطب دوائـر الأدوار

يوم تتـابـعت البـشـارة فـيـه من — جن وجـلمـــود ومن أحـــبـــار

يوم بـلـيلتـــه يخـــفف ربـنا — عن ســاكن النيـــران حـــر الـنار

يوم به نـيـران فـــارس أطفـــئت — وعـــيـــونـهم تشكى لـهـيب أوار

يوم به الإيـوان منصـــدع كـصـــد — ع ضــــلالـة الجـهــــال والكـفـــار

يوم بدا نـور أضـــاء له قـــصـــو — ر الشـــام قـبل تـبلج الأســـحـــار

يوم به روض الجنان مـــزخـــرف — مـــتـــدفق الأنوار كـــالأنهـــار

يوم به ابتهجت سرورا وازدهت ... من بالجنان من الدمى الأبكار
وتمايدت وتمايلت وتزينت ... من كل حسن جل عن مقدار
يوم به طرب العوالم زائد ... كالحزن من أهل العمى الفجار
يوم به الإسلام أسس بالتقى ... والكفر عاد على شفا منهار
يوم به نور الرسالة مشرق ... يسرى فيكسو جملة الأقطار
يوم وما أدراك ما يوم غدا ... بدرا بحالك أزمن الأغيار
كشف الزمان غياهبا من حجبه ... عن وجه أحمد صفوة الأبرار
خير الورى عالى الذرى من سرى ... تحت الدياجى للمليك البارى
ذو المعجزات الباهرات لحافظ ... ولسامع ولناظر نظار
ما إن يحيط بعدها نظم ولا ... نثر وكيف العد للأمطار
ما من خوارق عادة للأنبيا ... إلا وقد عدت لرب الغار
لكنها ذهبت سريعا غير ما ... لمحمد فى الذكر والآثار
أما القديم فحفظه من ربه ... وكذا الحديث بناقدى الأخبار
فهما على مر الزمان ومده ... غضان ما سئما على التكرار
وهما أمان للعباد وللبلا ... د كأهله الشرفا ذوى الأقدار
من هم نجوم يهتدى بسناهم ... من ضل فى محلولك الأغمار
هم مطلب وذخائر وتعزز ... للمبتغى والمجتدى والجار
لا سيما بيت الملوك ذوى العلا ... من هم ذكا الإعصار والأمصار
السادة الأسد البهاليل الذيـ ... ـن علوا من العليا على الأكوار

وخصوصا المخصوص بالتبجيل من ... بين الملوك سلالة الأطهار

فخر الملوك وتاجهم وسراجهم ... شمس القصور فريدة التقصار

ذو الجاه والقدر العَلِيّ أبو على ... حامى حمى الإسلام من غدار

حسن كأخلاق تناهت وازدهت ... بمحاسن الإيراد والإصدار

ملك به تاج الخلافة مشرق ... فى المشرقين ككوكب سيار

ملك له كل الملوك رعية ... كسرى وقيصر من عبيد الدار

ملك تلفع بالمجادة واحتبى ... فى برد عز معلم بفخار

ملك له همم سمت فصغيرها ... يستنزل النسرين باستصغار

ملك تهاب يمينه أسد الشرا ... ويساره يسر من الإعسار

ملك له فضل وإفضال على ... ذى الملك والدنيا وذى الإقتار

ملك له حلم وعدل واسع ... وسياسة تغنى عن الأنصار

ملك له علم وفهم ثاقب ... فى المدلهم غدا كزند وارى

ملك لرفع الدين منتصب كما ... خفض الضلال بجارح بتار

أحيا رسوما للحنيفة بعد ما ... أقوت فعادت بعد فى إكبار

وأقام منها قاصدا سبل الرِّضَا ... ما أنقضت بغيا يد الأشرار

فى كل حين للشعائر مظهر ... كالمولد النبوى ذى الأخطار

فله بأزمنه احتفال واحتفا ... من سرد سيرة سيد الأطهار

وقراءة لحديث مولد أحمد ... وسماع ما فيه من الأشعار

وحباء مادح جده ولقارئى ... ولمن يحل بذلك المضمار

بل للرعـية كـفـه مبـسـوطة بغـمـام تـبـر وابل مـدرار

هذا ولا عـجب فـإن بنى الـنبى أولى بـهـذا القـرب والإيثـار

يا سـيـدا يهنيك مـولد جـدكم خـيـر البـرايا سـيـد الأخيـار

دم صـاعـدا بسـعـيـد برجك آمنا ومـسـاعـدا من سـابق الأقـدار

واسلم ولج بحصين حـصن حماية ترعـى بعـين عنـاية السـتـار

ولتـبق فـى عـز ويمن فـاتحـا بالنـصـر باب الـنجح والإيسـار

ولتـرق فى أوج السـعـادة بالقبـو ل ممكنـا من مـغـنم الأعـمـار

ولتـمش فى طول البلاد وعـرضهـا بسـلامـة فى السـهل والأوعـار

وافـتح بعزمك كـل حصن شـاسع مـتـمنـع بالهـند والأنبـار

واجلب برجلك والجـيـاد فمـا ترى إلا افـتـتـاحـا نعم عـقـبى الدار

فـالله حـافظكم وناصـر عـدكم وعـديدكم فى الجـهـر والإسـرار

بأبـيكـم من صـار يـوم ولاده عـيـدا يعـود بكل خـيـر طار

صلى عليـه الله مـا جـاء الربيـ ـع مـحـركـا لسـواكن التـذكـار

وعلى الكرم ذوى العـلا أهل العبـا والصـحب أربـاب الندى الأحـرار

مـا جـاء قـمـرى الريـاض مـهنئـا لربيـعـه بالـهـامـع الثـرثار

أو مـا استـفاضت فى الأنام بشـارة بـولادة الـفـلـك الـعـلـى الـدوار

أو مـا أتت هيـفاء فى حلل الـبهـا تهنـى السـيـادة فى يـدى بشـار

أو مـا أتى نـشـر المدائح كـامـلا فى كـامل فى كـامـل الأطوار

أو مـا غـدا المولود مـولـد جـده مـتكامـل الأفـراح والأوطار

ثم نهض منها ووجهته مراكش، فمر فى طريقه على قبيلة زمور الشلح، فرباط الفتح، فزعير، وأدركه عيد الفطر بالمحل المعروف بصخرة الدجاجة من بلاد تادلا، وهنالك أقام سنة عيد الفطر طبق العوائد الملكية، ومن ثم سار لبلاد السراغنة، ثم الرحامنة، ثم مراكش.

وفى هذه الحركة وهى السابعة لبى داعى مولاه الفقيه أبو عبد الله محمد الصفار التطوانى وزير الشكاية، وولى مكانه العلامة أبو الحسن على المسفيوى، وبعد أن استراح المترجم بالحضرة المراكشية وجه من ألقى القبض على القائد انفلوس الحيحى وانفلوس لقبه - ومعناه بالسوسية الرئيس - وهو القائد أحمد النكنافى الحيحى الشهير الذكر، وبمراكش أقام سنة عيد الأضحى.

وفى رمضان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف نهض من مراكش ووجهته قطر سوس الأقصى، حيث إن الإصبان تشوف لتملك بعض المراسى السوسية منذ انعقاد الهدنة الواقعة عقب حادثة تطوان الآتى شرحها بحول الله، وزعموا أن تلك الناحية لا تنفذ فيها الأوامر المخزنية ولا تعترف بأنها من الإيالة[1] السلطانية، وأشاع ذلك وأذاعه، ثم بعد ذلك طلب من المترجم الإذن له فى البناء ببعض تلك الشواطئ نظراً لما ذكرنا من إشاعاته، ولما لم يجب لذلك هَمّ بالخروج لتلك الناحية، فعند ذلك عزم المترجم على التوجه لذلك القطر وحسم مادة أطماع الطامعين بفتح مرسى بوادى نول بالمحل المسمى آساكا، بأرض قبيلتى تكنة وآيت باعمران.

ولا سيما عندما بلغه أن ذلك الجنس فتح مع أولئك البسطاء أبواب البيع والابتياع، وصارت مراكبه الحربية والتجارية تكثر التردد لتلك النواحى وتستهوى أصحابها بالتجارة والأرباح الزائدة وتستفزهم ذلك.

ولما طرق سمع القواد ورؤساء الأجناد والقبائل ما همَّ به المترجم من الحركة للقطر السوسى، طلبوا لقيه والمثول بين يديه، فلبى طلبهم ولما مثلوا بين يديه قرروا له ما يعانيه أهل ذلك القطر من الشدة والاضطرار والفاقة وتفاحش الغلاء والقحط

---

(١) الإيالة: الوادى. وقطعة من أرض الدولة يحكمها وال من قبل السلطان.

الواقع بتلك النواحى، وشرحوا له الأضرار التى تلحق الجيوش، والأخطار التى ترتكبه فى هذا السفر، والتزموا بأداء ما يستفيده بيت المال فى هذه الحركة من أموالهم الخاصة بهم والخالصة لهم.

ولما استوعب كلامهم شرح لهم الباعث المهم الداعى لهذه الحركة، فعلموا أن لات حين مناص، وأجابوه لما أراد، وقاموا على ساق فى الأخذ بالأحوط والاستعداد، وأصدر المترجم أوامره لقبائل دكالة وتامسنا بحمل القمح والشعير والتبن إلى مرسى الجديدة، ومرسى الدار البيضاء، ليحمل منهما فى المراكب إلى ساحل السوس الأقصى بقصد إرفاق الجيش وإعانته.

وبعد ذلك نهض من مراكش فى جيوش جرارة تتلاطم أمواج أبطالها، وخلف وراءه صدر الوزارة أبا عبد الله بن العربى الجامعى لما ألم به من المرض الشديد، وعين فى محله العلامة السيد محمد الصنهاجى إلى أن أبل، ولحق به لوادى نون.

وكانت مبارحة المترجم للحضرة المراكشية فى يوم الاثنين الحادى عشر من رجب من السنة موافق سابع عشر ماى وخيم بعدوة وادى نفيس بمشرع العناية، وكان زمن السير أربع ساعات، ثم نهض من علوة وادى نفيس وخيم بنزالة المزوضى - نسبة إلى مزوضة قبيلة بينها وبين مراكش مرحلتان - وكان زمن السير خمس سوائع ونصف، ومن نزالة المزوضى إلى وادى شيشاوة ومدة السير ثلاث ساعات، وأقام هنالك يوم الخميس ونهض يوم الجمعة من ششاوة، وخيم بسيدى المختار، وكانت مدة السير أربع سوائع وخمس عشرة دقيقة، ثم منه لعين اماست، ومدة السير ثلاث سوائع، ومدة السير ثلاث سوائع ونصف، ومنها إلى وادى بوريقى بقبائل حاحة حيث بويع السلطان المترجم يوم وفاة والده، ومدة السير أربع سوائع وأقام هنالك يوما.

ومن الغد وهو يوم الأربعاء عشرى رجب نهض من بوريقى وخيم بدار انفلس بظهر اذاوخلف، ومدة السير ثلاث سوائع ونصف ومنها إلى اذاوكلون

باركن - وهى قبيلة عظيمة بحاحة - ومدة السير ست ساعات وخمس عشرة دقيقة.

وخيم هنالك ثلاثة أيام، وفى يوم الاثنين خامس عشرى رجب المذكور، نهض من اذاوكلون إلى وادى بنى تامر ومدة السير تسع ساعات، ومنه إلى تمرغت، ومدة السير سبع ساعات، وأقام هنالك ثلاثة أيام، ومن تمرغت إلى آجدير ببير ارمى، ومدة السير ساعتان ونصف، ومن مرسى آكديرالى أربعا مسكينة، ومدة السير ساعتان ونصف، ومنها إلى اثنين أولاد تيمة بهوارة، ومدة السير أربع ساعات، وهوارة عرب مجاورون لمدينة تارودانت، ولهم اثنا عشر قبيلة، ومنه إلى البعزير فالمفش ومدة السير ثلاث ساعات، ومنه إلى الأحدب بالاقلالشة، ومدة السير ثلاث سوائع، ومنه إلى مدينة رودانة بمحل صلاة العيد، ومدة السير ساعة ونصف وأقام هنالك ثمانية أيام، ومنها إلى البراكيك وآيت عبد الله ومدة السير ساعتان وخمس عشرة دقيقة، ومن ثم إلى أم الجريد وبها منازل اذاومنو.

ثم التجأ بجناب المترجم إخوان الحاج منو السجين وقدموا الذبائح وفق عوائدهم الجارية عندهم فى الاستشفاع إذا عن لهم أمر مهم، وطلبوا المن على أخيهم بالفكاك من العقال فواعدهم بتسريحه بمجرد إيابه ووفى بوعده، وكانت مدة السير ثلاث سوائع ونصف، واذاومنو قبيلة بهوارة إلى تمام هوارة مجاورة لقبائل هشتوكة، وبها مدرسة للقراءات السبع، ومنها إلى بيكرن باذاو محمد ومدة السير أربع ساعات وخمس عشرة دقيقة وأبى كرا هذا - وهو بالسوسية جماعة الضفادع وواحدها اكرو - موضع قبيلة ذوى محمد بهشتوكة، وبإزائه مدرسة للعلم، وهى بمنزلة فاس عند أهل سوس فى المنقول والمعقول، وبها بئر عذب ماؤها بخلاف آبار القبائل الهشتوكية فإن ماءها ملح أجاج.

ومن المعلوم عندهم أن كل من شرب من مائها أى هذه البئر تنور قلبه وحذق ذهنه وصار حافظا للعلوم، وبهذه المدرسة كان يدرس علامة زمانه المشهور الشيخ محمد بن عبو الهشتوكى المتوفى عام ١٣٣٢، ومن ابى اكرا ارتحل المترجم إلى وادى ماسة، ومدة السير ست ساعات وأقام ثم ثلاثة أيام.

وماسة هذه على شاطئ البحر بها رباط وبه جامع مدفون فى الرمال، قيل: إنه من بناء عقبة بن نافع الفهرى، وأكثر العلماء يزعمون أن الإمام المهدى يظهر من ماسة بهذا الرباط، وتكلم فيه فى مشارق الأنوار.

وبماسة عيون جارية، وقرى متصلة أنيقة، وأعظم قراها تسلا واغبلو وتكون بين أهلهما عداوة وفتن وحروب، وموضع الرياسة الآن تسلا.

ومن وادى ماسة لدوار سيدى على ومدة السير ساعتان، ومنه إلى تيزنيت ومدة السير أربع ساعات. ومنها إلى اكل بساحل البحر ومدة السير ساعتان ونصف، وأقام هنالك يوما، ومنه ظعن إلى امزور بزاوية سيدى عبد الرحمن ومدة السير ساعة ونصف، وأقام هنالك سبعة أيام وهذا نهاية سفره، فجميع أيام السفر فى هذه الحركة ذهابا خمسة وعشرون يوما، وجميع سوائع السير ست وتسعون ساعة وثلاثمائة دقيقة وستون دقيقة، وجميع أيام المقام سبع وعشرون يوما.

وهنالك وفدت عليه أشراف آيت باعمران وفقهاؤهم ومرابطوهم وأعيانهم وأشياخهم المالكون لقيادهم، وأظهروا كامل الطاعة وغاية الإذعان، وولیت عليهم عدة من العمال، ووقع الكلام معهم فى شأن المرسى التى أريد فتحها بالمحل المذكور آنفا، فأجابوا بالامتثال والسمع والطاعة، ووجه معهم المهندسين والفقهاء ولفيفا من أعيان الجيش لتخطيط تلك المرسى ورسمها على الوجه اللائق والنهج الهندسى الرائق.

وقبائل آيت باعمـران هذه كثيرة تفوت الحصر يتكلمون بالعـربية وأعشارهم يأكلها طلبة العلم، ولآيت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباة الضيم أهل شمم ونخوة يحـبون الغـريب النازل بهم ويكرمون الضـيف لا سيـما رؤساؤهـم فإنهم يحبون العلماء ويجـلونهم غاية، ولا يتكلمون فى مجالسهم حـفظا لحرمتهم وتأدبا مـعهم، وكـذلك تلك القـبائل بـحيث يذهل الداخل لـبلادهم مـا يرى من أنواع الأدب.

ولما استقـر به الثوى أوفد وفداً لوادى نول عمـه مولاى الأمين ووزيره على سمـاع المظالم العلامـة السيد على المسـفيوى والقـائد مبارك بن الـشليح الشرادى الدليمى والقائد حمان بودلاحة الودى والقائد عـبد الحميد الرحمانى فى لفيف من الأتباع، حيث بلغه أى المترجم، أن مركبا إنجليزيا ورد لتلك الناحية القاحلة حاملا للأرز وغيـره من المقتـاتات بقصـد الاتجار مع تلك القـبائل المصابة بالقـحط وأليم الجوع، وخاف سـوء العقبى ليحقـقوا له الأمر ويطلعوا على الأحـوال بتلك الجهة التى أكثـر المرجفـون القيل والقـال فيـها وامتـدت أعناق الأجانب إليـها وكـثرت أطماعهم فيها ليتدارك الخرق بالرتق قبل اتساعه.

ثم أمر بإصـلاح دار المخزن بتيـزنيت ونصب قائداً من قـواد جيشـه المظفر، وأقامه بقـصبة تيزنيت بقـصد أن يكون إعانة لسائر عمـال ذلك القطر السوسى من وادى ولغـاس - وهو واد عظيم بين هشتـوكة وتـيزنيت لم ير أعظم منه بســوس وأودية تلك الجـبـال تنصب منه وهو ينصب فى البـحـر - إلى منتـهى وادى نول وكليمم يتفـاوضون معه فيمـا عسى أن يعرض لهم من المهمات ولا سيـما إذا كان المخزن بعيداً وصرح لهم بأنه أقامه مشرفا للتفاوض معه وبصيرة على ما قصده من فتح تلك المرسى ففرحوا بذلك واطمأنوا ووقع الإشهاد عليهم بذلك، ودونك نص عقد الإشهاد الواقع عليهم بما ذكر:

«الحمد لله الذى ابتدأ عباده بالإفضال والإحسان. وجعل نظام أمورهم بقسطاس وميزان. وجعل السلطان ظلا ظليلا يأوى إليه كل مظلوم. ومن اعتصم به فهو لاشك بحول الله وقوته معصوم. والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث هاديا للأنام. والموضح للشرائع والأحكام وعلى آله وصحابته الكرام.

وبعد: فلما حل مولانا المنصور بالله بحبوحة القطر السوسى حلول يمن وأمان. وجاس خلاله فى المهامه والعمران. وصارت قبائله تتوارد من كل فج الكبراء والأعيان. ورود طاعة وانقياد وإذعان. واصل الله سمو مولانا وعزه وارتقاءه. وصرف للإقامة المصالح اهتمامه واعتناءه. وولى على قبيلة عمالاً يضبطون أمرها بكلمته. ويدافعون عنها بسطوته. اقتضى نظره السديد. ورأيه الموفق الرشيد أن يعين كبيرا من جيشه السعيد يكون بركة وسط عمال قبائل جزولة وواسطة لهم فيما عسى أن يعرض لهم، وإعانة لسائرهم وتقوية لأزرهم وشادا لعضدهم ومرشدا لهم ومبصرا ليستشيروا معه فيما يكون من الأقوال والأفعال. فى الحال والمآل. مما تدعو الضرورة إليه. وتتوقف الأوامر المخزنية عليه. ويبعد عليهم تناوله مع جانب مولانا المؤيد حين يكون نائبا عن البلد لدراية المعين وخبرته. ونجدته وفطنته.

ومقره يكون بتيزنيت محل قرار المخزن فى القديم. ليجرى على النهج القويم.

وأما ما يرجع للعمال مما لابد لهم فيه من أمورهم أو مصالح قبائلهم فلا واسطة بينهم وبين مولانا أيده الله فى ذلك، لكونهم مستقلين بأمور تكليفهم ومتحملين بدرك إيالتهم كتحملهم بشد عضد بعضهم بعضا على خدمة مولانا الشريفة. وتنفيذ أوامره المنيفة. وبالتعاون على البر والتقوى، فحينئذ حضر لدى شهيديه أمنهما الله بمنه بمجلس الفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة، الحجة

الأكمل. البليغ الأجمل. النحرير المحقق المدقق إمام حرم مولانا إدريس نفعنا الله به شيخ الجماعة القدوة المحدث الخطيب البليغ بالحضرتين، قاضى الجماعة بمكناس ونواحيها وبالمحلة المنصورة بالله تعالى، وهو أحمد بن الطالب بن سودة أعزه الله تعالى وحرسها عامل كل قبيلة ومن معه إخوانه، وبعدما عرض عليهم ذلك وعرفوا المقصود منهم أشهدوا أنهم ارتبطوا ذلك والتزموه. وصمموا عليه وأبرموه. وعقدوا على ذلك عقدا صحيحا إلى غير غاية. ولا أمد ولا نهاية. اشتمل على الغائب والشاهد. وانتسج حكمه على الصادر والوارد. بحيث لا تعقب فيه لأحد بوجه من الوجوه. ومن رام نقض ما ذكر من أهل الزيغ والفساد. وسعى فى الفتنة والشنآن بين العباد. أو تعرض لأحد فى سبيل من السبل، أو تعدى فى موطن من مواطن البلاد. فيعاقب العقوبة الشديدة لزيغه عن طريق السداد والرشاد. ويجعل عليهم النصاب الثقيل زيادة على الردع والتنكيل. ويغرم ما أتلف وأفسد. سواء تعدد الفاعل أو اتحد. فإن اعدم من فعل فأولياؤه وقبيلته يؤاخذون بجريرته.

ثم وضع العمال خواتم عمالتهم إثر تاريخه على ترتيبهم لفا ونشرا عنهم وعمن حضر معهم من إخوانهم المرسومين بالطرة يمنته بعد عقد الإشهاد تأسيا للقصد، وإبراما للمراد عرفوا قدره شهد به عليهم بأكمله، وعرف أعيانهم وعرف بأسمائهم وعلى من ذكر دامت سعادته وكرامته بما فيه عنه وهو بحيث يجب له ذلك فى الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة وتسعين ومائتين وألف، فلان بشكله وفلان بشكله وبعده بخط من يجب الحمد لله أديا فقبلا واعلم به أحمد بن الطالب بن سودة المرى الله وليه ومولاه وبخطه استقل. انتهت قابلها بأصلها فماثلته.

وأشهده الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل المحرر النحرير الدراكة الفهامة المشارك الحجة المحدث الخطيب البليغ قاضى الجماعة بمكناس ونواحيها إمام حرم

مولانا إدريس نفعنا الله به وهو أحمـد بن الطالب بن سودة المرى الله وليه ومولاه أعزه الله تعالى بعز طاعته، وحرس ولايته، بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر.

وفى تاسع رمضان المعظم عـام تسعة وتسعين ومائتـين وألف الحق وبالتعاون على البر والتقوى صح به. فلان بشكله وفلان بشكله ودعائه».

كما عين فى التاريخ نفسه وصيف جنابه العالى الطالب بوعزة السريفى كبيرا بآيت بوعمران، وألزم العـمال جوار المراسى الأربع، وهى: مرسى سيدى مـحمد ابن عبد الله ومرسى سيـدى ورزيك، ومرسى اسك بآيت باعمران، ومرسى أكلو بجوار تيزنيـت بحفظها والعسة علـيها ليلا ونهارا بحـيث لا يدخل منها شىء ولا يخرج إلا بأمر مولوى. فالتـزموا ذلك، ووقع الإشهاد عليهم به، وذلك فى تاسع عشرى شعبان العام وأمضى على ذلك العمال بخواتيمهم.

وكتب بذلك لباشا مكناس القائد حم بن الجيـلانى كتابا نصه بعد الحمد لله والصلاة والطابع الكبير الذى بداخله «الحسن بن محـمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١» وبدائرته بيتا البردة ومن تكن. . .إلخ من يعتصم. . .إلخ:

«وصيفنا الأرضى البـاشا حم بن الجيلانى وفقك الله وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد قضى والحمد لله الغرض الذى ارتمى إليه الأمل المراد. ويممنا لأجله قطرى سوس الأدنى والأقصى من صحارى البلاد. بنية خالصة تنيل الكل منهم ما أفـاد. وتحيى رسمهم وأنسـهم وقد باد، وترشد المتـهور منهم الذى الإساءة إليه أجدى من الإحسان والبهيمـة عليه أكرم من الإنسان. عضدتها مواكب شديدة الالتحام. وجنود تقول لمن رآها تنكب لـيلا يقطرك الزحام. وصدور عمها الانشراح، ومسرات أردفتها أفراح وآلات استعدادية جهادية تبهر وتروق. وخوارق ليست عادية تكاد عند سكونها تومض منها بروق، وفـوارس ذات نفوس عصامية، لا محل فيـها للاستقـصاء والاستفـسار. ولا يأتى عليها ضـابط إطناب أو فذلكة

إكثار. إلى غير ذلك مما تقتضى النعمة به التحديث. ويجذب من صميم فؤاد المحب المؤمن الحمدين القديم منهما والحديث. معترفين بأن الله سددنا فى ذلك كله إلى غرض التوفيق. وأعلقنا من تحرى الصواب فيه بالسبب الوثيق، وأجرانا سبحانه على ما ألفناه من صنعه الجميل وتعودناه ولولا فضله علينا بمحض فضله ما تم لنا منه ما أردناه. وذلك والحمد لله أن كافة قبائل القطرين المذكورين تلقونا بأجمعهم بأنواع الأفراح وأصناف المسرات. وقدموا من الهدايا ما رأوه من أولى المهمات وأعلنوا بواجب السمع والطاعة وحفيات التحيات. ووسطهم شرفاؤهم ومرابطوهم وفقهاؤهم وأعيانهم وكبراؤهم وذلك لما خيمنا بقصوى عدوة وادى ولغاس الموالية لبلادهم وجبال استفرارهم، بعد أن كانوا كتبوا لشريف حضرتنا ونحن بمراكش الحمراء معلمين بأنهم على سنن الاهتداء. مقيمين على إجابة الدعاء.

فلما التقى الجمعان وجدنا ظواهر خبرهم وبواطن سرهم سواء. ولينا عليهم العمال والقضاة. وكذا على القبائل غيرهم ممن هو من مبادئ هذه الأقطار أو من الغايات، وحططنا بخير بقاعهم لأجل استصلاحهم الرحال. حتى استحال ركض هماججهم لحسن الحال. وأقبل أقاصيهم علينا إقبال الغادة. يهديها اليمن وتزفها السعادة.

ثم بعد كمال استقامتهم وترتيب مراتبهم طلبوا منا التجديد على ما بأيديهم بإقرارهم على عوائدهم، وحملهم على أعرافهم التى عندهم عليها ظهائر أسلافنا الكرام. قدس الله أرواحهم فى دار السلام ومن غبر من أمراء المسلمين. رضوان الله عليهم أجمعين. فأقررناهم وجددنا لهم علينا فى الحين. واتبعنا فى ذلك الإجماع وسبيل المؤمنين، ولو نيل من هؤلاء القبائل التى هى آساد وحشية. وبأفنان الغضا موشية عشر هذا لكان كافيا فى القصد من هذا الشأن. لأنهم هذه مدة تزيد على الستين سنة لم يتخلل بلادهم المخزن.

هذا وأيضًا فمن جملة الأهم المقصود لدينا بوجهتنا السعيدة لهذه الناحية البعيدة. فتح مرسى بوادى نون فى حدود بلاد تكنة وآيت بوعمران بمحل يسمى أصك ليسهل بقربها على تلك القبيلتين البيع والشراء فيما يستقبل من الأزمان. لأنهم لبعد مراسى إيالتنا السعيدة عنهم، يتضررون فى تجشم السفر لها بقصد ذلك بالطريق وتشرق القوافل منهم ولو مع وجود الماء بالريق. ويكاد نفسهم أن يقطع منهم حروف الحلق. فتيممناها زيادة فى الإحسان إليهم والله يزيد فى الخلق إلى أن بقى بينها وبين المحلة مرحلتان فيهما ثلاث عشرة ساعة سفر الرفق إذ ورد علينا أعيان القبيلتين المذكورين آيت بوعمران وتكنه وأهدوا كغيرهم، فولينا عليهم وأجرينا مجرى غيرهم ووقع الكلام معهم فى شأنها، فأجابوا لذلك لما لهم من الرغبة فيها، حتى إن بعضهم كانت سولت له نفسه فتحها على يد بعض تجار الدول. تقريبا كما ذكرنا وحرصا على بلوغ الأمل واتفقت الآراء منهم على توجيه من يقف على انتخاب المحل الذى تبنى فيه مما يقبل البحر تخطيطه وتأمن فيه جواريه.

فساعدناهم ووجهنا صحبتهم سرية من القبائل والجيش السعيد. ومعهم طلبة الهندسة لتقريب البعيد بقصد معاينة محلها وتخطيطه. والإتيان لحضرتنا المحروسة بطبق تصويره واستغنينا عن التقدم بهم، بحيث إن قضوا الغرض فذاك وإلا فننهض لقضائه على الله متوكلين. وبجيوشنا المتوافرة مصحوبين. لقربنا منهم إذ نحن الآن بأمن ومن بلاد أهل أكلوا مخيمون وهو الطرف الأول لآيت بوعمران، الذى يسمى بالساحل، بينه وبين المرسى المقدار الذى تقدم آنفا حسبما قدره الميقاتيون، كما أن الأهمية أيضا اقتضت نصب قائد من قواد جيشنا السعيد مختارا من أماثلهم ذار أى مصيب. وتسديد يكون بتزنيت محل المخزن فى القديم. إعانة وردءاً لسائر عمال القطرين بالمشار من قطع وادى والغاس إلى منتهى وادى نون واكلميم.

يتفاوضـون معه فيـما عسى أن يعرض لهم من المهـمات ولا سيمـا إذا كان المخزن بعيدا عن هذه الشرفات.

واشتـرطنا على السادة منهم والأعـلام. والأعيان والحكام. المعـينين عندهم لربط الأمور ربط إتقـان وإحكام. أن يضربوا على أيدى أهل الجرائم وأن ينتـصفوا للمظلوم من الظالم. وأن لا يخـرجوا فى ذلك على مـا تقرر لديهـم من الأعراف والحد المحدود لهم عند الانتصاف.

وعليـه أن يكون يعلم بالشاذة والفـاذة لا يترامى لعـين لائمه ولاحـيه. ولا يتوارى عن الحق فى مغابن نواحيه. لنكون على بصيـرة فيما قصدناه من فتح تلك المرسى ومؤاخاة لإثارة النعمة، ودفاعا للبوسى فنصبناه.

وبما هو من شأنه كلفناه وحضر العمال المشار إليهم معه وبعدما عرفوا بذلك كله وعرفوه أشهدوا بأجمعهـم أنهم التزموه. وأنهم عند السمع والطاعة يقومون به جـهـد الاسـتطاعـة بل لأجل تمكن المعنـى منهم أتم مكان. على وجـه الإذعـان والاستحسان ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الإشهاد. تأكيدا للقصد وتأسيسـا للمراد كما أشهـد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العسـات فى مراسى سواحلهم كـفا للضرائر وحسـما لمادة النزاع والجرائر وإرشـاداً للضليل، وفرارا من كثرة القال والقيل.

وبالجملة فقد أطلقنا لـكم بالخبر اللسان ليصير هذا الغـيب عندكم كالعيان. شارحـين لكم الوجـه الذى صرفنا إليـه الآمال واسـتعـملنا فى أسنته وفى أعنـته الشـمال. وحـثًـا على تمكينكـم من حظكم من الفـرح بما سن الله لنا من العـز والإجلال. واجتلاء وجوه التهانى ووفود الآمال. ونحن على نية الأوبة بحول الله المتعال. فنسأله سبـحانه أن يتمم ذلك برد الجميع سالمين غانمين. وييـسر لنا ما فيه رضاه ولكافة المسلمين. آمين والسلام فاتح رمضان المعظم عام ١٢٩٩».

ولما دوخ البلاد السوسية ومهدها وبث روح التآزر والتعاضد ورتب بها القضاة والعمال، وكف عنها اليد العادية انقلب إلى العاصمة المراكشية، فنهض يوم الخميس رابع رمضان العام موافق ثامن يوليه من امزور إلى الكرمة بين المعدر وتزنيت، وكانت مدة السير ساعتين وربع، ومنها إلى بكرة وادى ولغاس ومدة السير ثلاث ساعات وربع، ومنه إلى الدحوش وهم أولاد بوطالب والمسير ثلاث ساعات وربع، ومنهم إلى طكط بلاد هشتوكة ومدة السير أربع ساعات، ومنها إلى بدار بلاد مسكينة ومدة السير ثلاث ساعات ونصف، وأقام المترجم ثم ثلاثة أيام ومنها، إلى ابن سر كاو قرب مرسى أكادير ومدة السير ساعتان وربع، ومنه إلى تمرغت ومدة السير ثلاث ساعات، ومنها إلى وادى اذاوتامر والسير سبع سوائع، ثم تبصيرت والسير أربع ساعات ثم زاوية امكدار والسير ست ساعات وربع، وأقام المترجم هنالك يوما واحدا، ومنها إلى وادى بوريقي والسير ثمان ساعات وأقام ثم يوما واحدا أيضا، ومنه إلى جمعة الكريمات والمسير أربع ساعات، ومنها لعين اماست والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم إلى وادى ششاوه والسير سبع ساعات وربع، ثم نزالة المزوضى والسير ثلاث ساعات، ومنها إلى عدوة وادى نفيس والسير ست ساعات، ثم بوعكاز والسير ساعتان وربه، ومنه إلى الحضرة المراكشية والسير ساعة وربع.

فجميع أيام السفر ذهابا وإيابا خمسة وسبعون يوما، أولها الاثنين وآخرها الجمعة، وجميع السوائع فى الذهاب والإياب مائة وسبعون ساعة، وبمراكش أقام حفلة سُنَّة عيد الفطر.

ولم يزل مقيما بها إلى أن دخلت سنة ثلاثمائة وألف وفيه نهض قاصداً عاصمة سلفه المكناسية، وهذه الحركة العاشرة، وكان مروره على قبيلة الرحامنة، فزمران، ثم قبائل تادلا، وأوقع بالسماعلة منها، ثم نهض لقبيلة زعير وبها أقام

سنَّة عيد الفطر، ومنها لقبيلة زمور الشلح ولم يدخل للرباط، ومنها توجه للحاجب ومنه للعاصمة المكناسية، وكان دخوله لها فى حجة الحرام، وأقام بها سنَّة عيد الأضحى، ومكث بها سنة كاملة.

وبها بلغه نعى نجله البار الأنجب مولاى عبد الله الذى كان ببلاد أحمر بقصد قراءة القرآن تيمنا بذلك البلد الطيب، وأنه حمل للدفن بعاصمة الجنوب مراكش الحمراء، فصبر واحتسب.

وفى هذه السنة التى هى رأس المائة، وجه صاحب الترجمة رسالة جامعة مشتملة على كثير من المواعظ والأوامر والنواهى والنصائح لجميع بلاد المغرب، وأشار إلى المجدد فى صدرها ونصها بعد البسملة والصلاة:

هذه وصية مؤسسة على قواعد شرعية. ونصيحة دينية. للولاة والرعية. صدرت من عبد الله. الموفق بفضل الله. المتوكل عليه فى سره ونجواه. أمير المؤمنين. ابن أمير المؤمنين ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١:

أبد الله ملكه. وأجرى فى بحار اليمن والسعادة فلكه، وجعل فيما يرضيه أوامره، ونصره وجنده وعساكره، إلى معاشر أهل الإسلام وأمة النبى عليه الصلاة والسلام، وفقكم الله وهداكم، وبركوب سفينة الشريعة أنجاكم. وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد: فلتعلموا أيها المسلمون أن الله جل جلاله بمقتضى حكمته بعث النبيئين مبشرين ومنذرين. وناط بهم أحكام الشرائع إبلاغا وتبليغا، وجعلهم نوبا عن سيد المرسلين. سيدنا ومولانا محمد لبنة التمام. عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال مولانا فى محكـم كتابه المبين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم ... ﴿٨١﴾﴾ [سورة آل عمـران: الآية ٨١]، ولما بعثه الله تبارك وتعـالى قام بما حمله من أعبـاء الرسالة. وبلغ ما أمـر بتبليغـه، وأنقذ الأمة من الضـلالة. إلى أن صار الدين مشيد الذرى. مـحكم العرى. وتبوأت خير أمة من قصـوره حصنا حصينا. وأثره نزل قوله تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴿٣﴾﴾ [سورة المائدة: آية٣]، ثم أقـام الله سبحـانه من بعده الخلفاء. والأئمة المرضيين الحنفاء، فمـهدوه تمهيدا، وجددوه فى كل عصر تجديدا، واقتـفى أثرهم أمـراء الإسلام السالـكون نهجـهم الأقوم فى كل مـقصـد ومرام، فنصحوا لله ولرسوله والمؤمنين، وبذلوا مجهودهم فى مرضاة رب العالمين، فأقاموا شريعته حتى لمعت بوارقها، وشبت بإحياء مـراسمها بعدما شابت مفارقها، إلى أن صار الدين غضا طريا، وقطوفه دانية بكرة وعشيا، رحمهم الله.

وهكذا على رأس كل مائة يبعث الله لهذه الأمة الأحـمدية من يجدد معالم الدين. ويصقل مرآته من صدى التعمق فى بيداء المضلين. وحيث كانت هذه السنة هى آخر المائة. وتوفرت دواعى التضحية بمفتتح رأس المائة القابلة لهذه الفئة. تعين لذلك تنبيه الغافل، وإرشاد الضال، عملا بما كان عليه السلف، لنكون بعدهم لهم خيـر خلف، وأداء لحق الواجب وأخذا بطرق الامـتثـال. فقـد قال ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم».

وعليه فـاعلموا أيها الناس أن أول ما يجب علـى المكلف المتمكن من النظر فى الأدلة معرفـة ما يجب فى حق الله وفى حق الرسل بالبراهين النقليـة والعقلية ليخرج من ربقة التقليد، ويشرق باطنه بأنوار التوحيد، فتقوى لديه بواعث العبادة، التى بها أمر الله عباده، فإن الله سبحـانه إنما خلقنا لمعرفته وأمرنا بتوحيده، وبعث الرسل عليهم السلام لبيان وعـده ووعيده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ... ﴿١٩﴾ [سورة محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ... ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٩﴾ [الفتح: ٨، ٩]. والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث كما فى صحيح البخارى جوابا منه ﷺ لجبريل، والتوحيد المعبر عنه بالمعرفة المذكورة هو الذى حض عليه الله ورسوله كما مَرّ، فتعلموه وعلموه وحرروا القصد والنيات فى العبادات.

قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» والعلم بأحكام العبادة. به تحمل الإفادة. ففى الحديث عنه عليه السلام: «ما عبد الله بأفضل من فقه فى دين» وأركان الدين. ما ورد عن سيد المرسلين. «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا» فأساس الدين. التوحيد، وملاكه معرفة الله والرسول كما يجب، إذ هى شرط والباقى بدونها لا يفيد.

الركن الثانى: إقامة الصلاة بالطهور وأداؤها فى وقتها كما أمر الله إذ هى عماد الدين. وعصام اليقين. وسيدة القربات. وغرة الطاعات. قال تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ [النساء: ١٠٣] وقال عليه السلام:

«أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله، وإن ردت رد سائر عمله» وقال عليه السلام: «الصلاة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد» وقال عليه السلام: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة».

وكتب سيدنا عمر إلى بعض عماله: إن أهم أموركم عندى الصلاة، فمن حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وقال: بين الإيمان والكفر ترك الصلاة، وقال عليه السلام: «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين».

فينبغى للمؤمن الاهتمام بأمرها، والاعتناء بشأنها، والمحافظة على شروطها وسننها ومستحباتها وقوعا وأداء.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.. ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، وقال: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وقال ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ... ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: ١٨] وقال ﷺ: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا» وقال ﷺ: «إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم».

وحكم التارك لها عمدا القتل، والجاحد الكفر فى القول الفصل.

قال سيدى خليل: ومن ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى

وقتل بالسيف حداً، ولو قال: أنا أفعل وصلى عليه غير فاضل، ويكفى فى ذم تاركها أو مؤخرها عن وقتها ما ورد من الوعيد فى شأنه قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ... ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩]، وفى الحديث: «من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان» وعنه عليه السلام: «من ترك الصلاة فقد أتى الكفر جهارا» وعنه: «من ترك العصر فقد حبط عمله، وعنه: «من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر» وعنه: «من ترك ثلاث جمع متهاونا طبع الله على قلبه»، وعنه عليه السلام: «أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقول إنى فرضت على أمتك خمس صلوات من أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له عندى عهد أن أدخله الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيئًا فليس له عندى عهد إن شئت عذبته وإن شئت رحمته».

الركن الثالث من مبادئ الإسلام: الزكاة، وقد قرنها الله بالصلاة فى آيات كثيرة: والرسول فى أحاديث شهيرة. فكما أن الصلاة طهرة الأبدان فكذلك الزكاة طهرة الأموال قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١]، وقال: ﴿... الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال ﷺ: «الزكاة قنطرة الإسلام» وقال: «حصنوا أموالكم بالزكاة فإنه ما ضاع مال فى بر أو بحر إلا بترك الزكاة فيه» وقال عليه السلام: «ما من صاحب مال لا يؤدى حق الله فيه إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمته يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ... ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وعن أبى ذر موقوفا قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليهم فى نار جهنم

ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل. كما فى صحيح البخارى. وعنه عليه السلام «مانع الزكاة يوم القيامة فى النار».

وهى تجب فى خمسة أشياء: مختلفات النعم، والنقدين، والركاز، والمعادن، والمعشرات.

ويلحق بهذا الركن فى الجملة زكاة الفطر فإنها واجبة الإخراج على كل مسلم فضلت عن قوت يومه. عن نفسه وعن كل مسلم يمونه بقرابة أو رقّ أو زوجية ووجوبها بالسنة على المشهور، ففى الموطأ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر من رمضان، وفى الترمذى بعث ﷺ مناديا ينادى فى فجاج مكة ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم.

الركن الرابع الصيام: الواجب على الأنام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ... ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وقال ﷺ: «شهر رمضان كتب الله عليكم صيامه. وسننت لكم قيامه. فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقال عليه السلام: «هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين وجزاء ثوابه لا يحصى فى خطاب» ففى الحديث: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف» قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى.

الركن الخامس: حج بيت الله الحرام، قال تعالى فيما نزل على نبيه تنزيلا. ﴿... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ... ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران]، وعن

عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين. قال ابن حجر ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأى فيكون فى حكم المرفوع، ومن ثم أفتيت بأنه حديث صحيح، وفى الحديث: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وقال تعالى: ﴿... فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ... ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة»، وقال عليه السلام: «الحج تضعف فيه النفقة بسبعمائة ضعف»، وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول إن عبداً أصححت له فى جسمه وسعت عليه فى معيشته تمضى عليه خمسة أعوام لا يفد إلىّ لَمَحْرُوم» وقال: «الحجاج والعمار وفد الله يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف لهم ما أنفقوا الدرهم ألف درهم». ولا ينبغى الحج لمن يضيع ما سواه من أركان الإسلام. صلاة أو غيرها مما يلحقه عليه فى الشرع تبعة الملام. كما تفعل العامة اليوم فى عدم تحريها فى نفقة الحلال، ولا تقوم بما أوجب الله عليها من الأقوال والأفعال.

إذا حججت بمال أصله سحت ... فما حججت ولكن حجت العير

وقد نص العلماء رضوان الله عليهم فيما حرروه وذهبوا إليه أن الحاج إذا تحقق أنه يخرج صلاة عن وقتها لعذر كميد لم يجب عليه وقد كادت أن تترك هذه الدعائم، ولا يوجد سائل عنها ولا حائم، ونبذت الشرائع عيانا، وارتكبت البدع إعلانا، وصار أمرنا يتزايد فى كل حين، والحق لا ناصر عليه يعين، قال تعالى: ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، وقد ظهر فى الناس من المخالفة لأمر الله وإتيان ما حرم الله والتفريط فى جنب الله والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ ما يخشى معه من

حلول عقاب الله ونقمته، لولا حلمه وعفوه وسابق رحمته. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم ... (٦١)﴾ [النحل: ٦١].

نطلب من الله أن يلهمنا والمسلمين لما يوجب رضوانه، ويرشدنا لما يجلب أمانه وغفرانه، فإن هذه الدار قنطرة إلى الآخرة، وسبيل لمن وفقه الله إلى الوصول للمنازل الفاخرة، والسعيد كل السعيد من استعمله الله فى أعمال صالحة، وألهمه إلى اتباع سنة رسوله التى هى المتاجرة الرابحة، فخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وتزود من تقوى الله وخير الزاد التقوى، وقدم ما ينفعه من هذه الدار للأخرى، وذكر فنفعته الذكرى.

فينبغى تكرير الوعظ والتذكير، والتنبيه والتحذير، لئلا تقسى القلوب، بتوالى الذنوب. ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين: ١٤]، وفى الحديث عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا.

ويجب الرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار، وتجديد نية الإخلاص ونفى الإصرار، فالعمل بالسنة هو السبيل الموصل إلى رضوان الله فالزموها، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها، ففى الحديث: «عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة».

فيتأكد على كل من ولاه الله تعالى أمراً أن ينظر لرعيته. ويعمل على إخلاص عمله وتصحيح نيته، ويرشدهم إلى ما ينفعهم دنيا وأخرى، ويحملهم على ما يقربهم إلى الله زلفى، قال الله سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه، ويجعل سعيه فيما يوجب الفوز بقربه. فإنه لا ينفع الوعظ فى أبناء جنسه.

إلا بعد تطهير نفسه. فليبدأ العامل بنفسه فيصرفها عن هواها. ويأمرها بما يأمر به سواها. ولا يكن ممن يدعو إلى طريق البر وهو قَدْ حَادَ عنه وخرج. وانتصب لمعالجة غيره وهو إلى من يعالجه أحوج. إذ بصلاح الولاة تصلح الرعية. وتستقيم أحوالها فى السر والعلانية، ومن صلاحهم أن يكونوا مع من هو إلى نظرهم إخوانا. وعلى ما يقوى على الطاعة أعوانا. فالمسلم أخو المسلم وإن كان واليا عليه. وأولى الناس باستعمال الرفق من ظهر فضل الله لديه. وأن لا يداهنوا أهل المعاصى. بل يتقصوا أحوال الدانى منهم والقاصى. ففى الحديث الكريم: «يحشر يوم القيامة أناس من أمتى من قبورهم إلى الله تعالى على صورة القردة والخنازير بما داهنوا أهل المعاصى وكفوا عن نهيهم وهم يستطيعون».

ويستعين على ذلك بتقريب أهل الفضل والدين، ويجتنب أهل الضلالة والمعتدين، فإن الطباع تسرق الطباع. والمرء لمن غلب عليه تباع. قال فى الحكم: لا تصحب من لا ينهضك حاله. ولا يدلك على الله مقاله، وفى الحديث: ما من أمير إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا. ومن وقى بطانة السوء فقد وقى وإذا زكى الإنسان نفسه واتقى ربه أصلح الله رعيته. وبلغه من كل خير أمنيته. فإن رأس المال تقوى الله وسبيل النجاة اتباع سنة رسول الله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ... **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ... ﴿١٣١﴾ ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال: ﴿ ... **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴿٢﴾ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ... ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال: ﴿ ... **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق: ٤].

وقال سيدنا على كرم الله وجهه: قال النبى ﷺ: من اتقى الله عاش قويا وسار فى بلاد الله آمنا. وحقيقة التقوى اتباع الأوامر واجتناب النواهى، وأن لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. وفى الصحيح عنه ﷺ: «كلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته» والسعيد من سعدت به رعيته، ولا سعادة أكبر من العدل فى الرعية وحسن السيرة فيها والعمل بما ينجى من عذاب الله قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١)﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ... (٣٠)﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [النحل: ٩٠].

وأفضل أعمال الولاة العدل ونصر المظلوم وقمع الظالم، فإنما السلطان ظل الله فى أرضه يأوى إليه القوى والضعيف، وينتصر به المظلوم قال سبحانه: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ... (٤٩)﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ... (٥٨)﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال عليه السلام: «إن المقسطين يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا» وفى الحديث: «الإمام العادل المتواضع ظل الله فى الأرض يرفع له عمل سبعين صديقا».

وقال سبحانه: ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ... (٧)﴾ [الحشر: ٧]، وقد أمر الله بالعدل ورغب فيه وأخبر بكرامة صاحبه إذ به تحصل العمارة والأمان، فى جميع الأوطان والأزمان، وكما رغب فى العدل ورتب الأجر عليه، نهى عن الجور والظلم وحذر منه وأخبر بهلاك مرتكبه، قال

سبحانه: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣١]، ﴿... وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٩]، وقال: ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥].

وقال عليه السلام: الظلم ظلمات يوم القيامة. وقال: الظلم يذر الديار بلاقع. وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه: يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته فيما بينكم محرما فلا تظالموا. وقال: ومن أظلم ممن لم يجد ناصرا غيرى. وقال: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه. وقال: فى حجة الوداع: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا. وفى الحديث: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره التقوى هاهنا، وأشار إلى صدره الشريف.

ويدخل فى الظلم ظلم أهل الذمة، وما سموا أهل الذمة إلا لأنهم فى ذمة الإسلام، يجب حفظهم والدفاع عنهم، وتحرم دماؤهم وأموالهم، وقد أوصى عليه السلام بالوفاء لهم، وحذر من ظلمهم ففى الحديث: من ظلم ذميا كنت له خصيما يوم القيامة ومن كنت خصيمه فلجت عليه بالحجة. وفيه: من قتل معاهدا فى غير كنهه حرم الله عليه الجنة. وفيه: إذا ظهرت الفاحشة كانت الرجفة، وإذا جار الحاكم قل المطر، وإذا تركوا الجهاد رهبة ألبسهم الله سِيمَى الخسف ووسمهم بالصغار. ففى الحديث: ما ترك قوم الجهاد رهبة إلا ذلوا. وفى الحديث: من جرد ظهر مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان. وفيه: من روع مؤمنا لم يؤمن الله روعته يوم القيامة ومن سعى بمؤمن أقامه الله مقام خزى وهوان يوم القيامة. وعنه عليه السلام: من أعان فى قتل امرئ مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله. وفى الحديث: اللهم من ولى من أمر أمتى

شيئـا فرفق بهم فارفق به ومن ولى من أمر أمتى شـيئا فشق عليهم فـاشقق عليه.
وعنه عليه السلام: أيما أحد استرعى رعيـته فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحـمة الله التى وسعت كل شـىء. وعنه عليه الصلاة والسـلام: من أخون الخونة تجـارة الوالى فى رعيتـه. وفى الحديث: لكل شىء آفـات وآفات هذا الدين ولاة السوء. وعنه ﷺ: ما عدل وال اتجر فى رعـيته. وعنه عليه السلام: من ولى شيئـا من أمور المسلمين لم ينظر الله فى حـاجته حتى ينظر فى حـوائجهم. وعنه عليـه الصلاة والسـلام: ما من إمـام أو وال يغلق بابه دون ذوى الحاجـات والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السمـاء دون حاجته وخلتـه ومسكنته. وفيـه: ما من أمير يؤمر على عشـرة إلا سئل عنهم يوم القيامة. وفيه: ما من عبـد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة.

واعلمـوا أن مـا ينزل بنا من الشـدائد والمصـائب، إنما هو من عـدم الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر وارتكاب الذنوب، والإصرار على العـيوب، وقد حذر الشـارع عز وجل وأنذر، ووعظ وذكـر، ورتب على كل ذنب عقـوبة فقـال جل ثناؤه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ... (٧١)﴾ [التوبة: ٧١]، وقال عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... (١١٠)﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومن المـنكر السكوت عن المنكر لمن يقدر على تغـييـره لقوله تعـالى: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٩]، وقال رسول الله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم».

ومن المنكر الذى لا يسع التـغافل عنه والتسـاهل فى أمره هذا الخطب النازل الوقتى الذى هو المجاهـرة باستعباد الأحـرار واسترقاقهم بدون وجـه شرعى، فإن

المستعبد لحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة، من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا والدباراًن يأتيها بعد أن تفوته ورجل استعبد حرا. وهو أيضا أحد الثلاثة الذين قال الله تعالى فيهم إنه سبحانه خصمهم. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى عهدا ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يوفه». وقال ﷺ: «ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنين وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب». وقال ﷺ: «ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب». وقال ﷺ: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم». وقال ﷺ: «خمس ليس لها كفارة: الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين فاجرة يقطع بها مال بغير حق». وفى الحديث: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا المكيال إلا منعوا القطر وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عليهم المطر». وفى الحديث: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن. وفيه: الزنى بريد الفقر. وفيه: «من شرب مسكرًا أسقاه الله من طينة الخبال. قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «عصارة أهل النار وصديدهم». وقال: «من شرب مسكرا لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوما»، وقال: «من غصب قيد شبر من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين». وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخداع فى النار». وقال ﷺ: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: إذا كان المغنم دولا والأمانة

مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلـهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمـراء أو خسفا أو مسخا». وعنه ﷺ: «اتقـوا السبع الموبقات - أى المهلكات -: الشرك باللـه والسحر وقتل النفـس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وقد أحل الله البيع وحـرم الربا وأمر بالكسب وجعله لنيل الفضل سبـبا قال تعالى: ﴿ ... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... ﴿٢٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿ ... وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال ﷺ: «التاجـر الصدوق يحشر مع الصديقين والشـهداء». وقال ﷺ: «من الذنوب ذنوب لا يكفـرها إلا الهم فى طلب المعـيـشة». وقـال ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مـسلم». وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٨]. وفى الحديث: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنيـة فى الإسلام ومن نبت لحمه من ربا فالنار أولى به». وفيه: «لعن الله آكل الربا وموكلـه وشاهده وكاتبه هم فيه سواء». وفيه: «أتيت ليلة أسـرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيـها الحيات ترى من خـارج بطونهـم فـقلت من هؤلاء يا جـبـريل قـال هؤلاء أكـلة الربا». وفى الحديث: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا وإن الرجل قد يزنى فيتوب الله عليـه، وإن صاحب الغيـبة لا يغفـر الله له حتى يغـفر له صـاحبه». وفـيه: «أتدرون ما الغيبة؟ ذكـرك أخاك بما يكره. إن كان فيه ما تقول فقـد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته».

وقال الله سبحانه: ﴿ ... وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ ... ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢]. وفى الحديث: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش ولا الصياح فى الأسواق»، وفيه: «خصلتان ليس فوقهما شىء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شىء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله». وفيه: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وفيه: «إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»، وفيه: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فاعملوا بما يتلى عليكم من آيات الله تهتدوا. واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم تسعدوا. وسابقوا إلى سلوك نهج الخلاص وتداركوا أعمالكم بالتوبة والإخلاص. واركبوا من طاعة الله ورسوله سفن النجاة. ولا تقنعوا من الأعمال الصالحات بالبضاعة المُزْجَاة[1]. وأقيموا شعائر الإسلام بينكم وأظهروها. وزكوا أنفسكم بطاعة الله وطهروها، ﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١]. ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وبادروا لها مبادرة الغريق لطلب النجاة، وانتهزوا فرصتها قبل هجوم هادم اللذات، هى إن صادفت محلها تَجُبّ ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وفى الحديث: «توبوا إلى الله فإنى أتوب إلى الله كل يوم مائة مرة» وفيه «إن للتوبة بابًا عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها» وفيه «من تاب قبل أن يغرغر قبل الله منه».

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «المجزاه» والمُزْجَى: الشىء القليل. وهى مُزْجَاة. وفى التنزيل العزيز: ﴿ ... وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ... ﴿٨٨﴾ ﴾ [يوسف: ٨٨].

ونعهد إلى عمالنا ولاة أمرنا أن يلزموا أنفسهم وأهليهم طاعة الله، ويدلوا رعيتهم عليها ويعملوا بسنة رسول الله ﷺ ويحضوهم عليها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، وأن يلزموا كل قرية ومدشر ودوار مشارطة طالب علم يعلم أولادهم ويفقههم فى دينهم، ويقيم لهم الصلوات الخمس فى أوقاتها، ويحضهم على الأذان الدال على إيمان الدار، وهو للمؤمنين شعار، وأن ينبهوا على رد البال للطريق ليلا ونهارا، وتعاهد أماكن الخوف منها رواحا وابتكارا، وينصبوا لأهل العيث الأرصاد، ويمكنوا لهم بكل واد، حتى تصير الدماء بذلك محقونة، والفتن محسومة، والأموال مصونة.

فإنّ قَطْعَ الطريق وإخافة المسافرين من أقبح السيئات. كما أن إماطة الأذى عن الطريق من أحسن الصالحات، ففى الحديث الكريم: «عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق».

وأن يتفقدوا أحوال الفقراء الذين قُتِّرَت عليهم موارد الأرزاق(1). وألبسهم التعفف ثوب الغنى وهم فى ضيق من الإملاق. بصدقة التطوع التى هى للحسنات كالأم الولود، فهى التى تتيقظ لحراسة صاحبها والناس رقود، وبها تستنزل الأرزاق وتسبغ الآلاء. وتطفئ الغضب ولا يتخطاها البلاء، اختص الله بها بعض عباده لمزية أفضالها. وجعلها سببا للتعويض بعشر أمثالها. ففى الحديث عنه ﷺ: «من تصدق بصدقة منْ كَسْبٍ طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فكأنه إنما يضعها فى كف الرحمن يربيها له كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل» وفيه: «ما من رجل يتصدق فى يوم أو ليلة إلا حفظ من أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة» وفيه «إن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» وفيه: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وفيه: «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» أى لا تردوه ولو جاء على حالة تدل على غناه.

---

(1) فى المطبوع: «الذين قدرت عليهم مواد الأرزاق».

وورد: «استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة».

وليعاقبوا الفرقة التى تراخت فى الدين. وخلفت سنة سيد المرسلين ولم يتعلموا ما يقيمون به قواعد إسلامهم، ولا سلكوا سبيل رسول الله ﷺ ولا سبيل أئمة الدين، وأعلامهم، ففى الحديث: «إنما العلم بالتعلم» وهو واجب، إذ لا يحل لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ ... فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ... ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء].

ولما أخذ الله العهد على العامة أن يتعلموا أخذ العهد على أهل العلم أن يعلموا فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ... ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال ﷺ: «من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار» فتعلموا وعلموا فإن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، قال سبحانه: ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وفى الحديث: «اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل»، ﴿ ... وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ... ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿ ... فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال ﷺ فى وصية لبعض أصحابه رضى الله عنهم: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل واعدد نفسك فى الموتى وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

وقال: «يا بنى احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة».

وقال فى وصيته لمعاذ بن جبل: «يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال قلت يا رسول الله زدنى قال: كف عنك هذا وأشار إلى لسانه قلت أو إنا لمؤاخذون به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم - أو قال على وجوههم - إلاّ حصائد ألسنتهم».

وفيه: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

وفيه: «أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان».

وفيه: «رحم الله امرءاً تكلم فغنم أو سكت فسلم».

وفيه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم».

وفيه: «أكثر خطايا الإنسان من لسانه».

وفيه «من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنة.

«فليبلغ الشاهد الغائب ألهمنا الله وإياكم الأعمال الصالحات. وأرشدنا لمناهل الخيرات وجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

وفيها أمر بتأليف لجنة من بعض فقهاء فاس للنظر فيما أراد اليهود إحداثه بملاحهم بفاس، ونص الظهير الذى أصدره فى ذلك لنائب قاضى فاس بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«الفقيه النائب فى القضاء بفاس الأرضى، السيد محمد بن عبد الرحمن سددك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغنا أن أعيان يهود ملاح فاس العليا اجتمعوا واتفقوا على إحداث أمر بملاحهم مخالف لعاداتهم وهو نصب حزان وتاجرين من تجارهم فى ملاحهم للحكم فيما يعرض بين إخوانهم من الوقائع كالسرقة وسائر الدعاوى وعلى إبدالهم فى رأس كل شهر بآخرين، وصار هؤلاء الحكام يقبضون على من أرادوا من خصوم إخوانهم ويوجهونهم للسجن على يد عاملهم ويسرحونهم منه على يده وحيث لم تجر لهم عادة بنصب ما ذكر، وكانوا معاهدين والأمور التى بينهم وبين المسلمين كلها مبنية على قواعد الشرع رددنا قضيتهم للشرع، وعليه فنأمرك أن تجتمع أنت والفقهاء المسمون يمنته وتتنزلوا لهذه القضية وتعطوها حقها من النظر والتأمل والبحث ومراجعة عقد ذمتهم، هل هم معاهدون فى ذلك أم لا؟ وما اقتضاه الشرع فى النازلة من تسويغ ذلك لهم أو منعهم منه وردهم لعادتهم، طالعوا به علمنا الشريف وأعلموا به خالنا القائد العربى ولداب محمد لينفذه فقد أمرناه بتنفيذه والسلام فى ٦ ربيع الثانى عام ١٣٠٠».

والفقهاء المشار لهم فى الظهير هم على الترتيب الفقيه السيد الحاج محمد جنون، والفقيه السيد جعفر الكتانى، والفقيه السيد أحمد بن الحاج، والفقيه السيد الحميد بنانى، والفقيه السيد عبد الله الودغيرى.

وقد كان جواب هؤلاء الفقهاء أن يمنع اليهود مما أحدثوه من نصب حزان وتاجرين يبدلون كل شهر بغيرهم، وجعل عاملهم المسلم منفذاً لأمرهم، يسجن ويسرح من غير أن يعرف لذلك وجها، واستند الفقهاء فى ذلك لعهد لعمر مع نصارى الشام وقفت على نص ذلك بخطوطهم ما عدا جنون مؤرخا بعشرين جمادى الأولى من السنة.

ولم يزل مقيما بعاصمة جده الأكبر يدبر أمر الرعية وينظر فيما يؤيد سعادة الناحية الغربية إلى أواخر عام واحد وثلاثمائة وألف.

وفيها تم تنفيذ إصلاح وادى فاس الذى أمر صاحب الترجمة بإجرائه رفعا للضر الحاصل لسكانها من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والأرحية والأجنة والأسجان.

وكان ابتداء البحث قد تقدم قبل هذا، لأنه لما ظهر النقص فى المياه وتفاحش وجه أوامره الشريفة لقاضى فاس مولاى محمد بن عبد الرحمن العلوى بأن يعين العدول وأرباب البصر ليتوجهوا مع الأمين الحاج عبد السلام بن محمد المقرى لماء وادى فاس الداخل للحضرة الإدريسية للبحث فى شأنه، ومعرفة الموجب لقلة وصوله لما ذكر مع النظر فيما أحدث من البناءات بالدوح والزيات، وكثرة رفع السدود بصواغة والبناء بالأودية، وهل كان ذاك سببا فيما ذكر؟.

فتوجه الأمين المذكور مع جماعة وافرة عينها الشرع الكريم من أهل الناس القرويين واللمطيين وعدوة الأندلس، وهم من أهل المعرفة والخبرة والبصر وأصحاب الرأى والنظر من الفلاحين والبنائين والفخارين والتجار والرحويين والقنويين والنظار والعارفين بأحوال الوادى المذكور وما يعرض له من النقص والزيادة فى جميع الأمور، ومصاريف الوادى وتقاسيمه على الجمهور، ووقفوا على ذلك وشهدوا بما ألفوا.

وبعد فراغهم من الوقوف على قسمة ماء أندلس القرويين والتطوف عليها والإشهاد بما وقع فيها من الضرر والحدوث على أرباب مائها، توجهوا للوقوف على قسمة ماء اللمطيين لينظروا ما حصل فيها من الضرر والفساد، فلما فرغوا منها توجهوا للوقوف على ماء عدوة الأندلس مع من زاده الشرع من أهل العدوة زيادة على من ذكر أولا حسبما ذلك مسطر بشهادة عدلية ثابتة مؤرخة بمحرم

١٢٩٩ - وتقدم ابتداء الوقوف فى أواخر حجة ٩٨ - مبين فيها الضرر فى كل موضع، وما لاحظه الواقفون أثناء طوافهم مع تسمية كل واحد منهم، واستثناء من لم يشهد فى بعض الأمور من الشهادة بما شهد به غيره.

ثم لما كان الباشا عبد الله بن أحمد بمكناسة الزيتون وكان بها صاحب الترجمة يومئذ كتب لولده وخليفته على عمالة فاس السيد محمد أن يعين أفراداً للتوجه مع من عينهم الجناب الشريف للوقوف على ماء وادى فاس، حتى يتحققوا صحة ما كان قد وقع الإشهاد به من قلة الماء بالمساجد والدور والحمامات والأرحية فعينهم، وتوجهوا مع مولاى أحمد الصويرى والقائد البشير بن القائد بريك الحبشى، والقائد محمد الشرادى الذين وجههم الجناب الشريف لذلك، وشهدوا بما ألفوا من أحداث ما لم يكن من قبل وافتقار لإصلاح وغير ذلك مما هو مبين فى شهادتهم الثابتة المؤرخة بسابع ربيع الثانى من هذه السنة ١٣٠١، وكان ابتداء الوقوف فى متم ربيع الأول منه.

ومن الكتب الرسمية التى جرت فى ذلك ما كتبه الباشا عبد الله لولده ونصه بعد الحمدلة والصلاة:

«ولدنا الأعز البار الفقيه الخليفة سيدى محمد بن عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله.

وبعد: فقد أبلغنا مولانا الإمام بأنه كان وجه وصيفه القائد البشير الحبشى للوقوف مع القائد العربى بن اب محمد على رد السدود الحادثة التى ضعف بها ماء فاس خارج المدينة، وأخبر المكلفان بأنهما تتبعا ذلك حتى أبطلا جميع المجارى الحادثة ورد الماء لمحله، وصار جريانه خارج المدينة على ما ينبغى، ولما دخل الماء للمدينة بلغ العلم الشريف أن الناس لا زالوا يتضررون بقلة الماء وضياعه داخل المدينة، وقد وجه أيده الله الشريف مولاى أحمد الصويرى والقائد البشير الحبشى

وصاحب سيدنا لمراجعة ما بلغ علمه الشريف من إبطال المجارى الحادثة ورد الماء لمحله وللوقوف على عين مجارى الماء داخل المدينة واستيعاب ذلك مع المعينين من قبلنا، وهم: الخليفة الحاج أحمد الرايس، والأمين الحاج عبد السلام المقرى، وتاجران عارفان، وأربعة من الحذاق الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم والقنويون والعدول والصاحب الوارد عليك من هنا حمان الرايس، فإذا ورد عليك من توجه من قبل مولانا بقصد ما ذكر فأعلم المذكورين بالتَّهَيُّؤ للملاقاة بالمحل والوقت الذى توافقت معهما عليه ليتطوفوا مع الجميع بمجارى الماء كلها، وكذا المحل الذى ينتهى له الماء عند من كان وتعين ولو كان عندى، وليقيد العدول ما عاينوا من صلاحها أو فسادها ووجه لنا الرسم بذلك والله يصلحك والسلام فى ٢٤ ربيع لعام ١٣٠١ عبد الله.

ومنه: فزد من قبلنا رجلين اثنين من أهل العدوة ومن الأندلس كذلك، ومن اللمطيين كذلك للوقوف على قضية الماء المشار إليها أعلاه ونظار الأحباس ومن تحتاجون إليه من المعلمين الرحويين».

ونص ظهير شريف للباشا المذكور بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«وصيفنا الأرشد الطالب عبد الله بن أحمد وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك فى شأن مجارى ماء فاس الذى وجهنا من يتعاهدها وأمرناك بتعيين من يقف من قبلك مع من تعين: بأنك كتبت لنائبك وعينت له من يقف معهم وفق ما أمرت، وأجابك بأن الأمر استوفى على التمام وقيد العدول ما عوين منها كما بالموجب الواصل طى الكتاب، فقد طالعنا الموجب فألفينا غاية ما فيه أن الموجهين تطوفوا على مظان الضر. بطواف أرباب البصر. من غير حصول على نتيجة التوجيه التى هى رد الماء لأصله والضرب على يد المتعدى فيه. على أنه

مهما كان الغرض يدرك. فلا يلغى الكد لأجله حتى يحصل ويترك، وعليه فنأمرك برفع حادث الضرر بمحضر المذكورين فى الرسم لرفعه. حتى يرجع الشىء لأصله. وليحضر معهم من عيناه للوقوف على رفعه وهما مولاى أحمد الصويرى، ووصيفنا البشير الحبشى ومن عداهما فيه أخبر تقله.

ولذلك نتخير فى المهمات من يحسن فى إقامة الغرض قيامه. ويزيل بصدقه عن طريق الحق إبهامه. لأن الناس اليوم غلبهم هواهم. ووافق سجاياهم فلا خير فى كثير من نجواهم. سيما أهل التعدى فآمالهم كلها لدينا مرفوضة. وقضايا تدابيرهم منقوصة. وجموع تكسيرهم مفضوضة.

فلا ترفع السوط حتى يرتفع الضرر عن المساجد والحرمات والشكاة من غير ريب بصائب رأيك. وبمعونة تعزيز شريف أمرنا لك ومن بين يديك ومن خلفك، بحيث يرجع الشىء لأصله القديم ونهجه القويم، ولو أدى ذلك إلى هدم ما بنى على غير وجهه بتعدى صاحبه، أو أبدل مشرب من محله، أو زيد فيه برأى مرتكبه، إذ الحق أحق أن يتبع. وإليه فى كل المذاهب يرجع. والإغضاء على المتعدى يفضى إلى المنازعة. وكثرة المراجعة.

وقد شاع أمر هذا الماء وذاع. فى جميع البلدان والبقاع. فقم على ساق مع من عيناه لذلك حتى يتوصل كل من له حق بحقه، ويجرى كل قسط منه بمستحقه، والتعدى بالماء أهلك الله به أمة، وأرسل عليهم طامة ملمة، قال تعالى: ﴿ ... أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القمر: ٢٨] فأزل هذا الداء العياء بكيه، بإيصالك منه كل واحد لشيه، وعامل كل متعد بنقيض قصده، وأجلسه عند حده، والسلام. فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٠١».

ونص ما كتبه الوزير الأكبر يومئذ وهو أبو عبد الله محمد بن العربى الجامعى للباشا المذكور بترتيب مؤنة الوفد الموجه لإصلاح الماء:

«الحمد لله محبنا الأرضى الباشا الأسعد الفقيه السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن سيدنا أيده الله وجه وصيفه القائد البشير الحبشى، ومولاى أحمد الصويرى، ومحمد بوهيمة الدليمى لرد ماء فاس لمجاريه الأصلية ويأمرك أيده الله أن ترتب لهم مؤنتهم اليومية مدة مقامهم ثمّ وعلى المحبة والسلام فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٠١ محمد بن العربى خار الله له».

ونص ما كتبه الوزير المذكور جوابا عن استشكاله بعض ما فى الظهير الشريف بعد الحمدلة:

«محبنا الأعز الأرضى، الباشا الأسعد المرتضى، الفقيه سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلتنا بطاقتك باستشكالك الجملة التى بينت من الظهير الشريف الموجهة لك فى شأن رفع الضرر والحيف الواقع فى ماء فاس، وطلبت التصريح لك بالمراد فى ذلك لئلا تقع مع من ذكرت فى محذور، وأطلعنا بذلك علم مولانا فأجاب نصره الله بأن المراد هو رفع الضرر الحادث والقديم الواقع فى ذلك الماء ورد مجاريه لهيئتها وكيفيتها القديمة والتسوية فى رفع ذلك الضرر بين القوى والضعيف، والمشروف والشريف، وبأن من توقعت منهم ما ذكرته هم الذين تشكوا بذلك الضرر ورغبوا فى رفعه هم وغيرهم من كبراء فاس وأعيانها كافة، والنبيه مثلك لا ينبه وعلى المحبة والسلام فى ٢٨ ربيع الثانى عام ١٣٠١ محمد بن العربى خار الله له».

ثم توجه الوفد العالى والخليفة الرايس، والأمين المقرى، والناظر الشامى، وشيخا البصر، والقنويين والرحويين وغيرهم للوقوف على إجراء الإصلاح المنشود

حتى وقفوا على الماء الذى يسيل من سد باب جبالة، فاقتضى نظرهم حصره ببناء حائط من طابيه، وحينئذ أحضرت الإقامة وشرع فى بنائه وعلى الجزيرة التى برأس رحى الجبل المشهود بضرر بقاء السمر النابت بها حتى أزيل جميعه، وخملت الجزيرة المذكورة وما زالوا كذلك فى تنفيذ الإصلاح من تعيين أوقات السقى وتجديد المغاليق وإصلاح القواديس وبيان أنواعها وما تناسبه وغير ذلك، حتى أتموا مهمتهم حسبما ذلك بشهادة عدلية ثابتة بتاريخ رجب الفرد من السنة ١٣٠١.

ثم ظعن إلى فاس فأقام لتدبير الشئون فيها إلى أن دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة وألف، فرجع إلى العاصمة المكناسية وأصدر الأوامر لعاملها إذ ذاك الباشا حم بن الجيلانى بانتخاب عشرة من أعيان نجباء طلبة الجيش البخارى لقراءة فن التوقيت والحساب، ورشح لتعليمهم موقت الحضرة المكناسية الشهير الجيلانى الرحالى.

وقد كان للمترجم اعتناء وشغف بهذه الفنون الرياضية، فكان يوجه فى طلب آلاتها من سائر الجهات، وقد وقفت على بطاقة من عامل الرباط السيد محمد بن محمد السويسى للشريف العلامة سيدى محمد بن الحسنى عم صديقنا الحميم سيدى المدنى بن الحسنى نصها بعد الحَمْدَلَة:

«محبنا الأرضى الفقيه الأجل الشريف سيدى محمد بن الحسنى السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد أمرنى مولانا أعزه الله نوجه لحضرته الشريفة ستة ربعات وستة أسطرلابات التوقيت من هنا، وبحثنا فتحقق لنا عندكم اثنين ربعات وأسطرلاب وعليه أحبك توجه لنا بهم وتعلمنا بثمنهم أو يقدر لهم ولا بد وعلى المحبة والسلام فى ٧ شوال عام ١٣٠٨ محمد السويسى لطف الله به».

ثم نهض من مكناس قاصداً عاصمة الجنوب فسار على طريق زمور الشلح ثم رباط الفتح وبه أقام سُنَّة عيد الفطر، ثم نهض على طريق زعير وتادلا، وبينهما قضى سُنَّة عيد النحر، ثم من زعير لايت بوزيد فآيت اعتاب، ولما وصل إلى قبيلة نتيفة أوقع بها جزاء على ما أجرمت من شقهم عصا الطاعة على عاملهم الطالب عبد الله النتيفى ووثوبهم عليه وهدهم لداره، ولولا أنه خلص بنفسه نجيا لحضرة السلطان لمثلوا به.

وكذلك أوقع بأهل زاوية تنغملت، ثم سار على فم الجمعة، ثم قبائل السراغنة والرحامنة، ثم مراكش الحمراء فأقام بها مدة يتأهب لعود الحركة للقطر السوسى لتفقد أحواله وتسكين اضطرابه، وإعادة النظر فى ترتيب شئونه، ويدبر أمور الظعن إليه، وكيفية المرور على قبائله وتمهيدها وبمراكش أقام حفلة العيد النبوى والمولد الكريم المصطفوى.

ولما حضر بشريف أعتابه أعيان القطر السوسى كأبى عبد الله محمد بن الحسين أو هاشم، والقائد دحمان بن بيرك التكنى، والحاج مسعود الراشدى، والقائد أحمد العبوبى السرغينى والعمال الذين يتصارفون معهم من آيت باعمران وباعقيلة وتيزفيت وغيرهم كالقائد على الخصاصى، والقائد إبراهيم بوفوس لأداء واجب التهنئة ومشاهدة هذه الحفلات المولوية العيدية وفق المقرر المألوف فى ذلك أمر وزيره أبا عبد الله محمد بن العربى الجامعى بإحضارهم بشريف الأعتاب ومفاوضتهم فيما صمم عليه جنابه العالى من الوجهة لناحيتهم.

فأحضرهم وعرض عليهم القصد المولوى فأجابوا بالترحيب والبشر، وسردت عليهم مراحل السفرة الأولى فوافقوا على بقاء البعض منها على الأصل، وأشاروا بتبديل البعض. قال الخصاصى وبوفوس: إن المسلك السهل المتواصل العمارة والماء إلى كلميم إنما هو على بلاد الاخصاص لقربه واتصال الماء والعمارة، فذكروا أن من بونعمان لاندجه نحو الخمس ساعات لكون محطة الظهر الفارقة بينهما ليس فيها إلا المطافى، ومن اندجه لاكيسل نحو الساعتين ومنه لكلميم

كذلك، كما ذكروا أن لبلدهم طريقا آخر بيانه أن من عين أولاد جرار إلى محل الماء القريب من تمرغت بنحو نصف ساعة نحو الساعتين، ومن ذلك المحل إلى اندجه نحو الساعتين ونصف، ومنه إلى كيسل كذلك ومنه إلى كلميم كذلك وهنالك مراحل أخر:

المرحلة الأولى: من ماسة إلى تيزنيت سوائع ٣ وأقسام ٨ واسم العامل محمد احسون التيزنيتى وفيها الماء كثير.

المرحلة الثانية: من تيزنيت لأولاد جرار سوائع ٣ والعامل محمد - فتحا - ابن عبد الرحمن الجرارى وفيها الماء كثير.

المرحلة الثالثة: من أولاد جرار لبونعمان سوائع ٣ وأقسام ٣ والعامل القائد يحيى البريمى وفيها الماء الكثير.

المرحلة الرابعة: من بونعمان لايسك سوائع ٤ وأقسام ٦ والعامل إبراهيم بن سعيد وفيها الماء كثير.

المرحلة الخامسة: من ايسك لبير تانكارفة والخميس بآيت بوبكر سوائع ٢ والعامل أحمد البوبكرى وفيها الماء كثير جدا.

المرحلة السادسة: من بير تانكارفة والخميس لتانكارفة سوائع ٢ والعامل باكريم وفيها الماء كثير جار.

المرحلة السابعة: من تانكارفة لفم تيكتن سوائع ٤ والعامل باكريم والماء عيون دائرة بالمحلة.

المرحلة الثامنة: من فم تيكتن لكيسل ساعتان والعامل باكريم أيضا وفيها الماء كثير.

المرحلة التاسعة: من كيسل لكلميم ساعتان والعامل ولد بيروك وفيها الماء كثير جدا.

كما وقع الكلام معهم فى شأن اكتيـال الشعير فأشاروا بأن يكون أمين يكتال لكل مرحلتين وما اكتاله ينزلونه بالمحل الذى تنزل به المحلة.

وكانت هذه المفاوضة فى العشرين من ربيع النبوى عام ثلاثة وثلاثمائة وألف حسبمـا وقفت على ذلك فى كناشة المهندس الطالب أحمد بن الشـاذلى البخارى، وقد كان المتقدم أمام المترجم لضبط المراحل بالسوائع والدقائق وبيان السهل والوعر وما به مـاء وما لا ماء به فـإذا أحاط علمـا بالطريق المراد سلوكهـا فصل ذلك فى تقيـيد بغاية الضبط والإتقـان، وقدمه للمتـرجم ليكون على بصيرة مما يقـدم عليه وعلى هذا كان العمل فى سائر الحركات.

ولما عزم المترجم على النهوض عقد لنجله مولاى محمد على جيوش جرارة وقدمه أمامه لاستخلاص الواجبـات الشرعية من زكوات وأعشار المترتبة بذمم تلك القبائل السوسية، وأمره بالتخييم بقبيلة هوارة إلى أن يلحق به أو يرد عليه ما يكون عليـه عمله بعـد، وأصيب الوزير ابن العـربى بداء الفـالج واستنيب عنه الفـقيـه الصنهاجى.

ثم فى يوم الخميس الثانى عشر من جمادى الثانية عام ثلاثة وثلاثمائة وألف بارح المترجم مراكش فى جيـوشه المتلاطمة الأمواج ووجهـته القطر السوسى وكان مخيمـه بوادى السمار، ومدة السير ساعتـان ونصف، ثم منه لزاوية الشرادى ومدة السير ثلاث ساعات ونصف، ثم لوادى الحلوف ومـدة السير ثلاث ساعات، ومنه للمغـسلة والسيـر ثلاث ساعات، ثم لزيمـة بقبيلـة حميـر والسير ثلاث سـاعات ونصف.

وأقام المتـرجم بجيـوشه هنالك يومـا واحداً للاسـتراحـة ولحوق المتخلـفين بالجيوش المظفـرة، ثم لسوق الأحد والسيـر ساعتان ونصف، ثم لقلعـة ابن التمار بعبدة، والمـسير أربع ساعات وربع، ثم لـغدران الخيل والسير ثـلاث ساعات، ثم



لثغر مدينة آسفى والسير ثلاث ساعات، ثم للملح بعبدة والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم لزاوية الرثنانة من بلاد الشياظمة والسير ثلاث ساعات ونصف ومن ثم لسيدى عبد الله مولى الحمراء والسير أربع ساعات، ثم إلى عين الحجر والسير أربع ساعات، ثم لثغر الصويرة والسير خمس ساعات وربع، وكانت الإقامة هنالك أربعة أيام، ثم كان النهوض منها للمحل المعروف بالرياض والسير ساعتان ونصف ومنه لسميمو بحاحة والسير ثلاث سوائع ونصف، ثم منه لدى وسارن والسير ساعتان ونصف ومنه لتفنى والسير ثلاث ساعات، ومنه لتبصريت والسير ثلاث ساعات، وأقام هنالك الأمير بجنوده يوما واحدا، ومنها لوادى آيت بامريم والسير أربع ساعات، ثم لاقروض والسير ثلاث ساعات ونصف، ثم لتامزاغت ما بين حاحة واداوتنان والسير ثلاث ساعات ونصف ومن ثم لابن شركا وهو أول سوس وكانت مدة السير ثلاث ساعات والمقام هنالك سبعة أيام، ثم سار إلى أن خيم بأزرو من قبيلة كسيمة والسير ساعتان ونصف، ومن ثم لسيدى بيبى حيث المدرسة والسوق الآن والسير ساعتان ونصف، ثم إلى تابوحنكت بقبيلة آيت أبو الطيب بهشتوكة والسير ثلاث ساعات عدا ربع، ومنه لدوار سيدى على المجاور لوادى الغاس بقبيلة المعدر من جبل رسموكة والسير خمس ساعات عدا ربع، والمقام ستة أيام ومن تيزنيت نهض لأولاد جرار والسير ثلاث ساعات، ومن ثم إلى زاوية أبونعمان مدرسة العلم ثم آيت ابريم وهم الجبليون والسهليون والسير ساعتان، ومن ثم لايسك حيث يكون الموسم على شاطئ البحر وبه مدرسة آيت باعمران قرب سيدى إبراهيم والسير أربع ساعات، ومنه آثلمون بعد سوق الخميس بآيت بوبكر والسير ساعتان والمقام أربعة أيام ومنه لأربعاء انمستتن والمقام ثلاث ساعات وثلث، ومن ثم لثلاثاء اصبويا وهى قبيلة عظيمة أهلها ذوو كرم وشجاعة وعلم وفضل ونزاهة والسير ثلاث ساعات ونصف والمقام يوم، ومنه إلى تبجلكت

والسير ثلاث ساعات وعشرة دقائق ومن ثم لزاوية تيلوين والسير ساعتان ونصف، ومنهـا لرق أولاد أبى السبـاع والسير سـاعة واحـدة ونصف، ومنه لمدشر اكلـميم مرسى على شاطئ البحـر والسير ساعة وربع، والمقام أحد عـشر يوما وبهذا المحل لحق به وزيره ابن العربى لما خف ألمه.

فكان عدد مـراحل الذهاب من مراكـش إلى كليميـم تسعا وثلاثيـن مرحلة قطعت فى مائة واثنين وعشرين سـاعة وخمسة عشر دقيقـة، وعدد أيام المقام سبع وثلاثون، فعدد الأيام فى الذهاب وفى الظعن والإقامة ستة وسبعون يوما.

ولما خيم بكليـميم وجه وزيره وشيـخه أبا الحسن على السـمفيوى وخـديمه القائد مبارك بن الشليح الشرادى الدليمى وكاتبه الطالب أبا عبد الله محمد - فتحا - الجبـاص لمرسى البيـضة - بالتـصغـير - المتـصلة بطرفاية للوقـوف على عيـنها والكشف له عن حقيقتها.

ومن آيت باعمران كتب لباشا مكناس مخبرا بوصول الركاب السعيد ودونك نص الكتاب بعد الحمدلة والصلاة والطابع الذى بداخله الحـسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١:

«وصيفنا الأرضى القـائد حم بن الجيلانى وفقك الله وسـلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فـإنا بحول الله الملك القـوى المعين. الفـاتح لما أُغلق كمـا يشاء فى الحين أو بعـد حين. المؤيد بعنايته عـبده فى كل مصدر ومـورد وتحريك وتسكين. كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خـدامنا قبائل آيت بوعمران بحبوبة مـجامع قبائل سوس الأقصى ومناخ الأعـيان. نعلمكم بما واجهنا المولى سبحـانه فى هذه الحركة المباركة من تـعاقب المنن والأيادى وابتسام ثغـر الزمان، بما أملناه من العلى المنان،

فى هذا النادى لتعلموا أن الله على كل شىء قدير. وبيده مقاليد السموات والأرض وهو الولى والنصير، والسميع والبصير.

فكان من أمر هذه القبائل السوسية والقساملة الساحلية أن تلقوا ركابنا السعيدة أفواجا أفواجا. ناشرين أعلام الفرح تجاه جيوش الله المظفرة ضحى وإدلاجا، حاشدين حروكهم مصحوبة بأعيانهم ومن يعتد به من فقهائهم وشرفائهم ومرابطيهم، من غير أن يكون جمعهم خداجا مستنتجين للفوز بخاطرنا الشريف مقدمات الامتثال والسمع والطاعة لله ورسوله استنتاجا، مقدمين بين يديهم هداياهم، متترسين بإخوانهم وسراياهم، مادين أعناق الامتثال. عاضين بالنواجذ على الخدمة وصالح الأعمال. فأتوا بمئونتهم على قدر الاستطاعة، ومهدوا لسلوك الملة السعيدة ما صعب من طرقهم حتى صارت مسلوكة مشاعة.

ونحن فى كل ذلك نعاملهم بالبروز، ونبسط البشر إليهم ونقابلهم بما ارتسم فيهم من السرور، وها نحن بحول الله جادون فى الخلوص إلى المقصد الذى لأجله نقلنا هذه الخطوات. واستعملنا فيه الفكر وأسهرنا أحداق الاعتبارات. من صرف النظر لفتح مرسى آصكى مركز سواحل وادى نون. ومجمع القبائل الأعرابية والبربرية ومنتهى ذلك المسكون. ولا سيما من جاءت بينهما كالام والعنصر وهما كالتوءمين لها يستمدان منها ويرضعان خلاصة لبن ثديها وهما القبيلتان البوعمرانية والتكنية ومن تراكم عليهما وارتدف. من قبائل البربر والأعراب أو كان على حكمهما فيما ارتضع وارتشف.

هذا إن كانت تصلح لذلك وتعود منفعتها على المسلمين والإسلام بعد الاستخارة مرارا. فى اختطاطها وفتحها ونتحقق بصلاحيتها كشفا واستبصارا. ونتوخى فى الإقدام على ذلك بحول الله الأسد من الأنظار، والمنهاج القويم الجارى على أعراف هاتيك الأقطار.

ثم إن كانت موافقة للأصلح أقدمنا، وإن لم يظهر وجه المصلحة أعرضنا عنها إلى غيرها قال الله العظيم: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ

مِثْلِهَا...﴾ [البقرة: ١٠٦]، وما آل إليه الأمر نعلمكم به ونشنف آذانكم بما سنح من سره، فإنه لكل عمل نتيجة بعد العنوان، والله الولى المستعان، والهادى إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام فى ٨ شعبان المبارك عام ١٣٠٣».

وبعد قضاء الوطر من هذه الرحلة نهض من كليميم يوم الأربعاء تاسع عشرى شعبان العام ووجهته عاصمة الجنوب وكان مخيمه بالمطفية المتقدمة الذكر، ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن طوى مراحل الإياب فى أربعة وثلاثين مرحلة فكانت مدة السير فيها مائة ساعة وأربعة سوائع ونصف، ومدة المقام ست وأربعون يوما، فجملة أيام الإياب ثلاثا وسبعين مرحلة قطعت فى مائتى ساعة وسبع وعشرين ساعة عدا ربع ساعة.

وعليه فجميع أيام السفر من يوم الخروج من مراكش وهو الخميس الثانى عشر من جمادى الثانية إلى يوم الحلول بها وهو السبت موفى عشرى قعدة ظعنا وإقامة مائة وستة وخمسون يوما عنها خمسة أشهر وستة أيام لنقص شهرى شوال وذى القعدة.

وفى إيابه من هذه الوجهة أوقع القبض على عتاة هشتوكة وهوارة وذلك يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان وفى يوم الخميس ثامن عشرى رمضان استولى على أمتعة وذخائر أهل البغى والعناد من هوارة.

ثم فى يوم السبت متم رمضان حل بتارودانت وبها أقام سنة عيد الفطر، ومكث بها أحد عشر يوما وفى يوم الثلاثاء سابع عشر شوال أوقع باذاوتنان.

وفى يوم السبت موفى عشرين من ذى القعدة حل بحضرة مراكش عاصمة الجنوب فأقام بها يتفقد الأحوال وينظر فى المصالح إلى يوم الاثنين ثامن شعبان عام ١٣٠٤ فنهض منها قاصداً عاصمة سلفه مكناسة الزيتون وأوقع فى طريقه بقبيلة

نتيفة حيث رفضوا طاعة عاملهم عبد الله الزناكى، وأقام سُنَّة عيد الفطر بالزيدانية من أعمال تادلا، ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن حل بثغر الرباط يوم الاثنين سابع عشر قعدة، وأقام بها إلى يوم الخميس سابع عشرى الشهر المذكور ولم يزل يطوى المراحل إلى أن دخل العاصمة المكناسية يوم الأربعاء رابع حجة متم عام ١٣٠٤.

وفى يوم الأحد خامس عشر رمضان ١٣٠٥ نهض من مكناس قاصدا القبائل البربرية بنى مجيلد وزيان وغيرهم لتفقد الأحوال وإخماد نيران الأهوال التى أضرمها بنو مجيلد الذين سعوا فى الأرض الفساد، وأهلكوا ضعفاء العباد، ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل مولاى سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف على ما سنوضحه بعد بحول الله الشهيرة عند الخاصة والعامة بوقعة سرور.

فمن ذلك العهد خلعوا ربقة الطاعة من أعناقهم، وتجردوا للسلب والنهب، وظنوا أن عصبيتهم لا تغلب، وتمنعهم بأوعار الجبال الشاهقة حام لهم من تحكيم سيوف العدل فى رقابهم، فصار التوحش والهمجية خلقا لهم به يفتخرون، واستحكم ذلك فيهم لا ينظرون إلا لما فيه مصلحتهم الشخصية وإن كان فيه خراب العالم، فإن احتاجوا لحجر لأثافى[1] قدورهم نقلوه من أضخم المبانى وأعتقها وأفخرها ولا عليهم فى خرابها لأجل ذلك الغرض الخسيس، ويرون أن رزقهم تحت ظل مكاحلهم إذا تركوا السلب والنهب يموتون جوعا، ووراء كل رأى من آرائهم الفاسدة عصبية وحمية جاهلية.

ولما تفاحش عيثهم واشتد أذاهم ولم ينفع فيهم تحذير ولا إنذار بل لا يزيدهم ذلك إلا عتوا ونفوراً وعصيانًا، سنح للمترجم كسر شوكة تمردهم وضلالهم وإرغامهم على الرضوخ للطاعة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة،

---

(١) الأُثْفِيَّة: أحد أحجار ثلاثة توضع عليها القِدر، الجمع: أَثَافِيُّ، وأثافِ.

فبعث إليهم باشا مكناس القائد حم بن الجيلانى فى جيش عظيم متنظم من العسكر والقبائل البربرية كبنى مطير وجروان، ثم نـهض المترجم من العاصمة المكناسية فى التاريخ المتقدم بجنود لا قبل لهم بها.

ولما حل بجنوده بالمحل المعـروف بسيدى بورمان وجـد فى استقـباله هنالك القائد محمـد أحمد الزيانى فيما يزيد على الألف فـارس من إخوانه، ولما شرفت الجلالة السلطانية عليهم. وأشرقت أنوار محياه بحيهم. ترحل القائد المذكور وأدى التحيـة المخزنية كمـا يجب، وقبل الركاب كبـقية إخوانه وأعلنوا بالسـمع والطاعة والتمسـوا صالح الأدعية وخامـرهم من الفرح والارتياح ما لم يكن فى حـسبان، وأحدقوا بالموكب الشـريف يتمسحون ويتعلقـون بالأذيال حتى حالوا بين السلطان وبين جل الخـاصة من حاشـيتـه والسلطان يهش فى وجوههم ويبش، ويـظهر من الانشـراح والتنازل ما زادهم إغـراء وإغـراقا فى التـهتك فـى حبـه والميل بالقلب والقالب إليه، ثم بعد قـضاء وطرهم من التبرك واستجلاب صـالح الأدعية امتطوا ظهور خيلهم وتقدموا أمـام المحال السلطانية إلى أن حلوا بالمحل المعروف بكر كرة فخيم السلطان هنالك إلى أن أقام سُنَّةَ عيد الفطر.

وبعد انتـهاء حفلة أيام العيـد فى غاية الأبهة والضخـامة نهض السلطان فى جنوده المجندة إلى أن حل بالمحل المعروف بيميـن خنيك فوجد هنالك باشا مكناس القائد حم بن الجيـلانى فى محاله، إذ كان المترجم وجـهه مقدمة أمامـه قد وقعت بينه وبين بعض العـتاة مناوشـة بالبارود انجلت عن قـتلى وجرحى من الفـريقين، ولولا أن المترجم أمدهم بأبطال فـرسان محلته سعيـدة الطالع لكانت الهزيمة على المحال البـاشوية، ولبقى هو أسـيراً بأيديهم إذ قـد ضربوا فرسـه، ولما بقى راجلا أحدقوا به فـأدركته خيل المحلة وشتت جمـوع البغاة، ولما مثل الباشـا المذكور أمام السلطان وبخه وقبـح فعله إذ كان مراده أن لا يخرج بارود من المحـال المخزنية ولو

ابتدأهم أهل الزيغ بالضرب حتى يحيط بهم محاله الوافرة العدة والعدد إحاطة السوار بالمعصم.

ثم لما كان الغد نهض السلطان ونظم الجيوش أبدع نظام، ودخل شعبة كبيرة شديدة الوعر وسط غابة عظيمة وجعل العسكر عن يمينه وشماله بأعلى تلك الشعبة بحيث لا يغيب عنه كمين ولا آت، وأدخل المال والذخائر مع رايات عبيد البخارى، وأحدقت بالجميع خيول الجيش من مسخرين وشراردة وودايا، وقدم أمام الكل قبته وأخبيته مع فرسان ورماة القبائل التى كانت فى معيته كزيان وجروان، وجعل وراء الجميع فى الذنب رئيس عساكره خاله أبا عبد الله محمد الصغير مع العساكر التى إلى نظره من خيل ورماة وعدد عديد من المدافع.

ثم سار السلطان فى تلك الشعبة الطويلة العريضة حتى اقتطعها، وخرج فى فسيح متسع الأكناف كثير الخصب والزرع، فأمر بالتخييم هنالك فنزل الناس وضربوا الأخبية واستراحوا، ونزل السلطان تحت جدار قصبة هنالك لبعض الأشراف ريثما يتم ضرب أخبيته وفساطيطه.

فبينما هو ثم إذ ورد عليه فارس من قبل رئيس العساكر المذكور يخبره بنشوب البارود بين العساكر وبين عتاة المفسدين، فأمر بإسراج خيول المحلة المسومة وتوجيهها لإعانتهم ثم بمجرد دخول المترجم لأخبيته هجم العسكر الذى بالمحلة السلطانية على قصبة أولئك الأشراف ومدت فيهم أيدى النهب والسلب ووقع الضرب بالبارود ظنا منه أنهم من أهل العصيان، فخرج المترجم مسرعا وأمر بكف العسكر وسب وجدع وجبر كسر المبغوتين بإفاضة سجال العطايا التى غمرتهم، وصيرت الشرور فى الحين لديهم سرور.

أما الخيل التى وجهت لإعانة كبير العساكر فإنها ما سارت غير قليل حتى وجدت العساكر مولية وجهتها للمحال السلطانية ظافرة منصورة بعد أن طمع فيهم

البغــاة المتمردون، وحــسبــوا أن ذلك الذنب كله طعمة لهم بــاردة، فعند مبــارحة السلطان بما كان معه العــساكر والخيول والرماة طبق ما وصفنا عن الشــعبة المذكورة أشرف المفسدون على ذنب الجيش من قنن تلك الجبال.

ثم إن رئيس العــساكــر لما عــاينهم أمــر من معــه من العــسكر بسلوك تلك الشعاب.

ولما رأى البغاة العسكر ينزل من الأعالى ظنوا أنه ذاهب لحال سبيله، فصاروا ينزلون إليه من صياصى الجبال كأنهم جراد منتشر، فهجموا عليهم ووقع القتال بين الفريقــين وصار العسكر يتــأخر كأنهم منهزمــون، فازداد طمع العدو فــيهم، فلم يشــعروا حــتى قطع العــسكر من خلف، وصــار كور المدافع ينــصب على البغــاة ودهمتهم خيول العسكر فروا فوجدوا رماة العسكر قد عمروا سائر المسالك فأثخنوا طعنا بالرماح وضربا بالسيوف وتشتتــوا شذر مذر، فسر المترجم بذلك سرورا ليس عليه من مزيد، وحــمد الله وشكره على ما منح من الفتح والــظفر، بمن حاد الله ورسوله وطغى وفجر، وكتب بذلك الظفــر إلى سائر أقطار رعيته، وإليك نص ما كتب به لباشا مكناس بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«حم بن الجيلانى وبعد فإننا بحول من بيده الفتح والنصر والظفر والتمكين، والحول والقــوة والطول المكين، لما نهضنا من بعض المرحــلات التى بغضون جــبال فساد بنــى مجيلد وخرجت المحلة ســالمة من شغب بعض غاباتهم الصــعبة زاغ من أراد الله هلاكه منهم فى هاتيك الــشعبة، فناوشــوا بعض من بقى مع أثقال المحلة بقتال فــاشل مأخوذ، علما منهم بأنهم لا قبل لهم بالجــيوش المنصورة بالله، ولذا بقى زعيمهم فى ميدان الاقــتناص منبوذا، وكان الذى جرأهم على ذلك وغرهم ما كان صدر منــهم قبل فى الدار الأخرى، وحيث عــرفوا المقصود من التــوجه لأعز أماكنهم وقصــورهم التى هى بملوية التى هى مستودع أموالهم وخــيلهم وأسلحتهم

وزروعهم المرعية قاسوا على ذلك بأخـريات الأثقال ما حاولوه، واجترءوا على ما تناولوه، فـرددنا عليهم من يعـتد به من قبـائل الأعراب وآيت يوسى وبـنى حسن وبنى مطيـر وجروان والعسـاكر المنصـورة بالله من أبطال الرمـاة والفرسان فـشنوا عليـهم الغارات، وجـعلوهم أغراضـا للإشارات، واقتـنصوهم اقـتناص العقـبان للعصافير، ونفذ الوعيد فى طائفة منهم بعد أن تركوا قصورهم وأعز أماكنهم بلقعا ليس فيها عيس ولا يعافيـر، فقطعت منهم رءوس، واستؤصلت منهم أعز نفوس، وكان بؤس ذلك عليـهم أشد بؤس، وأسأم من وقعة البـسوس، فلم يفلت من لم تصبه سهام الله إلا الفرار، للبرارى والقفـار، وتركوا جيفهم صرعى صادين عنهم إلى ساحات النفار.

ولم تلتفت المحلة إلى حز ما بقى من رءوسهم شغلا بالسعاية. وحرصا على الجبـاية. وإلا فلو احتزت منهم تلك الـرءوس لكانت تملأها أحمال. ولعـبت بها الجـمال. ومـا تحصل من الرءوس ممـا فيـه الكفاية. وجـهناه لفـاس إيذانا بعنوان البداية. ثم لا نبرح عنهم بحول الله. إلا إذا استأصلتهم سطوة الله. وأذيقوا مرارة الوبال. وأليم النكال. بمعونة الله. ولم تغنهم من الله حـصون بحول الله. ولا ما اتخذوه وزرا وفيـئا، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيـئا، والمحلة بحول الله مشـتدة مصونة صـائلة، فى أرغد عيش وأطيبـه بائتة وقائلة. تتربص بالـفساد الدوائر. وتذيقهم كل يوم المرائر. وأعلمناكم لتأخذوا بحظكم من الفرح، وتعلموا أن الله سبحانه يتولانا فى الطغاة بمنه وفضله ومعونته وفق المقترح. إنه مفضال غنى كريم. ناصر الحق عزيز حكيم. والسلام فى ١٥ شوال عام ١٣٠٥».

ثم نهض المترجم فى جنوده وسار إلى أن وصل للمحل المـعروف ببولعجول مدشر كـبير محـصن غاية التحصـين أمامه عدة مـداشر متفرقـة، فى بسائط ذات خصب وعيون دافقة وحراثة متسعة، وهنالك أوقع بتلك القبيلة الشاردة عن الطاعة

المشوشة للراحة العامة المعدمة الأمْن فى السبل بضرب رقابهم وأسر رجالهم وحز رءوسهم وحصد زروعهم وهد حصونهم المنيعة، وأذاقهم أليم النكال وحرق مداشرهم وشدد عليهم الحصار حتى ضاق بهم المتسع، وأذعنوا للطاعة رغم أنوفهم، وجاءوا تائبين منيبين مذعنين فعفا عنهم عفو قادر، وألزمهم إعطاء عدد وافر من البقر والغنم وغير ذلك ذعيرة لهم فأدوا جميع ذلك من غير أدنى تمنع ولا مماطلة وولى عليهم العمال وكتب لعواصمة مبشرا بهذا الفتح الباهر ومحققا للواقع.

وإليك نص ما كتب به لصنوه وخليفته بفاس بعد الحمدلة والصلاة والافتتاح:

«مولاى إسماعيل وبعد فإنا لما خيمنا بحول الله وقوته بملوية بالدار بالمرحلة الثالثة منها تخييم يمن وأمان وعرجنا على قصور الصلحاء من بنى مجيلد عمدت المحلة إلى أكلها ظنا منهم أنها من قصور الفساد وأنها المقصود بذلك الناد، فوجهنا من جيشنا السعيد من كفهم عن ذلك حتى صيرناهم فى ظلال الأمن نائمين. وفى قصورهم مطمئنين.

وفى أثناء ذلك توجهت الطوبجية أمام فساد بنى مجيلد فوصلوا إلى قصر من قواهر قصورهم سمى اغرم منى بمحل من ملوية يقال له بوعجول، وبه نزلت المحلة السعيدة وبالقصر المذكور مدخراتهم وأموالهم وأمتعتهم فناوشوهم بالمضاربة. وأعلنوا بالمحاربة. فتضاربوا معهم من ذلك القصر، ولما بلغنا ذلك وجهنا لهم المدد من العساكر المنصورة. وجيوش الله الموفورة. فأذاقوهم المرائر وأرهقوهم بالقسر وقطعوا منهم رءوسا. واستأصلوا منهم نفوسا. وقبضوا على مساجين وأذاقوهم مرارة الحين فى الحين. وصاروا يأتون بالرءوس والمساجين إلى أن جن الليل فأمرناهم بالرجوع إلى الصباح، ليرتب أمر ضربهم على مقتضى الكفاح فإذا بمن بقى فى مكامن القصر فر منه وتركه بلقعا، ولم يبقوا منه فردا ولا جمعا.

فأمرنا بهدمه فهدم حتى صار دكا، ولم يترك له صورة ولا تركيبا مرتكبا، وأبقيناه عبرة لمن اعتبر، ولكل من له عقل مزدجر، فى كل ورد وصدر.

وذلك بعد أن أخرجت ذخائره. واغتنمت أوائله وأواخره فكان بحمد الله فتحا مبينا. وظفرا وتمكينا. هذا ولم يكن لنا غرض فى قتالهم فى ذلك اليوم لولا ابتداؤهم به ولكن الله خذلهم ومزقهم وبددهم ونحن على نية استئصالهم بحول الله بعد فإن القبائل التى أمرنا باجتماعهم عليهم وهم خدامنا زيان وشقيرن وآيت يحيى وآيت يحمد وآيت يزدك وآيت حديدو أجلناهم بذلك أجلا كاد إلى الانصرام وحيث تجتمع تكون النهضة إليهم دفعة، والجلبة عليهم متحدة لتكون عليهم شر وقعة، والمرجو منه سبحانه أن يمكن منهم حتى لا تبقى لهم قائمة ويمحو من دواوين القبائل أسماءهم ويصير رسومهم دارسة، ومع هذا فإنا لا نعتمد إلا على خالق القوى والقدر المؤيد لعبده، الناصر لجنده، إذ لم يعودنا سبحانه إلا الجميل، ولم نعترف من فضله إلا الظفر الذى هو به كفيل والله سبحانه يتولى أمورنا وأمور المسلمين، ويمكن من القوم الظالمين، فإنه سبحانه بعباده بصير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وحيث كانت السبقية لكم بإعلامكم بباكورة الفتح الذى امتن الله به عنوان وجهنا فى هذا الفتح الثانى لمكناس ستة عشر رأسا من رءوس الفساد الذين اقتحم هذا القصر عليهم والسلام فى ١٨ شوال عام ١٣٠٥».

وبهذا التاريخ وبنفس الألفاظ والمعانى كتب لخليفة القائد حم بن الجيلانى باشا مكناس إلا أحرفا قلائل.

ثم نهض المترجم من بولعجول وسار إلى أن خيم بعين سرور التى كانت بها واقعة السلطان مولاى سليمان المشار لها فتقدمت له من قبيلة شقيرن فرقة يقال لها آيت شخمان، وطلبت منه أن يرسل معها شرذمة من الخيل لتستوفى منهم ما

بذممهم من الواجب الشرعى، وقد أظهروا من الطاعة ما لا مزيد عليه، وهم على دخل مصممون على الغدر والأخذ بالثأر لإخوانهم بنى مجيلد، فأسعف المترجم رغبتهم وعقد لابن عمه البركة المفضال مولاى سرور بن إدريس بن سليمان السلطان المذكور سابقا والمترجم فيما يأتى بحول الله ووجهه معهم.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن حل بالمحل المعروف باغبال تسردنت، وهنالك وجد المهراس الصينى الكبير الذى كان بقى ثم من عهد السلطان أبى الربيع سليمان فى الوقعة المنبه عليها آنفا، فأمر المترجم بحمله لمكناس، ثم نهض وسار إلى أن خيم بالمحل المعروف بجنو، وهنالك بلغته واقعة مولاى سرور، وذلك أن مولاى سرور لما ذهب مع آيت شخمان فى تلك الشرذمة من الجيش ووصل لحلتهم، أظهر الشخمانيون له من الفرح والابتهاج والرضوخ للطاعة ما دلوه به ومن معه من الجيش بغرور، ففرق تلك الجيوش على حللهم مظهرين غاية الاعتناء بهم وأنهم يريدون ضيافتهم، ولم يتركوا مع الشريف المذكور غير نفر قليل، ولما جن الليل قتل كل من عنده، وأوقع البارود وقتلوا الشريف حسبما يأتى تفصيل ذلك فى ترجمته.

ثم لما بلغ ذلك الخبر المحزن للسلطان اشتد غيظه وأنهض الجيوش للإيقاع بهم والإتيان بهم ناكصين على الأعقاب، فلم يجدوا لهم أثرا حيث إنهم لما فعلوا فعلتهم الشنيعة هربوا ودخلوا الكهوف والأوعار، فهدمت أبنيتهم واستؤصلت أمتعتهم، وحصدت زروعهم، وغض الطرف عن اقتفاء أثرهم وهو يتربص بهم الدوائر حيث إنه فى وسط أرضهم، وجل من معه منهم لا تؤمن غائلته.

ولما شاع أمر ما أجرموه وذاع، وملأ الأفواه والأسماع. كتب المترجم لصنوه خليفته بفاس مولاى إسماعيل بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«مولاى إسماعيل، وبعد: فبعد ما أعلمناكم بأن مرورنا على طريق زيان، فنهضنا وسرنا فى عز وظفر وسكينة، وكانت قبيلة آيت شخمان ممن ورد على حضرتنا الشريفة، وأعطوا يد الانقياد، وولينا عليهم عاملين وتلاقوا وأهدوا ووظفنا عليهم ما وظفنا على غيرهم من قبائل البربر، واقتضى نظرنا الشريف توجيه طائفة من الخيل والعسكر بقصد إزعاجهم لتنضيد ما وظفنا عليهم حذرا من التطويل، إذ كان مقصودنا إدراك عيد الأضحى بالمدينة، ثم إنهم أى آيت شمخان دخل فيهم شيطانهم المهاوشى ونفث فى روعهم غدر من وجهناه إليهم فاحتالوا لذلك وفرقوا الخيل على الدواوين والمداشر، بقصد الإتيان بالموظف.

وكنا وجهنا مع الخيل المذكورة ابن عمنا مولاى سرور فبقى مع طائفة من الخيل، ثم لما ناموا غدروهم فضربوهم بالبارود. ونقضوا العهود. وخانوا الله ورسوله والمؤمنين، فكان من قضاء الله وقدره موت ابن عمنا المذكور، وحيث بلغنا ذلك وجهنا لهم العسكر والمدافع والقبائل وأمرناهم باستئصالهم، فلم يجدوا منهم أحدا. فحرقوا قصورهم ولم يتركوا لهم فيها سبدا ولا لبدا.

ثم كتبنا لسائر عمال البربر جوارهم من ناحية الصحراء وأمرناهم بالإحداق بهم وسد الفرج التى منها يفرون، وأكدنا عليهم فى ذلك، وعما قريب يقضى فيهم الغرض بحول الله ولا نبرح عنهم بعون الله إلا إذا أرهقهم الله بسطوته وتناولهم أيدى الجيوش والقبائل، وأبقيناهم عبرة للمعتبرين. وإن الله لا يهدى كيد الخائنين. والسلام فى ٢٠ قعدة عام ١٣٠٥».

ثم بعد ذلك كتب المترجم لصنوه خليفته بفاس أيضا بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«مولاى إسماعيل وبعد فما كنا أعلمناكم به من غدر آيت شخمان ومدهم يد الطغيان. بعدما أعطوا يد الانقياد. وكنا وعدناكم بأننا لا نبرح عنهم إلا إذا

استأصلتهم سيوف الله فى ذلك الناد. وجهنا الطلب فى أثرهم حيث فروا للصحراء. ودوخنا بلادهم سهلا ووعرا. فلم يقفوا وتاهوا فى البيداء، وتلونا قول الله سبحانه: ﴿... أَيْنَمَا ثُقِفُوا... ﴿٦١﴾﴾ [الآية ٦١ من سورة الأحزاب] فلم يكن إلا هدم قصورهم. وإعفاء آثار رسومهم. حتى صارت دكا. بعد استخراج خباياهم وزرعهم وأسلحتهم وأمتعتهم وصارت للجيوش ملكا.

وكتبنا لسائر جوارهم من قبائل الصحراء. بضربهم وقتلهم أينما وجدوهم حتى لا تظلهم سماء، ولا تقلهم أرض ولا يجدون جرعة ماء.

ثم إن طائفة من شقيرن يقال لهم آيت يعقوب اعيسى، بلغنا أنهم حلفاء آيت شخمان. وأنهم آووا طائفة منهم بأموالهم ومواشيهم وبعض من الأعيان. كأنهم منهم على قاعدة المستجير الولهان. وكنا ولينا عليهم أيضا عاملين وأعطوا يد الانقياد ظاهراً. وأنهم لم يبق منهم إلا من كان للصلاح مسامرا.

وحيث تحقق لدينا أن ذلك عن غش وخذلان. ومرض قلب لا عن صفاء طوية واطمئنان، حيث آووا فسدة آيت شخمان. رعيا لما بينهم من الإخاء القديم على الفساد والطغيان. وجهنا إليهم عددا من قبائل البربر. وأحدقوا بهم إحداق من أطاع الله وبر، وأتبعناهم بالعساكر المنصورة، والجيوش الموفورة، فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى قطعوا منهم رءوسا، واستأصلوا من أعيانهم نفوسا. وقبض على نحو ثلاثمائة من المساجين وكانت وقعة شفينا بها الغليل، وتداوى بها العليل، فإنه سبحانه لم يعودنا إلا الجميل وهو الفاعل المختار. الذى بيده النواصى والمقاليد فى الإيراد والإصدار، وها الرءوس توافيكم وعددها اثنان وعشرون، فتعلق ثلاث ثم توجه لمكناس للخليفة هنالك والسلام فاتح حجة عام ١٣٠٥».

هذا كله والمترجم مخيم كما تقدم بالمحل المعروف بـ «جنو» ثم نهض وخيم بالاعريض وبه أوقع بآيت يعقوب وعيسى بإغراء من القائد محمد احم الزيانى.

ولا شك أن هؤلاء العتاة البغاة محاربون يجب قتالهم ويقدم على قتال الروم يتبع منهزمـهم ويقتلون مقبلين ومدبرين ومنهـزمين، وليس هربهم توبة تدرأ عنهم القتل على قـول سحنون خلافـا لابن قاسم، انظر المواق، وإذا أخذوا قـبل التوبة لزمهم الحد، وهو ما نص الله تعالى عليه فى محكم وحيه بقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ... (٣٣)﴾ [سورة المائدة: الآية ٣٣].

ولا يسقط حق الحرابة على من ثبتت حرابتـه إلا التوبة قبل القدرة عليه، ثم لا يسقط بعد حق الآدمـيين، ولا خلاف يعتبـر فى أن المحارب هو القاطع للطريق المخيف للسـبيل الشاهر للسـلاح طالبا للمـال، فإن أعطيه وإلا قـاتل عليه. انظر منتقى الباجى.

وقد قال ابن المواز: لم يختلف قول مالك وأصحابه فى إجازة قتال المحاربين وأن من قتلوه فهو خير قتيل، ومن قتل منهم فهو شر قتيل.

وقال مالك وابن القاسم: غزوهم غزو.

وقال عنه أشهب: من أفضل الغزو وأعظمه أجرًا.

وقال مالك فى أعراب قطعوا الطريق: غزوهم أحب إلى من غزو الروم.

وقال ابن القاسم: وإذا قتل الواحد منهم قتيلا فـقد استوجب جميعهم القتل ولو كـانوا مائة ألف إذا كـانوا ردءا له وأعوانا، وقـد صرح ابن الحـاجب وغيـره بالاتفاق على قتالهم ووجوبه على من قدر عليه.

ومن كان معاونا للمحاربين كالكمـين والطليعة فحكمه حكمهم ويدخل فى قوله ﷺ: «لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيـا وما فيها» والغدوة لقتال المحاربين.

وقال ابن عـرفة: لا ينبغى لمسلم مـخالفة فى قـتال المتصـبين لقطع الطريق وسفك دمـاء المسلمـين وأكل أموالهم، وكـذلك استـباحة أمـوالهم واتباعـهم فى هروبهم والإجهاز علـيهم، لا يشك فى ذلك إلا مغرق فى الجهل ومـعاند للحق، قال: وذلك عندى كـفر لأنه منكر لما علم من الدين ضرورة إن كان يعلـم وصفهم المذكور.

هذا ولما استوفى المترجم غـرضه من إقماع المعتدين وتبديد جمـوعهم وكسر شوكة عصبيتهم طبق ما اقتضته السياسة إذ ذاك، نهض إلى أن وصل إلى دار القائد محـمد احم المذكور بادخسـان، وهنالك أقام سُنَّة عيـد الأضحى، ثم بعد انتـهاء حفـلات أيام العيـد نهض فى جيـوشه الجـرارة ولم يزل يوالى السيـر إلى أن حل بالعاصمة المكناسية صبيحة يوم الاثنين تاسع عشر حجة متم عام ١٣٠٥.

فكانت جميع أيام هذه الحـركة ثلاثا وتسعين يوما ثـلاثون يوما منها ظعن، وثلاث وستـون يوما إقامـة، أولها يوم الأحد خامس عـشر رمضـان وآخرها يوم الاثنين التـاسع من ذى الحجـة قطعت أيام السفـر منها فى اثـنين وسبـعين سـاعة وخمسين دقيقة:

ولما حل المترجم بمكناس أقام به اثنين وأربعـين يوما ثم نهض لفاس ووفدت عليه الوفود لتهنئـته بمقفله من حركة بنى مكيلد فى ضمنـهم الوفد الرباطى ومعهم قصيدة العلامة الشهير شيخ الجـماعة بذلك الثغر أبى حامد سيدى المكى البطاورى فى التهنئة وهى:

سعـادة الملك مسـعد بهـا الوطن ... وعـزة النصر مـوصول بهـا الزمن

ومن يكون إله الـعـرش ناصـره ... ألقت إليـه القـيـاد الشم والقنن

والله يحـفظ مـولانا ويحـرسـه ... حـتى يـغص عـداه أينمـا قطنوا

أليــة بالصــفــا والمأزمــين لقــد ... خص بعـز الورى سـيـدنا الحـسن

أعـز ذا الغـرب ملكـا بل أعـز ملو ... ك المسلمـين جمـيـعا أينمـا وطنوا

فى كل قطر من الدنـيا اسـمـه علم ... منوه الذكــر تســتـعلى بـه اللسن

لنا الهنـاء فـهـذا الفـخـر من عظم ... مــا ناله أحــد مــا حــاره وطن

أيامـه الغر أعـيـاد الورى انسجـمت ... بهــا المكارم وانهلت بـهــا المزن

مــــا زال منـذ ولى والله يكـلؤه ... يقظـان عــزم إلى أن نامـت الفتن

وشــيـد المغــرب الأقــصى وزينه ... بالأمن فــاتصلـت بقطره الهــدن

ومـهـــد الملك تمهـيـدا وصـيـره ... روضــا أريضـا بكـل نبعــة فنن

وعــــمت الخـلق أنعم مـــواصـلة ... وأعـــدم العـدم والأكــدار والمحن

فالديـن فى سعة والـكفر فى ضـعة ... والنـاس فى دعــة أمـن ولا دخن

والعـصـر مـبـتـهـج والحق منتـهج ... والملك بالنصـر والتـأييـد مـقتـرن

تدبيـر شـــهم له فى كل مـعــضلة ... رأى سـديد إذا مـا حــارت الفطن

مجدد العصر محيى الدين شمس هدى ... ســيـــره حكم أفــعـــاله سنن

مـعـتـضـد بالتـقى بالله مـعـتـصم ... مظفـر الجـيش منـصـور اللوا يقن

مـحـبب فى قلوب الخلق كـيف ولا ... أحـــد إلا وفى نعـمـــاه مـــرتهن

كل يفـــديه بالأرواح مـــجـتـــهـدا ... لأنـه لــلـورى روح وهـــم بـدن

من ذا يبـاريه فى مـجـد وفى كـرم ... وهل يبــارى الذى إنعـامـــه الهتن

العـفـو سيرته والصـفح شـيـمتـه ... والجـــود والبـذل والإنعــام والمنن

بر جـــواد شـــجـــاع ســـيـــد نزه ... سـمح حليم عـفــيف كـيس فطن

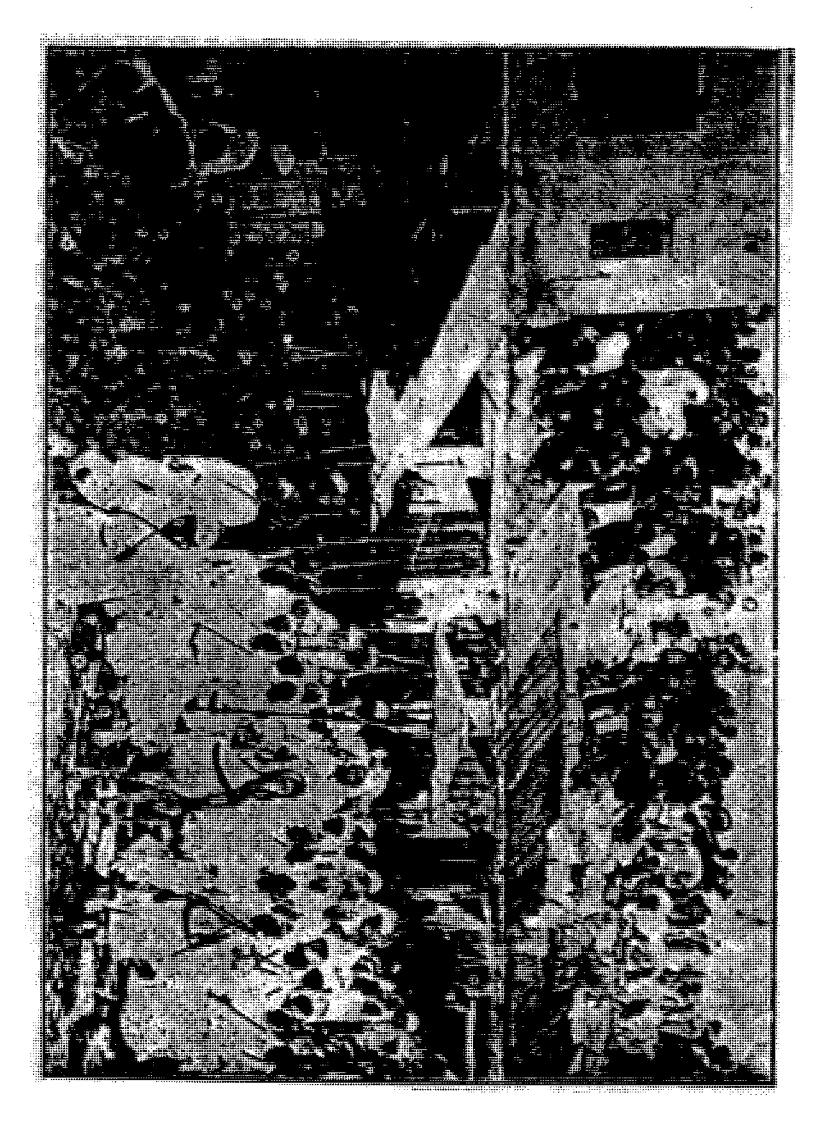
فـراسـة صـدقت فى كـل نازلة | قـد استـوى عنده الإسـرار والعلن
وهيبـة جلل الآفـاق مـوقـعـهـا | فالأسـد فى غيلهـا من خوفـه تهن
وسطوة بهـرت والنصـر يصـحبـهـا | وعـين حـزم وعـزم مـا بهـا وسن
سـاس الرعـيـة من سـوس وبربرها | وزال عن درن بـوطئــه الـدرن
ذلت مكـيلد بل عـزت بطاعـتـه | لما غـدت فى عـداد الجند تحـتـجن
خـوفهم بعـصا الشـرع المطاع فمـذ | تابوا وأمـوا على حـضـرته أمنوا
ظنوا حـصـونهم والـوعـر يمنعـهم | هيهـات لا وزر يحمى ولا حـصن
أنـى يـقـل مـكـان مـن أنـاط بـه | همـتـه أو تقـيـه البـيض والجنن
كـيـف وهمـتـه بالله نـافـذة | لو مـدها نحـو دهر قـاده رسن
ولو أراد مـسـيـر العـاديات على | متن العباب بها ما احـتيجت السفن
ولو رمى بـسـديد سـهـم همـتـه | ديار كـفـر بهـا لم يعـبـد الوثن
الله أولاك ملكـا شـامـخـا بهـجـا | عنت لـسطوته الأقـيـال والعتن
هذى السـعـادة عـين الله تـكلؤها | بغـر أنبـائهـا تشـنف الأذن
من معـشر بالتقى والعلم قد عـرفوا | وبالندى والحـيـا والمجـد قـد زكنوا
هم أهل بيت رسـول الله بهـجتـهم | مـا فـاز قط بهـا شـام ولا يمن
هم المـلوك أدام الـلـه دولـتـهـم | فـإنهـا للورى عـز ومـؤتمن
دامت سـعـادة مـولانا وعـزته | ونصـر رايتـه مـا اتصـل الزمن

وأقـام بفاس إلى يوم الاثنين السـابع عـشر من شـوال عام سـتة وثلاثمـائة وألف. فخرج مـنها وخيم على قنطرة وادى سبـو من بلاد الحياينة، ومنها لقـبيلة

رغيوة فصنهاجة فمتيوة فمزيات فبنى زروال فالعين الباردة فحولان من بنى مسارة، وهنالك أقام سنة عيد الأضحى، ثم نهض لقبيلة بنى أحمد فغزاوة فالأخماس فباب تازا فمدينة شفشاون فبنى حسان، ثم زار تربة الولى الصالح أبى محمد عبد السلام بن مشيش فكسا ووصل وواسى، ثم سار على بنى حزمار إلى أن دخل مدينة تطاون يوم الأربعاء ثامن المحرم فاتح سنة سبع وثلاثمائة وألف، وأقام بها نحو الخمسة عشر يوما، قابل فيها وجهاء وجوهها وتفقد أحوالها وزار صلحاءها وأنعم على أهلها بعشرة آلاف ريال لبناء قنطرة واديهم، وبكل أسى وأسف لم يقع اعتناء بإتقان بنائها فاضمحلت فى أقرب وقت، وذهبت العدة التى صيرت عليها أدراج الرياح، كما أنه أنعم على جسده وعساكره بالكسوة.

ثم بارح تطاوين ووجهته طنجة فدخلها يوم الأحد سادس عشرى محرم المذكور، وأقام بها تسعة عشر أو عشرين يوما، وكان يوم دخوله إليها يوما مشهودا، ومن أعظم المواسم والأعياد معدودا، واستقبله سكانها على اختلاف طبقاتهم بغاية الفرح والإجلال والإكبار، فتفقد أبراجها وصقائلها وأتت لتحيته فيها قطع من الأسطول الإنجليزى المرابط بجبل طارق.

ولما قضى وطره منها نهض متوجها على الغربية فثغر آصيلا وكان حلوله به يوم السبت السادس عشر من صفر العام، وأقام بها يوما طاف فيه على الصقائل والأبراج، ثم سار على طريق الساحل ومر بقبيلة الخلط، وبعد صلاة العصر عبر وادى لكس من مشرع النجمة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من صفر المذكور، وبمجرد عبوره مع بعض الخاصة من حاشيته امتلأ الوادى وتعذر على المحلة عبوره فبات المترجم بعدوة وبقيت المحلة بالعدوة الأخرى، ومن صبيحة الغد عبر باقى المحلة ولحق بالمترجم وتوجه لمدينة القصر الكبير بقصد زيارتها، ثم رجع من يومه للمحلة، ثم توجه لثغر العرائش ودخله دخول عز وإجلال يوم الخميس الحادى



السلطان مولاى الحسن فى موكبه فى صلاة الجمعة

والعشرين من صفر المذكور، فتفقد الأحوال والصقائل والأبراج، ثم بارحها يوم الثلاثاء سادس عشرى الشهر المذكور، ولم يزل يوالى السير إلى أن حل بالعاصمة المكناسية يوم الأحد فاتح ربيع النبوى من العام.

فكانت مدة هذه الرحلة مائة وسبعا وثلاثين يوما، منها أربعون يوما ظعنا قطعت فى مائة وثلاثين ساعة وخمس وثلاثين دقيقة وإقامة تسع وثلاثين يوما.

وفى يوم الأربعاء رابع ربيع المذكور بارح مكناسة ووجهته فاس فدخلها من غده الذى هو الخميس خامس ربيع وأقام بها اثنين وثلاثين يوما، ثم بارحها يوم الاثنين الثالث عشر من شوال ودخل مكناسة يوم الأربعاء الخامس عشر منه، ونهض منها يوم الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة، وخيم بالمحل المعروف بدار أم السلطان، ومن ثم لعين عرمة فاربعاء وادى بهت فولجة العكارى فضاية رومى فتفلت فسيدى علال البحراوى فالعرجات فقرميم، ثم رباط الفتح فغبولة فسيدى يحيى من بلاد زعير ففدان الناموس فبزار فابو الضراضر فعويد الماء فالكيسان فصخرة الدجاجة من بلاد ورديغة فبيار امزوى فسيدى محمد البصير من بلاد بنى زمور.

ولم يزل يظعن ويقيم إلى أن دخل عاصمة الجنوب مراكش الحمراء يوم الأحد رابع ربيع النبوى عام ثمانية وثلاثمائة وألف.

فكانت جميع أيام هذه الحركة مائة وأربعين يوما الظعن فيها ست وثلاثون يوما قطعت فى مائة وثمانية عشر ساعة والمقام مائة ساعة وأربع سوائع وعشر دقائق.

وأقام بمراكش إلى أن بارحها صبيحة يوم الاثنين ثامن قعدة ووجهته مكناسة ولم يزل يظعن ويقيم حتى أدركه عيد الأضحى بصخرة الدجاجة فأقام بها سنته وهنالك لحقت به محلة الشاوية.

وبعد انتهاء حفلات العيد عقد لنجله المولى العباس على محلة الشاوية المذكورة ووجهه بها بقصد شد عضد العمال فى استيفاء الزكوات والأعشار المترتبة فى ذممهم.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن وصل المحل المعروف بالشبيكة فأوقع ببنى خيران، وذلك يوم الجمعة سابع عشر حجة ثم فى يوم الجمعة رابع عشرى الشهر أوقع بالحلاليف وبنى اورا فرقة من الزيايدة.

ثم فى يوم الخميس فاتح محرم عام تسعة وثلاثمائة وألف أوقع بالعرب أمر نجله مولاى العباس المذكور وكبير محلة الغرب ولد أب محمد الشركى بالنزول عليهم بمحلتيهما والتنكيل بهما، ولولا أن عامل الرباط الأنصح القائد السويسى تشفع فيهم للجلالة السلطانية لقطع دابرهم من لوح الوجود.

وفى يوم الثلاثاء سادس محرم المذكور حل برباط الفتح وأصدر أمره المطاع لنجله مولاى العباس بالنزول مع محلة الباشا ولد أب محمد بقصبة بوزنيقة ولمحلة الشاوية التى كانت مع نجله المذكور بالقدوم للرباط وأقام هو به تسعة عشر يوما.

ثم نهض منه يوم الاثنين سادس وعشرى الشهر وسار وفى يوم الجمعة رابع عشر صفر أوقع ببرابر بنى مطير وآيت شغروشن ومزقهم كل ممزق ثم أوقع بفرقة من قبيلة زمور الشلح وقعة شنيعة انجلت عن إنابتهم.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر الشهر حل بالعاصمة المكناسية وأقام بها تسعة عشر يوما فى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول نهض منها قاصد فاسا فدخلها يوم الأربعاء عاشر الشهر.

فكانت مدة هذه الرحلة تسعين يوما كان الظعن فى أربعة وأربعين يوما منها والمقام ست وأربعون يوما.

وفى جمادى الأخيرة من السنة كتب وزير الخارجية ليهود مراكش كتابا نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«من عبد الله تعالى وزير الأمور البرانية بالحضرة العالية أعز الله أمرها وأبد فخرها إلى كافة يهود ملاح مراكشة أخص منهم حزانة جموعهم وأساقفتهم وتجارهم وأعيانهم.

أما بعد: فقد بلغ لشريف علم حضرة سيدنا العالية بالله أعزها الله أن عاملكم القائد محمد ويدة السوسى لم يحسن السيرة معكم وعاملكم معاملة غير مليحة وشدد عليكم فلم يلق ذلك بسيدنا نصره الله ولم يعجبه لأنكم أهل ذمته ومن رعيته.

فلا يحب أيده الله أن يقع لكم تضييق أو ظلم من أحد أو معاملة بمكروه، وإنما يحب أن تكونوا فى أمن وأمان من ذلك وعلى حالة مليحة وفى عيشة مرضية وعز به الحال دام تأييده ونصره حيث بلغه ذلك عنكم من عند الناس، ولم يبلغه من عندكم إذ كان من حقكم أن تكتبوا لأعتابه الشريفة بالإعلام بذلك كما يكتب بعض تجاركم ومقدميكم لها فى الأمور.

وقد أمرنى نصره الله بالكتابة لكم بأن تكونوا تكتبوا لنا بما يقع لكم وذلك لنطالع به علمه الشريف، كما أمرنى أيده الله بإعلامكم بأنه أصدر أمره الشريف للعامل المذكور بأن يحسن السيرة معكم ويعاملكم بمثل ما يعامل به من إلى نظره من المسلمين من الحكم عليكم فى الدعاوى المخزنية بما يقتضيه الحق فيها مثل ما يحكم به على المسلمين ويجريكم مجراهم فى جميع الأمور من غير فرق، ويرد دعاويكم الشرعية لأساقفتكم وحزانتكم ويمشى مع أهل الحماية منكم على مقتضى الشروط والقوانين ومن حاد منهم عنها يطالع به شريف علم مولانا دام علاه والتمام فى ٧ جمادى الثانية عام ١٣١٠».

ولم يزل المترجم مقيما بفاس إلى أن بارحها يوم الخميس الرابع عشر من ذى الحجة منصرم العام ووجهته بلاد صالحى سلفه تافيلالت على طريق صفرو، وذلك بعد أن أصدر أوامره لنجله البار الأسعد الشريف الذاكر المتبتل مولاى محمد بالنهوض والتوجه أمامه فبارح مراكش فى عاشر ذى الحجة المذكور.

ثم إن السلطان لم يزل يظعن ويقيم ويقارب ويسد ويرتق الفتوق إلى أن أدركه موسم المولد النبوى الكريم من عام عشرة وثلاثمائة وألف بقصر الريش من دار العيد بوادى زير، ثم سار إلى أن خيم بدار على بن يحيى المرغادى كعبة العتو وركن الفساد وأوقع القبض عليه يوم الخميس ثانى ربيع الثانى ووجه به سجينا لمراكش، كما ألقى القبض قبل ذلك اليوم على متمردة آيت احديدو ثم فى يوم الاثنين التاسع عشر من ربيع الثانى التقى المترجم بمحلة نجله الأسعد مولاى محمد، ومحلة الحوز التى جاءت تحت رياسته وذلك بقصر السوق من بلد آيت ازدك ثم بعد ذلك توجه صاحب الترجمة لزيارة صلحاء الصحراء ثم رجع وسرح آيت احديدو.

وفى يوم الثلاثاء سابع وعشرى الشهر حل المترجم بضريح جده الأكبر فخر بنى جلدته مولاى على الشريف وأقام هنالك سبعة عشر يوما أفاض فيها سجال العطايا وأجزل المواهب، فأعطى شرفاء مدغرة عشرين ألف ريال «مائة ألف فرنك» وجهها إليهم مع ولده المحبوب مولاى عبد العزيز وأعطى شرفاء تافيلالت عشرين ألف ريال أخرى، أرسلها إليهم مع ولديه مولاى عبد العزيز المذكور ومولاى بلغيث.

وقد أوضح معالم هذه الوجهة من فاس إلى سجلماسة فى كتاب بعثه لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الذى بداخل خاتمه السليمانى «الحسن بن محمد الله وليه» وبزوايا الخاتم الست اسم الجلالة ثم

محمد فأبو بكر فعمر فعثمان فعلى وتجاه الزوايا: وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وبدائرته بيتا البردة ومن تكن إلخ ومن يعتصم الخ:

«وصيفنا الأرضى الباشا حم ابن الجيلانى وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فإن من صالح الرعاية التى شرح الله صدرنا إليها، وأبرز لنا فى مظاهر اختيار الكسب قدرته عليها، أن ألهمنا سبحانه لهذه الوجهة المباركة الصحراوية، لتفقد أحوال أهلها وتأسيس مصالحهم المرعية، وسنى لنا فيها سبحانه من فتوحات النصر والظفر، ما لم تزل آثاره لدينا متجددة فى حالتى المقام والسفر، جريا على ما عودنا سبحانه بحمده وشكره، من إمداد عنايته وجميل بره، إذ الكل منه سبحانه وبه وإليه، ومقاليد التدبير فى عالم الكون بيده ولديه، فمنذ نهضنا من محروسة فاس بجيوشنا المنصورة، ومواكبنا المظفرة بالله الموفورة، وبنودنا الخضر السافرة، وعساكرنا التى لم تزل على التعاضد متضافرة، والأحوال بحمد الله جارية على مقتضاها، ومآثر السعادة ترضى المؤمن ويرضاها، عن صدور أثلجها الله بالانشراح، ومسرات مترادفة الهناء والأفراح، وآلات جهادية واستعدادات. وآثار يمن يراها ذوو البصيرة من خرق العادات، إلى أن تخللنا من بلاد آيت يوسى معاقلها، ورضنا بأزمة الاستصلاح قبائلها. فتلقوا جنابنا الشريف بتمام الخدمة وحسن الطاعة، وقاموا بالواجبات والوظائف جهد الاستطاعة، مظهرين بمواطئنا الشريفة غبطة ومحبة وانشراحا. ومعتقدين بها فوزا وتيمنا ونجاحا، زيادة على انتخاب فرض الحركة من أعيانهم لمصاحبة جيشنا السعيد، وقيامهم فى ذلك بالحزم القوى والشرط الأكيد.

ثم نهضنا عنهم فى عناية الله المتوالية أياديها. المنبئة عن حسن الختام مباديها. إلى أن خيمنا بمعاقل قبائل بنى مجيلد تخييما تعاهدنا به أحوالهم.

وأكرعنا به فى مناهل الصلاح شرخهم ورجالهم. فتبادروا لاغتنام السبقية بكمال الطاعة وصميم الالتزام، وقاموا بأداء الواجبات وحقوق خدمتنا الشريفة أتم قيام. وجددنا فيهم للاستقامة أساسا. ورتبنا أمورهم ترتيبا لم يبق فيها انتكاسا، ونهضوا بحركتهم لمصاحبة محلتنا المنصورة، متظاهرين فى الحزم والامتثال بسيرة مشكورة.

ولما كمل منهم المراد، نهضنا عنهم بحول الله فى تمكين وظفر واستعداد، إلى أن ركزت مواكبنا السعيدة فى بلاد آيت ازدك راياتها. وأظهرت مآثرنا الحميدة فى قبائلهم آياتها، فخيمنا عليهم تخييما طبق بمحالنا الموفورة بلادهم، وتخلل بمغارس الصلاح أغوارهم وأنجادهم، فتسارعوا للتطارح على أعتابنا الشريفة. والالتجاء لظلالنا الوريفة. معلنين بالتوبة عما فرط منهم من المآثم والجناح. وراغبين فيما جبلنا الله عليه من الحلم والعفو والسماح، وملتزمين أداء الواجبات والحقوق، ومتحملين من تمام الطاعة ما لم يبق فيه احتمال نفار ولا عقوق، جنوحا لعدم القتال وسفك الدماء والوقوع فى الأرامل والصبيات، وذوى العجز من النساء والرجال الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.

فأمنا عليهم إذ حققوا ذلك بالعمل. ووفوا بكل ما وظف عليهم عن فور وعجل. مع استنهاض حركتهم لمتابعة ركابنا السعيد، وانتدابهم لامتثال أمرنا الشريف فيما نريد، وصفحنا عنهم حيث صلحت منهم سريرة النجوى وأخذنا فيهم بقوله تعالى: وأن تعفو أقرب للتقوى، بعدما وجهنا شرذمة من أطراف جيشنا السعيد، لاستئصال أهل طوطورماس الذين قتل فى قصرهم الخديم ولد الطالب محمد اليوسى فلم يكن إلا كوقفة راكب، أو صرة حالب. حتى أخذتهم أخذا وبيلا. وكان فعلهم على انتقام الله منهم دليلا.

ولما قضى فى آيت ازدك بحول الله الغرض، واستوفى من جميعهم الواجب والمفترض، نهضنا عنهم محفوفين بما عودنا الله من العزة والتمكين، ومعتمدين

على حول ذى القوة المتين، إلى أن خيمنا على وادى زيز، مقابلين مواعد الرعاية بالتنجيز، فأقمنا به حتى قضينا حقوق مولد النبى الكريم. عليه أزكى الصلاة والتسليم، وأحيينا ليلته بما رجوناه وسيلة لرضوان الله الأكبر، وتحصنا بحماية صاحب اللواء والقضيب والمغفر، وتلاقينا هنالك بوفود القبائل الواردين للتهنية، ونالوا من بركة مشاهده الوسيمة ومواقفه الفخيمة غاية الأمنية.

ثم نهضنا بحول الله آخذين بمعهود الحزم والاستعداد حتى خيمنا بسمكات على متحصن قبيلة آيت مرغاد، فلم يفدهم إلا الانخراط فى سلك أهل الخدمة والإذعان والاقتداء بمن قبلهم فى إظهار حسن الطاعة وأداء الواجبات وطلب الأمان، وتسارعوا للتطارح على أعتابنا الشريفة جموعا وفرادى، والتزموا القيام بالواجبات والتمسك بالصلاح رغبة وانقيادا، وتبرءوا ممن كان يثبطهم عن الامتثال حالا ومضيا. ويسول لهم ما لم يغن عنهم من الله شيئا.

ومن هنالك رددنا شرذمة لفرقة من آيت ازدك باوطاط، حيث بلغ لعلمنا الشريف ما ظهر فى انحرافها من الطيش والإفراط فصدمتهم صدمة وبال وحين وصيرت قصرهم معهم أثراً بعد عين وبسمكات أيضا أخذنا بخناق آيت حديدو الذين هم ملجأ آيت شخمان وإليهم يأوون عند الفزع والامتحان لكون ذلك المحل رباطا على صياصيهم ومأخذا لنواصيهم فانحل بنصر الله عقدهم وفل سناهم وحدهم وعاد عليهم بالوبال كيدهم ولم يسعهم إلا القدوم لأعتابنا الشريفة حيث استنزلناهم، والمبادرة إلى الإجابة لما أمرناهم به وألزمناهم، ولما طالبناهم باتباع قولهم بالعمل، فى أداء ما وظفناه على قبيلتهم بعد ضرب الأجل، صاروا يركنون لحيز المطال ويأنسون بأمانى التسويف والإمهال.

وحيث بلغت المعذرة فيهم حدها ولم يرتكبوا من الأمور جدها. أعرضنا بوجه الملاطفة عنهم. وقبضنا على أكثر من المائة رجل منهم. فلم يعتبروا فيما

كانوا فيه حيارى. حتى عادوا فى الأغلال أسارى. ولم يتنبهوا لمسلك الإرشاد. حتى أصبحوا مقرنين فى الأصفاد. لكونهم سلكوا طرائق، ما فيها رائق، وظهرت منهم خلائق، كان غيرها بهم هو اللائق.

وبعد ذلك نهضنا بهم فى سطوة من الله ونصر، متعرفين من أياديه ما لا يدخل تحت حصر. متخللين أعماق الشواهق من أقاصى جبال درن. حتى خرجنا منها لفسيح الصحراء خروج عِزٍّ قَد اتصل إسعاده بحول الله واقترن. فخيمنا فى بسيطة تداغوست بجيوشنا الجرارة، وأصبح فضاؤها بمحالنا الموفورة عمارة.

وعندما ضربت هنالك أخبيتها الميمونة وقبابها. ومددت بأوتار الظفر والثبات أطنابها، تلقانا القاطنون بها من بقية آيت مرغاد المتطرفين، وتبادروا لأداء حقوق الطاعة ملتزمين ومعترفين، وتوارد علينا أهل تلك النواحى طلبة وشرفاء وكبراء وأعيانا، وشيوخا ورجالا وصبيانا، مظهرين غاية الفرح والابتهاج، وناهجين فى مسالك الانحياش والالتجاء أبلغ الانتهاج، ومتسابقين لتقبيل مواطئنا التى جعل الله العز فى تقبيلها، والسعد فى اتباع سبيلها بعد أن أظهروا من الإذعان والخدمة ما كان لنفوسهم أمانا، ولقلوبهم سكونا واطمئنانا، إلا ما كان من ابن يحيى المرغادى. الذى كان رأس النفاق، وموئل أهل الشقاق بذلك النادى، فقد قبضنا عليه فى وسط حماه. حيث أوقعه فى شرك الثبور عماه. فكان كما انتضى من غمده نصله. وبكاه بدمع الثكلان أهله. ولكن رب بكاء وتصلية. خير من مكاء وتصدية، ومن أرسل نفسه مع الهوى، فقد هوى فى هوى، وبعثنا به بعد قبضه لمراكش مقيدا، إراحة من شؤمه، وعقوبة على ما فرط منه وبدا. وما زالت سنة الله فى مخلب المعصية أن يقص بالندامة. وفى جناح الطاعة أن يوصل بالإدامة.

وانتخبنا إذ ذاك من أهل الوطن من يصلح بهم من العمال. فوليناهم عليهم ولاية صلاح تصونهم عن مسارح الإهمال، وانتدبوا لأداء ما لزمهم من الواجبات والكلف، بعد أن كانوا منها على خطر وتلف.

وبعد تأسيس صلاحهم وتلافيهم. وقضاء غرضنا الشريف بحول الله فيهم. نهضنا عنهم محفوفين بمواد السعادة والإقبال. ومعتمدين على القوى المتعال. إلى أن خيمنا على قبائل آيت عطة بقصر السوق. تخييم سعد تبهر مظاهره وتروق. وهنالك تلاقينا بحركتهم مع أهل الصحراء والوافدين من توات وبجيوشنا السعيدة المراكشية والقبائل السوسية وقبائل الدير والقبائل الحوزية الوافدين مع ولدنا مولاى محمد أصلحه الله من جهة سوس على نواحى تدغة وغريس.

فكان الاجتماع بهم جمع تعضيد للصلاح وتأسيس. ثم نهضنا بهم من هناكم إلى وطن مدغرة المباركة فخيمنا بامسكى. فى نعم متوالية تقصر الألسنة أن تصف بعضها وتحكى ومنه وجهنا ولدنا مولاى عبد العزيز أصلحه الله لملاقاة شرفاء أهل مدغرة وتوفيتهم بصلة البرور المعتادة. بعد أن ضعفنا لهم القدر الذى نصلهم به كل سنة تضعيف تنمية وزيادة. فزدناهم على المعهود خمسين ألف مثقال تكملة لمائة ألف مثقال وجب فيها بصرف بلدهم عشرون ألف ريال.

ثم نهضنا للتخييم على بلاد الصباح. فانتشرت أجنادنا الوافرة ببلادهم انتشار عمود الإصباح. وجاست مواكبنا السعيدة خلال نخيلهم وأوديتهم وأثارت سنابك الخيل نقع بساتينهم وأنديتهم، فتلقوا شريف جنابنا خارج قصورهم برجالهم ونسائهم وأهل زواياهم، وأحسنوا فى إظهار خدمتهم وأداء واجباتهم. ودفع هداياهم.

ومنهم كان نهوضنا لتافلالت المباركة فخيمنا بمركزها المنيف، وحططنا الرحال الموفورة حول نخيلها الباسقات، وأحدقت مضاربها الغراء بتلك البساتين المتناسقات، مصحوبين بجميع تلك الجيوش التى لا يأتى الإحصاء بفضل الله عليها، ولا يكاد يضاف حصر العدد إليها، وخصوصا حركة آيت عطة المنتخبة الفرسان والأوصاف المشتملة على نحو الستة آلاف، مع من ذكر من حركة آيت مرغاد بعدد له بال، وحركة آيت ازدك الكبيرة المعتبرة الخيل والأبطال.

وعندما شارفنا تلك المواطن الميمونة السنية وواجهنا معالمها بخوافق البنود والألوية، تسابق أهلها لشريف لقيانا وأكبوا على ركابنا الشريف شرفاء وطلبة ورجالا ونسوانا، معلنين بضمائر المحبة والاشتياق ومظهرين من كمال الفرح ما لا يوصف حده ولا يطاق، وكذلك جميع أهل الزوايا وأصحاب الأحوال، فكل طائفة تلهج برنات السرور، وتضرب آلات الأفراح وتنشر أعلام الإجلال. حتى أسفرت أيام المسرات هناكم عن أبهج المباسم، وغدت من أيام الأعياد والولائم والمواسم، وأقمنا هنالك بقصد الاستراحة والزيارة ومشاهدة آثار أسلافنا الكرام التى لم تزل على جلالة مآثرهم أمارة. حتى عاينا معالمهم المنيرة وأصبحت العيون بفيوض بركاتهم قريرة، وتعاهدنا أملاكهم وأصولهم الأثيلة، وقضينا المتعين من حقوق المراحم الطيبة الجليلة، ووجهنا ولدينا الأَرْضَيْنَ مولاى عبد العزيز ومولاى بلغيث أصلحهما الله لتوفية الشرفاء أقاربنا وأبناء عمنا بصلتهم المعهودة لهم بعد أن زدناهم عليها خمسين ألف مثقال تتمة لمائة ألف مثقال أيضا، وجب فيها بصرف بلدهم عشرون ألف ريال صلة، تحمد وترضى مراعاة لحقوق القرابة الشريفة، التى حض الله ورسوله عليها، ونص فى كتابه الحكيم على نسبة التنزيه والتطهير والتعظيم إليها، وزيادة برور حيث قدمنا لتلك المواطن المباركة وحللنا لديها، وها نحن لما قضينا فى سجلماسة بحول الله المرام. واجتمعت مصالحها الغائية بحلولنا الشريف جمع الأهلة بالتمام. شددنا رحال الأوبة متوجهين لمراكش الحمراء، ومتحدثين بنعمة الله سبحانه حمدا وشكرا.

وعند ذلك كتبنا لكم هذا المسطور الكريم. لتعلموا ما سناه الله لنا من فتحه العميم. وتأخذوا حظكم من الفرح والسرور. وتقيموا نزهة الشكر إظهاراً لنعمة الله ويمنه الموفور. وتحمدوا الله على فتوحه الكفيلة برعاية الإسلام. التى دل حسن ابتدائها على حسن الختام، ونسأل الله تعالى أن يحفنا بدوام حفظه فى المقام

والمسير. ويجعلها أوبة موصولة بالسلامة والغنيمة والتيسير. وأن يديم إجراءنا من جميل صنعه وخصوصياته على ما تعودناه. ويكنفنا بكنف عنايته ويوفقنا وإياكم لما يرضاه، آمين والسلام فى ١٥ جمادى الأولى من عام ١٣١١».

ثم نهض يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى ووجهته الحضرة المراكشية وسار على طريق الفايجة يظعن ويقيم إلى أن حل العاصمة الجنوبية مراكش الحمراء يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الثانية.

فجميع أيام هذه الرحلة أعنى من تافيلالت إلى مراكش خمسة وعشرون يوما، كان السير فى واحد وعشرين يوما منها قطع فى سوائع سبع وثمان وعشرين دقيقة، وكانت مدة المقام أربعين يوما.

وكتب لباشا مكناس القائد حم بن الجيلانى بشرح الأوبة كتابا نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير الذى بداخله «الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه ١٢٩١»:

«وصيفنا الأرْضَى القائد حمّ بن الجيلالى، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد قدمنا لكم الإعلام بما هيأه الله لنا فى هذه الوجهة الميمونة من جزيل إمداداته، وسوابغ نعمه وآلائه، وباهر فتوحاته، وشنفنا مسامعكم بشرح ما أظهره الله فيها من الخوارق. ولاح من البوارق. إجراء على ما عودنا سبحانه من مواهبه وإقباله ورفده. وما النصر إلا من عنده.

وأعلمناكم بأننا نهضنا من إقليم سجلماسة بعد قضاء المناسك. وتحصيل الغرض مما هنالك. ثم بعد ذلك توجهنا محفوفين من الله بجنود الحفظ والسلامة وهواتف البشرى تهتف من كل ناحية بالميامن المستزادة. فمررنا بواسط بلاد اعراب

الصباح. وتخللنا الروابى منها والبطاح. وأهلها مصاحبون لركابنا الشريف بحركتهم وخيولهم فى انبساط وانشراح. بعد أن قاموا بمئونة المحلة السعيدة. ودفعوا ما عليهم من الواجبات وشفعوها بهدايا عديدة.

ثم حللنا بقصور غريس وفركلة التى هى قاعدة آيت واحليم من آيت عطة.

فأظهروا من الفرح والقيام باللوازم المتعينة ما دل على نصحهم فى الخدمة والطاعة. ولم يقصروا جهد الاستطاعة.

ومن هناك وجهنا حراك قبائل الغرب لحالهم مثابين، وبرضا الله وخاطرنا الشريف ظافرين، بعد أن أبلوا فى طاعة الله البلاء الحسن، وسعوا فيها بكليتهم مطيرين عن مقلهم الوسن.

ثم نهضنا وخيمنا ببلاد تدغا وآيت يحيا فتلقونا بسرور وابتهاج متسارعين لأداء المفروضات والميرة والهدايا، عادلين عن سبل الاعوجاج وبعدهم نزلنا بدادس، فتجلت فيه من المنا عرائس، وقام أهله باللوازم كذلك بوجوه طلقة غير عوابس.

ثم دخلنا فى قبائل الفائجة، فتلقانا أهلها وصدورهم بالفرح مائجة. وأول من تخللنا أرضهم منهم أهل اماسن وسكورة وآيت بودلال وورزازت، وحادى البشائر يحدو بالنصر والظفر والمسرات، ومنهم إلى اتلوان وآيت زينب ووزكيتة وآيت امنى ثم تلوات. وجميعهم قاموا بالوظائف والضيافات وأدوا النوافل والمفروضات.

ثم أقبلنا على جبل درن فإذا هو فى الجو شاهق متعمم بالثلوج، لا يستطاع فيه دخول ولا خروج. ولا يفهم فيه على البديهة من أين يكون الولوج يحاكى فى الارتفاع سد يأجوج. تتحير الأذهان من رؤيته. وتضطرب القلوب عند نظرته. ويسبح الله لهول خلقته، وتعاظم عظمته، لا تفهم مسالكه، ولا تدرك مداركه.

فاستعنا بالله على عبوره، وشرعنا فى صعوده ومروره. بعد أن رتبنا الجنود والعساكر ترتيبا، وجعلنا منهم للدخول فيه مقدمة وساقة فكان تكييف ذلك عجيبا، واقتحمناه فى دائرة الحفظ وسرادق العناية على جناح التسهيل، والألطاف الخفية مشاهدة ممن عليه الاعتماد والتعويل.

وسرنا على طريق وادى ابى المواهب والمدد المتوالى، سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله فى وروده لمراكش من سجلماسة، فحصلنا والحمد لله على فائدتين: سهولة الطريق، وزيارة الولى المذكور وقضينا منها حقا متعينا، ونلنا من بركته قسطا وافرا وسرا بينا.

وسرنا وبنود العز برياح الإسعاد خافقة. وألسن القلوب والجوارح بالحمدلة والشكر ناطقة. إلى حضرتنا الشريفة المراكشية. ذات الحلل البهية المزركشة الموشية. ويوم تاريخه خيمنا برأس العين من بلاد الرحامنة، ومنها وجهنا لكم هذا ومنها نخيم بزاوية سيدى عبد الله بن ساسى نفعنا الله به.

وبعدها نحل حمراء مراكش بحول الله فى يوم الأربعاء أو الخميس الذى بعد تاريخه بيومين حلول سلامة وظفر وتحصيل، ونرد منهلها العذب السلسبيل فلله الحمد فى البداية والتمام، وله مزيد الشكر فى الافتتاح والاختتام.

وأعلمناكم لتكونوا على بصيرة من الواقع ومن جميع ما كان، وتعرفوا حقيقته بمزيد إيضاح وبيان، ولتفرحوا بما يسره الله من فتوحاته المزيدة ومواهبه المديدة ، لأن هذه جملة خبرية عن ذلك المبتدا. وخاتمة عقد ذاك الابتدا، والله أسأل أن يجعل ما ارتكبناه فى ذلك كله عائدا بصلاح الأمة والرعية. جاريا من رضا الله وطاعته على الطريق المرعية. آمين والسلام فى ٨ جمادى الثانية عام ١٣١١».

وقد ألف غير واحد من الكتاب والأدباء فى هذه الرحلة الصحراوية نثرا ونظما، منهم الكاتب المجيد العلامة السيد الغالى بن سليمان أحد كتاب الحضرة السلطانية، فإنه نظم هذه الرحلة الميمونة الطالع، ورمز لأيام الظعن والإقامة وعدد السوائع التى قطعت فيها أيام الظعن وتاريخ النهوض إليها وموافقة الشمسية للقمرية، وشرح ذلك النظم شرحا بديعا لطيفا عندى طرف من مسودته بخط مؤلفه يقول فى أول النظم:

وللنصر فتح ظاهر فى البرية	يقابله الإقبال فى كل وجهة
بحركة يمن قد بدا (طى١٩) نشرها	بطالعها الميمون فى (يد١٤) حجة
يوافقه من ينيه (ز١٧ى) سره	بفتح ونصر فى سلوك المحجة
وآخرها سبع لشهر دجنبر	يوافقه تسع جمادى الأخيرة
وفى عدد الأيام عقد لجيدها	مقاما ١٢٠ وسيرا فى٥٤ جنان المسرة
سوائعها (يمن١٠٠) (حليم٨٨) لأنها	مواهب عدل فى جبين المعزة
ويا سيدى مولاى يا خير مالك	تفردت فى عز ونصر وهيبة
وجزت مقاما طالما كان خاملا	فجئت له فردا بغير معية
وكنت وكان الفضل والبذل والندى	فأصبحت فى عز عزيز المزية
فبشرى هنيئا بالقدوم الذى به	أضاءت على الإسلام شمس الظهيرة
وبشرى لنا والحمد لله سيدى	عليك سليما نعمة أى نعمة
فيارب أيده وزده معزة	وحقق مناه فى الفروع بنظرة
بجاه النبى والآل والصحب جملة	وكل ولى عارف فى البسيطة

وفى أثناء هذه الرحلة الصحراوية وقع شغب فى الشاوية والغرب كما وقعت مناوشة بين أهل مليلة وبين المجاورين لها من أهل الريف نشأت عن بناء البرج بحدود مليلة، فلما بلغ صاحب الترجمة ذلك وجه أخاه مولاى عرفة فى الحين لكلعية فى شرذمة من الخيل يعظهم ويذكرهم وينذرهم ويحذرهم ويوعدهم بالعقوبة إن لم يكفوا عن ذلك ويقفوا عند حدهم ويتركوا التعرض لأهل مليلية فى بناء البرج بداخل حدادتهم، ويباشر فصال ما وقع بينهم وبين أهل مليلية من القتل والجرح وفساد الأملاك على حسب ما يشير به عليه النائب الطريس، فسافر من المحلة السعيدة فى السابع عشر من شهر ربيع الثانى ثم بعد ذلك وقعت مضاربة أخرى بين أهل كلعية وعسكر مليلية، أفضت إلى قتل وجرح عدد من الفريقين ومن جملة من مات فيها حاكم مليلية.

وأقام المترجم بمراكش إلى أن صام رمضان، وأقام سُنَّة عيد الفطر، ثم صار يهيئ الحركة للناحية الغربية. لتفقد الأحوال والنظر فى مصالح الرعية.

ثم فى يوم الخميس الثانى عشر من قعدة الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة وألف عقد لنجله البار المولى عبد العزيز على جيش لا يستهان به ووجهه أمامه خليفة لرباط الفتح.

وفى يوم الاثنين الخامس عشر من الشهر بارح المترجم العاصمة المراكشية وسار إلى أن أدركته المنية بدار ولد زيدوح على ما سنشرحه بحول الله، وهذه آخر حركة للمترجم وفيها ختمت أنفاسه النفيسة رحمه الله.

فكانت جميع حركاته منذ جلس على أريكة ملكه إلى أن لبى داعى مولاه تسع عشر حركة:

الأولى: من مراكش إلى مكناس وفاس عام تسعين ومائتين وألف.

الثانية: عام واحد وتسعين من فاس إلى القبائل الريفية والقبض على الفتان بوعزة الهبرى.

الثالثة: عام اثنين وتسعين من فاس ومكناس إلى مراكش الحمراء.

الرابعة: عام ثلاثة وتسعين من مراكش على طريق المراسى إلى مكناس وفاس.

الخامسة: من فاس إلى تازة ووجدة وقبائل الريف أوائل عام أربعة وتسعين.

السادسة: من فاس ومكناس إلى مراكش فى آخر السنة نفسها.

السابعة: عام ستة وتسعين من مراكش إلى مكناس وفاس.

الثامنة: عام ثمانية وتسعين من فاس إلى مكناس ثم مراكش.

التاسعة: عام تسعة وتسعين من مراكش إلى السوس الأقصى.

العاشرة: عام ثلاثمائة وألف من مراكش إلى مكناس وفاس.

الحادية عشرة: عام اثنين وثلاثمائة وألف من فاس ومكناس إلى مراكش.

الثانية عشرة: عام ثلاثة من مراكش إلى سوس الأقصى.

الثالثة عشرة: عام أربعة من مراكش إلى مكناس وفاس.

الرابعة عشرة: عام خمسة من مكناس لغزو بنى مجيلد.

الخامسة عشرة: عام ستة من فاس للثغور المغربية والقبائل الجبلية.

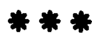
السادسة عشرة: عام سبعة من فاس ومكناس إلى مراكش.

السابعة عشرة: من مراكش إلى مكناس وفاس وذلك أواخر عام تسع مع أوائل المتصل به.

الثامنة عشرة: أواخر عام عشرة وأوائل المتصل به من فاس إلى تافيلالت.

التاسعـة عشرة: أواخر عام أحـد عشر من مراكش قاصـدا مكناسة الزيتون وفاسا فحال المنون بينه وبين تمام مراده.

ودوخ فى هذه الحركات الأغوار والأنجاد لإصلاح أحـوال الرعية. وإجرائها على الطرق المرضية. وحسم مواد الفتن والأهوال. والجد والاجـتهاد فى استصلاح الأحوال. وبعـث للعتاة السـرايا والبعـوث. من الأبطال والليوث. حـتى وقع له التمكن بسطـوة الله من نواصى الجميع. وحـصلت الغلبة على القـوى والوضيع. ولم يبق فى إيالته قـدس الله روحه من يحرك للعتو يـدا. أو يعصى فى أمر أبدا. وجبـيت من الكل الجـبايات واسـتوفيـت حقوق وتـباعات. وسـاد الأمن وعم. وحكمت الأقدار بالانعدام لكل ما قد تم.



علائقة السـيـاسـيـة

السفارة الزبيدية للدول الأربع:

- فرنسا وبلجيكا وإنكلترا وإيطاليا -

غير خاف مـا كانت عليه حالة السيـاسة الخارجية بهذه المملكة المغـربية بعد حرب تطاوين وما نشأ عنها من تداخل سفراء الدول فى القضايا والوقوف للمخزن فى أوعر المسالك وأضـيق المآزق، وتكثير الحمايات وتطاول المحـميين على الحكام المخزنيـين بأدنى علقة توصلهـم لذلك، وتفاحش الأمر إلى أن وصـلت الحالة إلى درجة كاد أن يتعذر معها تنفيذ أوامر المخـزن فى الرعية لعدم إمكان تعميمها بسبب الامتيازات المعبر عنها بالمصالح الأجنبية المخولة لهم بمقتضى الفصل التاسع والعاشر

من معاهدة عم المترجم مولانا العباس المنعـقدة مع الإصبان، عقب الحرب المذكورة أيام والد المترجم السلطان سيدى محمد قدس الله أرواحهما.

ولما جلس المتـرجم على أريكة الملك وكان مـهتـما بتـرقيـة مملكتـه وإدخال الإصلاحات والتنظيمـات المناسبة للأحوال الوقتية، وعلم أن سيـاسات الامتيازات سد أمام وجـهه، وعقدة لا تنحل ولا تنفـتح معها أبواب مـساعيه، بذل مـجهوده بطريقة ودية فـى تحوير تلك المعاهدات، وتنقـيح فصـولها وخص عدد الحـمايات ارتكابًا لأخف الضررين.

وحيث رأى أن هذا الأمـر لا يتم إلا بفتح المخابرة مع الدول ذات الأكـثرية فى المصالح التجارية إذ ذاك بالمغرب مثل فـرنسا وإنكلترا وإيطاليا وبلجيكا، وكانت هذه الدول هى التى سبقت غيرها بتوجيه سفرائها لتهنئته بالجلوس على سرير ملك أسلافـه الكرام، اغتنم هذه الفـرصة ووجه خـديمه الأنصح السيـد الحاج محـمد الزبيدى سفيراً وباشـا دورا لرد الزيارة لتلك الدول ورؤسائها، وأعطاه أموالا طائلة ليصيرها فى وجـهته، وهدايا فاخرة للعظماء الذين يلقاهم فى رحلتـه، ووجه معه أمينا للصـائر السيـد بناصر غنام الرباطى، والفقـيه الأديب الفلكى سـيدى إدريس الجعايدى السلوى بصفة كونه كاتبا، وعددا من أعيان ووجهاء قواد الأراحى إظهارا للأبهة المخزنية، والضخامة السلطانية فتوجه أولا لدولة فرنسا.

فركب من طنجة على متن باخـرة حربية وجهتـها الدولة المذكورة لنقله إلى مرسـيليا فوصلـها فى سابع جـمادى الأولى عام ثلاثة وتسـعين ومـائتين وألف، واحتفلت الحكومـة المحلية هنالك باستقبـالة احتفالاً باهراً وأكرمت وفادته، فـتبرع على الجمعيات والملاجئ الخيرية هنالك بما زاده اعتباراً فى أعينهم وحظوة وكتب له حاكم المحل متشكرا من حسن صنيعه.



بالوسط السفير الحاج محمد الزبيد وعن يمينه أمين صائره السيد بناصر غنام الرباطى وعن يساره كاتبه سيدى إدريس الجعايدى السلاوى والوقوف من قواد الجيش

ثم كتب السفير المذكور إلى الحاجب السلطانى وقتئذ أبى عمران موسى بن أحمد، بشرح ما قوبل به فى ثغر مرسيلية من الاعتبار والإجلال. فأجابه بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا وخديم سيدنا الأعز الأنبه اللبيب السيد الحاج محمد الزبيدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه وصولك لمرسيلية، وما قوبلت به من الترحيب والتنويه والاعتناء فى جميع الأحوال، حسبما شرحت، وأنك بصدد التوجه لباريس، وطالعنا سيدنا أعزه الله بمسطورك وصار على بال من جميع ما قررته.

ونسأل الله أن يصحبك السعادة والتيسير ويسددك ويلهمك الصواب فى جميع الأقوال والأفعال، ولا تغيب عنا خبراً بكل ما تجدد لديك، ومهما انتقلت من محل إلى محل آخر، أخبرنا بذلك ولابد والله يكون لنا ولك خير معين، والكتاب الشريف الذى تتوجه به لسلطانة الإنجليز ها هو يصلك على يد نائب سيدنا الخير السيد محمد بركاش، وكذلك كتاب الطليان وعلى المحبة والسلام فى ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

ثم نهض السفير من مرسيليا وسار إلى باريز فاقتبله وزراء الدولة وكبراؤها بالمحطة هناك وأكرمت الحكومة وفادته ونزله.

وفى صبيحة غد يوم حلوله بباريز قابل وزير خارجيتها وصرح له بأن المقصود من سفارته هو تجديد عقود المحبة وتأكيدها مع الدولة الفخيمة ومجازاتها على الاعتناء بالجناب العالى بالله بتوجيه سفيرها المسيو «طيسو» لتهنئة جلالته

الكريمة بالجلوس على كرسى ملك سلفه الكريم، وتقرير ما عند مولانا نصره الله من الاعتناء بجانبهم، واعتبار حقوق المجاورة، ومسرته بما يتجدد من العلاقات التى تدل على دوام الألفة والمحبة، ثم طلب من الوزير تعيين وقت الملاقاة مع رئيس الجمهورية وهو يومئذ الماريشال مكماهون.

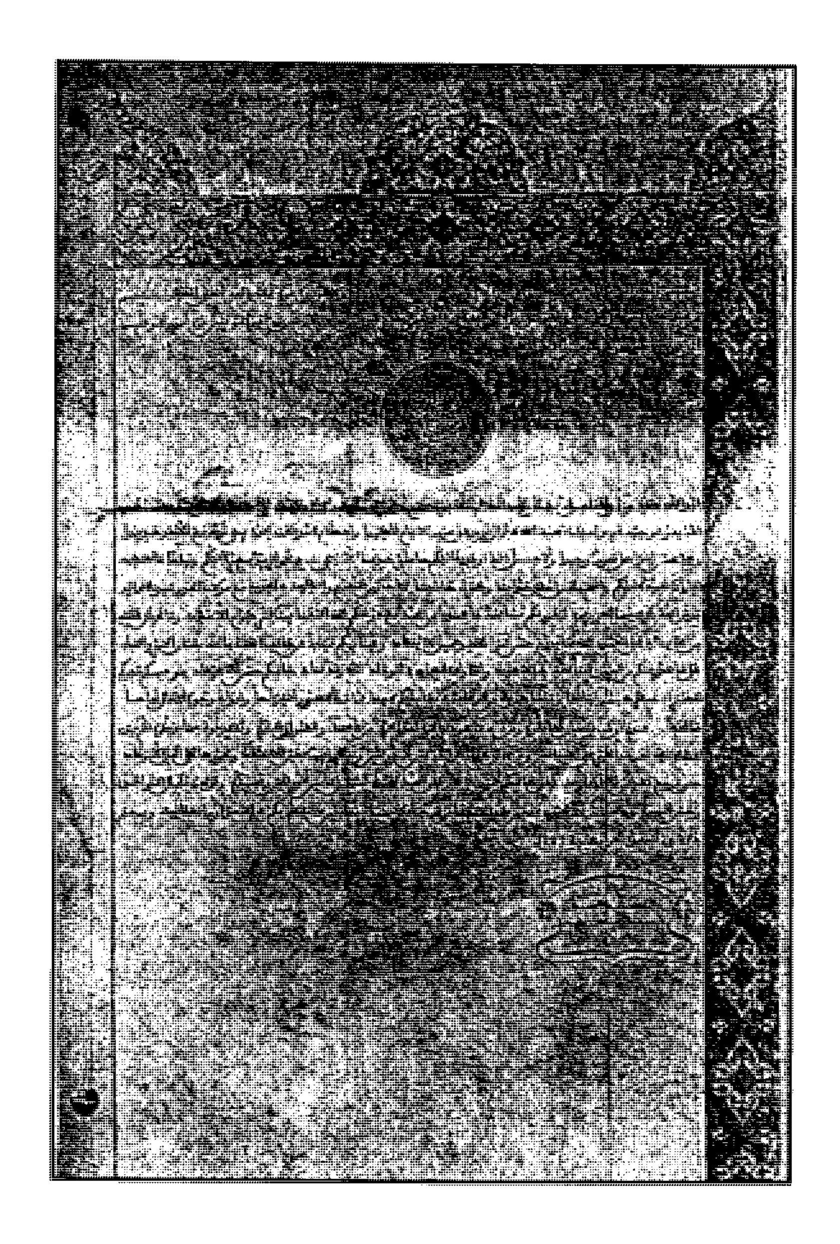
ولما قابل الرئيس فى الوقت المعين له ألقى بين يديه الخطبة التى كان متأبطا لها وإليك نصها:

أيها الرئيس المعظم.

بعد إهداء ما تستحقه مرتبتك الفخيمة من التحية والتسليم اللائق بمقامك الفخيم، إننا قدمنا على حضرتك من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين سلطان المغرب وجهنا نصره الله بقصد تجديد أسباب المودة وتأكيد المحبة التى كانت بين أسلافه الكرام وبين دولتكم الفخيمة التى لا تزال بحول الله فى ازدياد وتأكيد، ونعلمك أنه أيده الله مسرور بهذه المحبة الجديدة التى تأكدت بها المحبة القديمة، وأنه لا زال يحرص على ما يزيدها ويتحافظ على ما يديمها ويراعى حق الجوار، ونجازيكم على لسانه على ما صدر منكم من الاعتناء بجانبه العالى بالله بتوجيه سفيركم المسيو «طيسو» لتهنئته بالجلوس على سرير ملك أسلافه الكرام وسبقيتكم لذلك، لأنه أدل دليل على رسوخ محبتكم وكامل اعتنائكم وها كتابه نصره الله لكم فى ذلك.

وناوله الكتاب الشريف وإليك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى



كتاب السلطان مولاى الحسن لرئيس جمهورية فرنسا فى السفارة الزيدية

وهو الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الله وليه أبد الله نصره. وزين بالمحاسن عصره. إلى المحب المعظم الأمير المحترم كبير جمهورية دولة الفرنصيص الفخيمة الرئيس المعتبر «مكماهون».

أما بعد: فموجبه تجديد أسباب المحبة التى لا تزال تزيد على مرور الأيام تأكيدا. وإحكام عقد المحبة الذى يبقى ثوبه مع الأبد جديدا. ويحلى بحسن التواصل مفرقا وجيدا. ولأجل ذلك أوفدنا إليكم حامله خديمنا الأرْضَى الحاج محمد الزبيدى سفيراً إليكم ومبلغا ما تقتضيه أمارة المودة لديكم، وانتخبناه من أخص خدامنا وكبراء حاشيتنا لما حاز من التقدم والنصيحة فى الخدمة مع مولانا الجد وسيدنا الوالد قدس الله ضريحهما العزيزين ليقرر لكم مشافهة ما عندنا من المحبة مع دولتكم التى اقتفينا فيها أثر كرام الأسلاف، وما نحرص عليه من المحافظة على العهود التى بها يدوم حسن المواصلة وجميل الائتلاف، ويجازيكم نيابة عن جانبنا العالى بالله بلسان الخير والثناء، على ما صدر منكم من البرور والمبالغة فى الاعتناء، وأمارة الصدق فى الوداد، التى زادتنا فى جانبكم حسن الاعتقاد، بتوجيهكم سفيركم المعتبر المنسطر «طيسو» سابقا، وما شاهدناه من الرعاية فى معاملتكم لاحقا، مما ملأ الصدور انشراحا، وأبدى فى وجوه الأمالى نجاحا.

فالمحقق عندنا إن شاء الله أن تقابلوه ومن معه بما عودتم المرة بعد المرة، من الاعتناء والقبول والمبرة، وتصدقوه فيما يذكره لكم من المصالح التى تعود بالخير على الإيالتين، وتؤدى إلى تمام الراحة بين الدولتين، وتنظروا فيها بعين الإنصاف، وتجروها على أكمل الأوصاف، حتى يرجع مقضى الأوطار مثنيا على جنابكم بحميد الإيثار. فإن المحبة تقتضى تسهيل ما بين الدولتين وتيسيره. وتؤذن بكمال التوافق وحسن السيرة. ودمتم كما تحبون ممتعين بين الأجناس بموجبات التهنئة.

مقابلين بما يصلح بكم فى الإسرار والعلانية، وبه ختم فى ٢٧ ذى القعدة الحرام عام ١٢٩٢».

ثم استرسل السفير المذكور فى خطبته قائلا: ونحن نشكر بلسان دولتنا المعظمة الاعتناء الذى قابلنا به أهل الدولة فى طريقنا وكبراء المركب الذى أقلنا لبلادكم الزاهرة، ونرجو أن نرجع من حضرتكم بما يزيد هاتين الدولتين رسوخا، ولعلاماتها وضوحا، ونؤمل من حضرة الرئيس أن يوصى من يعينه للمفاوضة معنا فى الأمور التى اقتضت المحبة الكلام فيها بما يعود بالنفع على الجانبين العظيمين بأن يعطينا وجه الاعتناء فى مباشرتها، ويسهل طريق البلوغ إلى رفع الضرر الحاصل فيها.

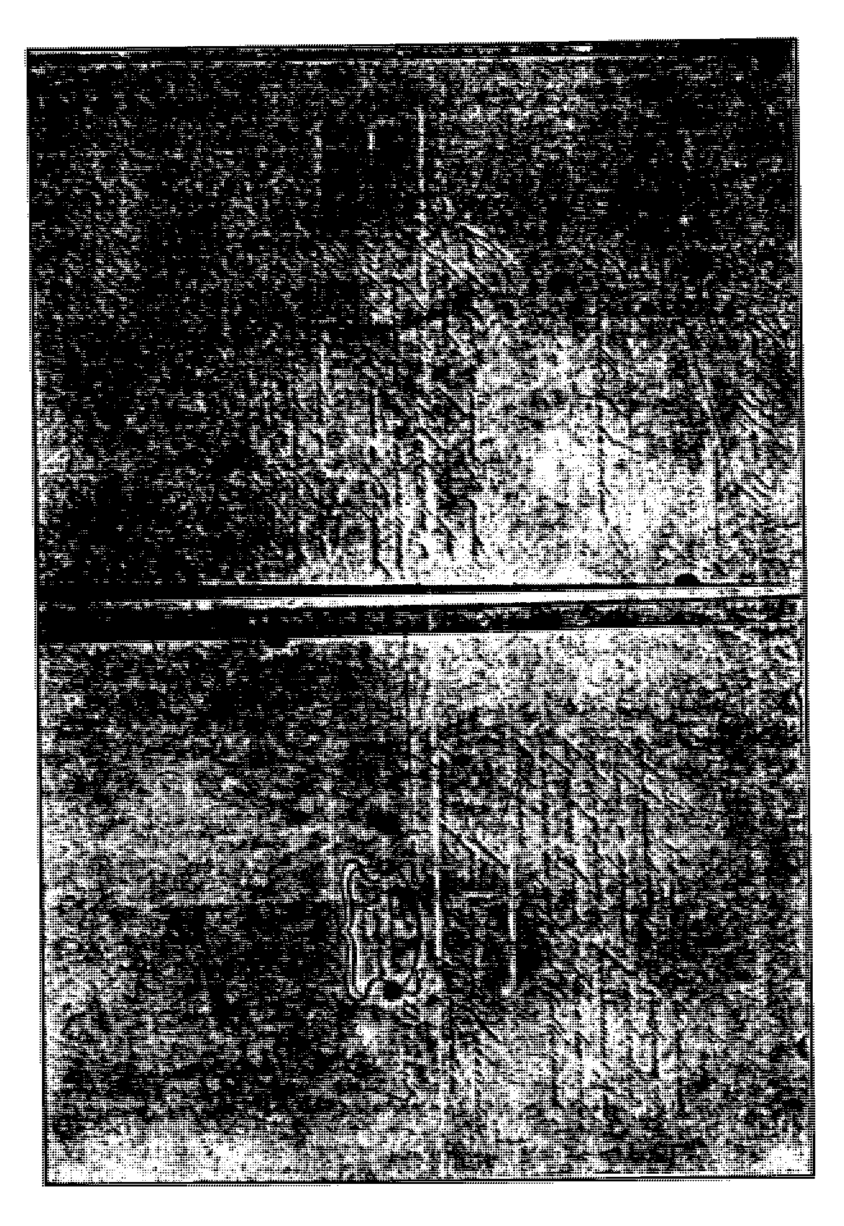
فأجاب الرئيس مكماهون على خطاب السفير بما نصه:

سعادة السفير الأفخم:

قد حصل لنا كمال السرور وغاية المحظوظية بمجيئكم سفيرا للسلطان الأعظم الأفخم سلطان ممالك المغرب الأقصى. فمنذ جلوس الحضرة العالية الشريفة فى تخت أسلافه الكرام صدرت براهين عديدة من المودة والمؤالفة الكائنة بين الدولتين الفخيمتين، وقد انشرح صدرنا بتأمينات تشييد الروابط للمحبة.

فالمرجو من سعادة السفير أن يعتبر اقتبال بلدنا وفرحها به دليلا مبينا لمحبتنا فى الحضرة الشريفة، واعتبارنا لذاته العالية كما أرجو أن يكون احترامنا لذاتكم السامية وأخلاقكم الحميدة يروق لديكم، وتجعلونه أقوى دليل لتسهيل مأموريتكم بما يعود بالمنفعة على الدولتين الفخيمتين وتبلغوا اعتناء بلادنا بكم للجلالة الشريفة لتتحقق بذلك.

ثم بعد ذلك دعوا للضيافة والإكرام بقصر رئيس الجمهورية وفق العادة المقررة فى سائر الحفلات.



كتاب من وزير خارجية فرنسا للسفير الزبيدى

والمقرر فى الضيافات التى تقام للسفارات المغربية بسائر الممالك الأروبية غداء أو عشاء، أن تكون بالقصر الملوكى ويحضرها الملك والملكة أنفسهما، ثم يقوم احتفال بضيافة ثانية فى وزارة الخارجية ثم فى البلدية، وعلى هذا جرى العمل فى دول أوروبا ما عدا مملكة الإنجليز، فإن المقرر عندها بعد الاحتفال بضيافة الملك ووزير الخارجية أن يقوم بالضيافة رئيس الوزراء ووزير البحرية.

ثم إن دولة فرنسا بعد انتهاء ضيافاتها عينت وزير الأمور الخارجية المسيو «دوك دكاز» للمفاوضة مع السفير المذكور فتفاوضا بكل حفاوة ولطف فى المسائل المهمة من السفارة وبعد الفراغ من تمهيد الطرق الموصلة للوفاق، كتب السفير لوزير أمور الخارجية بما نص المقصود منه:

«حضرة الوجيه الأفخم وزير الأمور الخارجية للدولة الفرنسوية المسيو دوك دكاز، بعد إهداء ما يليق بجنابكم من التحية والتكريم، فالباعث عليه إعلام حضرتكم أننا أردنا التوجه إلى مملكة البلجيك فى يوم الاثنين القابل، ومنها لمملكة اكريت بريطن لأداء ما أنا مأمور به من الحضرة الشريفة جلالة سيدنا دام عزه ونصره، وأعلمت جنابكم لتكونوا على بال على العادة فى ذلك وعند رجوعنا فى قريب إن شاء الله، نرجو منكم المقابلة لتتميم المذاكرة كما نرجو منكم المقابلة مع رئيس الجمهورية الأفخم للوداع، ودمتم مسرورين، وختم فى ٣٠ جمادى الأولى عام ١٢٩٣ خديم المقام العالى بالله محمد الزبيدى وفقه الله».

فأجابه الوزير المذكور بما نصه:

«سعادة الباشدور الأفخم سفير الدولة الشريفة بالمغرب الأقصى، وخديم سدة جلالة سلطانه الأعظم السيد الحاج محمد الزبيدى، قد تشرفت بوصول كتابكم إعلاما بعزمكم على السفر لمملكة البلجيك الفخيمة ومنها لمملكة اكريت بريطن ويكون رجوعكم منها لبلادنا لتتميم الأشغال المنوطة بمأموريتكم، فليعلم جنابكم أن الدولة هيأت لكم قطارا خاصا وعربة تليق بمقامكم السامى لتسافروا

فيها فى التاريخ المذكور ويرافقكم إلى حدود البلجيك خليفة وزير الخارجية والترجمان، وأرجو لكم سفرا سعيدا كما نرجو من جنابكم أن تعلمنا قبل نهوضكم من مملكة اكريت بريطن بثلاثة أيام بطريق السلك ليهيأ لكم البابور الخاص بكم بمدينة كالى وتفضلوا بقبول مزيد الاحترام لشخصكم المعظم».

ودفع السفير لفقراء باريس عشرة آلاف فرنك حسبما جاء فى كتاب الشكر الذى وجهته له الحكومة على ذلك وهو:

«باريس فى ٢٥ جوان ١٨٧٦

سعادة السفير المحترم

لقد تفضلتم سعادتكم فأبلغتمونى بواسطة الكاتب الثانى بسفارة جلالة سلطان المغرب جملة عشرة آلاف فرنك برسم توزيعها على فقراء العاصمة.

وطبقا لرغبتكم بإرسال المبلغ المذكور إلى عامل مقاطعة لاسين مشيرا عليها بتوزيعه على مختلف ملاجئ الإحسان فى باريس.

وسأكون قد تقدمت عن إدارة مقاطعة لاسين عندما أعرب لسعادتكم عن ممنونية الحكومة مما منحتموه لديار الإحسان ولكم يا سعادة السفير كل الاحترام والاعتبار

الإمضاء: . . .

وإليك قائمة ما تبرعت به السفارة منذ خروجها من طنجة:

فلرئيس المركب الحربى المقل للسفارة من طنجة إلى مرسيليا ليفرقه على البحارة بها فرنك ٥٠٠٠

ولأصحاب الموسيقى عند النزول بمرسيليا ١٠٠٠

ولأصحاب حاكم مرسيليا عند زيارة السفير له	٦٠٠
لضعفاء مرسيليا	٥٠٠٠
وللخدمة بمحل النزول	١٠٠٠
وللعسكر الملازم للسفارة بمرسيليا	٥٠٠
وللموسيقى عند الوصول لباريز	١٠٠٠
ولأصحاب العربات الملازمة للسفارة من قبل الحكومة	١٠٠٠
وللمكلفين بخيل الهدية	١٠٠٠
وللخدمة بوم ضيافة السفارة بدار رئيس الجمهورية	٢٠٠٠
وللبوابة	١٠٠٠
ولضعفاء باريس	١٠٠٠٠
ولأصحاب وزير الخارجية	٢٠٠٠
ولعسة العسكر المكلفين بالسفارة بباريس	١٠٠٠
وللخدمة المقابلين للسفارة بمحل النزول	٢٠٠٠

ثم فى يوم الاثنين المذكور توجهت السفارة المذكـورة فى المراكب الخصوصية المذكورة صحبة الرفيق فى كتاب الوزير المذكور لمملكة بلجيكا.

ولما وصل المركب وجد خليفة وزير الأمور الخارجية للدولة البلجيكية وعددا من الذوات وحاكم المقاطعة وفرقة من العـسكر ورجال الموسيقى تحت قيادة الجنرال الحاكم العسكرى لتلك المقاطعة فى انتظار السـفارة هناك، وبعد وداع السفارة هناك لمشيعيـها الفرنسيين نزلت من القطار فأدت العـساكر البلجيكية التحـية بعد ما رفع العلم المخزنى المغربى وأطلقت الطلقات المدفعية.

ثم تقدم الكبراء للسلام على السفير، وأظهروا من الفرح والبشاشة والترحيب ما يستدل به على ما لهم من الاعتناء بجانب مرسله إليهم سلطان المغرب الأقصى، فقابلهم السفير بما يقتضيه المقام.

ثم ركبت السفارة فى القطار المعد لها وتوجهت لعاصمة البلجيك (بروكسيل) وبعد مسير ساعة ونصف وصلت إليها فوجدت المحطة على أروع ما يكون من الزينة وبديع التنسيق، والأعلام المغربية والبلجيكية ترفرف وعددا وافراً من العساكر خيالة ومشاة ووزير الخارجية والقائد العسكرى، وجما غفيراً من وجهاء الدولة وذوى الحيثيات واقفين بها فى انتظار ورود السفارة اعتبارا لشأنها وأداء لواجب تحيتها.

وبعد تقديم مراسم السلام بين الجانبين ركب وزير الخارجية والسفير فى عربة خصوصية وأعضاء السفارة فى عربة أخرى أعدت لهم وساروا فى موكب مدهش إلى محل النزول الذى كان أُعد لهم، ثم ودعهم الوزير ورجع.

وما استقر بهم المجلس حتى أتى إليهم رئيس التشريفات للسلام على السفير بحسب النيابة عن الملك، ثم استفهمه عن تعيين وقت رد الزيارة للوزارة الخارجية، فعين له الساعة العاشرة من يوم الأربعاء ثالث يوم وصولهم.

وفى الوقت المعين وقع اقتبال وزير الخارجية للسفير بكل حفاوة وإجلال هش وبش، وأظهر من العواطف والإحساسات ما لا مزيد عليه.

وفى عشية اليوم نفسه رد الوزير للسفير الزيارة وأعلمه بأن اقتبال الملك والملكة له يكون على الساعة الثانية بعد الزوال من غده الذى هو يوم الخميس، وطلب منه نسخة من الخطبة التى سيلقيها أمام الملك ليهيئ جوابها طبق المتعارف فى ذلك فدفعها له. ونص كتاب الإعلام بتعيين وقت الاقتبال الملوكى:

«وزارة الخارجية

عدد ٤٤٦٩ بروكسيل ٢٩ يوليوز ١٨٧٦

سيدى السفير المحترم

أتشرف بإعلامكم أن جلالة الملك وجلالة الملكة يقتبلانكم فى قصر بروكسيل على الساعة الثالثة من هذا اليوم.

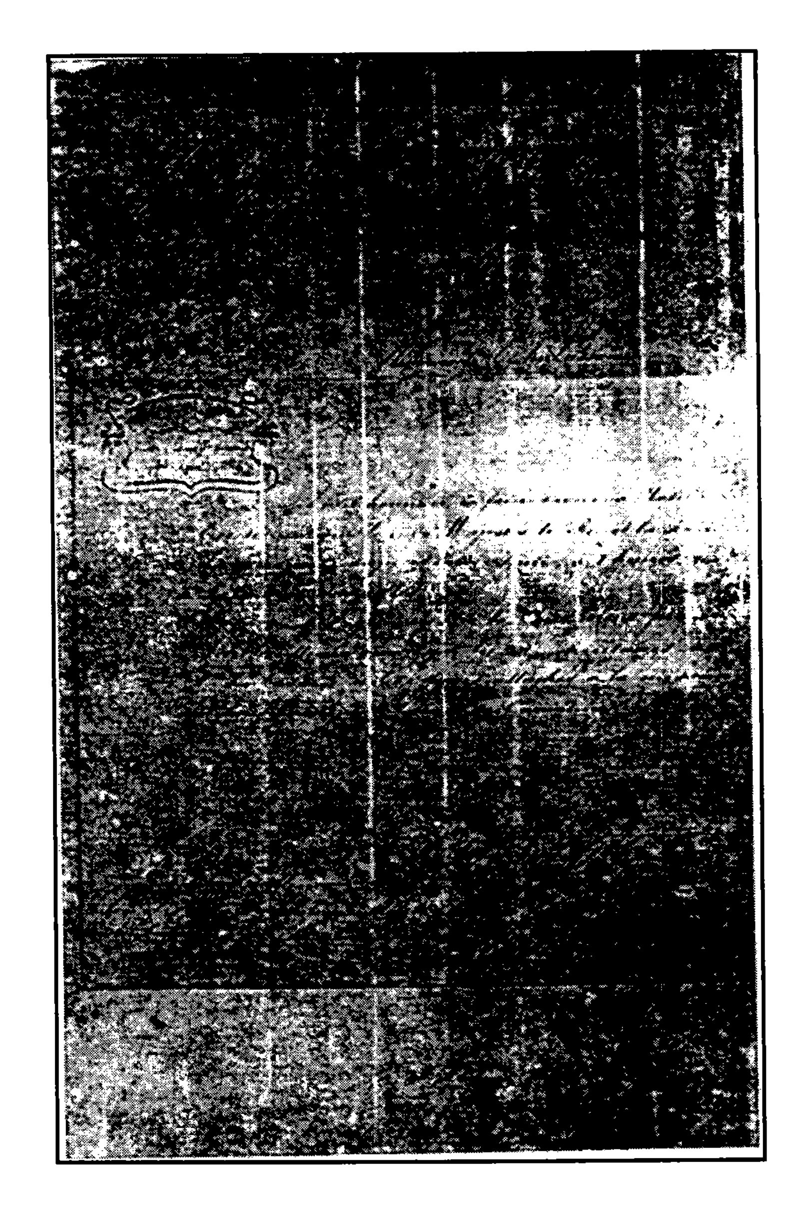
وسيتوجه حرس القصر إلى سفارتكم بقصد مرافقتكم ومن معكم من الكتاب والضباط الملحقين بالبعثة ذهابا وإيابا.

وإنى لأغتنم هذه المناسبة فأحقق لسعادتكم من جديد عبارات الاحترام.

ولما كان الوقت المعين انعقدت حفلة رسمية وقابل الملك السفير بمزيد اعتبار واعتناء وإجلال ثم ألقى السفير خطبته أمام الملك وإليك نصها:

أيها السلطان المعظم المحترم:

بعد إهداء ما يجب لمرتبتك الفخيمة من التحية والتسليم فإننى أمرت من جلالة سلطان المغرب مولانا الحسن دام عزه ونصره بالوصول إلى حضرتك الفخيمة السامية، بقصد تجديد أسباب المحبة التى كانت بين أسلافه الكرام وبين دولتكم المعظمة التى لا تزال فى ازدياد وتأكيد، وشكركم على لسانه أيده الله على ما صدر منكم من الاعتناء بتوسط نائبكم المسيو (لرنسط دولوان) فى شأن المتعلمين وغيرهم، فإن ذلك أقوى دليل على رسوخ المحبة وتأكيدها، ونحن نجدد لمقامكم الأفخم المجازاة ونشكر بلسان دولتنا الاعتناء الذى قابلنا به أهل دولتكم الفخيمة فى طريقنا، وإنى لمسرور جدا بتبليغ كلام جلالة سلطاننا المنصور بالله لفخامتكم مشافهة وخصوصا حيث أسعدنى الحظ بأداء التحية والسلام الخصوصى لجلالة الملكة المعظمة التى افتخر بها عصرها وازدهرت بها دولتها، وأرجو من سموكم



وزارة خارجية بلجيكا بتعيين وقت مقابلة الملك للسفير

الإذن لمن تختارونه للمخابرة معنا فيما يعود بالمصلحة على الدولتن العظيمتين اللتين نؤمل تمتين علائقهما الودادية.

ثم دفع الكتاب السلطانى.

ثم بعد الضيافة بالقصر الملوكى الفاخر اقتبل السفارة دوق ودوقية افلاندر من مقطعات البلجيك وإليك نص الإعلام الموجه من وزارة الخارجية بذلك:

وزارة الخارجية

عدد ٤٤٦٩ بروكسيل ٣٠ جوان ١٨٦٧

سيدى السفير

نتشرف فنخبركم بأن صاحبى السمو دوق ودوقية أبلاندر يقتبلانكم ومن بمعيتكم من كتاب السفارة والضباط التابعين للبعثة فى نفس هذا اليوم على الساعة الواحدة ونصف.

ولكم يا سعادة السفير أجدد عبارات الاعتبار الزائد.

الكاتب العام...

ثم شرع فى أشغال مأموريته مع وزير الخارجية حتى تممها على أحسن ما يرام، وقد زار فى تلك المدة معامل السلاح وحقق ودقق، ثم طير الإعلام للجناب السلطانى بجميع ما شاهده واستحسنه، وطير الإعلام بذلك للحاجب السلطانى، وإليك نص ما أجيب به من حاجب الجلالة المسمى بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأعز الأرْضَى. الأمين الضابط المُرْتَضَى. الباشدور النبيه الأحظى. السيد الحاج محمد الزبيدى حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلتنا مكاتبك ٣ المؤرخ ثالثها بأواخر ٢٠ جمادى ٢ مخبرا فيها بمدة مقامك ببلاد البلجيك وشارحا ما قابلك به رؤساؤها من تمام الفرح

والضيافات، ومن حضرها وبمزيد الاعتناء والبرور، وما أطلعوك عليه من الفبريكات الهائلة التى وصفتها وأروكه من أنواع آلات الحرب وأشكالها مدافع ومكاحل على نحو ما وصفته.

وعرفنا منه يوم سفرك من بلجيكة صحبة من سميت من أعيانها واصلا للوندريز، وما تلقاك به كبراء الدولة الإنجليزية من الفرح والسرور والمراعاة، وإنك تلاقيت هناك مع باشدور الطليان وألح عليك بتعجيل السفر لدولتهم لما عزم عليه عظيمهم من الخروج للصيد، وعلمنا ما دار بينك وبينه أولا وثانيا واعتذرت له وما انفصلت به معه من القدوم لإيطاليا فى أول شهر غشت بعد نهوضك من اللوندريز ومرورك بباريز، وأشرت بتعجيل توجيه ما كتبت على زيادته هدية لوزير أمور البرانية ومن معه وصار بالبال جميع ما سطرته فى المكاتب الثلاثة، وأطلعنا عليها سيدنا أيده الله واستوعبتها سيادته قراءة وفهما، وصار مضمنها بباله الشريف ودعا لك نصره الله بخير.

وقال دامت سعادته: فهلا وجهت مكحلة من كل عينة من العينات المحدثات التى لم تصل للمغرب ولا جلبها أحد للآن لا من التى وصلت للمغرب منها كالمعمرة من وراء فلا. وعليه فإن أمكنك أن تصحب معك عينات من المعدة المعتبرة الجديدة المحدثة التى لم تصل للمغرب فافعل إن تيسر لك تدارك الإتيان بها، وببيان ثمنها وقد استحسن سيدنا أيده الله مدفع الجر الصغير الخفيف ذا العمائر والذى نبهت عليه، وقال أيده الله: لابد من بيان ثمنه أى المدفع الصغير الذى تحمله بغلة واحدة فتحقق لنا ثمنه، وبين لنا كيفية السريجة التى يحمل عليها، ولا بد حينئذ يظهر لسيادته ما يحتاج لجلبه منه.

وقد كتبنا عن أمره الشريف للمحب السيد محمد بركاش ليتكلم مع نائب البلجيك فى ذلك.

وأما المسائل التى تزاد فى هدية الوزير الفرنصيصى فقد تقدم الكتب لأخينا الأرْضَى سيدى عبد الله بن أحمد بالتعجيل بتدارك توجيهها لكم هى وهدية الإنجليز، وها نحن حددنا له الكتب وأكدنا عليه فى اتعجيل بتوجيه ذلك عزما، هذا وقد سررنا بسلامتك وما قوبلت به من التيسير والإعانة، نطلب الله أن يقضى بكم غرض سيدنا الشريف ويصحبك الفتح والسلامة، فى كل ظعن وإقامة. ويردك بخير وعافية مقضى الأغراض مبلغ المراد آمين، ولا تغيب عنا خبرا وعلى المحبة والسلام فى ٢٦ من رجب الفرد عام ١٢٩٣ موسى بن أحمد لطف الله به».

وفى أثناء مقامه ببروكسيل تبرع على فقرائها بخمسة آلاف فرنك ونص شكر الحكومة له على ذلك:

وزارة الخارجية　　　　بروكسيل ١١ جوليت ١٨٧٦

سعادة السفير:

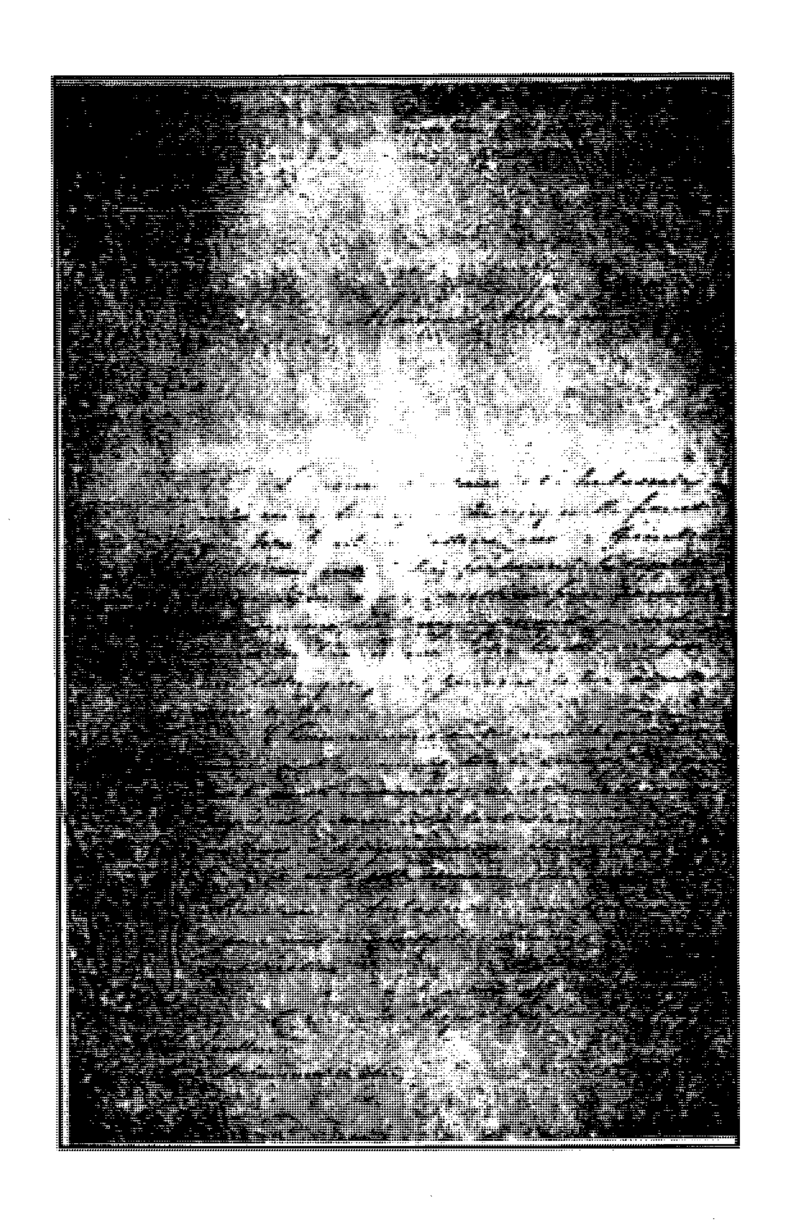
لقد ناولنى الكاتب الثانى بالسفارة مجموع الخمسة آلاف فرنك التى تبرعتم بها على مختلف ملاجئ الإحسان بالعاصمة.

وقد بادرت بإبلاغ هذا المبلغ إلى رئيس البلدية الذى أعرب لكم عن تشكراته فى الرسالة الموجهة إليكم صحبة هذه. ولقد تأثر جلالة مولاى الملك وحكومته من صنيعكم المبرور ولا شك أن ذلك مما يخلد تذكار المهمة التى أديتموها فى هذه الديار بغاية المقدرة والكفاءة.

وبهذه المناسبة أدعو لكم يا سعادة السفير بيمن السفر وأجدد لكم عواطف الاعتبار.

وزير الخارجية لدى جلالة ملك بلجيكا

وإليك قائمة ما تبرع به فى بلاد بلجيكا:



من وزير بلجيكا للسفير الزبيدى

فلأصحاب الموسيقى عند الوصول ١٠٠٠

ولأصحاب العربات الملازمة للسفارة من قبل الحكومة

وللخدمة يوم الضيافة بدار السلطان ١٥٠٠

وللبوابة ١٠٠٠

ولضعفاء البلجيك ٥٠٠٠

ولأصحاب وزير الخارجية ١٥٠٠

وللعسكر المنفذ للسفارة ١٠٠٠

وفى صدقة لضعفاء مدينة الياج ١٠٠٠ وياتبريس ١٠٠٠ وبمدينة اوستاند ١٠٠٠ج

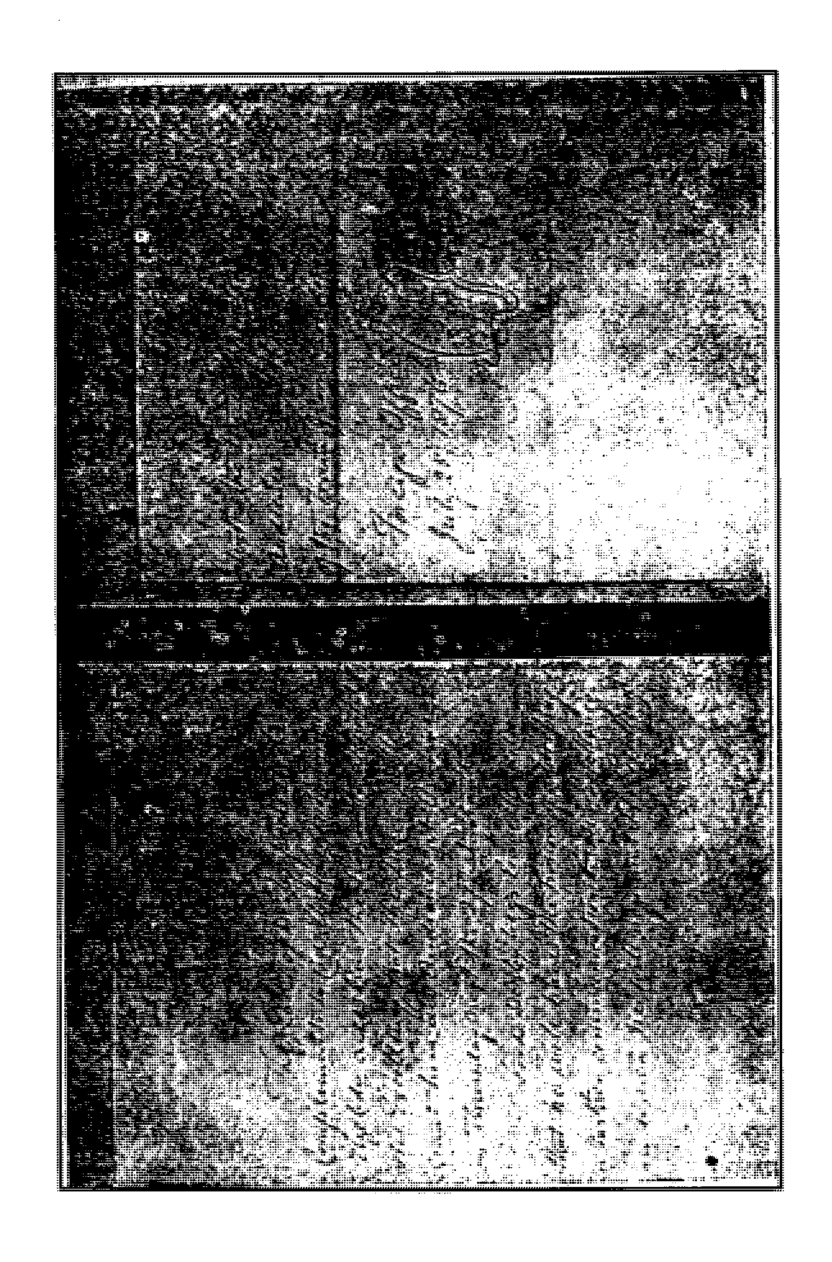
وللخدمة بمحلات النزول بمدن بلجيكا ٢٠٠٠

ولرئيس البابور الذى أقل السفارة من بلجيكا إلى إنكلترا ليفرقه على خدمة المركب ٢٠٠٠

ثم قابل السفير ثانية وودعه ونهض من بلجيكا فى بابور خاص ورافقه نائب وزير الخارجية والترجمان بقصد تشييعه إلى اللندريز.

ولما ودعه ونزل من البحر وجد وزير الأمور الخارجية وولد باشادور طنجة حينه والجنرال حاكم الناحية والعسكر والموسيقى فى اقتباله وعددا من الذوات واقتبلوا السفير أحسن مقابلة وبالغوا فى الترحيب وإظهار الفرح والإجلال وبعد مبادلة السلام وواجبات التحية توجه السفير بمن بمعيته للمحل المعد لنزولهم.

وبعد يومين من يوم حلولهم باللندريز عينت الملكة الإنجليزية فيكتوريا وقت الملاقاة بواسطة رئيس التشريفات الذى ناب عنها فى تهنئة السفير بالقدوم عقب نزوله ونص كتاب الإعلام بذلك الذى كتبه اللورد دربى الشهير وزير الخارجية البريطانية يومئذ:



الإعلام للسفير بوقت مقابلته لملكة إنجلترا

«يقدم اللورد دربى احتراماته إلى السيد الحاج محمد الزبدى ويخبر سعادته بأن جلالة الملكة سوف تقابله فى (اوسبون) يوم الخميس المقبل يوم ٢٧ من الشهر الجارى.

وقبل أن يغتنم اللورد دربى فرصة ترك سموكم فإن له الشرف بأنه سوف يخبركم بأوقات القطار الذى يترك لندن قبل وقت المقابلة المعين دائرة الأعمال الخارجية ٢٥ يوليو ١٨٧٦».

ولما حظى باستقبالها بالغت فى الهش والبش وإظهار العواطف الحسنة والمجاملة التامة ثم أكرمت السفارة إكراما زائدا فى الأبهة والاعتناء والاعتبار.

ثم كتب للورد دربى بقائمة الهدايا التى أمر بتقديمها للملكة حسبما جاء فى الرد الذى بعثه له عليها ونصه:

«وزارة الخارجية ٣ غشت ١٨٧٦.

سيدى السفير:

لى الشرف بأن أعلم سموكم باستلام مذكرتكم المؤرخة بـ ٢٨ من الشهر الماضى التى فيها قائمة الهدايا المقدمة من جلالة سلطان المغرب إلى جلالة الملكة وأتشرف أيضا بإخباركم بأنى لم أتمكن إلى الآن من عرض ذلك على جلالتها.

أرجوكم أن تتقبلوا فائق احتراماتى يا سيدى السفير:

مطيع سموكم وخادمكم المخلص: لورد دربى»

وهذه نسخة من قائمة الهدايا التى أمر صاحب الترجمة بصنعها بفاس لتوجه إلى ملكة الإنجليز.

«أوله رسون من الحرير مطرزة بالصقلى والحرير المذهب بين حمصى ٤ وأخضر ٤ وبنفسجى ٤ الجميع ١٢

وجلالات فى غاية الجودة عدد ١٢

وحياك قنطرى وبلهوان حرير ٤

وكساوى من أوراق ساهل أربعة كل واحدة منها فى لون وواحدة منها تكون مثقلة بالصقلى وتعرف بالصمة ٤

وتغاطى من الزردخان أربعة كل واحدة منها فى لون وفى أطرافها قضيب مثل السلتة والترييش بالصقلى ٤

من الشرابل ٦ من الموبر على ألوان و٦ من الجلد و٦ من الطلس ١٨ ومطرز بالصقلى ١٨

ومن اسطارم ستة من الموبر وستة من الطلس وستة من الجلد والجميع ١٨

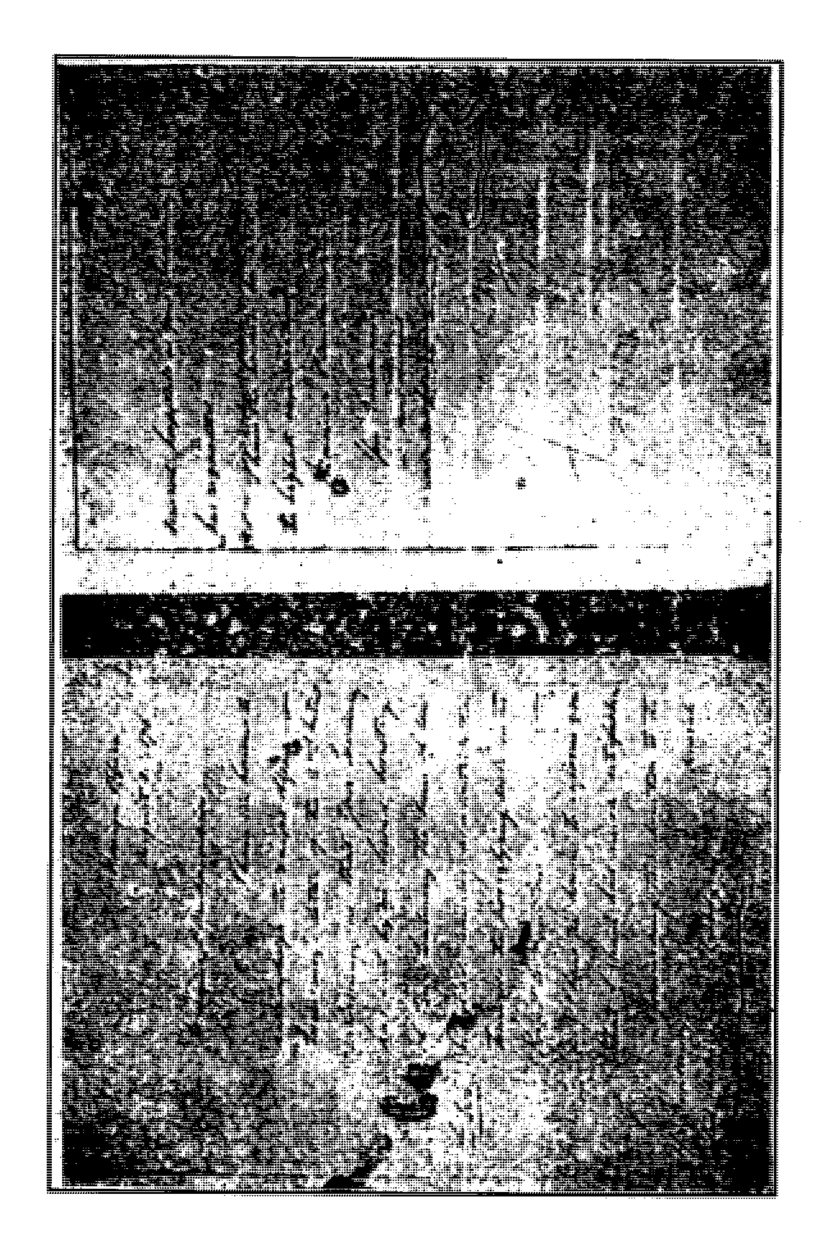
على ألوان ومطرز بالصقلى ١٨

ومن شكاير البارود على نحو عمل الريف مطروزة بالصقلى على ألوان ١٢

ومن مرافع خشب الصنوبر الجيدة تكون مخرمة ومزوقة فى غاية الجودة على ثلاثة أنواع، نعم ستة منها يكون طولها من ستة أشبار، وستة منها تكون طولها من أربعة أشبار والصنعة مختلفة الجميع ١٢

ومن رشاقات خشب الصنوبر التى تحمل عليها المكاحيل اثنا عشر زوجة مخرمة ومزوقة جيدة ١٢

ومن طبالى الخشب الصنوبرى التى توضع عليها صوانى الاتاى تكون مثمنة الشكل وبالأرجل على نحو عمل اشاون ١٢



كتاب من وزير خارجية إنجلترا للسفير الزبيدى

ومن شقق الملسة الرفيعة ستــة مطروزة بالتل عمل فاس متفاوتة فى الطرز إلا واحدة منها مثقلة ٦

ومن صوانــى الصفر عــمل فاس اثنا عــشر أربعــة منها نمر ١ وأربــعة نمر ٢ وأربعة نمر ٣ ١٢

واثنا عشر كمية عمل سوس تكون مــجبرة بالفضة على ثلاث عينات الجميع ١٢

ومثلها من السبائل عمل الريف مجبرة بالفضة على ثلاث عينات الجميع ١٢

ومن الســفارى المطروزة اثنا عــشر أربعــة مطروزة بالصــقلى وأربعة بالحــرير وأربعة من الجلد ١٢

ومنه تقييد الحوائج التى بزيادتهم:

سفارى ثلاثة موبر مطروزة ٣

سطارم أربعة ٤

حزوم بالصقلى ٣

حياك أربعة بالحرير ٤

مسخرات أربعة مطروزين ٤

سبانى أربعة بالصقلى ٤

الحمد لله وحده

أخانا الفــقيــه الأعز الأرضى، سيــدى موسى بن سيــدى أحمــد رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

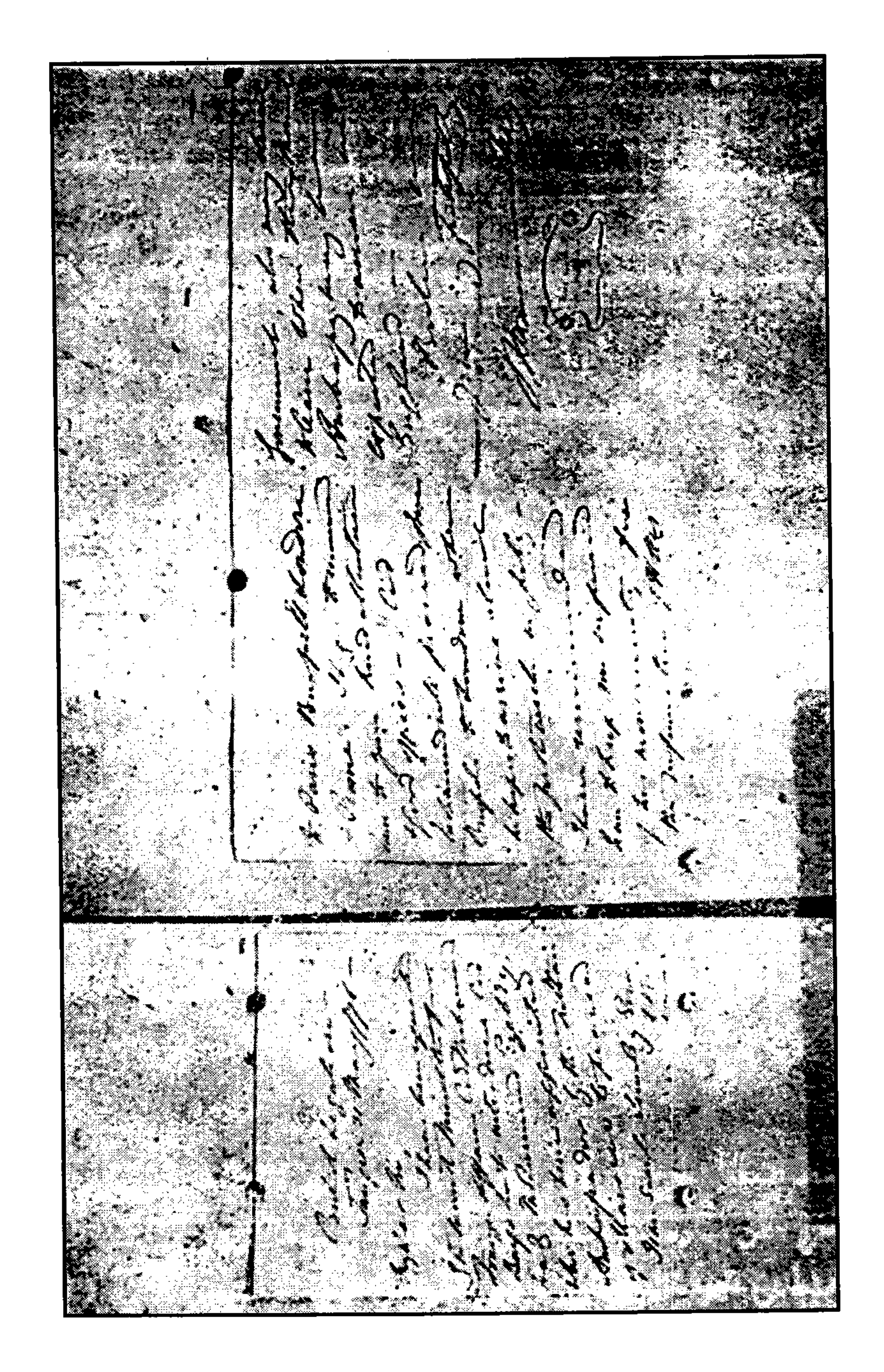
وبعد: فما قيد أعلاه هو زمام الهدايا الثلاث التى أمر سيدنا أعزه الله بصنعها لتطلع عليه، وتعرف تفصيله غير أن المعلمين ذكروا أنهم إن صنعوا ذلك بأجمعه ربما يستغنى عن بعضه، فيبقى بيدهم كاسدا لا يجدون مشتريا له منهم لعدم صلاحيته هنا، وعليه فإن كان المراد صنع الجميع من غير أن يرد لهم شىء فيعتمدون على ذلك، وإن كان المراد صنع البعض مختارا من ذلك فليبين المراد لهم حتى تطمئن نفوسهم فيما يقدمون على صنعه:

عبد الله بن أحمد لطف الله به»

أما قائمة ما يتوجه من التحفة لكل الأجناس فهذا بيانه:

فلكبير الدولة:

جلالة عدد	١٠
ثم رسون	١٠
ثم سروج بإقامتها	٢
ثم سفارى موبر	٤
ثم سطارم موبر مطروزة	٦
ثم كساوى حريرا	٦
ثم حياك بولهوان	٦
ثم رواحى ٦ موبر مطروزة وبابوجات ٦	١٢
ثم حزم ٣ زردخان ٣ جزيرية	٦
ثم زرابى كبار عمل الرباط	٦



كتاب من وزير إنجلترا للسفير الزبيدى



توصيل وزير خارجية إنجلترا من السفير بابرات ٦٠٠

وللوزير الكبير:

سفارى موبر ٢

ثم سطارم موبر مطروزة ٢

ثم رواحى ٣ وبابوجات ٣ موبر مطروزة ٦

ثم حياك بولهوان ٢

ثم كساوى من حرير ٢

ثم حزام ١ زردخان وآخر ١جزيرية ٢

ولوزير الأمور البرانية:

سفارى موبر ٢

ثم سطارم موبر مطروزة ٢

ثم رواحى ٣ موبر مطروزة وبابوجات ٣ ٦

ثم حياك بولهوان ٢

ثم كساوى حريرا ٢

ثم حزم ١ زردخان وآخر ١جزيرية ٢

ثم زرابى كبار عمل الرباط ٢

ثم تبرع السفير بقدر يوزع على المستشفيات كما بالتوصيل الذى بعثه إليه نائب كاتب الدولة بوزارة الخارجية والشكر الذى أرسله إليه اللورد دربى وزيرها ونصهما:

«توصلت من سعادة السفير بما قدره ٦٠٠ ليرة تصرف فى سبيل المستشفيات.

بالنيابة عن كاتب الدولة بوزارة الأمور الخارجية لجلالة الملكة:

... وزارة الخارجية فى غشت ١٨٧٦»

«الوزارة الخارجية الإنجليزية فى ٣ غشت ١٨٧٦

سعادة السفير:

أخبر سعادتكم بأننى تشرفت بكتابكم المؤرخ فى الثانى من الشهر الجارى، معلما فيه أنكم قد وجهتم على يد الكاتب الثانى بسفارتكم ما قدره ٦٠٠ ليرة إنعاما على العميان الفقراء الذين يعالجون بالمستشفيات المبنية بمرقومكم، كما أتشرف بأن أذكر لكم ما حصل لى من الفرح والسرور بتبليغ ذلك الإنعام إلى مختلف المستشفيات وفق مرغوبكم وأنا أيها السفير خديمكم المتواضع.

الإمضاء: دربى»

وإليك قائمة ما تبرع به السفير فى بلاد الإنجليز:

خدمة أوطيل الدوفر ابرات	١٠
أصحاب الموسيقى بالدوفر	١٥
ولرئيس البابور بالجزيرة	٤٠
أصحاب العربات المنفذة للسيارة	٣٠
للخدمة بدار السلطانة يوم الضيافة	٧٥
وللبوابة	٢٠
للخدمة بدار وزير الخارجية	٦٠
ولضعفاء اللندريز	٦٠٠

وللخدمة بمدينة وينزة بالقصر السلطانى	٢٠
ولأصحاب المدافع يوم زيارة السفير المناورة المدفعية المعدة له	٢٠
ولخدمة محل النزول باللندريز	٤٠
وللعسكر المنفذ للسفارة	٢٠
ولبحارة المركب المقل للسفارة من إنكلترا لفرنسا	٥٠

وفى هذه الأثناء قدمت جماعة اليهود ببلاد الإنجليز مطالبها إلى السفير لرفعها لجلالة مرسله، وإليك نص كتابها بعجره وبجره وأصله بخط مشرقى:

«نميقة الوداد القلبيه وإقبال التهنيات الزهيه بالسعادات البهية والاحترامات السنية تعرض على حضرة سعادة ذو القدر صاحب درجة العلية السيد الحاج محمد زبدى المحترم بشدور دولة عظمة جلالة سيدنا السلطان حاكم فى جميع بلاد الغربية دام مصون بعناية بارى البرية من وكلا عصبة طائفة الإسرائيلية فى سائر بلاد الإنكليزية.

غب إهدا أذكى التحيات بالإكرام وفرط الدعا المستجاب المستدام وسؤال شريف الخاطر العاطر ولطف المزاج السليم الباهر مع تقديم ما وجب ولاق إلى ذاك الذات بديع الصفات الذى حاز على رتبة العالية ونال مستأهلا ثقة مولاه عظمة جلالة سيدنا السلطان ولهفة جميع الأهالى، نعرض لحضرة سعادتكم بأن عصبتنا المذكورة جل قصدها والمرام تعديل وتصليح بكل نوع لائق ومستقيم أحوال إخواننا الإسرائليين الموجودين فى سائر بلدان الدنيا، وهذا القصد تم غالبا بفتح مدارس علومية لأجل تنوير شباب إسرائيل، ومنذ ثلاثة سنين تشرفنا بتقديم واجباتنا لعظمة جلالة سيدنا السلطان حين جلوسه على كرسى المملكة، وترونا للآن ممنونين من الوعد الكريم الذى عظمة جلالته تفضل علينا به مع إصدارنا الجواب

وهو مـا يخص تحسـين أحوال رعـاياه الإسرائـليين، وذلك الوعـد تكرار فرمـان الشريف الذى صـدر من عظمة جلالة السـلطان والده رحمه الله وعطى إلى سـير موسى مونتفيورى فى سنة ١٨٦٤، فاستنادا على مداومة هذه الأفكار العادلة نرجو من إفـضال سـعادتكم أن تكرمـوا بلطف المناظرة على الملاحظات الآتى شـرحهـا وتوصلوها إلى عظمة جلالة سـيدنا السلطان حيث خواصها جـوهرى لجميع الذين يرحموا المخلوقات.

أولا: نرجو حسن إجادة وترفق بحال إخـواننا الإسرائليين الذين فى آزمور، حيث على مـا بلغنا من تقارير عمـده من بعض السواحين بأن إخـواننا المذكورين مجبورين يمـشوا حافين حتى بالشتا فى زقاق مليـانان حصى مسنونات وذو حد، وذلك بموجب أمر حـاكم المكان الذى يدعى على ما يقولوا بأن ذلك تتـميم أوامر رووساه.

ثانيا: نتوسل من حضرة سعادتكم بأن حكم الغرب من كرمه يأمر بالتنبيه فى كل مـدة من الزمان فى جـميع أمـاكن الذى فيـهم أهالى من ملل مـختلفـة، بأن هولاى الذين يتبـعوا ديانـة الغالبـة لا يزالون يعـاملوا باقى الملل فـى كل فرصـة بالاحـتمال التـام، وأن والين الأماكـن حينمـا يحافظون على أمنيـة كل ملة وملة يجملوا إليهما إخواننا الإسرائليين[1].

ثالثا: نسـتغنم هذه الفرصة الجيـدة لنذير عالى أنظار حضرة سـعادتكم على المنافع العديدة التى تنتج لإخواننا فى الصويرة إذا محلتين الملاح غير كافيتين لراحة سكنهما اتسـعتا حيث تراكم السكان بزيادة فى بيوت هل قـدر مضيقة غير نـضيفة وغيـر هاوية قطعا يحـصل من ذلك أمراض وبلايا لا تصف من كل جـنس عرفى وطبيعى. فبتقديمنا لحضرة سعادتكم الملاحظات المذكورة عندنا يقينا أن بذلك نكرر

---

(١) حافظنا على النص كما ورد فى الأصل.

فقط أرباب السخى والكرم الذى حضرة سعادتكم تشتهوا قلبيا أكثر من كل مخلوق أمنية الأهالى ومحبتها لبعضها البعض ونجاح جميع بلاد الغرب.

تحريرا فى ٢٥ شهر تموزغ سنة ١٨٧٦

نحن لشريف حضرة سعادتكم متواضعين.

رايس متولى مجلس عصبة الإسرايلية

فى ساير بلاد الإنكليزية

رايس متولى تانى

رايس المالية

رايس نظارة الشورة

ناظر مصالح الأدبية

ناظر مصالح المالية

ناظر إدارة الكتبه

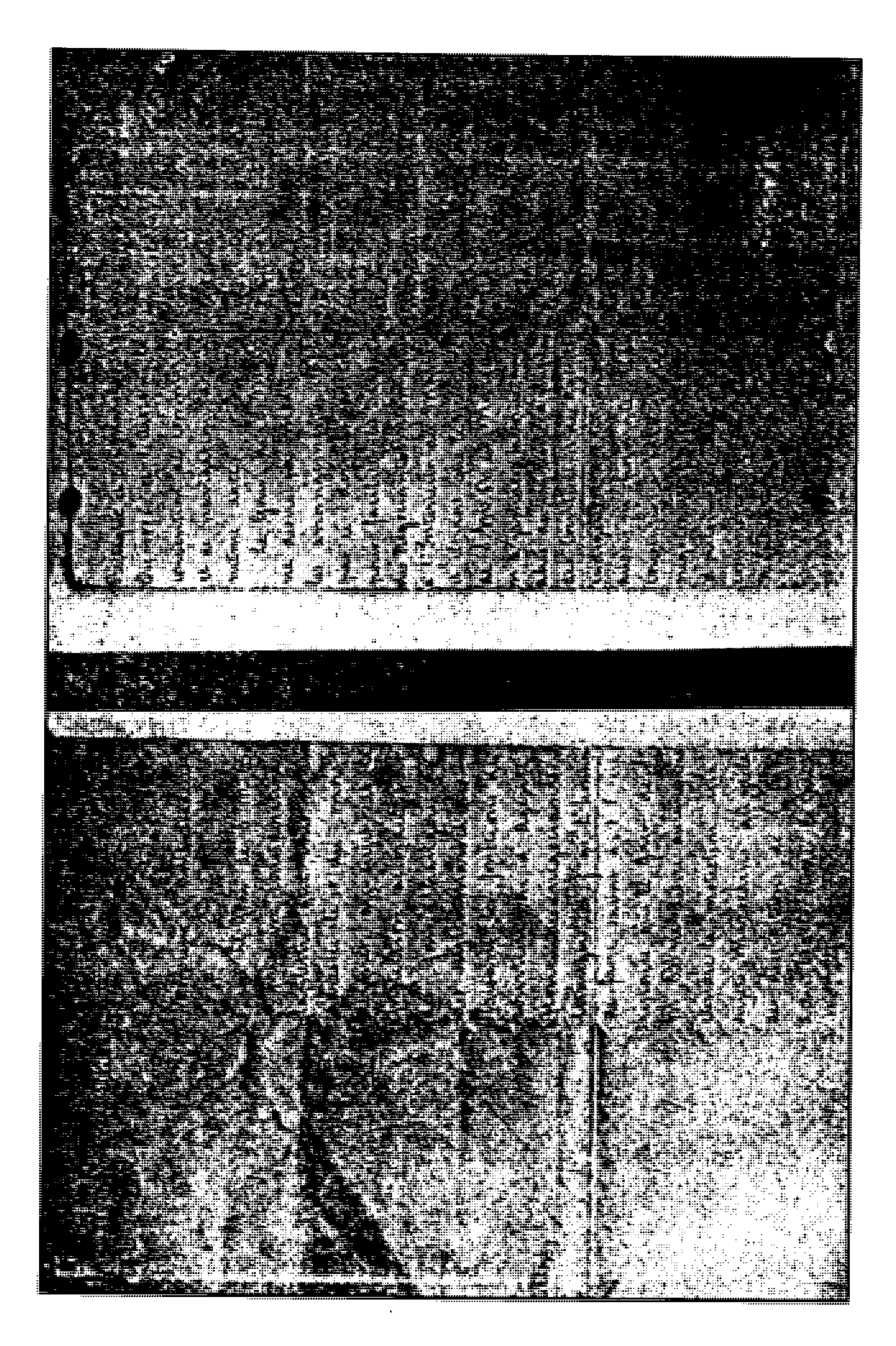
محل إدارة كتبة الوصية» بلفظه

ثم وقع الشروع من السفير فى المذاكرة مع الوزير المعين لذلك وهذا كتاب من وزارة الخارجية الإنجليزية يشرح بعض ما جرى من المفاوضات:

«الوزارة الخارجية عاصمة إنكلترا ٨ غشت ١٨٧٦

يا جناب السفير

إن حكومة جلالة ملكة إنكلترا قد أحلت محل الاعتبار رسالتكم المؤرخة بـ١٨ الجارى فيما يخص حماية الحكومات الأجنبية لجملة المغاربة القائمين بوظائف السمسرة أو النيابة لدى التجار الأجانب.



كتاب من وزير خارجية إنجلترا للسفير الزبيدى

وردا على رسالتكم المشار إليها، أشعر سعادتكم بأن حكومة جلالة الملك ليست لها رغبة فى بسط هذه الحماية على المغاربة إلا بمقتضى نصوص الفصل الثالث من الاتفاقية المبرمة بين أبرطانيا العظمى والمغرب فى تاريخ ٩ دجانبر ١٨٥٦، وبمقتضى الفصل الرابع من الاتفاق التجارى والبحرى الصادر فى نفس التاريخ المذكور.

وليس فى رغبة حكومة جلالة ملكة إنكلترة تغيير الاتفاقات المبرمة طبقا لهذا الفصل الأخير لتسهل على التجار الإنكليز القيام بأعمالهم داخل الإيالة المغربية، ومما تعتقده الحكومة أيضا أن سفير جلالة ملك إنكلترة فى المغرب لم يقدم قط على إيثار السماسرة أو النواب التجار فى الداخلية.

فالحكومة والحالة هذه لا تستطيع أن تبخس التجار الإنكليز شيئا من الامتيازات التجارية الممنوحة لسواهم من التجار الأجانب.

وبالرغم عن هذا كله فإذا وفقت الحكومة المغربية إلى أن تعقد مع أية دولة اتفاقا يكون أفضل لها من الأول، فإن حكومة جلالة ملك إنكلترا تنيله اعتبارا صحيحا حتى تتوصل حسب الإمكان على تلبية رغبات جلالة ملك المغرب.

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأعبر لسعادتكم عما حصل لجلالة الملكة ولحكومتها من الارتياح لمأموريتكم راجيا من سعادتكم أن تتقبلوا فائق الاحترام.

.....»

ثم ودع السفير الملكة فكتوريا وطلب من الوزير كتابة صدور الأمر لباشادورهم بطنجة لتتميم المسائل هنالك، وأبحر من إنكلترا لفرنسا فقابل رئيس جمهوريتها مقابلة الوداع، وطلب صدور الأمر لباشادور الدولة الفرنسية بطنجة لتتميم المسائل التى لم تتم.

ثم ظعن من باريز لمدينة ليون، ورافقه إليها نائب الوزير والترجمان على

العادة المقررة فى سائر تنقلاته من مملكة لأخرى، وقد قوبل بمدينة ليون بكل تجلة وإكرام. ومزيد إكبار واحترام. وأقام بها بضعة أيام فى ازدهاء وازدهار.

وتبرع فى هذه الرجعة لفرنسا بهبات أخر

فللخدمة بمحل النزول بكالى	٥٠٠
وللخدمة بمحل النزول بباريس	١٠٠٠
ولأصحاب العربات المنفذة للسفارة	٥٠٠
وببلد ليون محل الفبركات بطورى	٥٠٠
ولخدمة فندق النزول به	٥٠٠
ولأصحاب العربات به	٣٠٠
ولأصحاب الموسيقى	٣٠٠

ومن ليون ظعن لمدينة مضان التى هى الحد الفاصل بين فرنسا وإيطاليا، وكتب لأميره بكل ما راج فى تنقلاته بل حركاته وسكناته، وإليك لفظ جواب الحاجب الوزير عن الكتاب المشار بعد الحمدلة والصلاة.

«محبنا الأعز الأرضى، المبجل المرتضى، الباشدور السيد الحاج محمد الزبيدى أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك، وعلمنا منه أنك نهضت من مدينة ليون بعد ما أقمتم بها حسبما تواعدتم به مع الدولة الفرنسوية حسبما قدمتم شرح ذلك، وتوجه معكم ترجمانهم، إلى أن وصلتم إلى مدينة مضان التى هى الحد بين الفرنسيس والطليان.

فوجدتم نائبه منتظراً لكم، وتلقاكم بالترحيب والتعظيم، وحملكم فى عربة منتخبة من عربات كبيرهم، وصاحبكم إلى مدينة عظيمهم المسماة طورين، فأقمتم بها يومين مكرمين معظمين، وورد عليكم عامل البلد وشيخها والجنرال وكبير العسكر.

وأخبروكم بأن عظيم الدولة خارج البلد حسبما قدمتم الإعلام بذلك وأن رجوعه يكون فى أواخر غشت، وقاموا بالاعتناء بكم وطلبوا توجهكم إلى رومة عملا بما أمروا به من قبيل كبيرهم، فدخلتم لها يوم تاريخ كتابكم بعد اجتيازكم من مدينة فرينسية، ولقيكم بها خليفة وزير الأمور البرانية مع الكبراء المذكورين.

ثم قدموا عليكم لمحل النزول برومة بقصد التسليم والتهنئة وظهركم أن قدوم الوزير عليكم يكون بعد الاستراحة، وأخبروا بوصول الهدية إلى جنوة عدا الخيل، وأنك تطلب من الوزير عند اللقى به إتيان الهدية لتصحبها معك إلى طورين عند رجوعك إليها، وبينت ما ظهر لهم من تأخير ورود الخيل إلى أن تأتى فى البابور الذى يحملكم إلى طنجة، وأن الكتاب الشريف الذى تدفعه لعظيمهم كان وجهه لك وزير الأمور البرانية، حيث كنت بطورين، ورجوت أن يكون غشاؤه مع الهدية وقد طالعنا سيدنا أعزه الله بكتابك، وصار ما قررته بباله الشريف، ودعا لك أيده الله بخير ونسأل الله أن يقضى بك الغرض الشريف، ويسددك فى الأقوال والأفعال وعلى المحبة والسلام فى ٤ رمضان عام ١٢٩٣ موسى بن أحمد لطف الله به».

ولما وصل السفير لحدود إيطاليا ودعه النائب الفرنسى الذى ذهب معه مشيعا له، واقتبله وزير خارجية إيطاليا وباشادورها بطنجة والحاكم العسكرى، وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وأداء واجب التحية، توجهوا فى مركب عظيم لمدينة طورين،

وكان ملك إيطاليا إذ ذاك متغيبا للصيد طبق ما أشرنا إليه فى خبر الباشادور للسفير، فأقاموا بطورين فى حفاوة وإكرام وتكريم.

ثم ورد عليهم الوزير وولى العهد الحالى، وطلبوا من السفير التوجه لرومة عاصمة الملك فأجابوا رغبتهم، وكان يوم دخولهم إليها من أعظم المشاهد وأفخرها.

ثم شرع السفير بمباشرة أمور المأمورية التى جاء لأجلها مع الوزير، وطالت المفاوضة بينهما أياما حتى تم الأمر وفق ما يرام ويراد، وبعد الضيافة برومة وانتهاء الوطر ونجاح المسعى، رجع السفير وولى العهد والوزير لطورين، فوجدوا الملك قد رجع من الصيد وقد اقتبلتهم الحكومة المحلية هنالك بغاية الإعظام والسرور وبمجرد ما استقر المجلس بالسفير ورد عليه رئيس التشريفات يحييه نيابة عن الملك، وصرح له بأن الملك ما عجل الأوبة إلا لأجله، وأنه بعد مقابلتهم سيرجع لتتميم فسحته ورياضته الصيدية، وعين له وقت الاستقبال، وأنه سيكون من الغد.

وهذا كتاب وزارة الخارجية الإيطالية المعين للوقت:

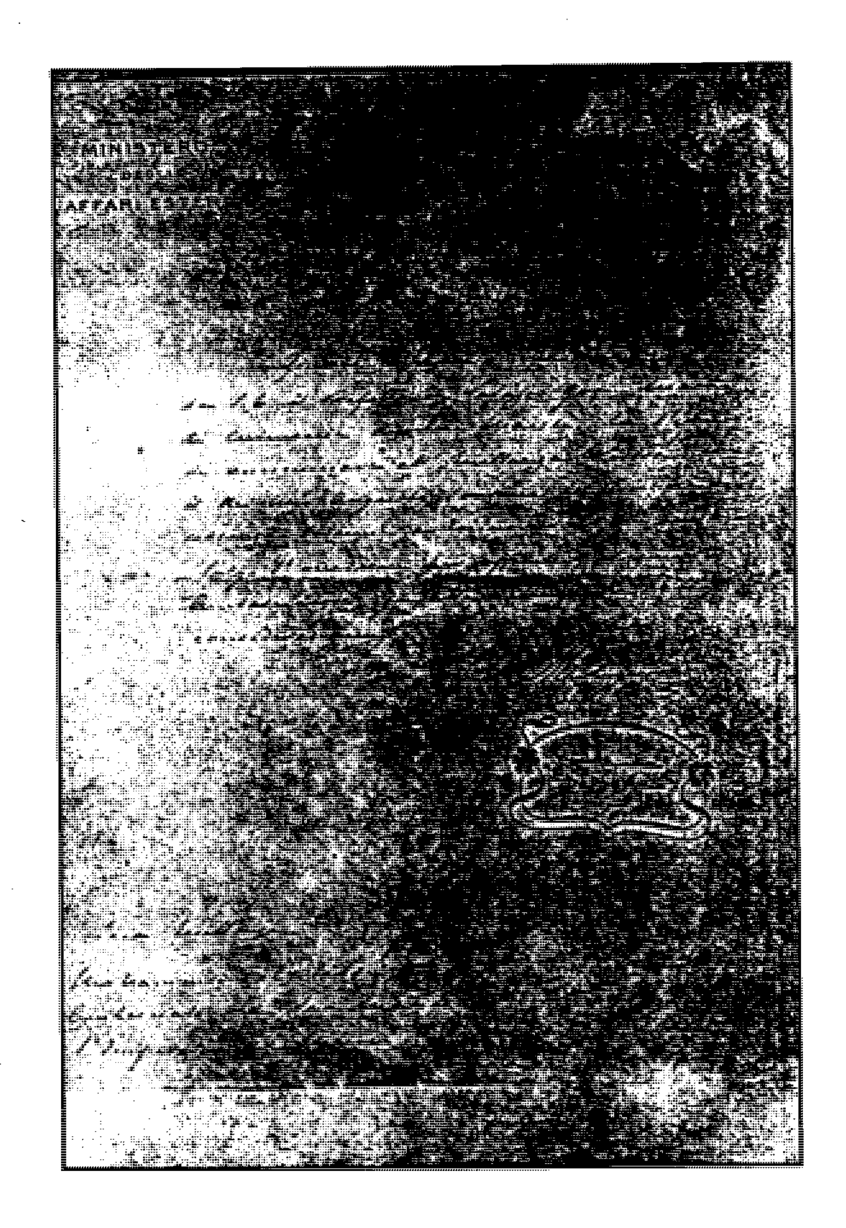
«وزارة الأمور الخارجية   رومة فى ٢٠ غشت سنة ١٨٧٦

سعادة السفير:

إنه جوابا عن كتابكم الذى مكننى إياه سعادة عامل فالازيو حاجب جلالة الملك أتشرف بإخبار سعادتكم أن مولانا الملك سيستقبلكم فى حفلة رسمية بطوران فى ٢٦ من الشهر الجارى.

وأغتنم هذه الفرصة لأقدم لكم يا سعادة السفير عبارات فائق احترامى والسلام.

الإمضاء: ميليكارى»



تعيين وقت استقبال السفير

ولما كان الوقت المعين وقع اقتبال الملك للسفارة وأظهر من البشر والاعتناء والاعتبار ما لا يزيد عليه، وقدم السفير الهدية الملكية التى أتى بها طبق ما قدم لسائر ملوك الدول التى كانت سفارته متعلقة بها، وقدم المسطور الشريف الذى أتى به للملك وفق ما وصفنا سابقا، وإليك نص ذلك الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أدام الله سعوده، ونصر أعلامه وبنوده، إلى المحب المعظم. المبجل المحترم. المميز فى ميدان الرياسة بمزيد التقدم. سلطان إيطاليا الفخيمة وعظيمها فكطور ايمنوءيل الثانى.

أما بعد: فالموجب لتقديم هذا الكتاب العزيز تجديد عهود المودة التى تتأكد بمرور الأزمان. وترسخ شوامخ أصولها فى الإسرار والإعلان. فلا يزيدها طول المدى إلا تأكيدا، وبحسن التواصل تلبس كل حين ثوبا جديدا. ولأجل ذلك اقتضى نظرنا السديد أن أوفدنا إليكم حامله خديمنا الأرضى الأنصح الحاج محمد الزبيدى سفيراً منا إليكم، ومشهرا لما هو كالشمس من ثابت المحبة لديكم، وقد اخترناه من أخص خدام داخلية عتبتنا العزيزة، وكبراء حاشيتنا حيث اقتضت خدمته ونصيحته تمييزه لما عرف به من السبقية فى الخدمة أيام سيدنا الجد ومولانا الوالد قدس الله روحيهما الطاهرين.

وقصدنا أن يذكر لكم مشافهة ما تجدد عندنا لكم من المحبة التى ورثناها من كرماء الأسلاف. وزدناها تأكيدا وتأصيلا يثمران بحول الله حسن الائتلاف، ويقرر لكم ما نحرص عليه من المحافظة على العهود وحسن المعاملة التى تدوم بها كروم

المواصلة. وتنمو وتزيد، وقد حملناه ما يذكره لكم مشافهة نيابة عن جنابنا العالى بالله من المجازات بلسان الخير والثناء على ما أظهرتموه بجنابنا العالى بالله، من المبرة والاعتناء، حيث عينتم سفيركم الكبلير المعتبر المنسطر (الكمندطرا صطبان اشكباص الرزدنص) وأوفدتموه على حضرتنا الشريفة مبينا لما نعتقده من صفاء المحبة. ومحققا لما نعتمده من أشراط الصحبة. مما ملأ الجوانح انشراحا، وجدد لبلوغ الآمال ارتياحا.

والمعتقد عندنا أن تقابلوا سفيرنا المذكور، ومن معه بغاية الاعتناء والبرور، وتلاحظوه بعين الاغتبار فى الورود والصدور، وتصدقوه فى جميع ما يذكره لكم من جانبنا العالى بالله من خالص المحبة وصفو الوداد، مما يكون بحول الله سببا فى كمال الاتصال بين الإيالتين ويعود بالنفع والخير على الدولتين العظيمتين، حتى يرجع مقتضى المطالب ناطقا بلسان الثناء على تلك المراتب، فإن محبتنا مع دولتكم الفخيمة القديمة، وطريقتنا فى التودد لعظماء الدول قويمة، والمحبة تقتضى التسهيل والتيسير، وتؤذن بكمال التوافق فى الكثير واليسير، ودمتم كما تحبون ممتعين بموجبات الهنا، مقابلين بما يليق بكم من بلوغ المنا، وبه ختم فى ٢٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٣».

وبعد انتهاء المقابلة مع جلالة الملك وتناوب الخطب استدعى الملك السفير بانفراد لمحل خصوصى بالقصر وتفاوض معه فى أمور. وأظهر له غاية الاعتناء والبرور، واستدعى وزير الخارجية بمحضره وقال له إنى أكون مسرورا إذا رجع السفير مقضى الأوطار، وحمله السلام الخاص لجلالة السلطان، وأمر ولى عهده بالقيام بإكرام السفارة إلى أن ترجع مبتهجة مسرورة، فأقام لهم حفلة عظيمة تلك الليلة تناولوا العشاء فيها بدار الملك.

وإليك قائمة الهبات التى تبرعت بها السفارة فى مدة مقامها ببلاد الطليان والأعداد بحسب النقد الإيطالى وهو الليرة:

بمدينة طورين لأصحاب الموسيقى ٣٠٠ عربات ٣٠٠ عسكر الحرس المعين للسفارة ٥٠٠ — ١١٠٠

ببلاد افرنسية موسيقى ٢٥٠ العربات ٢٥٠ الحرس ٥٠٠ — ١٠٠٠

بروما أصحاب الموسيقى ١٠٠٠ الضعفاء ٣٠٠٠ العميان ٣٠٠٠ — ٧٠٠٠

لأصحاب وزير الخارجية ٥٠٠ العربات ١٥٠٠ الحرس المعين للسفارة ٣٠٠ — ٢٣٠٠

ضعفاء مدينة برنسية عند الرجوع لها للضعفاء ٣٠٠٠ موسيقى ٢٥٠

العربات المنفذة للسفارة ٢٥٠ — ٣٥٠٠

عند الرجوع لطورين عربات ٥٠٠ للضعفاء بها ٦٠٠٠ للخدمة يوم الضيافة بدار السلطان — ٨٥٠٠

وللحرس بدار السلطان ٢٠٠٠ ولمن عين لمقابلتها لما توجهت للصيد مع ولى العهد والوزراء ٢٠٠٠ — ٤٠٠٠

ولخدمة جنان الوحوش ٥٠٠ وبجنوة للحرس ٥٠٠ لأصحاب العربات ٣٠٠

وللخدمة بالمركب الحربى على يد الرئيس ٥٠٠ — ٦٣٠٠

ولخدمة مائدة الأكل به — ٥٥٠

ونص بعض رسائل الشكر التى تلقاها السفير على بعض تلك الهبات فعن هبة العميان:

«مأوى مارغيت دوسافوى					روما فى ٢١ غشت ١٨٧٦

مكتب تدبير الأمور

سعادة الوزير

إن هبتكم الشريفة المحتوية على فرنك ٣٠٠٠ اللائقة حقا بكرم سعادتكم، والملك العظيم الذى تنوبون عنه أحسن نيابة، قد أثرت فى قلب المجلس الإدارى لمأوى العميان الفقراء الذى تترأسه أميرتنا الفخيمة بسافوى.

فبالنيابة عن المجلس المذكور أعبر لسعادتكم عن كامل ممنونيتى كما أطلب من الله أن يمد فى عمر ملككم الفخيم وشخصكم الكريم أعواما مديدة فى رفاهية واطمئنان.

نائب السمو الملكى

الإمضاء: لا يقرأ»

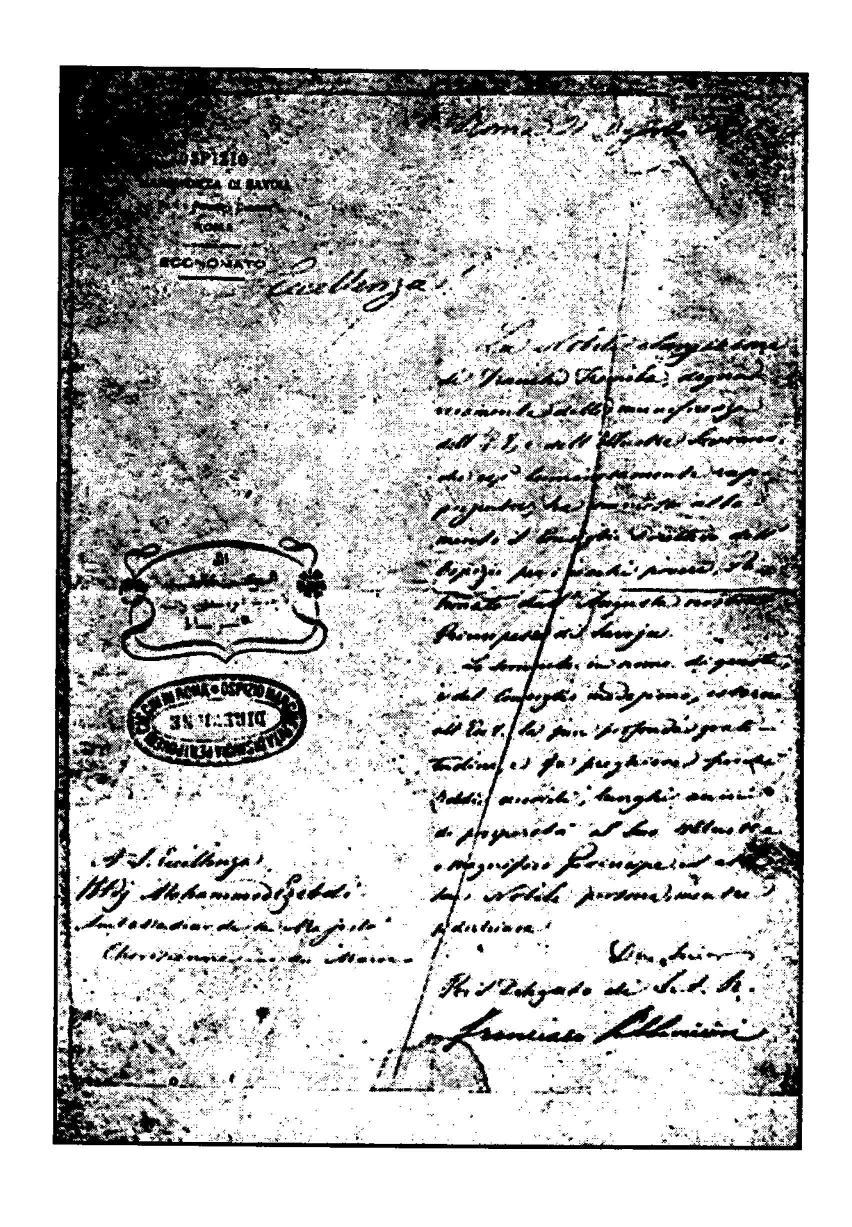
وعن هبة فقراء رومة:

«رومة فى ١٢ غشت سنة ١٨٧٦

سعادة السفير

قد دفع إلى كاتب سعادتكم ملبغا قدرة ثلاثة آلاف ليرة إيطالية ذهبية تفضل بها جنابكم على فقراء المدينة.

ولا شك أن والى مدينة رومة سيكون لدى سعادتكم خير مترجم للعواطف السامية التى ستخامر أهل المدينة كافة، لما يتيقنوا أنه قد اجتمعت فيكم أحمد الخصال والعواطف الكريمة، ومواهب العقل العالية التى أوجبت لكم فائق الاحترام فى عموم الوطن، وقد بقى على أنا كذلك أن أعرب لجنابكم عن



يتعلق بسفارة الزبيدى بإيطاليا من وزيرها بروما



توصيل بما وقع به التبرع على جمعية رومة

تشكراتى الخالصة على حسن صنيعكم الذى يزيد فى توطيد الدعائم والمحبة التى تربط دولتينا، وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لسعادتكم فائق الاحترام.

ميلكرى».

ثم كتبت الحكومة للسفير كتابا تبلغه طيه شكر شيخ مدينة رومة نيابة عن فقرائها وهو:

رومة فى ٢٨ غشت سنة ١٨٧٦»

إلى سعادة السفير

قد كلفنى والى مدينة رومة بأن أبلغ لسعادتكم الكتاب المبعوث لكم طى هذا يشكركم فيه على عواطفكم الكريمة التى حملتكم على التبرع بثلاثة آلاف ليرة ذهبية على ضعفاء المدينة لأنهما مكننى من فرصة.

وإننى أقوم بهاته المهمة عن طيب نفس أجرد لكم فيها عبارات احترامى الفائق.

نيابة عن الوزير: مورنيلى

وهذا الكتاب المشار له:

«مدينة رومة بالكابيطول فى ٢٢ غشت سنة ١٨٧٦

مكتب شيخ البلد

سعادة الوزير

توصلت على يد سعادة وزير الأمور الخارجية بمبلغ قدره ٣٠٠٠ ليرة ذهبية التى أرادت سعادتكم الكريمة أن تتفضل بها على الأعمال الخيرية برومة.

وأرى من الواجب أن أشكركم الآن على تكرمكم هذا منتظرا أن أعبر لكم شفاهيا بما هو أحسن عن عواطف اعترافى بالجميل، واعتراف أهل المدينة كلهم.

فلتتيقن سعادتكم بخالص احترامى والسلام

شيخ البلد

الإمضاء: لا يقرأ»

وعن هبة طورين:

«عامل طورين بطورين فى ٣٠ غشت سنة ١٨٧٦

أيها القائد

قد تشرفت بوصول كتابكم اللطيف المؤرخ يومه، وأبادر بإخباركم أننى توصلت بما قدرة ستة آلاف ليرة (٦٠٠٠) مركبة من ثلاثمائة نقد ذهبى قيمة كل واحد عشرون فرنكا التى تبرع بها سعادة سيدى محمد الزبيدى فى سبيل البر، وأرجو منكم أن تترجموا لدى الرجل الفذ الذى أراد أن يبقى أثرا قيما عند مروره ببلدتنا عن عواطف ممنونية بؤساء مدينتنا الذين تنعموا بما أفاض عليهم من إحسانه الجزيل، وأنهم يتلون على اسمه آيات الحمد فحققوا له أن اسمه المعتبر لا ينفك يذكر ومقرونا بتمجيد الملك المعظم لدى إنابه عنه لدى جلالة ملك إيطاليا.

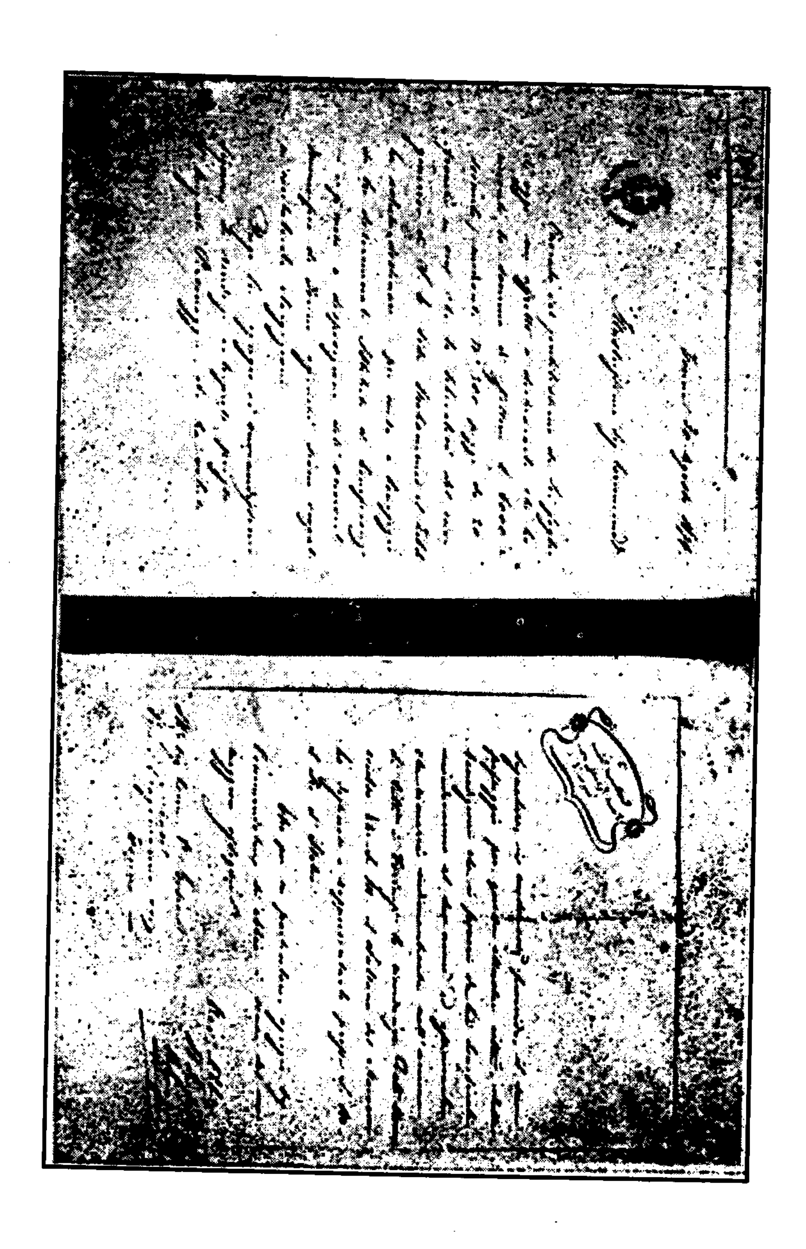
فأرجو منكم أيها القائد أن تقبلوا فائق تحياتى والسلام

والى مدينة طورين»

وعن هبة رجال الاصطبل الملوكى بطورين:

«كتب بطورين ٣٠ غشت سنة ١٨٧٦»

أنا الواضع اسمى أسفله، أعترف بأنى قد حزت من الفارس بوزيد الترجمان الأول لسفير جلالة سلطان المغرب مبلغا قدره سبعمائة ليرة إيطالية ذهبية تفضل بها سعادة السفير على خدم اصطبل جلالة ملك إيطاليا مكافأة على ما قاموا به نحو سعادته مدة إقامته.



من وزارة إيطاليا بطورين للسفير الزبيدى

نيابة عن قائد اصطبل جلالة ملك إيطاليا. . . »

ثم ظعن السفير لمدينة جنوة ومنها أبحر فى مركب حربى خصوصى أعدته الحكومة الاطالية له، وسار ووجهته طنجة، ورافقه إليها باشادورهم بها، وكان دخوله لطنجة فى اليوم الرابع عشر من شعبان عام ثلاثة وتسعين مقضى الأوطار، وخلف فى مدن أروبا بما أبداه من السياسة وقام به من التبرعات على الجمعيات الخيرية ذكراً جميلا حفظه التاريخ للمرسل والمرسل بل لسائر الإيالة المغربى.

ثم سافر السفير من طنجة لفاس حيث كان مثوى السلطان إذ ذاك، فأكرم وفادته وقابله بما هو له أهل من التجلة والإكرام، ولما قص عليه قصص سفارته وقرر له كل شاذة وفاذة شكر مسعاه ودعا له بخير، وأمره بالرجوع لطنجة لتتميم المسائل المحال على القناصل والباشادورات القاطنين هنالك فى حل مبرمها، ولم يزل بطنجة إلى أن كمل المراد وفق ما يراد حسبما ينبئ عن ذلك جواب الحاجب أبى عمران موسى بن أحمد للسفير على كتابه إليه فى القضية ونصه:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

محبنا الأعز الأرضى وأمين مولانا الناصح الضابط الأحظى السيد الحاج محمد الزبيدى، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعلمنا منه ما آل إليه أمر ضبط الحماية وما حصل فى مباشرتها من التيسير، وأن الكلام فيها سيتم فى قريب وبينت ما دار بين النواب فيها ومن وقف منهم فى أمرها وبذل المجهود فى حصرها على القوانين، ومن توقف منهم فى تكليف السماسرة على الوجه الذى أشرت إليه، ونبهت على تمام وقوف باشادور النجليز المحب وحسن مباشرته ونصحه، وكذا نائب المركان، وما صدر من الأخير من زيادة التنبيه على أمر الحافر بالأبواب حسبما سطرته وأنهينا

ذلك كله لمولانا المنصور بالله، وسره ما أثنيت به عليهما وأمر أيده الله بالكتب لهما بالمجازاة على ذلك بخير فكتبنا وها كتاباهما ٢ يصلانك لتدفع لكل واحد منهما كتابه وتنوب عنا فى مجازاتهما، ونسأل الله أن يسددك ويصحبك الإعانة واللطف والتيسير ويقضى بك الغرض الشريف على وفق المراد آمين، وعلى المحبة والسلام فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤، ومنه، ولا تغيب عنا خبرا فإنا نتشوف لإخبارك ولا بد صح به

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص كتاب سفير الانجليز المشار إليه:

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

المحب الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين والصلاح بين الإيالتين مينسطر سلطانة اكريت بريطن الفخيمة وباشدورها المعتبر بهذه الإيالة السعيدة الكبليرجان هى درمنض هى.

أما بعد: مزيد السؤال عنك كثيرا ومحبة أن تكون بخير دائما، فإن محب لجميع الأمين الأرضى خديم سيدنا الأنصح السيد الحاج محمد الزبيدى كتب بأنك وفيت بما وعدت به من الوقوف فى مباشرة إتمام الكلام فى أمر الحماية بما ينحسم به ضررها ويبنى أمرها على القانون، وأنك بذلت المجهود ونصحت ولم تقصر فى الأخذ بيده والإشارة بما فيه المصلحة على عادتك، وأنهينا ذلك لمولانا المنصور بالله ونشط به ودعا لك بالمجازاة بخير وتحقق لدى سيادته أنك جريت فى ذلك على ما يعلمه أيده الله منك، وجبلت عليه من تمام المحبة فى جانبه العالى بالله وبذل النصيحة والسعى فى جلب الخير والمصالح لهذه الإيالة السعيدة، جزيت خيراً.

فنحبك أن تزيد فى وقوفك وحسن مباشرتك ليتم الأمر على يدك على وجه جميل، وتفوز بمزية السبق لإحراز هذه الفائدة والمزية، والظن بك أنك لا تقصر ولا تحتاج إلى مزيد تنبيه، فإن العاقل يحرص على تمام وإحراز المزية بكماله، لأن الأعمال بخواتمها وبه ختم فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤.

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص كتاب سفير أميركا المشار إليه أيضا بعد الحمدلة والحوقلة:

«المحب العاقل الساعى فى الخير والصلاح بين الإيالتين المعتبرتين والدولتين الفخيمتين، نائب دولة جنس المركان المفوض له بهذه الإيالة السعيدة الجنرال المعتبر فلين مطيوس.

أما بعد السؤال عنك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد أخبر أمين مولانا الأرضى السيد الحاج محمد الزبيدى أنك وقفت معه فيما توجه بصدده ولم تقصر فى الأخذ بيده فى ذلك وفاء بما وعدت به، وأنك زدت التنبيه على أمر الحافر بالأبواب، وأشرت بأن يكون الناس فيه على حد سواء مثل الرعية، وذلك مما يؤيد ما نعلمه منك من المحبة وبذل النصيحة، والإشارة بما فيه المصلحة والسعى فى جلب الخير لهذه الإيالة المحروسة بالله جزيت.

وقد سرنا ذلك وأنهيناه لمولانا المنصور بالله فنشط وأمر بالكتب لك بالمجازات بخير، وعلم أيده الله أنك عملت أن تزيد فى وقوفك وحسن مباشرتك حتى يتم هذا الأمر على وفق المراد، فإن العاقل يحرص فى تمام عمله وإحراز المزية بكماله، لأن الأعمال بخواتمها، وبه ختم فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤.

موسى ابن أحمد لطف الله به»

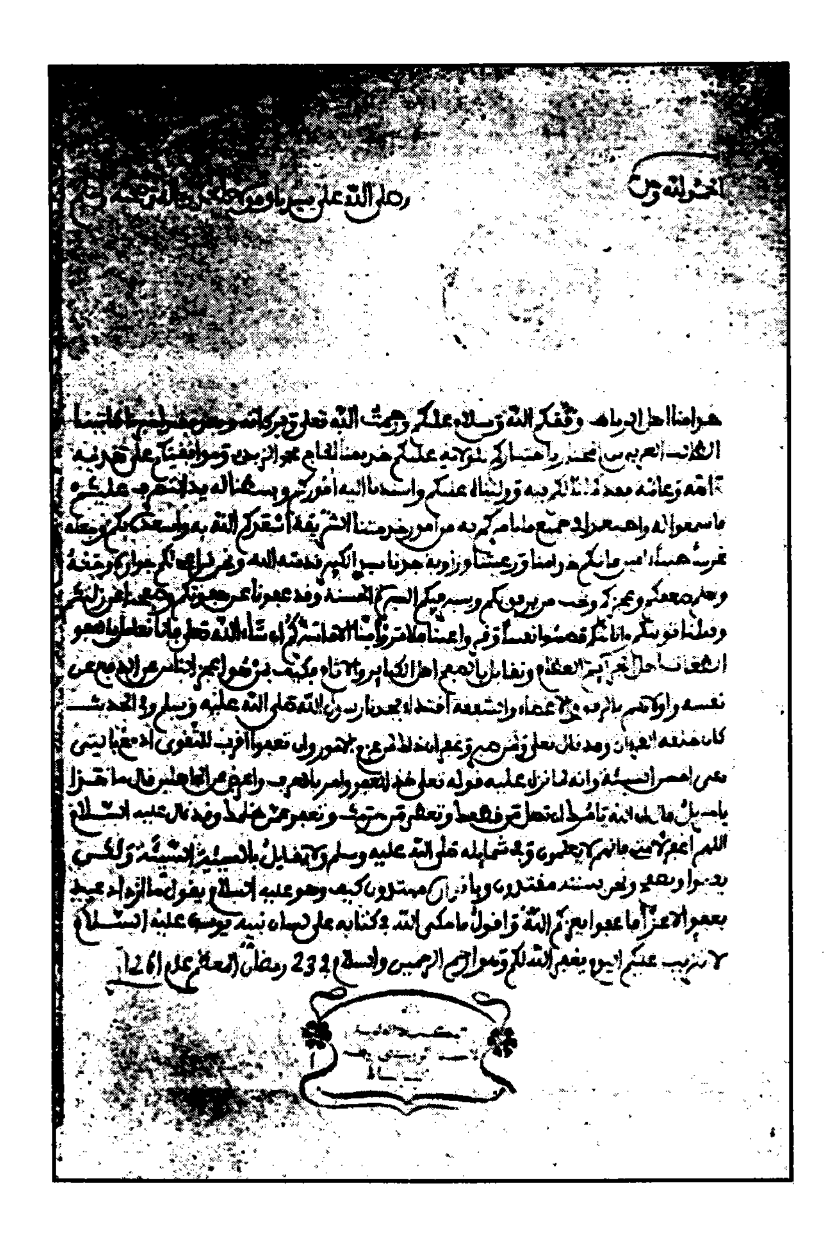
وليست هذه السفارة بأول مأمورية مهمة رشح لها هذا السفير الخطير القدر، الرفيع الذكر، المحبوب فى أمته المختار لديها، فى الرياسة عليها. حسبما تقف

عليه فى ظهير سلطانى عبد الرحمانى، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف فى وسطه «عبد الرحمن بن هشام الله له» وبدائرته ومن تكن برسول الله نصرته... إلخ، من يعتصم... إلخ.

«خدامنا أهل الرباط وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبرنا كاتبنا الطالب العربى بن المختار باختياركم للولاية عليكم خديمنا الحاج محمد الزبيدى وموافقتكم على تقديمه خاصة وعامة، فقد كملنا لكم فيه ووليناه عليكم وأسندنا إليه أموركم وبسطنا له يد التصرف عليكم، فاسمعوا له وأطيعوا فى جميع ما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم وجعله غرسا طيبا آمين.

فإنكم خدامنا ورعيتنا وزاوية جدنا سيدى الكبير قدسه الله، ونحن نراعى لكم جواره وحقه، ونعلم ضعفكم وعجزكم ونحب من يرفق بكم ويسير فيكم السيرة الحسنة، وقد عفونا عن هفوتكم، وصفحنا عن زلتكم، وقبلنا توبتكم وإنابتكم، فطيبوا نفسًا وقروا عينا، فلا تروا منا إلا ما يسركم إن شاء الله تعالى، فإنا نعامل بالعفو الطغاة أهل الجرائم العظام، ونقابل بالصفح أهل الكبائر والآثام، فكيف بمن هو أعجز الناس عن الدفع عن نفسه وأولاهم بالرفق والإغضاء والشفقة اقتداء بجدنا رسول الله ﷺ، وفى الحديث: «كان خلقه القرآن» وقد قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الشورى ٤٣]. ﴿... وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ... ﴿٢٣٧﴾﴾ [سورة البقرة ٢٣٧]، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ... ﴿٩٦﴾﴾ [سورة المؤمنون ٩٦]. وأنه لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف ١٩٩] قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك. وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ظهير عبد الرحمانى بتولية السيد الحاج محمد الزبيدى على الرباط

وقد قال ﷺ: «اللهم اغفر لأمـتى فإنهم لا يعلمون» وفى شمائله ﷺ: ولا يقابل بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ونحن بسنته مقتدون وبأنواره مهتدون، كيف وهو عليه السلام يقول: ما ازداد عبد بعفو إلا عزا، فاعفوا يعزكم الله.

وأقول ما حكى الله فى كتابه على لسـان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿ ... لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سـورة يوسف: ٩٢] والسلام فى ٢٣ رمضان المعظم عام ١٢٦١».

* * *

الكلام على بقية علائقه السياسية مع فرنسا

***

ثم وجه المترجم بعد هذه السفارة سفارة ثانية لفرنسا يرأسها القائد عبد المالك ابن على السعيدى خليفة باشا طنجة وباشا آصيلا استقلالا أولا ووجدة ثانيا، وكانت سفارته فى ربيع الثانى عام اثنين وثلاثمائة وألف، ورئيس الجمهورية إذ ذاك المسيو اكريفى وبتاريخ عشرى شعبان العام، وشفعه بالعلامة المدرس أحد أعيان كتاب الحضرة السلطانية السيد عبد الواحد بن المواز.

وإليك نص بعض ظهائر هذه السفارة ويوجد جميعها بمكتبتنا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين وهو: الحسن بن محمد الله وليه ومولاه، أيد الله نصره ووالى سعده الدائم، ونشر على البشر شعاع شموس عزه القائم إلى المودود الحبوب الملحوظ منا بملاحظ الحظوة والإكبار، والملموح لدينا بملامح العناية والاعتبار، المميز بمزيد السبق فى ميادين السياسة، الحائز التصدير والتبريز فى ديوان الرياسة، الحامل الراية بين أولى التدبير بالأولوية، كبير جمهور الدولة المحبة الفرنساوية، المخصوصة بكل فخامة وضخامة بطريق الأحروية، الأمير الجامع لكل فخار تليدى وطريفى. المعتبر المعتمد المعظم المحترم اكريفى.

أما بعد حمدا لله الذى لا إله إلا هو، فالداعى لتحرير هذا المسطور الكريم إليكم، ولإيفاد خديمنا الأرضى الأصلح الأحظى الأنصح، القائد عبد المالك السعيدى سفيراً لديكم، هو تشييد مبانى المحبة التى لا تزداد بحول الله على طول الآباد، وتعاقب المدة إلا صفاء ونقاء وجدة.

وقد انتقينا الخديم المذكور من أولى الصدق والجدة والنصيحة والنجدة، وأذكى أقرانه، وأمثل أهل زمانه، وحملناه ما يوصله لفكرتكم النقادة، وقريحتكم الوقادة، مما لدينا من التحفظ على ما يديم بين الدولتين العظيمتين حسن المعاملة، وصدق المصارفة والمكارمة، لكونه أعرف بذلك من غيره وباشر أموراً أطلعته على نجوى ذلك وسره، حيث كان واسطه بين الإيالتين مخصصا عندنا هناكم بالكلام في أمور الجهتين، إذ ليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالعيان كما هو مقرر في الأذهان، وأملينا عليه ما يشافهكم به نيابة عن جانبنا العالى بالله من المجازاة بالسنة الشكر، وثنايا الثناء وأفواه التفويق والتنويه على ما ظهر منكم لجانبنا العالى بالله، من الاعتناء وصدق الوداد، وحسن الحال وجميل الاعتقاد.

وشفعناه بكاتب حضرتنا الشريفة الأرضى الفقيه العالم المدرس الطالب عبد الواحد بن المواز ردءاً لأمره وتحسينا لوجه سفارته وشداً لأزره، مختارا من كتاب حضرتنا العلية ومن على أركانها السنية.

وإنا لعلى يقين من أنكم تقابلون السفير المذكور ومن معه من الوفد المشكور، بغاية القبول في الورود والصدور، جريا على عادتكم الحسناء المشهودة، وسجاياكم المليحة السليمة المعلومة المعهودة، ومن أنكم تصدقونه في جميع ما يقوله لكم عن مقامنا العالى بالله من خلوص الطوية، وصفاء المصافاة بالنية، وكل ما يزيد في كمال الاتصال تأكيداً وقوة، وفي مواد التواد نتيجة منتظرة وثمرة مرجوة، من كل فائدة تكون سببا لاسترسال خير الإيالتين الكبيرتين، وعمدة في حصول النفع بين الدولتين العظيمتين، كما كان ذلك مع من تقدم من قبل من الجانبين.

وأرجو الله أن يكون الآن أكثر، وأنمى وأشهر، وقد دلت عليه قرائن وأمارات، ولا حت له آثار وعلامات، إذا خير الخلف من قام مقام السلف وتبع

آثارهم وأحيا مآثرهم، فإن أجل مقصدنا ومناط معتقدنا هو ربط أسباب الخير مع عظماء الدول سيما مع الجوار الذين عليهم فى المحبة المعول، وادخار صحبتهم من الأهم الأول.

هذا ودمتم كما تحبون مخصوصين بكل سلامة، مهنئين بكل كرامة، راتعين فى أرغد عيشة هنية، ممتعين بكمال الآمال وتمام الأمنية وختم فى ٢٠ من شعبان عام ١٣٠٢».

ووجه للدولة الفرنسية أيضا سفارة أخرى يرأسها القائد المعطى بن عبد الكبير المزمازى معززا بالكتاب السيد أحمد الكردودى والأمين ابن المدنى بنيس.

وإليك نص الكتاب السلطانى للرئيس كارنو بعد الافتتاح:

«إلى المحب سامى الرتب الموقر المنتخب الملحوظ بملامح الاحترام والأثرة والإكرام، الموصوف بين الرؤساء العظام بصميم الثناء والسياسة والذكاء كبير الجمهورية بالدولة الفرنساوية الفخيمة البهية الرئيس المعظم(كارنو).

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فلا زائد على المعهود من المحبة والمودة والصحبة، إلا الإعلام بما اقتضاه جميل المعاملة، وجليل المجاملة من توجيه خديمنا الأرضى الأنصح الأنجد الأصلح، القائد المعطى بن عبد الكبير المزمازى سفيراً إليكم مؤديا مشافهة ما يكون بحول الله ناجحا لديكم، بعد أن انتخبناه من سليل الجماهير، خدام أعتابنا الشريفة المشاهير، الذين لهم القدم الراسخ فيها خلفا عن سلف ومن بيوتات المجد الذى ليس فيها مختلف، وحملناه ما يؤديه إليكم من حسن المجازاة، والثناء والمكافأة على ما ظهر من جانبكم الأفخم، من حسن الموالاة التى تأكدت بتوجيه سفيركم لحضرتنا الشريفة، تأكيداً للمحبة وزيادة المودة والإعراب عما فى النية، وما تضمنته الطوية، مما حرك

نشـاطا، وسـروراً وانبسـاطا. وعـززناه بكاتبنا الأرضى الأنجـد الطالب أحـمـد الكردودى، وبخديمنا الأرضى الأمـين الحاج محمـد بن المدنى بنيس، ونحن على يقين من أنكم تقـابلون الجميع بمزيد المبـرة والقبول. وتبلغونهم من الاعـتناء غاية المأمول. وتصدقون السـفير المذكور فيما حملناه وفـى كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالى بالـله من جميل الاعـتقـاد، وكامل الوداد، وما يقـوى أسبـاب الاتصال. ويحصل فـوائد الاحتفـال والاهتبال. مما يزيد بحـول الله فى الخيـر بين الإيالتين وتتأكد به المحبة بين الدولـتين، فإن مقصدنا ومناط معتقـدنا هو ربط أسباب الخير بين الدول العظام سـيـما مع من هو مـثلكم من الجـوار الذين عليـهم فى المحبـة المعول، وادخار صحبتهم من الأهم الأول، ودمتم مخصوصين بالاعتبار التام، فى الافتتاح والاختتام، وحرر فى ٢٧ قعدة عام ١٣٠٦».

وبعث سفارة أخرى لفرنسا برياسة الحاج محمد بن سعيد السلوى.

ولقد أوفدت عليه الدولة الفرنسية فى أول ولايتـه سفيرها الباشادور «طيسو» حامـلا لوسام فخم وإليك نص ظهيـر جواب المترجم لرئيس الجـمهورية الفرنسـية مسيو تيارس بعد البسملة والحوقلة والافتتاح.

إلى المحب الزعيم، والصـاحب الفخيم، كبـير جمهورية الدولة الـفرنسوية المفخم طيرس.

أما بعد حمـد الله تعالى، فقد ورد على حضرتنا العاليـة بالله تعالى كتابكم صحبـة باشادوركم المنيسطر الكبلير مسـيو طيسو، وعلمنا ما أثنيـتم به عليه، وما وصفـتمـوه به من الصدق، وأنكم وجـهتمـوه لتجـديد عقد المحـبة والعـهد بين الدولتيـن، ولتأكيـد ما يجب من حـقوق الجـوار الذى بين الإيالتين، فـقد وصل وتلاقى مع جانبنا العالى بالله وأنهى لعلى مقامنا من محبتكم ما هو المعهود منكم، والمعتقد فى جانبكم.

وقد تجددت بقدومه فيكم محبة عظيمة زيادة على المحبة القديمة، ودفع النيشان المعتبر الذى أشرتم إليه وقابلناه بما ينبغى أن يقابل به البرور والمراعاة والإكرام، والاعتناء والإنعام، رعيا لجنابكم وهو عندنا ملحوظ بعين الاعتبار، ومحسوب ممن يسعى بين الدول فى الخير وتأكيد المحبة التى عليها المدار وختم فى غاية صفر ١٢٩٠».

كما أوفدت عليه بعد ذلك باشادورها «الكندى دوبينى» واليك لفظ ما راج بينه وبين المترجم من المطالب وأجوبة الجلالة السلطانية عنها وكان ذلك فى خامس ربيع الاول عام ١٣١٠.

١- دعوى التاجر لاروش الفرنصيصى بالعرآيش على الجمالة إخوان ابن الشليح بالسكر الذى وجهه معهم لفاس وباعوه بزرهون واقتسموا ثمنه وقدره ريال ١٨٥ ودعواه أيضا على إخوان القائد أحمد الزرارى الجمالة بالسكر الذى حملوه من العرايش لفاس وباعوه بزرهون أيضا واقتسموا ثمنه وقدره ريال ٤٣٣ الجميع ٦١٨.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أمرت عامليهم ببيع متاع إخوانهم المسجونين فى ذلك وتوجيه العدد الذكور ليدفع لكم.

٢- مطلب بناء هرى بستة فى المائة للتاجر سبراك الفرنصيصى برباط الفتح.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر للأمناء بنظر محل بالرباط فى الموضع الذى به سكنى أمثاله وبنائه له فيه بستة فى المائة بعد عقد كنطردة بنائه معه على الشروط التى تعقد عليها مع أمثاله.

٣- دعوى ما نهب للسيد الطاهر جنون الفاسى من الحوائج والبهائم الذى قيمته ريال ٢١٥٦ بالقنيطرة من بلاد بنى حسن.

أجابت الحضرة الشريفة بأن القبيلة المذكور مروعة الآن بسبب المخاصمة والفتنة الواقعة بينها وبين زمور جيرانها، وحيث يسكن روعها يستخرج ما نهب للمذكور ممن يتعين استخراجه منهم من القبيلة المذكورة.

٤ - المطلب المتعلق بعامل تافلالت.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها وجهت عليه وحيث يرد يتوجه بدله.

٥- دعوى التاجر سنجان الفرنصيصى الساكن بعرصته بالسوانى أن متعلمه محمد من أهل جبل الحبيب سرق له اثنين وتسعين ريالا وفر ورفعت القضية لعامله القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق وكلم بإحضاره أو أداء الدراهم المذكورة فلم يظهر منه أثر فى ذلك.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أمرت العامل المذكور بأن يوجه الدراهم المذكورة لتدفع لكم.

٦- دعوى الياه بن يوسف بطون أنه توجه للقصابى مع الحاج محمد بن الصغير فدخل آيت يزدك للقصبة وأخذوا له حوائجه وثلاثة بغال حاملة لسلعة أتى بها من فاس.

أجابت الحضرة الشريفة بأن آيت يزدك غير مستقيم أمرهم الآن لأجل ما كان صدر منهم من قتل عاملهم وحيث تتوجه المحلة لبلادهم لاستخراج الحقوق منهم يستخرج منهم ما نهبوه للمذكور.

٧-مطلب التاجر حيم بن شمول ناظر البنك الفرنسيسية بطنجة ظهيرا شريفا يتضمن الإذن له فى تسمية بانكته بالبانكة المراكشية، وفى جعل كواغد مخزنية يتضمن كل كاغيد منها عدداً من الدراهم، بحيث من سافر من الناس من بلد لبلد يصحب معه كاغدا من تلك الكواغد، ولا يصحب معه الدراهم لثقلها وخشية

وقوع السرقة لها بالطريق، وإذا وصل للبلد التى توجه لها يدفع الكاغد لنائبه بها ويدفع له ما تضمنه من الدراهم وتصير مصارفة الناس بها مثل الدراهم.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير كان طلب ذلك فاستفتى المخزن العلماء فيه فأجابوا بأنه حرام فى شرع ديننا.

٨- مطلب التاجر كف صاحب السكة الشرعية ضرب مليون من الريال سكة نحاسية جبرا لخسارته فى ضربه السكة الفضية.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها على نية ضرب السكة النحاسية هنا، وصيرت على جلب مكينات ضربها وبناء دار الضرب لها ما يزيد على المائة ألف ريال.

٩- مطلب مجلس نواب الدول بطنجة المكلفين بأمر السنيدة حيازة فندق الخضرة الجديد بطنجة ليبنوا فيه فندقا جديدا مثل الفنار.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الفندق المذكور منفذ بالكراء بظهير شريف لبعض حمايات أسبانيا.

١٠- مطلب التاجر بونط الإذن الشريف له بتقشير أشجار الفرشى الكائنة بقبيلة بنى عروس فى آنجرة بين سبتة وتطوان.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير طلب ذلك ولم يساعد لما فيه من الضرر.

١١- مطلب التاجر قرنى الفرنصوى الإذن الشريف له بتقشير أشجار الفرشى الكائنة بقبيلة بنى حسن بل بغابة العرايش والمعمورة.

أجابت الحضرة الشريفة بأن الغير طلب ذلك ولم يساعد عليه لما فيه من الضرر.

١٢- مطلب التاجر جل الفرنصيصى بناء دور وأهرية[1] بستة فى المائة بالدار البيضاء.

---

(١) الهُرْى: بيت كبير ضخم يُجمع فيه طعام، البُرّ ونحوه ليوزعه السلطان.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر للأمناء ببنائها له بستة فى المائة.

١٣- مطلب التاجر لا نيل الفرانصيصى بالصريرة بناء دار وأهرية بها كذلك بالجديدة بستة فى المائة.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر لأمناء الصويرة وأمناء الجديدة ببنائها له بستة فى المائة.

١٤- مطلب تسريح وسق العظام لمدة من عام.

أجابت الحضرة الشريفة بأنها أصدرت الأمر لأمناء المراسى بتسريح وسقها المدة المذكورة على شرط أن من أراد وسق شىء منها يقلبه طبيب السنيدة، وبعد تسليمه أنه لا شىء فيه من عظام الآدمى يسقه».

وكانت مسألة الديون التى لأتباع الدولة الفرنسية على الرعايا المغاربة كثيرا ما تؤدى إلى متاعب ومشاكل ومطالب فوضع لذلك اتفاق يحسم ما ذكر ونصه بعد الحمدلة:

«لما تكررت الشكاية من رعايا دولة الفرنصيص الفخيمة بوقوع المماطلة فى فصال ديونهم على رعية الدولة الشريفة، وقع الاتفاق بين الواضعين اسمهما عقب تاريخه، وهما وزير الأمور الخارجية بالحضرة المولوية ومنسطر دولة الفرنصيص الفخيمة نيابة من كل منهما فى ذلك عن دولته على حسم مادة تلك الشكايات بما سيذكر وهو:

١- أن المخزن يبقى على قبول الرسوم المصفحة بطنجة فى تاريخ ١٣٠٤ على يد المنسطر فيروا ويد الفقيه الكاتب السيد محمد بن سليمان والأمين الحاج قاسم جسوس التى هى الآن بفسينة الفرنصيص بطنجة.

٢- وأن يلزم المخزن عمال الغرماء الفارين بإحضارهم بعد مضى ستة أشهر من شهر تاريخه وإلا فيؤدوا عنهم ما بذمتهم إن لم يحضروهم.

٣- وأن يعرف أرباب الدين بالمجهولين تعريفا كافيا لا يبقى معه إشكال فى معرفتهم بحيث يبينون اسم كل واحد منهم واسم أبيه ونسبه، ومحل استقراره، ويدفعون بيانهم بعد مضى ستة أشهر، ليمضى المخزن فى فصال ما بذمتهم فى مدة قدرها ستة أشهر من حين التعريف به على نسق الفصال الواقع مع غيرهم من الغرماء من الاستيفاء من الأملياء والقبض على المفلسين، حتى يتبين فلسهم ويثبت بموجبه ويسلمه الباشادور أو رب الدين.

٤- وأن يؤدى كل عامل عن الغرماء من إيالته الذين أخبر بموتهم إذا وجد أحد منهم حيا زجرا له وعقوبة على كذبه.

٥- وأن يبحث أرباب الدين عن الموتى المفلسين هل خلفوا شيئًا، وإن عثروا عليه يعلمون به المخزن ليأمر ببيعه وتمكينهم من ثمنه لكون المخزن تقصى فى البحث فلم يعثر على متخلف لهم.

٦- وأن يبحث أرباب الدين أيضًا فى فلس من ادعى الفلس من الغرماء، وإن وجدوا عنده متاعا يعلموا به المخزن ليبيعه عليه ويؤدى عنه ما بذمته من ثمنه لكون المخزن بالغ فى البحث فلم يجد عندهم متاعا.

٧- وإن تحقق وثبت على أحد من العمال أنه قبض شيئًا من الدين ولم يوجهه فيعاقب على ذلك بما يستحقه، ونائب المخزن يدفع ما وصله بمجرد وصوله لباشدور الدولة الفرنصوية، ورضى كل من النائبين المذكورين بهذا الفصال المشتمل على الفصول السبعة المذكورة أعلاه وقيد فى ١١ رمضان المعظم من عام ١٣٠٦».

وهذا مثال مما كان يجرى فى قضايا الديون.

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصل جوابك بأن باشدور الفرنصيص استظهر لك بنظير النسخة الموجهة لك من زمام متاع محمد أحم القلعى وما تحصل فى ثمنه ٤٦٥٦، وتأسف من أجل هذه الدعوى ومن القدر المشار إليه الذى تحصل فيها، وشافهك فى شأنها بما شرحته من عدم عثوره فى النسخة الذكورة على ما كان باعه أخو المذكور وحاز ثمنه، وعدم ظهور شىء من ماله الناض، ومن ديونه ومما له مودع عند الناس.

وظهر لك أن مخرج هـذه الدعوى صعب لعدم تقييـد ما ذكر، وجعل رب الدين استـرعاء ودفـعه للباشـدور وتمكين الباشـدور له من خط يده به ومن نسخ المكاتيب الموجهـة له من حضرتنا الشريـفة وتوجهه للشكاية ببـاريز، ولا يدرى ما يكتبون للباشدور فى شأنه.

وأعلمت جانبنا العالى بالله بهذا لنكون على بصـيرة فيه فنحن على بال منه فأمـا متاعه فـقد بيع على يد أمناء مليليـة وعمال كلعيـة، وخديمنا حمـيدة، ولم يتحصل فيه إلا العدد المشار إليه، وأما ما باعه أخوه من متاعه فقد أمرنا المذكورين ببيانه ليحاز ممن اشتراه منه،ولازال لم يرد جوابهم عنه.

وأما ماله من الناض فقد بلغنا أنه مودع عـند أناس من كلعية فأمرنا عاملهم بالقبض عليهم، وأمرنا خـديمنا حميدة بشد عضده على قبـضهم واستخراج ذلك منهم، ولا زال لم يرد جوابهما عن ذلك.

وأما ماله من الديون فقد وقع البحث عـمن هى عليهم حتى عرفوا، وأمرنا الخديم المذكور باستيفائها منهم على يد عمالهم، وأمرنا عمالهم بذلك كذلك، ولا

زال لم يرد جوابهم عنه، ولا زال البحث والطلب فى ذلك، ومن ظهر عليه شىء منه غير أولئك يجرون مجراهم وهكذا حتى يقف الأمر فيه عند حده ومنتهاه بحول الله وقوته. وهذا غايه ما يجب على المخزن فى دعوى فاسد قبض عليه لأجل الفساد والإفساد ولم يتوصل له إلا بالحيل والمشاق ولم يحز من متاعه ولو قلامة، وقد بينا لهم موجب القبض عليه مرارا وعدم التقصير فى الوقوف فى جمع ما للتاجر عليه فأبوا إلا إلزام المخزن بما ليس بلازم من أداء ذلك عنه، وفتح الأبواب عليه بذلك كما فتحوها بغيره.

والحاصل فلا مصلحة لنا فى إبقاء محمد أحم هنا عدا مصلحة كف ضرره عن قبائل الريف. وقد تقدمت لكم المساعدة على توجيهه لطنجة ليتقابل مع رب الدين لكونه يزعم أن ما يسأله له أقل من العدد الذى ادعى به عليه فلم يجيبوا لذلك، وحتى الآن إن أردتم توجيهه لكم بقصد ذلك على شرط أن يتكفل الباشدور برده لنا وعدم إفلاته يوجه لكم والسلام فى ٣ جمدى الأولى عام ١٣٠٠»

ومما يدل على حسن العلائق الحسنية الفرنسية هذا الكتاب الشريف المبعوث للرئيس اكريفى جوابا عن رسالته فى شأن تقلده الرياسة ونصه بعد الافتتاح:

«إلى المحب الموقر المعظم. الصاحب المحترم المفخم. كبير الدولة الجمهورية الفخيمة الفرنصوية الرئيس ايجول اكريفى أما بعد حمد الكريم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم. فقد وصل كتابك المرقوم لحضرتنا الشريفة أخبرتنا فيه بالجمع الواقع عند دولتكم فى بلاد فرساى. على زيادتهم لجانبك سبع سنين فى الحكومة، وعلمنا أن قصدك بإعلامنا مزيد المحبة القائمة بين الدولتين وتأكيد الاتصال بين الجانبين فكان ذلك على حسن المحبة دليلا وعنوانا على ما فى الضمير جميلا، حيث تحققت أن ما يسرك يزيدنا سروراً، ويستخرج من القلوب فرحا منشورا، فقد

تجدد فى جناب هذه الزيادة، وقد صادفت الدولة فيها من الصواب حسن الإفادة، وذلك دليل على حسن السيرة والسياسة وأنك سلكت من طريق التدبير ما شهدت به الفراسة.

ولا شك أن الرئيس فى الدولة بمنزلة المصباح وروح القوم هو سلطانهم، ولا تتحرك الجسوم إلا بالأرواح، ومعلوم أنه لا يقوم فى كل أمر إلا من هو أعرف به وأنسب، وتقدمه أحسن فيه وأصوب، ولا يخفى أن الرياسة شجرة تبقى ناعمة ما دامت فى محلها، ومرتبة عظيمة توصف بحسب صفات أهلها.

وبسبب هذا الفرح تتجدد زيادة المحبة والاتصال، ودوام الخير بغير انفصال، لأن التهنئة بين الدول حقوقها مؤكدة، وتقتضى بين أهل المجاورة مزيد المراعاة المجددة، ودمتم مخصوصين بمزيد الاعتبار رافلين فى حلل الأفراح والتهانى فى الإيراد والإصدار وختم فى ١٠ جمدى الأولى عام ١٣٠٣».

مع إسبانيا

وفى شهر ربيع النبوى سنة ١٢٩٤ وجه المترجم خديمه أبا عبد الله محمد فتحا بن خديمه عبد الله بن أحمد سفيراً لدولة الإصبان مع أفراد لمقابلة الملك لما نزل بسبتة، فقوبلوا من الأمير والمأمور بكل تجلة وإكرام حسبما وقفت على بسط ذلك وشرحه فى كتاب وجهه السفير لوالده ودونك لفظه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، سيدنا ووالدنا العلامة الأجل، الباشا الرئيس الأفضل، سيدى الحاج عبد الله بن أحمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد قدمنا لسيادتك أننا ركبنا البحر بقصد التوجه لسبتة يوم الاثنين الثالث من شهر التاريخ، وقد نالنا حين الركوب من أنواع المشقة والامتحان ما

يكفر الله به الأوزار لعظم البحر ذلك اليوم مما فيه من تراكم الأمواج والهيجان، ومن كون ذلك المحل محل اجتماع البحرين الصغير والكبير، وقد أدركنا ركوبا فى البحر خمس ساعات.

ولما دخلنا مرصة سبتة صحبة باشادور إصبانيا وترجمانه، وجدنا حاكمها متلقيا لنا بشاطئ البحر، وقابلنا بغاية الفرح بعد ما وجه لنا نائبه للبابور مقابلا أيضا بالترحيب نيابة عنه، ومنه نزلنا من البحر ووطئنا الأرض ونحن ذاهبون، وأعيان البلد معنا والعساكر مصطفة، والموسيقى نجدها فى كل محل نصل إليه، زيادة على ما خرج من المدفع حتى وصلنا لدار الحاكم التى بها نزولنا، فأطلعنا لأماكن فاخرة عديدة مزينة بأنواع الفرش الرفيعة، وبديع الأثاث الفخيمة، وجلس معنا الحاكم، وصار أعيان البلد والعساكر يسلمون علينا كل واحد على انفراده منفردا، وقابلناهم بما يناسب، وأتانا بالأطعمة والأشربة المختلفة الألوان، ولا يمر ربع ساعة إلا ويقول لترجمانه قل له: إن قدومه علينا لا يوازيه شىء، وإن الفرح والسرور الذى حصل لنا بقدومه لا يكيف ونحن نقابله بما يناسب المقام.

وبتنا تلك الليلة فلما أصبح يوم الثلاثاء الرابع من شهرنا قدم سلطانهم يعنى ظهرت من البعد مراكبه، وحصل المرصة فى الساعة العاشرة ونصف، وبقى فى البحر إلى الساعة الواحدة بعد الزوال لأن الوقت الذى وصل فيه كانت وقت أكله، وما وسعه النزول فى ذلك الوقت.

وفى الوقت المذكور دخل المدينة وذهب يتطوف بأماكن البلد ويزور مواضع زيارتهم ووقف على حدود بلادهم، ورجع فى الساعة الرابعة ونصف، ودخل المحل فأخذ يلبس ثياب زينته وأمر بعد هذا بملاقتنا معه، وكانت ملاقتنا معه بالمحل الذى نحن نازلون به لأنه به نزل هو أيضا لكبره، وكان الفاصل بيننا وبينه، ولقينا

بكمال الترحب والفرح والسرور، وقد قابلته بما يناسب مقامه، وأمليت عليه وأملى على ما نشافهك به بحول الله.

وقد أخرت الشرح للاختصار، ولكون الطرس لا يسعه وللتلذذ به عند ملاقاتك، ولما أردنا الملاقاة جاء عندنا الشريف سيدى الحاج عبد السلام ولد سيدى الحاج العربى الوزانى وتأدب معنا وأعطى لمقام المخزنية ما يناسبها لتلاقيه مع سلطان إصبانية، لأنه كان قدم لسبتة قبلنا بقصد الملاقاة معه، فمنعه باشادور إصبانية، وحاكم سبتة وقالا له: الصواب الذى يلائم السنن المخزنى هو أن تذهب عند باشادور سلطان الحضرة الشريفة، وهو الذى يلاقيك بالسلطان، ويعرفك به، فحينئذ أذعن وأتى، وحيث وقعت الملاقاة طلبت الإذن من سلطان إصبانيا بتعريفه بمن كان واقفا معنا، فأذن فعرفته أولا بالشريف سيدى عبد السلام من كونه رجلا خيرا عندنا، وأن دارهم عندنا دار ولاية وصلاح، وثانيا بالطلبة، وثالثا بقائدى المائة، وهما القائد الجيلانى، والقائد الحنفى بعد أن أمرته بجعله عمامة، ورحب بالجميع وسأل عن القائدين هل هما قائدا الخيل أو الرجلى؟ فأجبته بأنهما قائدا الخيل.

وقد كنت قدمت لك أن العدد الذاهب معنا لسبتة أحد عشر، ثم انتخبنا من العدد المذكور القائدين المذكورين والطالبين وأربع خدمة: بلال، والسيد محمد بن عبد الحفيظ، ورزوق، وصالح الجزار، الكل بإشارة السيد محمد بركاش.

ولما فض مجلس الملاقاة ذهب سلطان إسبانية لمحل مأكولاتهم ومشروباتهم وقت المغرب، فأرسل علينا لنأكل معه فذهبت ومعى الشريف المذكور والطالبان، ولما فرغنا من الأكل خرج وطاف بأماكن عسكره بسبتة، بعد ذلك ركب البحر بين العشاءين على نية ذهابه لقالص ليكون به صبيحة يوم الأربعاء فإذا بالأقدار لم تساعد بأن هاج عليه البحر هيجانا ما تقدمت لنا رؤيته، وبات على ظهره بالمرصة،

ولا زال به إلى الآن وحتى الآن كـمّا كنا على نيـة الرجوع لطنجة بحـراً فى اليوم المذكور، فإذا به رأينا ما رأينا، وتأنّينا فإذا بالأمـواج قد تراكمت وتكاثرت، وأخبر من له خبرة بمعـرفة البحر وبفـصول هيجانه أن هذا الشـهر هو مارس لا يزيده إلا عتواًّ، وقد تحيـرنا وانقطعت حيلنا ولم يبق إلا أن أقول ما قلتـه لك لما كنت معك برباط الفـتح وطلبت منك التـوجه لصلة الرحم مع والـدتى وغلقت على جمـيع الأبواب وما أجـبت إلا بقولى: هذه رحلة ألهمنا المولى سـبحانه ونظرتك الفـعالة لأن نوجه على قائد المحادة فأرسلنا عليه وجاء وطلبنا منه أن ينظر لنا بهائم توصلنا لتطوان إن أصبح البحـر على حاله يوم الخميس، فقال: إن له فـرسين إن أردتهما فعلى الرأس والعـين وليس له سواهما، ونحن مفـتقرون لنحو الـعشرة، فتحـيرنا أيضا ولم نجد سبيلا إلى الركوب فى البحر ولا إلى الذهاب فى البر، فقلت ما قاله الإمام الشاذلى: انقطعت آمالنا وعـزتك إلا منك، وخاب رجاؤنا وحقك إلا فيك وأنشدت البيتين: إن أبطلت غارة الأرحام. . . إلخ.

فيـسر الله بأن خرج القـائد المذكور، وتلاقى مع بعض أحبـائه، بأن أشاروا عليه بكراء بهائم، فاكترى لنا العدد الذى يخصنا من سبتة إلى تطوان، وهو عشرة بريالين لكل بهيمة والكل بالبرادع.

ومن علامات الإذن التـيسير بلغ الشـريف سيدى عبد السـلام الوزانى الخبر بأننا ما وجدنا إلا البـهائم ذوات البرادع وهو ذاهب معنا منحنى بـبغلته وركب هو على فرس، وكتبنا للقائد السيد أحمد الخضر بأن يهيئ لنا البهائم التى توصلنا إلى طنجة، وحليناه بما يناسب أن يحلى به من كونه محل الوالد، وأنه لولا محبته فينا واعتناؤه بجـانبنا ما كـتبنا له، وها نحن على نيـة الخروج من سبـتة يوم الخـميس قاصدين المبيت بتطوان فى الساعة العاشرة، ومن تطوان إلى طنجة وهو يوم الجمعة بحول الله، وفى رفقتنا الباشـادور، ويوم السبت يكون خروجنا من طنجة إن شاء

الله قاصــدين حضرتكم، وإن وقع نخـبركم، ومروره يكون عـلى طريق العرايش على الساحل وموجب مسيرنا بهذه الطريق هو ما بالطريق الأخرى من كثرة الوحل الذى لا نستطيعه.

ولا تسأل عما حل بنا بسبب مفارقتكم والغيـبة عنكم، سيما لما حللنا بسبتة لعدم المجانس والموافق فى الدين، نســأل الله سبحانه أن يكمل رجاءنا بالاجـتماع بسيادتكم عما قريب. إنه سميع مجيب.

ومن تتمــة فرح حاكم ســبتة بنا هو أنه كل لـيلة يأتى ومعه رؤســاء العسكر وأعيان المدينة من التجار وغيرهم ورهيبهــم وموسيقاتهم ومن يعرف ضرب السنتير يقال له بــلغتهم ابيــانو نساء ورجــالا، ويشتــغلون بأنواع الطرب إلى وقت النوم، ونطلب من سيادتك صالح الدعاء والسلام فى ٥ ربيع الأنور عام ١٢٩٤.

ومنه فإن مــحل ما قدر لك من أن الإياب يكون برا إذا بقى البحــر على ما هو عليه من الهـيجان وإلا فإن ركض البــحر وسكن فإن الرجوع يكون فــيه بحول الله محمد بن عبد الله لطف الله به».

وفى السنة ١٢٩٤ وجه السيد عبد الســلام بن محمد السويسى عامل الرباط سفيرا لأسبانيا ردا لزيارة باشادورها الموفد على الحضرة السلطانية.

ثم بعث بعد هذا لدولة الإصبــان أيضا بالحاج عبد الكريم بريشــة سفيرا فى مسائل سوس حسبمــا جاء فى هذا الكتاب الوزيرى شكرا على ما لقى من الحفاوة والاعتناء:

«المحب الذكى الألمعى النبيــه الكبلير دلبيكة دأرمــخوا وزير الأمور الخارجــية بالدولة الصبليونيــة الفخيمة بعد مــزيد السؤال. ومحبة أن تكونوا بخيــر فى جميع الأحوال. فقــد ورد على حضرة سيــدنا العالية بالله خديم ســيدنا الأرضى الأنجد

السيد الحاج عبد الكريم بريشة وأنهى للجناب الشريف ما قابله به الحبيب الأفخم سلطانكم المعظم الفخيم من الاعتناء والبرور فى الورود والصدور ومقابلتك له أنت بمثل ذلك ووقوفك معه وقوف الأحباء النصحاء الأصدقاء وبالغ فى الثناء عليك بالجميل، وقد سرت الحضرة الشريفة بذلك واستدلت به على محبتكم للدولة الشريفة وسعيكم فى الخير لها ووقوفكم فى أغراضها المولوية وأثنى عليك مولانا نصره الله بالجميل وبالغ فى مجازاتك بالخير فكان ذلك سببا وداعيا لمراسلتك ثم حمل الخديم المذكور ما يشافهك به وهاهو يرد عليك بقصد ذلك وختم فى ٢٠ شعبان المبارك عام ١٢٩٩».

وما جاء فى الكتاب السلطانى لنائب طنجة ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك بأن خديمنا الأمين الحاج عبد الكريم بريشة كتب لك فى مدريد بما فى كتابه الذى وجهت ثم ورد خليفة باشدور إسبانيا من ذلك المحل وأخبرك بأن الخديم المذكور بخير وأنه عن قريب يرد فقد ورد بحر المخيم محلتنا السعيدة بمرسى ماسا وشافه بما فعله فى الغرض وبين له ما يكون فيه وتوجه من المرسى المذكورة لمباشرته فى الثامن عشر من شعبان الفارط والساحل السوسى وكوشطته أوقف على عينهما إيقاف تحقق وتدقيق وسترد عليك صورة ذلك صحبة بعض من حققوه ووقفوا بالفعل على عينه وحينئذ يقع الفصل بالفعل فى ذلك والله المستعان والسلام فى ٨ من رمضان عام ١٢٩٩».

ثم بعد هذا وجه لها فى القضايا نفسها سفارة أخرى تشتمل على القائد بوشتى بن البغدادى والكاتب مولاى أحمد البلغيثى والحاج محمد بركاش ولد

النائب ووالد باشا الرباط الحالى ونص كتاب بعثه فى ذلك للنائب بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل جوابك عن توجيه كاتبنا مولاى أحمد البلغيثى وخديمنا القائد بوشتى بن البغدادى لدولة اسبانيا. بأن الباشادور أشار بالرجوع لسوس والبحث فى سواحله من أكادير إلى الطرفايا وإن وجد محل موافق للشرط وحصلت الموافقة عليه يقيد بخطوط الأيدى والنظر فيه للدولتين وإن وقع الخلاف يقيد ويضع كل واحد خط يده بما تحقق عنده والنظر فيه للدولتين أيضا. وذكرت أن إشارته بذلك موافقة لما تضمنه الشرط الثامن أنه لابد من اتفاق وكلاء الجانبين على المحل. وأنه كتب بذلك كله لدولته ووجه لها نسخة من الكتاب الوارد عليه من حضرتنا العالية بالله ونسخة كتابنا الشريف لسلطانهم الموجهة له وحين يرد له جوابها يظهر هل لابد من توجيه المذكورين لها أو حتى يتوجه المعينون جميعا لسوس ويقع الخلاف بينهم على عين المحل، وأن اكودير الرجيلة وإن كان محققا بالقرائن أنه هو محلهم، فلابد من وقوف المعينين من الجانبين عليه ومشاهدتهم لتلك القرائن، وإن حصلت الموافقة عليه يقيدونها بخطوط أيديهم جميعا، ويرد النظر فى ذلك للدولتين.

وإن وقع خلاف فيه أو عين الصبنيوليون غيره يضع كل فريق خط يده بما ثبت عنده ويرد النظر للدولتين أيضا مع صور ذلك كله، وصار ذلك بالبال.

فأما ما أشار به الباشدور من الرجوع لسوس والبحث فهو الأولى والمتعين والمطابق للشرط المذكور، وبه ١ أمرنا المعينين من قبلنا قبل توجههم من هنا وبعده ٢ ووجهنا لهم ظهيرا لعمال القبائل المجاورين لتلك السواحل بتنفيذ الظهر والمئونة لهم وحراستهم والأخذ بأيديهم وكتبنا ٣ لهم بذلك أيضا فى أواخر رجب ووجهنا

لك نسخة من كتابنا لهم به وأجبناك به أيضا عن كتابك المؤرخ بالثانى عشر من شعبان المتضمن لطلب الدولة المساعدة عليه ٤ وبأننا جددنا الكتابة به للمعينين ولما بلغنا توجه المذكورين لطنجة بقصد التوجه لإصبانيا جددنا لك الكتب به فى أواخر شعبان، وحيث كتب به الباشدور لدولته فإن رجعت إليه ينفذ وإن أذنت للمشار إليهما فى التوجه لعندها يتوجهان. وأما ما ذكرته فى شأن اكودير الرجيلة فهو المراد والسلام فى ٤ من رمضان عام ١٣٠٠».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأنك وجهت على ولدك الحاج محمد أصلحه الله لتوجهه مع كتابنا مولاى أحمد البلغيثى وخديمنا القائد بوشتى بن البغدادى لمدريد، وتكلفه بما أمرنا به أن تعين توجيه المذكورين له وذكرت أن وزير الأمور البرانية لا محالة يعلم الباشدور بالكتاب الموجه له مع من ذكر المشار بكتمه عنه، وأن إخفاءه عنه مع ما هو عليه من المحبة والوقوف فى القضية يؤثر فيه وظهر لك أن لا بأس بإعلامه به، وبأنه نسخة مما ورد له لكونه أولى من إعلام الغير، وصار بالبال.

فأما ما ذكرته من توجيه ولدك مع المذكورين للمحل المذكور إن تعين توجيههما له فالعمل عليه، وأما ما أشرت إليه من عدم إخفاء الكتب للوزير المذكور عن الباشدور فقد كان عليه عمل بريشة حتى كان منه فى شأن الباشدور ادوارد ما كان من نقله ولذلك أمرناك بكتمه عن هذا احترازاً من مثل ذلك.

والحاصل فقد رددنا لك النظر فى ذلك فما اقتضته المصلحة فيه من كتمه عنه أو إعلامه به امض عليه والسلام فى ٥ رمضان عام ١٣٠٠».

وإليك نصوص بعض الوثائق الراجعة لمسائل مراسى سوس تتميما لما أسلفناه فى الكلام على حركات المترجم، أولها بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم بداخله.

الحسن بن محمد الله وليه ومولاه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصلنا كتابك بأنك بعد ما كتبت لنا بما كتبت به دولة الصبنيول لباشا دورها فى شأن الهرج الواقع بجزر كنارية لأجل مكينسى النجليزى أخبرك الباشدور أنه وردت له مكاتيب أُخر من دولته بأن الأمر قد ضاق فى ذلك، وأنه تعين التعجيل بفتح مرسى هنالك قبل عموم الضرر لتلك النواحى، بحيث إذا لم نعجل بذلك فإنه يحصل الضرر الفادح لمرسى الصويرة وللمغرب كله، ونكلم معك بذلك كلاما مجملا من غير تفصيل، وأنك بعد ذلك كنت تتكلم مع خليفة الفرانصيص فأخبرك أن عندهم المكاتيب من دولتهم بالتكلم فى أمر سوس ذاكرين أنه لا يمكن لجنس أن يستغل تلك النواحى بدون أعشار وهم يؤدون الأعشار فى المراسى، ففهمت من كلامه أن فرانصة تكلمت مع إسبانيا فى ذلك، ولأجله أجمل الباشدور فى كلامه ولم يفصل، وأنك تخبرت على وجه السر بكتاب توجه للفرانصيص من فرقة آيت باعمران يطلبون التجارة منه معهم، كما تخبرت بأن ابن هاشم كتب له بالمخاطبة فى شأن المخالطة فلم يساعد على ذلك إلى آخر ما ذكرته، وصار منا على بال.

فأما فتح المرسى هناك فيحتاج إلى تأويل وأمور مهمة لكون أولئك الناس ليسوا على ما ينبغى، وانظر قضية النصرانى النبريال المقتول هنالك مع ما يصدر لمن ينزل بوادى نون من إسبانيا من الأسر حتى نفديهم منهم بالمال، وعلى كل حال أما الصبنيول فى هذا المعنى فقد أجبناك عنه فى غير هذا، وأما الفرنصيص فبصره

وأعلمه بأنا لم نسكت للنجليز على مكينسى بل لا زال الكلام معهم فى ذلك وقد تكلمنا مع باشادورهم حيث كان بحضرتنا العالية بالله فى شأن من ذكر والمحل الذى نزل به فادعى أن ذلك المحل خارج عن إيالتنا، فلم نقبل منه ذلك ورددناه عليه بما كنا وجهنا لك نسخة منه ومن جملته الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير إذننا، وتعرفه مع قبائل إيالتنا افتياتا وجعل الدرك عليه فى كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات لا فى الرعية ولا فى الديوانات ولا فى غير ذلك، لمخالفته للشروط والقوانين وفى كل ما يقع له ولمن معه لا فى أبدانهم ولا فى أمتعتهم لنزولهم هناك من غير إذن ولا درك فيه لا على المخزن ولا على قبائل تلك الناحية.

والتأكيد عليه فى الكلام مع دولته فى غلق أبواب المضرة التى فتحها مكينسى بإنهاضه من تلك الناحية ونحن على نية توجيه من يتكلم مع دولتهم حيث يجيب الباشادور إن لم يحصل على طائل، وأعلمه أيضا بأنا نسوس الرعية هناك بقصد تأليفهم للمفاوضة معهم فى أمر تلك المرسى، ولا زال المخازنية غائبين عندهم وصبره بأن لا يحدث أمراً هناك، ولا يتكلم فى أمر سوس حتى نكون هناك بالحوز لكونه قريبا من سوس، وحينئذ يكون كلامه معنا فى ذلك لا مع الرعية، وهذا إذا بقى مكينس هنالك، وإلا فمئونة كفيت وأنت أيضا أشر علينا بما يظهر لك فى توجيه باشادور لدولة النجليز بقصد الكلام فى ذلك وبما يظهر لك فى أمر قبائل سوس جهاراً علانية بطرد مكينسى، واجعل هذا الأمر من أهم الأمور عندك، وكن عند الظن بك ولابد واستعن بالله ثم ببعضهم من هناك على هذا الغرض.

وإن ذكروا لك آكدير فأعلمهم بأن آكدير دشرة على حجرة ملتفة بالغابة وسط قبيلة اذاوتنان، وهم جبالة لا تنالهم الأحكام ولا يحصل لهم به الغرض، لأن حكمه حكم الصويرة والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس كآيت

باعمـران أو اكلو وأما افنى فهو البـاب الذى يقبض فيـه المستفاد وهو طرفـا الجبل والبحـر وكل مرة يتجاسـرون فيه على الأمناء، ويكثـر الرد لهم معه ويثبـتون لهم المنقاد وأظن أن صورة آكدير لا تخفـاهم من الكارطة، وحتى إن أردت تحقيق ذلك بتوجيه صورته نوجه مهندسا لهناك حتى يخطه ومحله علوا من الجبل والمساحة بينه وبين البحر ومن هو دائر بـه جوارا من القبائل إلى غيـر ذلك وتوجه لك والسلام فى ٢٢ رمضان عام ١٢٩٧».

الثانى وجه للنائب بركاش صحبة المهندس:

«وبعد فـحيث كنا بالقطر السـوسى أمرنا المهندسـين بالتوجـه من آكدير إلى أسك مع سواحل القطر المذكور، وتقـييد ما فيها من البناء الـقديم والحادث العربى منه والعجـمى، فرجعوا وذكروا أنـهم لم يجدوا بناء قديما منسـوبا للنصـارى عدا محل لا بناء فيـه أصلا فوق وادى أصك بينه وبين البحر خـمس دقائق يسمى برج الرومى، وآخر فوق برج الرومى المشار إليه سـاعة وربع، وبين البحر نصف ساعة يسمى سوس الرومى، فـيه طلل بناء عفا بعض أثر تحويـطه وبقى بعضه مع بعض أثر برج وأتوا بصورة الجمـيع، وها هى تصلك صحبة أحد ممن باشـر ذلك بنفسه وعاينه زيادة فى البيـان فعرف الباشدور بذلك وأطلعـه على الصورة المذكورة، وإذا سلم ذلك فأعلمنا وكذلك إن لم يسلمه ليوجه من يجدد البحث عن المحل المقصود عندهم مما وراء أصك إلى رأس جوبى إن لم يسلم البـاشادور ذلك والسلام فى ٤ ذى القعدة عام ١٢٩٩».

الثالث بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، وفقك الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأنك أجبت باشادور إسبانيا كتابة بما فى النسخة التى وجهت من أن جانبنا العالى بالله موجود للوفاء بالشرط الثامن من شروط المهادنة وفق أمرنا الشريف، وتذاكرت معه فيما أمرناك به من أن تأنيهم وتربصهم فى توجيه المهندسين من الجانبين حتى يرد المهندسون الآخرون الموجهون من حضرتنا الشريفة لتحقيق محل مسامت لجزر كنارية أخبرته من له خبرة بتلك الناحية، وذكر أنه هو سانط كروز بكينية، فأخبرك بأن الوقت ضاق ولم يبق الكرطيل عندهم إلا نحو أربعة أيام، وأن طلب التأنى والتربص فى توجيه المهندسين غير محتاج إليه، ولا ينبغى ذكره كتابه حيث كان مذكوراً فى الشروط.

مع أنه ريثما يوجه جوابك المذكور لدولته ويرد له الجواب عنه وتكتب لحضرتنا الشريفة يكون أولئك الموجهون لتحقيق المحل المذكور وردوا لحضرتنا الشريفة، وصار ذلك بالبال والسلام فى ٨ ربيع الأول عام ١٣٠٠».

الرابع بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى، الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه كتاب باشادور إسبانيا لك، وعلمنا ما تضمنه من طلبه تحديد المحل المعين لهم لصيادة الحوت عوضا عن السانط كروز، وأن يكون الموجهون لذلك من طرف المخزن كالخديم بن البغدادى، وذكرت أنك استأنيته فى ذلك فتعلل بما شرحته وصار ذلك بالبال، فالأولى هو تأخير ذلك إلى أن نكون بالحوز بحول الله لكونه الآن متعذرا بما هو واقع بين قبائل تلك الناحية من الفتنة والهرج، حتى إنهم هجموا على عمالهم وأكلوا دورهم.

وعليه فعرف الباشادور بذلك وتلطف فى مباشرة أمر تأخير ذلك معه إلى الوقت المشار إليه، ولابد وإن أبى إلا اقتحام مشقة تنفيذ ذلك الآن ولم يقبل عذرا فيه، فأعلمنا لينفذ ويؤمر الخديم بوشتا بن البغدادى وبعض المهندسين بالتوجه مع المعينين من قبلهم لتحديد المحل المعين لهم لذلك والسلام فى ١٤ قعدة عام ١٣٠١».

ثم وجه صاحب الترجمة سفارة أخرى لإسبانيا يرأسها القائد عبد الحميد الرحمانى، ومعه الفقيه الكاتب السيد العباس الفاسى، والحاج العربى بريشة وإليك ما راج فى هذه السفارة لمدريد فى عشرى حجة الحرام متم عام ١٣٠٨ من مطالب المغرب وأجوبة إسبانيا عنها ومن مطالب دولة الإصبان وأجوبة الحضرة الشريفة عنها:

المطلب الأول - تأخير قدوم الكبلير رلاندى لمراكشة بقصد استيطانها.

أجابت عنه الدولة المذكورة بأنها مساعدة على زيادة ثمان سنين فى الأجل المضروب لذلك زيادة على السبع سنين المنصرمة بعد تمام الأجل المزيد على يد السويسى رحمه الله، إلا أن إمضاء ذلك مقيد بثلاثة شروط:

الشرط الأول: عدم مساعدة أحد من الأجناس على مثل ذلك أصلا وإلا فلهم طلب المساواة.

الشرط الثانى: تعجيل فصال دعاويكم بموجب الحق على مقتضى الشروط والتفويض للنائب السيد الحاج محمد الطريس فى حسم مادتها، وإصدار الأمر الشريف للعمال بأن يكونوا ينفذون ما يكتب لهم به من ذلك وشبهه، وذكرتم أن النائب المذكور لو كان مفوضا له لما احتاج أحد من نواب الأجناس للحضرة الشريفة ولا إلى الذهاب إليها فى شأن الدعاوى.

الشرط الثالث: تنبيه عمال المدن والبوادى التى لا قوانص لكم بها على أن يكونوا يفاصلون كل دعوى رفعها لهم أحد من رعية الصبنيول وذوى حمايتهم على وجه الحق، بحيث لا يحتاج إلى رفع الدعوى لنائبهم، ليتكلم هو فيها حينئذ بل العامل ينصف ويفاصل من أول الأمر.

أجابت الحضرة الشريفة عن الشرط الأول الذى هو عدم مساعدة أحد من الأجناس. . .إلخ، بأن العقلاء أمثالكم لا يخفى عليهم أن طلب الشىء يحق إذا توفر فيه أمران، أحدهما أن يكون صدر لأجل علة يسلمها ويقتضيها نظر الصلاح، والثانى أن يكون الحاصل بالطلب مصلحة جارية على حسن النظام ليس فيها ضرر على جانب الطالب ولا على جانب المطلوب، فإذا كان الطلب مبنيا على هذين الأمرين حسنت المساعدة عليه، لأن مصلحتها تابعة لمصلحته، وعدم مساعدة أحد من الأجناس ولو كانت غير متأنية حيث ذلك من جملة الشروط المنعقدة معهم، لكن إذا ظهر التماس العذر وقبوله من حضرته الشريفة فذاك واضح ومساواتكم له أمرها مسلم نعم أنتم أولى وأحق عند الحضرة المولوية بالله بمراعاة حق المحبة وقبول العذر وحسن الموافقة والألفة، والذى تعتقده وتستحقه منكم الحضرة الشريفة أنه لا يصدر الطلب من جانبكم إلا عن جميل لأجل جميل على وجه جميل.

وعن الشرط الثانى: وهو تعجيل فصال دعاويكم بأن فصال دعاويكم لا يقع تعطيل فيه لكونها عند الحضرة الشريفة من أهم الأمور وآكدها، نعم لا يخفى على العقلاء أمثالكم أن مطلق قضية من القضايا بين خصمين حاضرين لا يتأتى الفصل بينهما فيها إلا بعد أن يؤمر كل واحد منهما بإحضار الحجة على مقاله فيها، ويضرب له الأجل لذلك، وبعد إحضارها تصفح ويقع الحكم فى القضية بما يقتضيه الحق فيها، ولو وقع الحكم فيها بينهما قبل ذلك لوقع الحيف والظلم لأحدهما، سيما إذا كانت القضية من قبل دولة عظيمة والمدعى عليه غير حاضر،

فلا بد من الكتب لعامل المدعى عليه بإحضاره لمقابلة الدعوى ومن البحث فيها من خارج وحيئنذ يقع الحكم عليه بما يقتضيه الحق، وإن كان له مقال مؤيد بحجة مسلمة فذاك وهذا هو موجب عدم التعجيل فى فصل بعض الدعاوى.

كما أجابت أعزها الله عن التفويض للطريس بأنه مفوض له فى فصل الدعاوى التى لا يحتاج فيها إلى مراجعة الدولة، وبأن الأمر صدر بذلك للعمال قبل وأكد بهم الآن تأكيدا وجدد تجديداً، نعم بعض النواب الذى بينه وبينهم تفاقم يمتنع من الكتب لهم ويكتب للحضرة الشريفة فى جميع أموره، ودليل ذلك كون هذا البعض يكتب لها بتوجيه سفيره للحضرة الشريفة، إذ كان بصدده ونحو ذلك من الأمور التى لا يحتاج فيها النائب المذكور إلى تفويض.

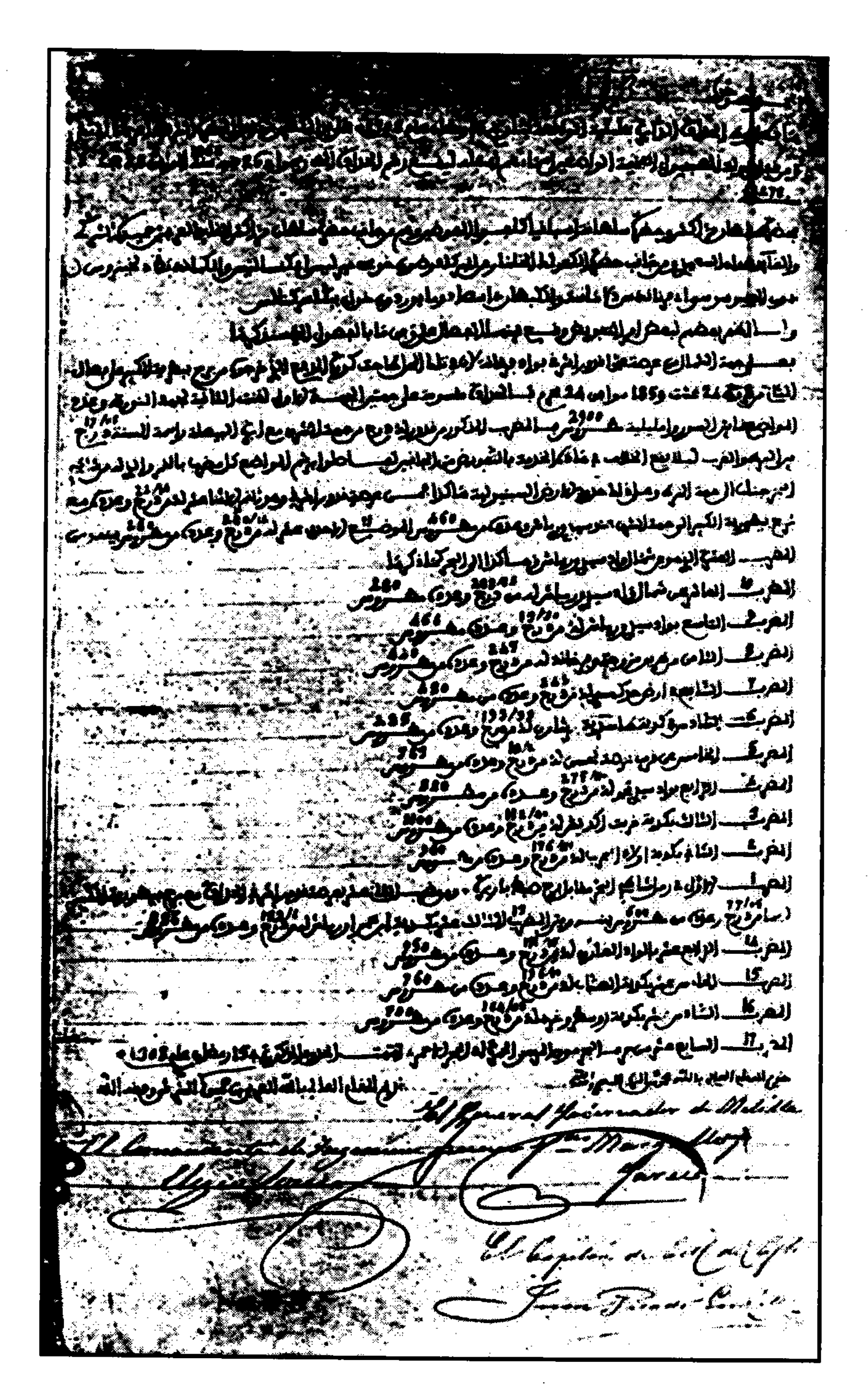
وعن الشرط الثالث الذى هو تنبيه عمال المدن والبوادى التى لا قوانص لكم بها على أن يكونوا يفاصلون الدعاوى التى يرفعها لهم من ذكر بأنها أصدرت لهم الأمر بذلك.

المطلب الثانى - طلب الإذن لحرابة الصبنيوليين الذين بالحضرة الشريفة فى التوجه لحالهم للاستغناء عنهم لتعلم العسكر ما فيه كفاية.

أجابت عنه الدولة المحبة بأنها تساعد على ذلك بمجرد سفر غيرهم من الحرابة الذين هم بالحضرة المولوية من أجناس آخرين.

وأجابت الحضرة الشريفة بأن مساعدتها على ذلك من دلائل محبتها وصداقتها وسعيها فى الخير لهذه الإيالة وذلك هو الظن بها والمعروف منها وبأنها تطلب من وزير الأمور البرانية الكبلير فلان أن يجازى الدولة المحبة على ذلك على لسانها بأتم الجزاء.

المطلب الثالث - إلزام حاكم مليلية التخلى عما زاده فى حدادتهم من أرض بنى شيكر وإبقاء الحدود على أصلها.



شروط الحدود المليلية

أجابت عنه الدولة المحبة بأن علامات الحدود القديمة لازالت موضوعة فى أماكنها المعلومة المعينة لها بموافقة الجانبين لم يحدث فيها تبديل ولا تغيير، وتطلب من الحضرة الشريفة إصدار الأمر العالى بالله للمعينين للوقوف على تمييز الحدادة بوضع خطوط أيديهم على الرسم المتضمن بيانها حالا لأنهم تعللوا من عدم الإذن الشريف لهم فى وضع خطوط أيديهم عليه.

وكما تطلب كف قبائل الريف عن الدخول متسلحين للحدادة حذرا من الفتنة وإخراج المسلمين فى الأرض المحرمة بالحدادة، حيث يمكن ذلك لوقوع الاتفاق على عدم سكنى أحد فيها من الجانبين كما بالشروط.

أجابت الحضرة الشريفة بأن يضعوا خطوط أيديهم على رسم الحدادة، كما أصدرته لعمال قبائل الريف بكف إخوانهم عن الدخول للحدادة متسلحين، وبأن يخرجوا المسلمين الساكنين بالأرض المحرمة بالحدادة وقت إمكان، وتأتى ذلك لهم.

كما أجابت أيدها الله عما أشارت به الدولة المحبة فيما تنحسم به مادة أهل الدين الجديد من النجليز من أن الشروط تعطى السكنى لسائر الأجناس بأى بلد شاء، وما لم يحدثوا فى القوانين شيئًا وهو أعظم ضرراً من الإحداث فى القوانين، ومن أن لمولانا دام علاه تعريف باشادورهم بذلك ليأمرهم بالخروج من أرضنا وإلا فإن دهمتهم مصيبة فدركهم علىَ أنفسهم ولا حجة لكبرائهم فى الكلام عليهم لتقدم الاسترعاء بأنها مجزية بخير على الإشارة بذلك الدالة على محبتها وصداقتها، وبأنها أمرت بالكلام مع باشادورهم بذلك».

كما عقد مع إسبانيا اتفاقا على حدود مليلة المشار لها فى مسائل السفارة الرحمانية وهذا نص ذلك من أصله العربى بعد الحمدلة:

«هذه شروط الحدادة الدائرة بمليلية الواقعة بتاريخ ١٥ رمضان عام ١٣٠٨

على يد المكلفين من قبل الحضرة الشريفة أعزها الله، ومن قبل دولة الصبنيول الفخيمة الواضعين أسماءهم أسفله ليقع رسم الحدادة التى رسموا فى ٢٦ ينيه سنة ١٨٦٢ الموافق ٢٨ حجة سنة ١٢٧٨ :

فحضرة سلطان مراكش وحضرة سلطانة أسبانيا كلفوا المفوضين وهم من جانب حضرة سلطان مراكش القائد العربى بن حميد الشر كى، والقائد حمان السعيدى، ومن جانب حضرة الكتولك الجنرال البر كادرضون خوسى ميرليس كنساليس، والكماندنط دلخينروس دون اليحيوسوسى اى فرناندس دلاماسة، والكبطان داسطاد ومايوردون، وخوان ببكاسر كنالس.

ولما أظهر بعضهم لبعض أمر التفويض وقع بينهما الفصال على وفق ما بالفصول التى سنذكرها:

فعلى جهة الشمال من عرصة محمد اقدور اشرقى بواد فرخانة، لأن فى تلك المحل طاحت كورة المدفع الذى خرجوه من برج ببطرية الكبير على فصال الثانى من شروط ٢٤ غشت ١٨٥٩ موافق ٢٤ محرم بالحدادة مقسومة على جهتين، الجهة الأولى لقنت، الثانية بجهة النورط.

وعدد المواضع ما بين السور وامليلية مطروس ٢٩٠٠ فالمضروب المذكور من قدور له درج من جهة الشرق مع إبرة البوصلة راسمة السنة درج ١٧٠٥ بين النرط والغرب، لئلا يقع الخلاف فى هذه الخدمة بالتفويض من الجانبين تفاطلوا برشم المواضع كل مضرب بالنمر، والذى له من شاطئ البحر جناب إلى جهة النرط وعلى ذلك حدود الأرض السبنيولية هكذا، فمن عرصة قدور اشرقى وهو النمر الاثنا عشر له من دج ٥٥/ ٢٢ وعدده مع برج بيطورية الكبير إلى جهة الشرق عند سيدى ورياش وعدده مطروس ٤٦٠ الموضع الإحدى عشر له من درج ١٢/ ٢٨٠

وعدده مطروس ٢٨٠ بينه وبين المضرب العشرة الذى هو عن شمال واد سيدى ورياش وهكذا إلى البحر كما ذكرها

المضرب العاشر عن شمال واد سيدى ورياش له من درج ٨٨/ ٢٨٨ وعدده مطروس ٢٨٠

المضرب التاسع بوادى سيدى اورياش له من درج ٣٠/ ١٣ وعدده مطروس ٤٤٦

المضرب الثامن من طريق مزوجة وفرخانة له من درج ٢٤٥ وعدده من مطروس ٤٨٠

المضرب السابع فى أرض حد كهولة من درج ٢٤٥ وعدده من مطروس ٤٨٠

المضرب السادس فى كدية طاسدية برشاون له من درج ٣٣/ ١٩٣ وعدده من مطروس ٢٨٥

المضرب الخامس عن قريب عرصة لحسن له من درج ٢/ ١٩ وعدده من مطروس ٧٦٣

المضرب الرابع بواد سيدى محمد له من درج ٤٠/ ٢٧٥ وعدده من مطروس ٨٨٠

المضرب الثالث بكدية خربت اكديش له من درج ٤٠/ ١١٢ وعدده من مطروس ١١٠٠

المضرب الثانى بكدية أولاد العرب له من درج ٨١/ ١٧٦ وعدده من مطروس ٩٦٠

المضرب الأول فى رمل شاطئ البحر مقابل برج صبط باوبرة. ومن مضرب الثانى عشر بعرصة قدور اشرقى الحدادة مع برج ليطورية الكبير لهما من درج ٧٧/٠٥ وعدده من مطروس ٦٠٠ بينه وبين:

المضرب الثالث عشر بكدية بن عمر اروياش له من درج ١٨٨/٦ وعدده من مطروس ٨٨٦

المضرب الرابع عشر بالواد الغارق له من درج ١٩١/١٥ وعدده من مطروس ٩٥٠.

المضرب الخامس عشر بكدية الصباب له من درج ١٩٦/١٠ وعدده من مطروس ٧٦٠

المضرب السادس عشر بكدية روسطز وغردله من درج ١٦٤/٤٥ وعدده من مطروس ٧٠٠

المضرب السابع عشر من جرف البحر فوق المرسى الحمرة إلى الحجر الأحمر. انتهت الحدود المذكورة فى ١٥ رمضان عام ١٣٠٨

خديم المقام العالى بالله العربى بن حميدة الشرقى وفقه الله، خديم المقام العالى بالله محمد بن العربى السعيدى وفقه الله»

ثم يلى ذلك الإمضاءات مندوبى أسبانيا ثم الختم بطابع اسبانى.

وإليك نصوص بعض الوثائق فيما كان يجرى من الكلام والمذاكرات على حدود مليلية ونص الأول بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد أجبناك فى غير هذا عن مطلبى باشدور اصبنيول بما تظهره له من التلطف والمدافعـة بالتى هى أحسن، وأنت اعمل جـهدك فى ذلك وكن عند الظن بك فى مدافعته وتأخيره عنهما بكل ما أمكنك، إذ لا يخفاك ما ينشأ عن ذلك من الهرج والفتنة وتشويش قلوب المسلمين

وإن ظهر لك شيء يكون فيه إعانة لك على المدافعة والتأخر فأعلمنا به لنرى فيه، ثم إذا لم يمكن دفـاع وقطعت منهم الخير بالكلية وأيـست من رجوعهم عن ذلك فـأجبـه عن أبراج حـدود مليليـة بأن البلاد سلمت لـهم على حدودها ومـا أخرنـاهم عن البناء فيـها إلا رغـبة فى طول الهنـاء للجانبـين، وتوقيـا مما يجلب موجبات الشنآن بين الدولتـين المحبتين، وإلا فالأرض المسلمة لهم يفعلون فـيها ما شاءوا، ودرك مـا ينشأ عن ذلك مـحسوب علـيهم وحال قـبائل الريف مـعروف عندهم، وعدم اسـتقامتهم وامـتثالهم مشـهور فى جميع الآفـاق، وهو يرى كيف دافعـوهم عن عمل الجـير والآجر والقـرمود بإزاء حـصنهم كمـا زعم فى دعواه، فكيف بالبناء.

وما علينا إلا أن نأمرهم بالتخلى لهم عن بلادهم وتخليتهم وما يريدون فيها ونكفهم عن الشر ما أمكننا، وأما المحل الذى قرب وادى نون فقد بحثنا الجوار عنه ومن له خبرة بذلك واعتناء وولوع بالأخبار والتواريخ، فـأخبرنا على وجه التحقيق أن المحل المذكور قريب من الصحراء الغير الممكن فيها الأحكام، ويسمى بالعجمية صانطكروز لبـكنيا وهو الذى كان بيـد الصبنيـول قبل هذه لمدة بنحو المـائتين سنة يصطادون فيه الســمك والأمر فيها سهل إن لم يصــدر لهم من أهله حرج، فتتأمل في ذلك ونسلمه لهم على شروطه ومنهم إليه بحيث لا تكون علينا عهدة ولا درك فيما يلحـقهم من الجيران ومن أعانهم من المتطوعين غـير المخزن، وعلى كل حال فقـد عرضنا عليك نظرنا فى هذا لتنظر فيـه وتتأمله ولا تبدى منه إلا مـا ظهر لك

مصلحته بعد التثبت ومراجعتنا فيه والله يعينك ويرشدك ويسددك والسلام فى ٤ ذى القعدة عام ١٢٩٣»

ونص الثانى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد بلغنا أن الحاكم الذى كان بمليلية عام أول ونقل منها أعيد للولاية بها، وجعل يوجه لجوارها من قلعية بقصد الدخول فى الحماية، وطلب منهم بناء بيوت خارج البلد لغرض لها وجعلها محلا لبيع مشروباتهم بينها وبين البلد قدر رمى الرامى بالبندقية وجعل يبنى خارج البلد وينقل لها المدافع والبارود الكثير ويخرق القوانين ويقبل من يريد الركوب فى البحر من غير تسريح عامله، والمعهود عدم قبول أحد إلا بالتسريح، إذ ربما يكون مريد الركوب تعلقت به حقوق من قتل أو نهب أو سرقة وعامله أدرى بأفعاله وقد وجه هذا الحاكم على عامل أولاد ستوت بقصد الكلام معه فى سوق الحلفاء من هناكم فنأمرك أن تتكئ مع نائب دولته بإلزامه الوقوف عند الشروط والقوانين الجارية، ولا يحدث أمراً ليس بمعهود هناكم والسلام فى شعبان الأبرك عام ١٢٩٨».

ونص الثالث:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن باشدور اسبانيا أعاد الشكاية بما قدمت الإعلام به لحضرتنا الشريفة، من إضرار أهل الريف بأهل بادس والنكرر ومليلية، وذكر أن السبب فى ذلك هو خديمنا القائد زيان الورياغلى حسبما فى كتابه الذى وجهت،

وذكرت أنه يطلب قائدا على تلك النواحى مع ما يكفيه من الجيش، وأنك خشيت أن يصدر من أهل الريف مع جوارهم ما يكدر الخواطر حيث العامل المذكور هو الساعى فى الإفساد، وطلب الدواء النافع لذلك وصار ذلك بالبال.

فأما إضرار أهل الريف بأهل المحال المذكورة لم نرضه، وقد تكدر الخاطر عليهم من أجله فإنا لا نوافق على ما فيه خرق وضرر لمطلق الناس، وأحرى لهذه الدولة المحبة غير أنه لما وجد الحال أهل تلكم النواحى رفعوا لنا شكايتهم بجوارهم أهل الحصون المذكورة قبل أن توجه شكايتهم المتضمنة لسرقة حمار وربطة من الجلد ليهودى من مليلية وضرب العسة بالبارود التى جعلها حاكم مليلية على المسلمين الذين يختفون ليسرقوا اليهود الحاملين للبضائع من مليلية.

بحثنا من وجدهم الحال بحضرتنا الشريفة من هداية الريف عن ذلك، فأجابوا بأن حاكم مليلية جاد فى التحزب برعاع مزوجة وبنى شيكر الذين لا يسعون فى خير بين المسلمين والنصارى، وأراد أن يدفع لهم بلاد الحدود يحرثونها بالمنفعة وإسكانهم بالدور التى أدخلت فى الحدود الصبنيولية، وأن أرباب تلك الدور لما سمعوا بذلك أصابتهم الغيرة وإن رأوهم يتصرفون فيها لا محالة تقع الفتنة بينهم وبينهم، وهذا زائد على ما تشكو به قبل من كونه يبنى الحصون والأبراج بالحدادة ويستميل فساد القبيلة إليه حسبما قدمناه لك، وأن بقيوة وبنى يطفت مشتغلون بإخراج البقر للنصارى من النكور وبادس.

وحيث منعهم العامل المذكور من ذلك ولم يساعدهم عليه رماه حاكم مليلية بما ذكر، والدليل على براءته منه طلبه من الأمين الطالب محمد بن أحمد العسرى أن يتكلم مع حاكم مليلية بكف حاكم جزيرة النكر عن المخالفة مع رعاع الناس وأجلافهم، لا سيما الرجل منهم المسمى بعبد الله المشتغل بالخوض وإيقاد نار الفتن

بالبلاد وإنزال النصارى للمحال التى لا أمان فيها حسبما تراه فى كتابه وكتاب الأمين المذكور طيه.

إذ لو كان يسعى فى الفساد كما ذكر حاكم مليلية لما طلب شيئًا من ذلك كما أجابوا عن الأقوات بأنها لا تقطع لهناكم ومن وجدوه يتعاطى ذلك يضربون على يده، وعن العسة بأن تلكم القبائل يفرضونها على اعظامهم كل عظم يأتى بما ينوبه منها ويمكث بها أياما هناكم، ثم ينصرف ويخلفه آخر، وعلى هذا عملهم فيها، وأن النصارى ضربوهم بثلاث كورات وبمائة وثمانين بندفة.

وحيث كان الأمر كما ذكر تعين علينا توجيه ثقتين من جانبنا العالى بالله يحققان ذلك وهما: خديمانا العربى بن الحسن الشركى، والج أحمد بن أحمد بن التهامى البقالى التطوانى للبحث فى ذلك والشهادة بما يتلقونه من أهل تلكم النواحى من خبر ما ذكر.

وكذلك بما يرونه ولا نكره إن تكلم الباشدور يأذن لكبير مليلية والنكور وبادوس فى الملاقاة مع الموجهين المذكورين بقصد المشافهة والتحاقق فيما عندهم من ذلك والمفاوضة فيما يحسم مادة الشنآن بين الجانبين، ويديم الهدنة والسكينة بينهما، وقد أذنا لهم فيها إن توافقوا معهم عليها لما فى الإذن لهم فيها بعد جوابك لنا من التطويل، وأمرنا عمال بنى ورياغل القائد زيان والج حدوا والج على بالقدوم على حضرتنا الشريفة صحبة الموجهين المشار إليهما، ليكون الكلام معهم فى ذلك بحول الله.

وأما ما طلبه الباشدور من توجيه قائد لتلك الناحية مع ما يكفيه من الجيش، فقد أصدرنا أمرنا الشريف لخديمنا الج محمد الفرجانى آغا عسكر العرايش بأن يتوجه لجنادة بجميع عسكر الثغر المذكور وينزل بها مقدمة حتى ننظر فى ذلك والسلام فى ١٤ من ذى الحجة الحرام عام ١٢٩٨».

ونص الرابع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن باشادور إسبانيا كتب لك بما فى كتابه الذى وجهت من أن حاكم مليلية كتب له بأن عامل بنى بو كافـر امتنع من رد مسجون له فر من مليلية وبـرح فى الأسواق بأن كل من دفع مسـجونا هاربا من هناك يقـتل وتؤخذ أمتعتـه، وكذلك من لم يقتل النصارى الذين يتجاوزون الحدادة، فـأجبته عن ذلك بما فى النسـخة التى وجـهت ووعدته بالكـتابة لناحـية الريف بالسـؤال عن ذلك، وإطلاع علمنا الشـريف بالواقع وكـتـبت لأحد أمناء مـليلية بما فى الـنسخـة التى وجهت وطلبت إصـدار أمرنا الشريف للعـامل المذكور برد المسجـون الهارب على مقتضى الشروط وإبطال التبريح المشار إليه وصار ذلك بالبال.

وقد أحـسنت فيمـا فعلته فى ذلك كـله، وأصبت فى صرف وجـه الاعتناء لعلاج ذلك الداء، سددك الله. نعم، كان بلغنا ذلك قـبل وأصدرنا أمرنا الشريف للعـامل المذكور بما ذكـر ولغيـره من خدامنا عـمال قلعـية وأمنائهم بالبـحث عن النصرانى المذكور، ودفعه لحاكمه على يد الأمناء، ووجهنا من يقف حتى يدفع له.

ومن جملة من أمر بذلك من العمال المذكورين: وصيفنا الطالب عبد الله بن أحمد فـأجاب بما تقف عليه فى كتابه طيـه من تكليفه بعض المرابطين الخمليـشيين المسموعـين الكلمة بتلك الناحيـة بالبحث عنه ورده لحاكمـه على يد الأمناء المشار إليهم.

وأما نداء العامل المذكور فقد بلغنا أن سببه ترامى الحاكم المذكور على إخوانه وقبـضه عليهم فى النصرانى الذى فـر له ومن جملة من قبض عليـهم أخوه، وأنه وقع من القبيلـة لامن العامل لكون الأنفة من فعل الحاكم المـذكور ذلك بإخوانهم

حملتهم على النداء بذلك، وها نحن آخذون فى البحث ثم إن صح أن العامل هو الذى أمر بذلك يؤدب بحول الله لأنه لم يرتكب هينا، وهذا مصداق ما أجبت به باشادورهم من أن أصل ذلك من حاكم مليلية لارتكابه الأمور التى ينشأ عنها الشنآن كتوجه الفساد من أهل الريف لإسبانيا، وقبولهم فى مليلية وتعرضه على أهل الجرائم، ووعده لأهل الريف بالحرث داخل حدادتهم وغير ذلك من الأمور المفضية للهرج والمشاحنة تولى الله أمرنا وكفانا بحوله وقوته والسلام فى ٢ محرم عام ١٣٠٠».

هذا وإن لصاحب الترجمة علائق ومراسلات مع إسبانيا غير ما تقدم، وقد تداولت بينه وبين ملوكها الرسائل الودية ككتاب الفنس الثانى عشر إليه معلما باقترانه بالأميرة النمسوية مارى كريستين زوجه الثانية، وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك بالتهنئة مع إيفاد سفارة للقيام بذلك نيابة عن جلالتها.

ولما ولدت المذكورة بنتا بعث كتابًا ثانيا منبئا بذلك فأجابته الجلالة الحسنية بالتهنئة والاستبشار بذلك. ولما تزوجت أخته الأميرة «مرياد لبس» بابن عمها الأمير «لويس فرندود بيرة» أرسل كتابا معلنا بذلك مجدداً فيه المودة المتواصلة، فأجابه المترجم على ذلك بما ينبغى أن يجاب به.

ومن ذلك إهداء الملك المذكور للحضرة الشريفة علامة الافتخار وإرساله «إدوارد رمية يانكوس» سفيرا وواسطة بين الدولتين وجواب المترجم له عن كل من العلامة والسفارة بحلول الأولى محل القبول والكرامة، ومقابلة الثانية بما ينبغى من المبرة والاعتناء والمسرة.

ومن ذلك كتاب المترجم للملك المذكور بالشكر له ولدولته، وأعيان رجاله وأمته، على ما صدر منهم فى مال الصلح من الصبر والمجاملة واستيفائه على وجه التقاضى وحسن المعاملة، وختمهم ذلك بأحسن ختام، بالإذن فى نهوض أمنائهم

من المراسى قبل استيفاء الواجب من بعضها على التمام. وأن ذلك حقق للحضرة الشريفة ما كانت تسمعه عن المحبة وكمال الاتصال بين أسلافها الكرام، مثل سيدى محمد بن عبد الله وغيره.

ولما مات الملك الفنس الثانى عشر المذكور بعث بالتعزية فيه للحكومة الإسبانية وكتب لزوجه الملكة مارى بالتعزية فيه والتهنئة بتبوئها مكانه، لأنها عينت وصية على العرش بعده ونص ذلك بعد البسملة والحوقلة والاستفتاح والطابع:

«إلى المحبة المعظمة، المحترمة المفخمة. سلطانة دولة إسبانيا الفخيمة السلطانة دنى مرية كريسطينة.

أما بعد حمدِ الله الذى لا يروعه الحمام المرقوب ولا يبغته الأجل المكتوب. فقد بلغ لشريف علمنا أن المحب المعظم الصاحب المحترم. سلطان إسبانيا السلطان الفنس الثانى عشر مات وانتقل من هذه الدار. إلى دار المقام والقرار. فحصل لنا من الأسف على مصابه ما الله أدرى به. لأنكم أحباؤنا وجيراننا فما يسركم يسرنا. وما يكدركم يكدرنا. ونحب الخير التام لكم. ودوام صلاح نظامكم.

وبمجرد بلوغ ذلك لشريف علمنا قبل سماعنا بتوليتك فى محلة طيرنا الكتب لدولتكم على العموم بالتعزية. فى مصابه والتسلية. وأشرنا عليهم بالتثبت فى هذا الأمر العظيم. حتى يسند الأمر فيه لأهله ويجرى على السنن المستقيم، والمقصود عندنا بذلك هو بقاء الملك فى داركم. وانتظامه وتشييد فخاره بكم. لأنكم أهله ومستحقون له ومحله، وقد تحقق ذلك القصد والحمد لله وهان علينا بعض مصابه بما بلغنا من حيازتكم لمكانته ورتبته وجلوسكم على سرير مملكته، فليرنا لكم هذا المسطور على الخصوص فى مصيبته، ودمتم محفوظين فى سربكم، ممتعين بحزبكم. وختم فى ١٧ من ربيع الأول عام ١٣٠٣».

ولما وضعت الملكة المذكورة حملها من المتوفى وكان قد تركها حاملاً منه، وبويع المولود وسمى بالفنس ليون الثالث عشر وهو الملك الحالى كتبت إليه بذلك فأجابها بتهنئة الدولة به والتمنى له. وكذلك كاتبها جوابا عن كتابها فى التعريف بمقام (حسنى ديزد وكستيليو) باشدورها الجديد.

وكذلك كاتب الملك الحالى الفنس الثالث عشر جوابا عن كتابه للحضرة الشريفة فى شأن ورود بعثة الهندسة الحربية الإسبانية كما يأتى بحول الله عند الكلام على التنظيمات الحربية. كما كتبه فى جمادى الأولى ١٣١١ بإبداء الأسف على الحادثة الواقعة بين أهل مليلية وقبيلة قلعية والوعد بالنظر فيها. وتدارك قضيتها وتلافيها.

ثم لم يلبث أن قدم على حضرته الشريفة القبطان جنرال (ارسينيو مرطينس دكمبوس) سفيراً مفوضا لتتميم أمر الواقع من تلك القبائل الريفية فى حدود مليلية فعومل فى تتميم ذلك بالتسهيل حتى تممه وانقلب راجعا بعقد فى ذلك الشأن حسبما جاء فى جواب المترجم المؤرخ بثانى رمضان ١٣١١ على الكتاب الملوكى الذى جاء به السفير.

وكان قد وقع الفصال فى قضية أهل الريف مع مليلية على أربع ملايين من الريال أخرج منها من بيت مال مراكش ستمائة ألف ريال ودفعت لأمناء الجديدة ليدفعوها لنائب إسبانيا واستكمل الباقى فى الدولة العزيزية.

وكل الظهائر المذكورة موضوعاتها التى كان المترجم يبعث بها لدولة الإسبان محفوظة ببعض مجموعات خزانتنا.

* * *

مع إيطاليا

وبعث لإيطاليا سفارة يرأسـها القائد بوشتا بن البغدادى الجامـعى وفى معيته الفقيه العلامـة الأكتب السيد العربى المنيعى أحد كبراء الكـتاب بالحضرة السلطانية وإليك نص الكتاب الوزيرى الصادر فيها لوزير خارجيتها:

«الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العـظيم، عماد الدولة الطليانية الفخيـمة ووزير أمورها البرانيـة الكبلير المعتبر المحب الذكى الألـمعى الحائز بحسن التدبير. التبريز فى ديوان السياسة والتصدير. صاحبنا دبرينس أما بعد: السؤال عن كافة الأحوال. ومحبة الخير لكم الدائمة التوال.

فموجبه تجديد العهد. وتأكـيد الود. وإعلامكم بأن مولانا نصره الله اقتضى نظره الشريف تـوجيه خـديمه الأرضى الأمجـد الأنصح المعتبـر القائد بوشـتا بن البغدادى الجامعى سـفيرا لدولتك الفخيمة وتعزيزه بكاتب حـضرته الشريفة الأجل الفقيـه السيد العربى المنيـعى بقصد تجديد المحـبة بين الدولتين. ومبـاشرة ما يزيد بحول الله فى كمال الاتصال بين الجانبين.

وإنا لعلى يقين من أنك تقـابله هو ومن معه بزائد القبـول والمبرة فى الإيراد والإصدار. حتى يرجع مـقضى الأوطار. وتصلك (كمية) إكـراما من عندنا فالمراد من المحب قبولها وختم فى ٧ شوال عام ١٣٠٢».

وبعث لها أيضًا سفارة أخرى يرأسها القائد الكبير بن المدنى الشاوى وأوفدت على جلالته الدولة الإيطالية سـفيرها الكمندار (تور كنطاغلى) وإليك نص الجواب السلطانى للملك امـبرتو الأول عن وصـول السفـير المذكـور لحضـرته العلية بـعد البسملة والافتتاح:

«إلى المحب الملحـوظ بملاحظ الإيثار. والاعـتناء والاعـتبـار. سلطان دولة إيطاليا ذات المفاخر. والمزايا والمآثر. السلطان امبرت الأول. المعظم الألمعى الأنبل.



سفارة الحاج المعطى بن المدنى لإيطاليا

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو فقد وصل كتابكم لحضرتنا الشريفة بأن من غاية اهتمامكم بحفظ العلائق الاتصالية وملاحظة محبة الدولتين التى هى للتأكيد داعية. بتعيينكم للكمندار توركنطاغلى للورود على حضرتنا العلية وزير تفويض. وسفيراً بحق خالص محبتكم بمزيد التوكيد والتحضيض، وأنكم اخترتموه لما امتاز به من الخصال الحميدة. والآراء السديدة. والثقة به فى الإجراء على ما كلف به من قبلكم، وصرف همته للاهتمام بمقصدكم، وطلبتم من جانبنا الشريف أن يقع عندنا موقع الاستحسان. ونثق به فيما ينهيه عنكم من الأخبار الحسان. التى مضمنها ربط دوام المحبة بين الدولتين وتحقيق أسباب المودة الكائنة بين الدولتين.

أما حفظكم للعلائق الاتصالية ورعيكم لما بين الدولتين من المحبة والوسائل الودادية فهو أجلى من الشمس وأشهر ونحن كذلك وأكثر، وأما تعيينكم للكمندار تور المذكور بعد انتخابكم له على الوجه المشكور، فدليل على محبتكم ومودتكم وصداقتكم وما لكم من صدق الاهتمام. وحسن المحافظة على حق المحبة الموصولة على الدوام.

وأما ما طلبتم من الثقة به فيما ينهيه لجانبنا العالى بالله مما يتضمن ربط دوام المحبة بين الجانبين وأن يقع موقع الاستحسان، فكل من هو ثقة لديكم وصدوق فهو عندنا كذلك، وقد ورد لحضرتنا الشريفة وحل بها حلول تمييز واعتبار. وألفى كما عرفتم به من أوصاف الاختيار. وجرى فى امتثال إرادتكم على وفق ما ظننتموه وقرر لنا من تحقيق محبتكم الثابتة ما اعتقدتموه، وأظهرنا من الثقة به ما زاد ركن المودة تشييدا ، وعد فى مقام الاعتناء فعلا حميدا، وقابلناه بما اقتضاه جميل المراعاة والامتيار، وزدنا به استدلالا على بناء المحبة التى لا يعتريها اهتزاز، ودمتم فى هناء وثروة وعافية، مراعين للمحبة والمودة والصداقة سرا وعلانية، وحرر فى ١٧ صفر عام ١٣٠٧».

وكانت له مع دولة ايطاليا علائق ودية فمن ذلك كتاب الملك امبرتو الأول إليه بالأفراح الملوكية التى أقيمت بتورين بمناسبة اقتران أخيه الأمير (امادير فيرديندوماريادى صابويادو كة دى اوسطا) بالأميرة كارى بنت (جيرولامو نابليون) ولما أنجبت ابنا بعث مسطور الإعلام بذلك مترقبا ابتهاج الحضرة الشريفة فأجابته على ذلك بالسرور، والتهنئة والحبور، ولم يلبث الأمير الأخ المذكور أن توفى فطير أخوه الملك رسالة بنعيه وأجابته الجلالة السلطانية على ذلك بإبداء الأسف لمصابه، وسيأتى قريبا بحول الله ذكر الرسائل الوزيرية المتعلقة بالبعثة الإيطالية الحربية والمركب الحربى المصنوع بتلك الديار.

مع إنجلترا:

وقد أوفدت إليه سلطانة دولة اكرنت بريطن وانبرير الهند سفيرنا المنسطر (شارل اوان اسميد) وإليك نص الظهير الصادر جوابا عن سفارته بعد البسملة والافتتاح: «إلى المحبة المعظمة. المحترمة المفخمة الوارثة الرياسة عن الآباء والأجداد. السائر بها المثل فى الأغوار والأنجاد سلطانة دولة اكرنت بريطن وانبرير الهند المعظمة السلطانة فكطورية العزيزة البهية المنعوتة بالذكاء والنباهة والألمعية.

أما بعد حمد الله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، فموجب تحرير هذه السطور، لجنابكم المشكور، الإعلام بأننا لا زلنا معكم على المحبة المشيد بناؤها على أوثق أساس والمودة التى نمت منها فى أرض الصفاء الأغراس والصداقة الممتازة التى لا تنقضى مدتها والعهود الموثوقة العرى التى لا تبلى على مر الأيام والليالى جدتها، ولا نزال على ذلك بحول رب العالمين. اقتداء بأسلافنا الأكرمين. وبأن المنيسطر شارل اوان اسميد وفد على حضرتنا الشريفة فحمل على كاهل المبرة والإكرام. وعومل بأزيد مما يعامل به سفراء الدول العظام من الاعتناء والاعتبار والاحترام. رعيا لكونه من قبلكم. ووروده من رفيع حضرتكم. فقابل

ذلك بما لا تحبونه له ولا ترضونه فغضـضنا الطرف عنه تحملا مراعاة لكم، وقابلناه بجميل المبرة اعتناء واعتبارا لجـانبكم، ولا شك أنه يتحقق لكم ذلك من غيرنا كما يتحقق لكم أمره كذلك ونطلب الله أن يوفقنا لما فـيه رضاه ودمتم فى هناء وعافية على أكمل الأوصاف. لاحظين لأهل المحبة والمودة بعين الإنصاف. وختم فى ٢٠ من ذى الحجة عام ١٣٠٩».

وأوفدت عليه أيضا هذه المملكمة العظيمة خليفة حاكم جبل طارق مصحوبا بالفيل هدية إليـه وجىء به بحرا لطنجة يقوده رجـال من أهل الهند، ومنها أتوا به برا للحضرة الشريفة فلحقوا بها مخيمة بجيوشها بين أعراب السهول وحصين وبين برابر زمور فى أثناء الوجهة المولوية من مراكـش لفاس فأمر السلطان بنزولهم ونفذ لهم المؤنة ومن الغد أمرهم بإحـضاره فاصطفت لذلك الجنود وحضر سـائر العمال والأعيان والرؤساء والقواد، وقدم للسلطان وعلى قفاه هندى يروضه ويلقنه، فصار يشير للسلطان ويتقدم ويتأخر ويبرك ويقـعد، وصدر الأمر الشريف بإحضار الطعام له والشراب بعد نزع زيه وسريره فاختلف وارتشف، ثم طفق يغتسل بخرطومه ثم انتهـت الحفلة بإطلاق المدافع، وإليك نص الظهـير الصـادر من الجلالة السلطـانية جوابا عن وصول ذلك وحلوله محل القبول بعد البسملة والافتتاح:

«إلى المحبـة العظيمة. المحتـرمة الفخيـمة. العزيزة العيطمـوس المعظمة فى النفـوس. الوارثة الرياسة عن الأب والجـد. السائر بهـا المثل فى الغور والنـجد. سلطانة دولة كـرنت ابريـطن وانبـرير الهند السلطانة بـكطورية. المنعـوتة بالذكـاء والألمعية.

أما بعد حمد الله العـظيم الذى لا إله إلا هو العلى الكريم. فموجب تحرير هذه السطور. لجانبكم المـشكور. هو تجديد عهود المحـبة. والمودة والصحـبة التى

توارثها الأخلاف عن الأسلاف. ولا تزال بحول الله ثابتة راسخة جارية على منهج الاتصال والائتلاف. والإعلام بوصول خليفة حاكم جبل طارق وصول خير وهناء. فأحللناه محل الترحيب والاعتناء. واستروحنا من وروده مصحوبا بالفيل الوسيم. تحفة من جانبكم الفخيم. مسرة واحتفالا. وعددناه على رسوخ المحبة حجة واستدلالا. وأكد الخليفة المذكور ما فى الاعتقاد من محبتكم فأبدى، وبين جميل مراعاتكم فأحسن وأدى، وشيد من عهود الخير والاتصال ما ثبت أساسه، ونمت فى روضة المصادقة غراسه، وزاد بورود الفيل المذكور تصحيحات وتثبيتات لمن كان يجهل ذلك، وتشييدا لتلك المحبة وتأكيدا لرعايتها وتبيينا لفخامة دولتكم وضخامتها، إن الهدايا على قدر مهديها.

وحصل به لحضرتنا الشريفة من السرور والنشاط ما يحق به الاغتباط، وصادف وروده جل عمال القبائل مجتمعين، بالمحل الذى كنا به بمحلتنا السعيدة مخيمين. فى اليوم من محرم التاسع والعشرين، فحضروا ساعة دفع الخليفة المذكور له هيئته الجليلة وحليته الجميلة، كما حضر لذلك الرؤساء والأعيان، وكبراء الديوان. وكان ذلك مشهدا عظيما فى الانتظام والانعقاد ، ومحفلا مثل محافل الأعياد، وأظهرت الرعية من مخايل النشاط. ما وفى بحق السرور والانبساط. لكونه تحفة غريبة. وخلقة عجيبة. لم تعهد عند أهل هذا القطر، فى هذا العصر، حتى إن فقهاء حضرتنا الشريفة وأدباءها جعلوا فى محاسن الفيل. ومشهده الجليل. قصائد فائقة. وأشعارا رائقة. وتآليف متناسقة.

وها البعض من ذلك يصل جنابكم الفخيم. والباقى حيث يكمل يوجه لكم لتعرفوا منها ما حصل من مظاهر الفرح العميم ، وذلك كله اعتناء بهذه المزية التى أتحفتهم بها حضرتنا العالية واهتمام بشأنها. وتنويه بأمرها. لكونها برهانا على ثبوت المحبة ودوامها والمودة المعظم بين الجانبين عالى مقامها لا زالت كذلك

مستمرة الاتصال والتجديد ودامت دولتكم الفخيمة فى خير دائم وهناء مزيد، ولا برحتم ملحوظين بعين الرعاية والاعتبار والعناية وحرر فى ٢٥ من ربيع الثانى عام ١٣٠٩».

ومن المؤلفات التى وضعت فى هذا الفيل المشار لها فى هذا الظهير مقامة لقاضى مكناسة خليل الخالدى سيأتى ذكر فصل منها فى ترجمته ورسالة النفائس الإبريزية فى هدية الفيل الوافد من فخامة الحضرة النجليزية للفقيه الكاتب السيد أحمد بن عبد الواحد بن المواز ذكر أنه أنشأها بأمر شريف بمشافهة وزير الحضرة العالية السيد محمد بن أحمد الصنهاجى، والسراج الوهاج والكوكب المنير من سنا صاحب التاج مولانا الحسن الأمير لصديقنا مؤرخ سلا السيد محمد بن على الدكالى، والرسائل الثلاث محفوظة بخزانتنا وكلها بخطوط مؤلفيها.

مع ألمانيا:

ووجه للدولة الألمانية سفارة يرأسها خديمه الطيب بن هيمة عامل ثغر آسفى وعبد السلام بن رشيد ووجه لها سنة ١٣٠٢ الحاج محمد بركاش ولد النائب مع بعثة الطلبة الحربية حسبما يأتى الظهير الشريف الصادر فى ذلك الشأن.

ولما مات الإمبراطور فريدريك أرسل ولده غليوم مسطورا للحضرة الشريفة بنعيه فأجابته على ذلك بالأسف لمصابه وتهنئة الولد المذكور بحيازته رياسة أبيه، وأنها ستسير معه على ما كانت عليه أيام والده من المودة والصحبة، وأنها بصدد توجيه سفير برسم النيابة عن جانبها العالى فى التسلية والتهنئة.

وفى رجب ١٣٠٤ أرسل ظهيرا للإمبراطور غليوم جوابا عن كتابه الوارد فى شأن مرض سفيره (الرزيدنت تستا) بالألم الثقيل الذى اقتضى تأخيره عن النيابة عن دولته ولما ورد بدله بالكتاب الإمبراطورى الصادر باعتماده أجابته على ذلك بما نصه بعد الحمدلة والحوقلة والاستفتاح والطابع:

«إلى المحب المعظم، المحترم المفخم، الحائز التبريز والتصدير فى ديوان الرياسة، المنعوت بحسن التدبير والسياسة، والأوصاف المحمودة والسعى المشكور سلطان دولة الالمانيا والبروس السلطان كليوم امبيرطور.

أما بعد حمد الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم فقد ورد على حضرتنا الشريفة كتابكم المشيد من تجديد العهود أركانا، المترجم عن تقرير الاتصاليات لسانا، منبئا بما اقتضته آراؤكم ووقع عليه اختياركم من استعمال المنيسطر طراورس بطنجة عوضا عن المنيسطر الرزدنيط تستا لما ثبت لديكم فيه من الأهلية، والاتصاف بالمحامد الجلية ولما أظهرته مراتب خدمته من الثقة، والمساعى السديدة المتسقة وأشرتم بملاحظة رتبته بعين الاعتناء، واستماع أقواله المجددة لطيب الثناء، وتصديقه بالثقة فيما يذكره عن جنابكم ومعاملته من الفرح بما يستدعيه حسن مقاصدكم.

أما استعمالكم إياه فى هذه الرتبة الجديدة، وإيثاركم له بهذه المنحة الحميدة. فلا شك عندنا أنه من حسن آرائكم معدود. ومن اجتهادكم فيما تحصل به أعمال الصلاح غاية المقصود، لما تقرر لدينا من محبتكم التى لم يزل غصنها ناضرا وروض عهودها بنسيم التجديد زاهرا.

وأما تنبيهكم لنا عليه فقد استفتحتم به منا عيون الملاحظة المستلزمة لحسن القبول، وتأكيد المحافظة فمرحبا به وبكل من يأتي من جانبكم، واختياركم له على الوصف المذكور دليل على محبتكم وصداقتكم وسعيكم المبرور، وهو عندنا مصدق معامل بما تعهدونه من مقتضيات الجميل، والاعتناء الذى هو بدوام الاتصال بين الجانبين كفيل، ودمتم ملحوظين بعين التوقير والاحترام، من الخاص والعام فائزين بمزيد الفخامة والثروة والضخامة وختم فى ٧ ربيع الأول عام ١٣٠٥».



السلطان مولاى الحسن يستقبل باشدور ألمانيا

مع الدولة العثمانية:

وإليك نص ما كتبه وزير خارجية الدولة العثمانية لوزير الخارجية الحسنية طالبا إنشاء سفارة عثمانية بطنجة بلفظه:

باب عالى

دائرة خارجية

مكتوبى قلمى

عدد

من ناظر خارجية الدولة العلية العثمانية لجانب الأجل الأكمل الأفضل ناظر خارجية حكومة فاس الفخيمة المحترم.

إنه لما كان تأييد وتزييد الحب والوداد، وتأييد المخالصة والاتحاد الجاريين بالطبع فيما بين الدولة العلية وحكومة فاس الفخيمة، ووقاية منافع الطرفين هو قصارى مرغوب السلطنة السنية وجل مبتغاها، وكان الحصول على هذا المقصد موقوفا على أن يكون لكل من الحكومتين الفخيمتين ونواياهما الخالصة.

ولا مراء بأن شهامة حكمدار فاس الأفخم سيتكرم بالاشتراك مع الدولة العلية بما عندها من خالص الفكر والنية بتشييد أس المخادنة والمصافاة، وتأييد بنيان المخالصة والمناسبات، وبما أن السلطنة السنية ترغب فى تشكيل هيئة سفارة فى طنجة مركز الحكمدارية الفخيمة الفاسية، فالمتمنى إذا صرف جل الهمم العلية باستحصال موافقة حضرة الحكمدار المشار إليه بحصول هذا المطلب المؤدى لتأييد دعامة المصافاة وتشييد أركان الصِّلاتِ فيما بين الحكومتين والتكرم بإفادة عاجزكم عما يحسن بهذا الباب هذا مع إبراز شعائر الإخلاص لمكارمكم وأدام الله بقاءكم أفندم.

فى ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٠٤ وزير الخارجية للدولة العلية العثمانية

(ختم) محمد سعيد»

وكان جواب الخارجية الحسنية عن أمرها أنها رأت من ملاحظة حق الأخوة فى الدين أن لا تفتقر لإحداث وسيلة فى جانب الوداد، ورأت من اعتبار مراحم الإسلام فى الوصلة إجراءها مجرى الاتحاد يقينا بأن نعمة هذه الأخوة لا يقبل حكمها التشكيك، ولا يطرق مركبه تفكيك، فلا داعى لتنزيل جانبها منزلة ملل الاختلاف، حتى تحتاج لنصب وسائط تمهيد الائتلاف، ولتفهيم القواعد والقوانين والأعراف، لأن من المقرر المعلوم أن المقتضى لذلك هو ضرورة المعاملات، المتوقفة على المفاوضة بين الأجناس المحتاجة لبيان الاصطلاحات واللغات، وذلك منتف فى أهل الملة الإسلامية، والأخوة الإيمانية، لاتحاد جميعهم فى أصول الأحكام والأعراف الشرعية واتفاقهم فى سلوك المساعى الصالحة على متابعة السيرة السنية.

وبأن أسلافه وأسلافكم رحم الله الجميع وقدس أرواحهم كان بينهم ما هو مشهور عند الخاص والعام، من المحبة والمودة والاتصال التام حسبما تضمنته مكاتيبهم المظنونة الوجود فى ذخائر الدولة العثمانية السنية، وأنه أيده الله مع الدولة المعظمة على آثار أسلافه الأكرمين.

وكان شيخ الإسلام بالدولة العثمانية قد خاطب قبل هذا أبا عمران موسى ابن أحمد بإذن السلطان عبد الحميد راغبا فيما يؤدى للتواصل والاتحاد ومجددا عهود الآباء والأجداد ونص كتابه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وأصلى وأسلم على نبيه الهادى إلى سواء السبيل المستقيم، أما والذى أولاك الرأى المستقيم، والفكر المصيب القويم، وولاك الوزارة التى إذا حملق النجيد، وصلصل الحديد، وبلغت الأنفس الوريد، اعتصم بحقوها فى الممالك المغربية من الأبطال الصارخة، اعتصام الوعول بذرى القلل

الشامخة، وذدت عنهم كماة الرجال ذود العـوزم عن الأشوال، وصرت بها عصمة الهـوالك، إذا شبـهت الأعـجاز بالحـوارك، وأفريت أديم كـل كمى احـتقـارا له بالأزمـيل، وخبـطت إليهم خـبط السـرحان نـقد الغنم الذليـل، وحفظت كـلام العجاج، وأطفأت نار الهياج، إذا غصت الأفواه، وذبلت الشفاه.

فمـا استللت سيـفك مذ حزتهـا إلا أغمدتـه فى جثمـان بطل، أو شوامت جمل، فكنت للشـانئين الزعاف الممقر والليث. . . رر قـد انقطع لسان قلمى عن تحرير مـزاياك، وقصـر فكرى عن النظر إلى صور فـضائلك المصـورة من مراياك، فلويت زمام يراعى إلى المطلوب عجزا عن ذلك الوصف المرغوب.

أما بعد إهداء السلام المقرون بالتكريم والتبجيل، والتحية المحفوفة بالتجليل: فالذى أعلم به الوزير الأعظم، والمشـير الأفخم، صاحب السيـف والقلم المشهور بالرأى الأتم، الذى طرز بساط السلطنة المغربية بطراز تدابيـره المصيبة، وأظهر عدل مولاه بحـسن سيرته الخالصـة عن كل معيبـة، أعنى به حضرة السيـد موسى نجل المرحوم السيد أحـمد وفقه الله تعالى إلى ما يكون موجـبا فى الدارين لأن يحمد، هو أنه من المفهـوم بديهة لدى كل ذى رأى صحيح ومن المعلوم ضـرورة بحيث لا يحتاج إلى نظر فى التوضيح، أن مدار قوة الأمة المحمدية وصولتها على سائر الملل الردية، إنما هو اتحاد جميع أفرادها المـوجودة فى كرة الأرض وتشابك الأيدى منها بالقبض ولاسيما عند تعاضد المشركيـن، وقوة أعداء الدين، كما نشاهد وتسمعونه ممن لهم فى هذا الزمـان من الصـولة البـاهرة، والجولة والشـدة القـاهرة، المؤدية بحسب المآل إلى الفتك بجميع ما للأمة المحمدية من الأفراد، وإن كانوا فى أقصى البلاد.

فبناء على هذا قد تجاسرت على الاستئذان من المولى العارف بالله، والمتوجه بكله إلى طاعة مـولاه، السلطان الأعظم والخاقـان الأجل المحترم، وارث الخـلافة الكبرى، عن آبائه الخلفاء بالاسـتحقاق أمير المؤمنين بالاتفـاق، مولانا وإمامنا إمام

المسلمين السلطان عبد الحميد خان ابـن المرحوم المبرور الغازى السلطان عبد المجيد خان نصره الرحمن وأيد جنوده وحزبه أينما كان، آمين.

بتحـريرى إلى حضرتكم مـا يورث التواصل بيننا وبينكم، ويقتـضى الاتحاد الحقيقى مـعكم كما كان التواصل بين جد سلطـاننا المشار إليه بالقلم والبنان، وبين والد سلطانكم الشريف المعظم الشان، اقـتداء بجنابه العالى، الذى هو عن شوائب النقص خالى، حيث أرسل مالكة الوداد إلى سلطانكم المعظم الموجبة للاتحاد.

هذا والمأمول من شـيمكم الدينية، وغـيرتكم المقرونة بصـلابة الحميـة، بعد وصول ألوكة الإخلاص، ومـألكة المحبة والاختصاص، أن تعرضوا مـضمونها إلى أُسْكُفَّة[1] السلطان الشريف المعـظم، صاحب المفاخر الهـاشميـة والشرف المكرم، الذى ورث المجد والسلطنة والمعـالى عن آبائه السلاطين العظام، وحـاز علو الشأن والمقام، سلطان الممالك المـغربية، صانها الله تعـالى عن كل مصيبة وبليـة، سيدنا السلطان حسن، وفـقه الله تعـالى إلى كل أمر حسن، وأدام سلطنـته وخلد ملكه آمين.

هذا ولاعتمادنا على العالم الـفاضل السيد إبراهيم السنوسى المعلوم لديكم، حملناه هذه الرسالة ليبلغها إليكم وليبلغ مـا يقتضى التبليغ شفاها باللسان وعليكم السلام فى المبدإ والختام، فى غرة شهر ربيع الأول الأنور سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

شيخ الإسلام ومفتى الأنام بممالك الدولة
العالية العثمانية حميت عن الآفات والبلية

السيد حسن خير الله عفا عنه مولاه»

---

(١) فى الوسيط: الأسكفة: عتبة الباب. ومن العين: جفنها الأسفل.

وأوفدت عليه الدولة البرتقالية (خسى دنيل كلاص) سفيرا مزودا بكتاب صادر من الملك لويز ونص الظهير الذى أجيب به بعد الحمدلة والحوقلة. . .إلخ.

«إلى المحب المعظم المحترم المفخم الملحوظ بتلاحظ الإيثار والاعتناء والاعتبار سلطان دولة البردقيز السلطان لويز.

أما بَعْدَ حمْدِ الله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، فقد وصل كتابكم لحضرتنا الشريفة منبئا بتوجيهكم المنيسطر العاقل خسى دنيل كلاص لحضرتنا العالية بقصد تجديد المحبة والمودة بين الجانبين المحبين، فقد ورد وقوبل بمزيد القبول والبرور، والاعتناء فى الورود والصدور، وتلاقى بجانبنا العالى بالله وشافه بما لكم من جميل الاعتقاد، ومزيد المحبة والوداد، وبما يزيد فى الصداقة والخير بين الإيالتين، والاتصال والموالاة بين الدولتين، ونحن معكم على معهود المحبة الخاصة التى توارثها الأخلاف عن الأسلاف، التى لا يعتريها شك ولا خلاف، ودمتم كما تحبون ممتعين بما يليق بكم مما تأملون وختم فى ١٦ شوال عام ١٣٠٦».

ولما مات الملك المذكور وجه لدولته سفارة يرأسها القائد محمد بن أحمد المؤذن السرغينى، ويعززه الأمين محمد بن عبد الرحمن بريشة، والكاتب السيد العربى المنيعى لتهنئة ملكها الجديد كارلوس الأول بتبوإ العرش، ودونك نص الكتاب الصادر فيها من الجلالة السلطانية بعد الحمدلة والحوقلة والافتتاح:

«إلى المحب الملحوظ بملامح التوقير والاحترام، والأثرة والاعتبار والاكرام، سلطان دولة البرطغال، المنعت بحميد الخصال، المعظم فى الأنفس، السلطان (كرلس).

أما بَعْدَ حمْدِ الله الكريم الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فقد بلغ لشريف علمنا، ما دعا إلى الهنا، وشيد فى القلوب ما بنى، وجدد للسرور أسبابا، وأزال

عن النفوس ارتيابا من حيازتكم لمكانة والدكم ورتبته وجلوسكم على منصة مملكته، وتشييدكم لأركان فخاره، وتعميركم لداره، وحلول الملك فى أهله، ولم يخرج عن فرعه وأصله لأن الأشجار لا تثمر إلا فى مواطنها، وأصناف الأحجار لا تنبت إلا فى معادنها، والعين لا يبصر فيها إلا سوادها، والأجساد لا تقومها إلا أرواحها.

وحيث كانت عهود المحبة بين الجانبين ملحوظة، وحقوقها مصونة محفوظة، اقتضى ذلك أن وجهنا خديمنا الأرضى الأنصح الأنجد الأصلح القائد محمد بن أحمد بن المؤذن السرغينى سفيرا إليكم بقصد تهنئتكم بهذه المسرة، لأنكم أحباؤنا نحب لكم دوام الهناء وخيره، وبعد أن انتخبناه من خدام أعتابنا الشريفة الراسخين القدم فى الخدمة خلفا عن سلف، ومن بيوتات المجد التى ليس فيها مختلف وحملناه ما يؤديه إليكم مما يكون سببا بحول الله لتأكيد المحبة، وزيادة المودة، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنجد الأنصح الأرشد الطالب العربى المنيعى، وبخديمنا الأرضى الأنجد الأمين الطالب محمد بن عبد الرحمن بربشة.

ونحن على يقين من أنكم تقابلون السفير المذكور ومن معه بمزيد المبرة والقبول، وتبلغونهم من الاعتناء غاية المأمول، وتصدقون السفير المذكور فيما حملناه، وفى كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالى بالله، من جميل الاعتقاد وكامل الوداد، مما يزيد محبة الدولتين تجديدا ورسوخا وتأكيداً ونحن معكم على ما كنا عليه أيام والدكم وأكثر من المحبة والصداقة التى لا تتبدل ولا تتغير.

ودمتم رافلين فى حلل التهانى، ممتعين بما يليق بكم من الأمانى، وختم فى ٢٢ من ربيع الثانى عام ١٣٠٧».

(خسى دنيل كلاص)

وفى هذا التاريخ نفسه بعث للملك المذكور ظهيـرا أجابه فيه عن كتابه الذى أرسله فى إقرار السفـير البرتقالى الذى كـان فى حياة سلفه على خدمـته التى كان عليها.

مع أميريكا:

وكانت له مع جمهورية أميريكا علائق ومراسلات، فمن ذلك كتاب الرئيس هارسون إليه منبئا بتأخير القنصل لويز عن خدمته بالإيالة السعيدة وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك سنة ١٣٠٧، ومن ذلك مـسطور الرئيس المذكور للجناب العالى منبئا بتوجـيه نائبه (فلكيز ماطيوس) الذى كان قـبل لويز ثم رجع بعده نائبا جديداً فى المملكة السعيدة مشـيراً فيه بحمايته فى مدة خدمته، وإعـانته على أمور التجارة بين الرعيتين، وجواب الحضرة الشريفة عن ذلك بالترحيب بالنائب المذكور والوعد بإحلاله مـحله من الاعتـبار والبرور، فى الورود والصـدور، رعيـا لتلك الإشارة وعملا بمقتضى المحبة والمودة بين الدولتين.

وسيأتى بـحول الله ذكر إباحتـه الوسق لهذه الدولة المريكانية مثل مـا أباحه لغيرها من بعض الدول.

مع البلجيك

وإليك نص ما كتبه لملك البلجيك ليبولد الثانى جوابا عن كتابه فى نعى ولد أخيه بعد البسملة والحوقلة والافتتاح.

«إلى المحب المعظم، الموقـر المحـتـرم، الملحـوظ بملاحظ الإيثـار والاعـتناء والاعتبار، سلطان دولة البلجيك الذى تأسـست محبته على أوثق المبانى، السلطان المفخم ليبولد الثانى.

أما بَعْدَ حَمْدِ الله الدائم البقاء، الذى لا يلحقه الفناء، فقد وصل لحضرتنا الشريفة كتابكم المنبئ بما أثر فى الخواطر، ووقع موقعا فى القلوب والضمائر، من ارتحال ولد أخيكم بريسبى مملكة بودين ولد الجناب السلطانى لى كنط والكنطيس دى فلندرت من هذه الدار الفانية، وانتقاله إلى الدار الباقية، وشربه كأس المنية، الذى تذوقه جميع البرية، فى التاريخ الذى بينتم وإعلامكم بذلك عالى جنابنا، لما ثبت لديكم من محبتنا، فلم تأخذوا من مصابه إلا حظكم، ومن الأسف عليه إلا نصيبكم، لأنكم أحباؤنا، فما يسركم يسرنا، وما يكدركم يكدرنا، وليخفف عنكم ما حدث من رزئه كون هذه الحياة السارية فى الجسوم، إنما هى مستعارة لا تدوم، وتنقضى لأجل معلوم، فلا حدث حادث بعد هذا بناحيتكم، ودامت السلامة من كل آفة لساحتكم، ولا زالت دولتكم بعين الاعتبار ملحوظة، ولا برحت عهود المحبة بيننا وبينكم محفوظة، وختم فى ٢٨ من ذى القعدة عام ١٣٠٨».

مع البابا

وأوفد على رئيس أساقفة النصرانية وحبرهم الأعظم البابا ليون الثالث عشر، سفارة يرؤسها القائد عبد الصادق الريفى، وفى معيته العلامة أبو العباس أحمد السكردودى أحد أعيان كتاب الحضرة الشريفة، وبرفقتهما «البدرى خوسى لرجونادى» الراهب الإسبانى بقصد تهنئته بعيده الخمسينى، وإليك نص الظهير الصادر فى ذلك بعد البسملة والحوقلة والاستفتاح.

«إلى المحب المعظم، المحترم المفخم، رئيس أساقفة الملة النصرانية الجالس على كرسى الحوارية، لقضاء الدعاوى الدينية، الذى اشتهر علمه وانتشر، البابا ليون الثالث عشر.

أما بعد حَمْدِ الله الذى لا إله إلا هو العلى العظيم، فمن المعلوم عند الناس، والخاص والعام من الأجناس، أن أسلافنا المقدسين ملوك المغرب كان بينهم

وبين الرهبان البابا ليون رؤساء الرهبنة الفرنسيسكنية مزيد المحبة، والمودة والصحبة، حتى إنهم كانوا أعطوهم الحرية وإباحة السكنى حيث النصارى، وكانوا يعاملونهم ويعينوهم على أمور دينهم، ونحن بحول الله على آثار أسلافنا رحمهم الله فى معاملتهم بذلك، واقتضى نظرنا الشريف إعلامكم أيها المحب بهذا لما ينهى من محاسنكم وفضلكم إلينا، ويتلى من شهرة وصفكم بالخير والحق والعلم لدينا، وبمزيد محبتكم وبمزيد صحبتكم فى المحبة المفخمة، سلطانة دولة إسبانيا المعظمة، وأن نعطوكم أمارة ودليلا على محبتنا ومودتنا، ونوجه لكم سفيرا من شريف حضرتنا كما يوجه سائر ملوك الدول سفراءهم لعندكم برومة ليحضروا عيدكم، ويهنوا جانبكم بما من به الله القادر عليكم من بلوغ فقاهتكم إلى خمسين سنة.

فاخترنا لذلك خديمنا الأرضى الأنجد الأنصح القائد عبد الصادق بن أحمد الريفى، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنبل الطالب أحمد الكردودى، وعينا لمرافقتهما الأساقفى البدرى خوسى لرجونادى كبير الرهبان الصبنوليين الذى هو عزيز عندنا لأنه رافق غير مرة سفراءنا للدولة الصبنيولية المحبة.

ونحن على يقين من أنكم تقابلون سفيرنا المذكور، ومن معه بمثل ما تقابل به مجادتكم سفراء الأجناس المحبين من الاعتناء والبرور، فى الورود والصدور، وتصدقونه فيما يذكره لكم عنا من المحبة والمودة، ودمتم فى سرور وهناء، ملحوظين بعين الاعتبار والاعتناء، وختم فى ١٢ من ربيع الثانى عام ١٣٠٥ ».

وحيث أتينا على كثير من علائقه السياسية مع ملوك الدول ورؤسائها بين التفصيل والإجمال، ناسب أن نذيل على ذلك ببعض الظهائر الشارحة لما كان يقع مع نواب تلك الدول من الأخذ والرد والمراجعة والمباحثة تتميا للفائدة وإظهاراً لما خفى، وبيانا لمكانة المترجم السياسية.

ونص أولها وهو يتعلق بدعوى مغربية على حكومة الجزائر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير.

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد اشتكى علينا مرابط اسمه ديدى الفيلالى بأنه كان قافلا من تلمسان فى شعـبان الفارط فى رفـقة وباتوا بماكورة من بلاد أولاد نـهار من إيالة الرومى، فهجم عليـهم قرب العشاء نحو ثلاثين من اللصوص وضـربوهم بالبارود، وقتلوا من أهل الرفقة رجلا من دادس وجرحـوا سبعة ونهبوا جميعهـا حتى الثياب كانوا ينزعـونها من ظهـور أهلها ما عـدَا البهـائم فلم يأخذوها، والذى ضـاع له ست وستـون مائة ريال عينا، وسلعـة قيمـتها خـمسمائـة ريال وثمانون ريالا، ولولده الصديق مائتان وعشرون ريالا، ولأخيه البـشير ثمان عشرة مائة ريال، ولرجل من أعراب تزيمى كان مضافا له خمسون ريالا.

واشتكى على حكامـهم وعلى خديمنا القـائد بوشتى بن البغـدادى، وكتب لهم أيضا فـجعلوا يواعدونه بالبـحث عن المفسدين وبالكتب لوالى الجـزائر ونحو ذلك، فلم يحصل على طائل، وهذه دعوى كبيرة لا تكاد تخفى عليهم لاسيما مع تكلم البـارود والقتل والجرح، ولا شك أن أهـل المحل هم المؤاخذون بما يقع فـيه منهم أو من غيرهـم، لأنه فى عهدتهم.

وعليه فنأمرك بالكلام مع باشادورهم فى هذه القضـية ليأمر حكامهم بالغرم له ولمن معه فى جميع ما ضاع لهم، والسلام فى ٦ صفر الخير عام ١٢٩٤».

ونص الثانى وهو متعلق بيهودى متفرنس:

«خليفـة خديمنا الأرضى الطالب محـمد بركاش وفـقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن يهـوديا من مكناسة الزيتون اســمه مير بن موشى كـوهين تعدى طوده وحده واستعمل فى الترامى على الناس والجسارة عليهم جهده، وصدرت منه

أفعال شنيعـة، وأمور فظيعة، وصار يتهدد على الناس بالحـديد ويبدئ فى الهجوم عليـهم ويعيـد، ومن جملة ذلك أنه هجـم على محـتسب مكناس، ودخل عليـه للمحل المعد للأحكام المخزنية هو ويهـودى آخر، وتهدد عليه وأغلظ له فى القول وسبـه وسب أصحابه وذلك بمرأى ومـسمع من جماعـة الناس، حسبـما تراه فى الشهادة طيه، فانظر هذه الأفعال الصادرة من اليهود، ومع ذلك يتظلمون ويتشكون بعدم وقـوع الحق لهم وعليه فنأمرك أن تعـرف باشدور الفرنصـيص بذلك وتكلمه بكفه وتأديبه على تجاسره على الحاكم المذكور، فإن الإغضاء عنه يجرئ أمثاله على التجاسـر على الحكام، ويؤدى إلى انحلال عرى الإحكام والسـلام فى ٢٦ جمدى الثانية عام ١٢٩٧».

ونص الثالث فى مكافأة فرنسا لبعض المغاربة بأوسمة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن نائب الفرنصـيص كتب لك بأن وزير الأمور البرانية بدولته أخـبر البـريزدان راى البوبلكان بما صدر من عـامل الدار البيـضاء وكبـيرى مرساها من الاعتناء، والوقوف فى إنقاذ بحرية البابور الفرانصيصى الذى حرث من الغرق، فوجه البريزدان المذكور نيشـانا من الذهب للعامل المذكور، ونيشانين فضة لكبيرى المرسى مجازاة على ذلك حسبما فى كتابه الذى وجهت مع نسخة مما أجبته به، وصار ذلك بالبال وها النياشين المذكورة تصلك فادفعها لهم، والسلام فى ١٩ من ذى الحجة الحرام عام ١٢٩٨».

ونص الرابع فى قضية المخالط لنائب إسبانيا:

«خديمنا الأرضى الطالب مـحمد بركاش وفقك الله وسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغ لعـلمنا الشريف أن رجلا مديونيا صهرا لـعامل مديونة تجرأ فبدا له فـابتنى قصرا وبداخله دارا بالساحل بأولاد جرار قـرب مرسى هنالك بينها وبينه نحو ربع ساعـة، وبينهما وبين مرسى الدار البيضـاء ثلاث ساعات، وحيث كان البناء فى ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الإضرار بالمرسى من وجوه لا تخـفاك مع كـون الساحل مـحرمـا لا يشغل ببناء، ولا بنزول ولا بنحـو ذلك حسبما هو معروف عند كل أحد، فـأصدرنا أمرنا الشريف بهدم ذلك البناء وإعفاء أثره، ثم ذكر لنا أن ذلك الـصهر له مخـالطة مع قنصل إسبـانيا بالدار البيـضاء، فكتبنا لخليفـة العامل هنالك وأسندنا له أمور الهدم وفق مـا صدر للمديونى ليكون على بصيرة فيمـا يعرض من الكلام مع ذلك القنصو، وأعلمناك لتكون على بال، وتتكلم مع البـاشـادور هنالك فى القـضيـة والسلام فـى ٢٩ محـرم الحرام عـام ١٢٩٩».

ونص الخامس فى شأن ورود أمير روسى للمغرب وما قوبل به من الإجلال والتكريم.

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كـتابك بأن خديمنا عـامل طنجة كتب لك بما فى كـتابه الذى وجهت من أن باشدور إسبانيا استكتـبه لحضرتنا الشريفة بأن ولد سلطان الموسك، ورد على يده قاصدا التوجه لحضرتنا العالية بالله، وذكرت أن لا خبر عندك به من وجهة أخـرى، وأنه ورد عليك هو وزوجته واستـفهمته عـن المقصود من وروده، فذكر أنه ورد بقصد الجـولان، وتلمحت منه أنه يريد زيارة جنابنا الشريف وأشرت بمقابلتـه بما يقابل به أبناء الملوك أمثاله، فـقد ورد وتلقى له كبراء الجـيش والعسكر وعامل البلد عند دخوله، وقوبل بما ينبغى أن يقابل به، وأكرم هو وزوجته.

وطلب التوجه للجزائر على آزمور، والدار البيضاء، والرباط، ومكناس، وفاس، ووجدة، فسوعد ومكن من مكاتيب لعمال المحال المذكورة والقبائل التى يمر عليها بالكون على بال منه، والقيام بشئونه مؤنة وعلفا وحراسة حتى يخرج من ترابهم وتوجه بسلام، والسلام فى ٢٧ صفر عام ١٢٩٩».

ونص السادس فى قضية إسبانى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأن باشدور إسبانيا ورد عليك بتقييد تضمن أناسا من الذين ضربوا الصبنيولى الهالك زيادة على العشرة الذين قبض عليهم أخونا مولاى إسماعيل محمد بن قاسم لتكتب بالقبض عليهم، وطلب منك بيانًا بأسماء هؤلاء العشرة فأجبته بأن من ليس فى تقييده من العشرة المشار إليهم يسرح، فأجابك بأن لا يسرح أحد منهم ذاكراً أن الولاة ما قبضوا عليهم حتى ثبت عندهم أنهم من الفاعلين وبأن يقبض على الأناس الذين زاد حيث ثبت عندهم أنهم من الفاعلين أيضا، ودار بينك وبينه فى القضية ما شرحته، من كونه لا يقبل الشهادات التى بلغه أن الولاة يجعلونها بفاس، ليدافعوا عن أنفسهم حيث لم يفعلوا ما وجب عليهم من القبض على الفاعلين فى وقته، ومن أن دولته تعين عليها طلب جعل القونص هناك ليحكم على من ورد منهم من تلك الناحية والتوصل بما فى شروطهم الذى من جملته سانط كروز، وافترق معك على غير خاطره.

ثم وجه لك على وجه السر ذاكراً أن دواء هذه الدعوى هو أن تكتب له بما فى النسخة التى وجهت من زجر الفاعلين، وعزل العاملين وعقوبتهما بأداء

عشرين ألـف ريال لهم، ويكون ذلك عاجلا من عند المخزن من غـير طلب منهم لذلك، ليجد ما يدافع به، وصار جميع ما ذكرته بالبال.

فأما ما أجابك به الباشدور عن تسريح من ليس فى تقييده من العشرة الذين قبض عليهم أخونا مولاى إسماعيل مع محمد بن قاسم من عدم تسريح أحد منهم ذاكراً أن الولاة لم يقبـضوا عليهم، حتى ثبت عندهم أنهم من الـفاعلين، فأولئك الولاة لم يتحقق عندهم حـينئذ تمييز الفعال من غـيرهم، وإنما ألزمنا نحن القبض على كل من تأتى لهم قبضـه ممن يظهر أنهم حضروا فيمـا وقع، حتى يقع البحث والاستفسار، ومن تحققت براءته من ذلك الفعل يسرح، ومن لا فلا.

وأما عدم فعل الولاة ما وجب عليهم من القـبض على الفاعلين، فقد قدمنا لك بيان عذرهم عن عدم التعجيل بقـبضهم وهو فراغ المحل من الجيش والعسكر، وفرار الحـاركين منهـما من الحركـة، وحصول الإرهاب والإرعـاب بذلك للناس، واشتغـال أهل الإرجاف وسفلة الناس بكثرة القيل والقـال فى جانب المخزن بما لا ينبغى، وطيشهم وتشوفهم للفساد، حتى إن بنى حسن والبرابر جعلوا أشياخ الربيع وألغوا خلائف عمالهم ولم يلتفتوا إليهم، وهموا بالمكر بهم، فأمسك الولاة بسبب ذلك عن القبض على الفـاعلين المشار إليهم خـشية أن تنشـأ عنه الفتنة من أولئك المرجفين، ويفضى الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك، لكون أهل المغرب مجانين لا يبالون ولا يتفكرون فى عواقب ما يفعلون، مع غيبة المخزن بسوس، ويتسع الخرق ويلومـهم المخزن على عدم الـتأنى فى قبـضهم، إذا لم يكـن عندهم علم وقتـئذ بحلولنا بمراكش.

والذى زادهم تخوفا وإحجاما عن القبض عليهم عاجلا هو ما عزروا به على حيلولتهم بين اليـهود والنصرانى الصبنيولى الذى كان تخـاصم مع اليهودى الجزار بحارة يهود فـاس، ولطخ بقضيته ولد اب محـمد حتى أدى ذلك لدفع ريال ٢٥٠ للنصرانى المذكور جبرا لخاطره.

وأما جعل القونص بالمحل المشار إليه، فما أجبته به من كون مطلب جعله لا خصوصية له فيه، وليس له فيه سوى فتح الباب لطلب غيرهم مثله، مع أن المحبة الكائنة بين الجانبين لا تقتضى ذلك، هـو غاية ما يجاب به على أنه لا ضرر علينا فيه نعم أسلافنا قـدسهم الله كانوا يتوقون منه لئلا يقع له مـا وقع لهذا النصرانى، وإلا فجعله بذلك المحل يكون وسيلة لجعلنا نظيره عندهم يقف على حقوقنا، حتى لا يقع ضياع فيـها كهذه القضية التى كـان لنا الحق فيها حسبمـا تقدم لك شرحه، وانقلب بالترهات والتلونات، وصار علينا.

وأما سانط كروز فـقد كتبنا لك فى شأنها صحـبة المهندس الموجه لك بما فى النسخة الواصلة إليك طيه،. فالعمل عليه، وأما العدد المذكور من الريال الذى أشار الباشادور بإعطائه لهم فى فصل هذه القضية فكثـير جداً لوقوع الفصل برفعه على يدك فى قضيتى النصرانيين المقتولين على وجـه الحرابة حياة سيدنا رحمه الله وفى مـدتنا، على أن هذا لم يمت كذلـك، ولما لا يخفـاك ما صـاروا عليه اليـوم من المساواة والعناد فى كل شىء فـيصير العـرف عندهم فى الدية عشرين ألفـا بعد ما كانت بخمسة آلاف، وفى هذا مـا جاوز الحد فى الضرر على أن أولئك ماتوا على وجه الحرابة بالحديد بخلاف هذا.

فتنبه، فالنظر فى العواقب من الواجب المتعين وحتى إن كان لابد من الزيادة فتكون على وجه السر مناسبة للعدد الواقع به الفصال سابقا فى قضيتى النصرانيين المشار إليهـما، والمبيضة المذكـورة التى وجهت هلا علق الفصال المذكور فـيها على تصديق قولهم أو على ورود من توجه من حضرتنا الشريفة لتحقيق القضية أو على توجيه أحد مـن قبلك على يد الباشادور، يحقق ذلك، وعلى كل حـال فالفصال الذى ظهر لنا هو ما بيناه لك والحاضر بصيرة، والله يعينك والسلام فى ٩ من ذى العقدة الحرام عام ١٢٩٩».

ونص السابع فى طلب نائب إيطاليا سجن محتسب طنجة وعزله:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن محتسب طنجة قبض على ولد امرأة عجوز مستخدمة بدار الطليان فى والده الدلال الفار بما بيده من حوائج الناس، فذهبت تلك المرأة عند المحتسب وأعلمته بأنها مطلقة من ذلك الرجل، وكافلة لولدها، وأبوه لا يعرفه فى شىء، وطلبت منه أن لا يؤاخذه بما هرب به والده ويطالب به ضامنه، فأمر بسجنها فبلغ ذلك للباشادور المذكور، فقام وقعد ووجه لك ترجمانه ذاكرا أنه إن لم يسجن المحتسب ينزل السنجق ويقطع العلاقات الرسمية، فأجبته بأن لا قدرة لك على ذلك لكونه فى خدمة المخزن، والذى يتأتى لك هو عزله ورفع القضية لحضرتنا الشريفة فقبل ذلك، وأشرت للعامل بعزله وتعيين من يقوم مقامه ريثما تعلمنا ثم ورد عليك الباشادور بعد ذلك وأكد فى سجن المحتسب ودار بينك وبينه ما شرحته إلى أن قبل منك أن تجعل له ذلك كتابة فأجبته بأن يكتب لك لتجيبه فكتب فأجبته بما فى النسخة التى وجهت مع كتابه لك، وأشرت بالتأمل فى كتابه لكونه لازال طالبا سجن المحتسب، وإن لم يسجن يقطع المعاملة وفيما ادعاه من عدم إعطاء الحق وما أجبته به من أننا موجودون لإعطائه، وصار جميع ما ذكرته وما تضمنه كتاب المذكور ونسخة جوابك له بالبال.

أما فعلك ذلك لسد الذريعة وتسكين الروعة فجميل وسديد لكن لا يخفاك أن الجرائم متفاوتة ومتباينة، وكذلك الأدب وكل جريمة لها أدب يناسبها وتعتبر فيها المراتب والخطط وأمر التولية والعزل مهم، فلا ينبغى الازدراء به والتلاعب، ويحتاج فيه إلى كثرة الكلام والمدافعة والمراجعة حتى ييأسوا، أو إذا وقع ونزل به أمر يكون على مقتضاه بعد مشقة وجهد جهيد.

كما يحتاج فيه فى بعض الأحيان إلى عزل مقابله كقضية الزمرانى بالصويرة وقونص الفرنصيص حياة سيدنـا رحمه الله وإلا فإذا كان كل من عرض لخادمه أو حارسه أو لامرأة أجنبية عنه كهـذه شيء مع حاكم من الحكام يعزل الحاكم بسببه، فإن الخرق يتـسع على الولاة وتفسد عليـهم ما هو جار من الأحكام على مقـتضاه وما هو جار على خـلافه، وكلهم يتشوفون لمثل ما أراده المذكـور ويطلبون المساواة فيه معه، ولهم الحق فى ذلك، وفى ذلك من فساد النظام فى جميع المدن والمراسى والبلدان ما لا يخفى، على أن مساعدتهم على مثل ذلك لا تتأتى.

وعليه فتأمل فى القضـية وانظر فيها بعين الاعتبار والإنصـاف، وفاوض فيها بعض الأجناس الذين تأمن إشـارتهم، وإن أشاروا باعـتذار المحـتسب للبـاشادور وبإبقائه بمحله فافعل، وإن أشاروا بعزله وتأتت لك ملاطفة الطليان فى إبقائه بمحله إلى أجل ولو إلى الوقت الذى يكون فيه بحضرتنا العالية بالله ويقع الكلام معه فى شأنه فافعل وإلا فوجهه لحضرتنا العـالية بالله غير مهان، والله يعينك والسلام فى ٢١ من شوال عام ١٢٩٧».

ونص الثامن فى ذلك أيضا:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كـتابك جوابا عمـا أجبناك به عن قضـية محتـسب طنجة مع باشادور الطليان، وذكـرت أنه لا يمكنك نقض ما جعلته معه كـتابة وإن لم يقتض نظرنا الشريف قـبوله نوجه من قبلنا من ينقـضه، ويفاصل قضـايا الطليان، وأنك كنت طلبت مثل هذا من سـيدنا الوالد قدسه الله حـين وقع لك شنآن مع النجليز والصبنيول، فوجه العاجى وفاصل القضيتين.

وعلمنا ما ذكرته من أنك ما أجبت عن القـضية المذكورة حتى تفاوضت مع باشـادور إسـبـانيـا لكونه ممـن تؤمن إشـارته وأطلعت على ذلك نـائب النجليـز فاسـتحسنه لكون الطلب المشـار إليه جار على مقـتضى الشرط الثـالث من شروط إسبانيا والنجليز والمحتسب صـدر منه تنقيص بالقول فى الباشادور، ولا يقع خرق ولا ازدراء بالولاة بإعطاء الحق فى القـضيـة ولو كان يقع ذلك بإعطائه لقـيل وقع لإسبانيا بإعطائهم الحق بعزل حاكمى مليليـة وسبتة، وأنك لا تتخلق بأخلاقهم أو تتبع أغـراضهم إلا إذا لم تجد سـبيلا ويعظم الأمـر، لأنك لا تريد أن تكون على يدك فتنة، ولو أن تقيها بنفسك وصار ذلك بالبال.

فأما توجـيه من بفاصل قضايـا الطليان فالكفاية فى الله ثم فـيك فمثلك لا يعدل عنه إلى غيره، أعاذك الله ويسـر للمسلمين على يدك كل خير، ودفع عنهم كل ضير.

نعم نريدك أن تجرد لنا قضـايا الطليان المذكورة عن آخرها فى تقيـيد وتوجيه لحضرتنا العالية بالله.

وأما مـا ذكرته من أنك لا تتـخلق بأخلاقهم. . .إلخ، فـإنا لا نظن بك إلا الخير والتخلق بأخلاق الشريعة والسنة النبوية، والسعى فى صلاح الدين قلبا وقالبا وحـتى إن رددنا عليك فى شىء فـإنما هو بحـسب مـا يظهـر لنا، ومـرادنا بذلك التوسعة عليك والتلقين، وإلا فليس من رأى كمن سمع.

فكن تراجع وتكرر المراجـعة، فـإن تكرارها منتج للمصلحـة والخيـر، وأما كونك لا تريد أن تكون على يدك فتنة فهـو كذلك بحول الله، وما ذلك على الله بعزيز.

وأما المحتـسب فسنجيبـك عنه بعد بما يشرح الله الصدر إليـه، والله غالب على أمره والسلام فى ٤ ذى العقدة الحرام عام ١٢٩٧».

ونص التاسع فى قضايا إيطالية:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وجهنا كاتبنا الطالب محمد الصنهاجي للغرض الذى طلبه باشادور الطليان وأمرناه بالكلام معك فى بعض القضايا كقضية اليهودى الذى مات بنتيفة وزعم ولده ما زعم لدى الباشادورات هناك، حتى طلبوا عزل العامل.

وكقضية المحتسب بطنجة مع المرأة التى عمد إلى ولدها وسجنه كفافا عن والده السمسار الذى فر بمتاع الناس، وما زعمت المرأة صدوره منه مما لم يرضه الباشادور لمنصبه، حتى طلب سجنه بعد ما عزل.

وكقضية اليهودى عمار مع كاتبنا الفقيه الصفار، الذى زعم لدى الباشادور المذكور أن الصفار لما وجده بالبلغة الصفراء الشبيهة بنعال المسلمين فى محل بأعتابنا الشريفة لم يعهد وصول اليهود إليه بالنعال، أمر برفعه ورميه على الأرض، وسبه وامتهانه ولتحقيق أمرهن لك وتقرير الواقع لك فى التى وقعت منها هنا بجنبه، وما دار فى غيرها زيادة فى التوسعة والاطلاع على ما هو نظرنا والمستحسن عندنا من أوجه فصال القضايا المشار إليها الذى لا يترتب عليه هضم بجانب المخزن ولا غموز، ولا ارتكاب شىء فى الدين لا يجوز، فخذ بيده، فيما توجه بقصده، وبصره فيه فإن المدار فى ذلك كله عليك لأنك أدرى بتلك الشعاب، ولا تخفى عليك فيها جادة الصواب، فقد أبليت فيما هو أعظم منها البلاء الحسن، وخرج أمره على وجه مستحسن.

فقف فى هذه كذلك، واصرف إليها عنان ذكائك ودهائك، حتى تخرج على وجه جميل سالم مما ذكر، ويذهب عمار بخفى حنين، عاثرا فى ذيل الكذب

والمين، والله تعالى يأخذ بيدك ويجعل عنايته من مددك، حتى تصير جميع الأمور المتعسرة، لديك متيسرة، والسلام فى ٢٥ قعدة الحرام عام ١٢٩٧».

ونص العاشر فى بعثة الفقهاء الموجهين لتصفح رسوم الدعاوى الإيطالية.

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن الطلبة الثلاثة الذين عينهم القاضى مولاى محمد رحمه الله لتصفح رسوم دعاوى الطليان وردوا لطنجة فى السادس عشر من شهر تاريخه فوجهتهم للباشادور وأعلمته بورودهم، فأجابك بانه لما كان بحضرتنا الشريفة وعد بأنه حيث يصل لطنجة يجدهم بها، وهذه شهران ونصف وهو بطنجة وأنه كان أعلم مخزنه بما وعد به من حضرتنا العلية بالله، ولا يريد المخالطة مع الطلبة الواردين حتى يرد عليه جواب مخزنه بما يكون عليه عمله، واستثنى فى كلامه أنه يطلب الفصال مثل ما وقع مع الفرنسيس والنجليز، وأنك تركت الطلبة المذكورين هناك حتى تنظر بم يرد عليه الجواب.

فقد توجه كتابنا الشريف للقاضى المذكور بانتخاب الطلبة المشار إليهم، والتعجيل بتوجيههم لطنجة بقصد ذلك والباشادور المذكور بحضرتنا الشريفة فى الوعد المذكور، والمدة التى يمكن وصول الباشادور فيها من حضرتنا الشريفة لطنجة، هى التى توصل الرقاص لفاس، ويتيسر فيها سفر الطلبة لطنجة، ولا تزيد وتنقص إلا بقليل.

وإذا وقع عذر للرقاص فى الطريق أو للقاضى فى تعيين الطلبة فذلك أمر غيبى خارج عن طوق البشر، ومقدوره، والعاقل لا يجهل هذا وتاريخ كتاب القاضى مولاى محمد فى القضية حكم يقضى به نعم من أراد تعكيس الأمور فلا

يعجزه ما يدافع به ويعتذر ويقول، فعرفه بذلك ولا يعوزك ما تجيبه به زيادة على ذلك.

وأما الفصال الواقع مع من ذكر فقد قرر له وشرح شرحا كافيا رافعا للشك والإبهام وهو بحضرتنا الشريفة، ولك أيضا فى جوابنا الشريف عن كتابك فى قضية محمد أحم القلعى، ففيه كفاية ولا يخفاك أن الدعاوى على قسمين: معاملة رسومية ومخزنية، أما الرسومية فلا حكم فيها ولا كلام ولا فصل لا معه ولا مع غيره بسوى الحكم والفصل المجعول معه فيها بحضرتنا الشريفة، وهو إحضار المواجب وتصفحها، وتمييز الصحيح منها والقريب من الصحة، والباطل فى تقييد كل نوع على حدته، وتبيين أسماء الغرماء وما على كل واحد منهم من المال فى ذلك التقييد ليوم عمالهم بإلزامهم فصال ما كان صحيحا من تلك الرسوم أو قريبا من الصحة، والقبض على من امتنع منهم من الفصال وبيع متاعه وأداء ما عليه من ثمنه، وكفى بك حجة فإن ما لا يحصى من الدعاوى تفاصل على يدك بذلك، وعندك نسخ من تقاليد ما وقع به الفصل منهم فيها ونظائرها عندنا وعند الباشادورات المتكلمين عليها ومن جملتهم هذا الباشادور، وهذا وجه مفروغ منه.

وأما المخزنية فهى بحسب الوفق والتراضى والمكايسة لا مساواة فيها ولا جبر، كدعاوى القتل والنهب والحدادة التى طلب الباشادور المساواة مع الفرنصيص فى فصالها أو ما علم أن الفرنصيص أبطل عددا من الدعاوى وسامح فيها هو منها من قبل الحدادة فى ستين ألف ريال على أنه لم يخرج معه فيما هو منها من قبل الرسوم عن حكمها المذكور، وحتى لو فرضنا الخروج عنه فلمصلحتنا ومصلحة رعيتنا لكون همنا وشغلنا كله فى النظر فى مصالحها وما يعود نفعه وخيره عليها والدفاع عنها، أفيفعل هو كذلك بقبض العشرة ويؤجل فى عشرة ويسامح فى الستين.

على أن الذى قبضه المذكور ليس من قبل الحدادة بل من قبل الدعاوى الواقع الفصال فيها على يداكار وكـذلك النجليز، مما ترتب له من الدعاوى سابقا بالشرط المذكور حسـبما فى النسخ من تقـاييد دعاويهما الموجـهة لك سابقا المشـتملة على الفصل المذكور، وهذا الفصال الواقع مع الباشادور الطليانى وأعطى به خط يده قد ارتضاه غـيره كالنجليز والمركـان الذى طلب من جانبنا العالى بـالله تكليف الطلبة المشار إليهم بتـصفح رسوم دعاويهم كمـا يتصفحون رسوم دعـاوى الطليان، وقد قدمنا لك أمرنا الشريف بتكليفهم بذلك.

والحاصل فلا تقبل منه فى فصال دعاوى إلا ما وقع به الاتفاق معه بحضرتنا الشريفة وارتضاه وأعطى به خط يده، وهو ما ذكـر أعلاه من تصفح الطلبة الرسوم إلخ، وإن أبى إلا غير ذلـك فحز منه خط يده بإبايته وأعلمنا، والطلـبة المذكورون يشرعون فى تصفح رسوم المركـان إذا لم يقبل الطليان ذلك وحزت منه خطه بعدم قبوله والسلام فى ٢٦ من شوال عام ١٢٩٩».

ونص الحادى عشر فى قضية تجارية مع الانجليز:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كـتابك بأن نائب النجليز ذكـر لك أن بعض تجار الوندريز لهم ديون على التاجـر محـمد بن عزوز الفـاسى الذى كان يتجـر بالوندريز تزيد على خمسة وعشرين ألف ريال، وطلب منـك فصال دعواه إما أن يوجه نصف الدراهم حالا ويعطى الضـامن فى الباقى وإما أن يأتـى لطنجة لمقابلة صـاحب دعواه على مقتضى الشروط حـسبما فى كتابه الذى وجهت، وذكرت أنـك لم تجد سبيلا إلى المدافعة عن ابن عـزوز لكونك لم تسمع عنه فى مدة تجارتـه ما يكدر لا فى تجارته ولا فى دينه، وهو كذلك أصلحك الله ورضى عنك، وقد أحضر المذكور وأمر بما

ذكر، فذكر أن الكنانيش المتضمنة للحسابات التى بينه وبين أولئك التجار بالصويرة وطلب التوجه لها بقصد جمعها والسـفر بها من هناك لطنجة بقصد مقابلة صاحب دعواه، فسوعد وأزعج للسفر وهو على جناحه، والسلام فى ٢٤ من شوال الأبرك عام ١٢٩٧».

ونص الثانى عشر فى شأن تملك الأجانب الأرض والدور:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـمن جملـة ما عثـرنا عليه فـى مكاتيب باشدور النجليـز لك التى وجهت أن الأجناس ما وافـقوا رعاياهم على أداء الصاكـة فى الأبواب وغيرها إلا بشرط أن تكون لهم الدور والأرضون حـسبما فى الشروط، وغيـر خاف ما يقضى إليـه الإذن لهم فى شـراء ما ذكـر من اخـتـلاط دورهم بدور المسلمـين فى المدن والمراسى وفسـاد الدين والملة بسبب ذلك، واتسـاع الخرق على الراقع، وقـد كانوا يطلبون ذلك فى حيـاة سيدنا رحمه الله فيـدافع ويعالج أمر ذلك على يدك، فكن كذلك الآن، واجعل أمر معالجتـه ومدافعتهم عنه من أهم الأمور وآكدها أصلحك الله وسددك والسلام فى ٢٥ من شوال عام ١٢٩٨».

ونص الثالث عشر فيما يتعلق بخروج الأجانب لحاجة طلبا لديونهم:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن البوزيادى أحد عمال حاحة أخبـر مسترعيا بخروج نصرانى اسمه التـاجر بروم النجليـزى من السـويرة قاصـدا بلادهم زاعمـا أن له بنمم أناس من إخوانه ديونا من المال والجرصة، مع أنه لا يعلم أن له على أحـد من إخوانه شيئا،

لأن ذمم أهل حاحة خربت هذه مدة وطلب كفهم عنهم كاليهود وإن كانت لهم دعوى على أحد منهم فرضا يوجهون وكيلهم على يدك برسم الدعوى واصلا ليدنا من المدعى عليه ليحضره للفصال ويقف بنفسه تبيينا للصدق من ضده، وتحريا لسلامة الفريقين.

وعليه فنأمرك لذلك، وليكن عملك عليه على أن قبيلة حاحة الآن لا يسلكها عاقل ولا يسأل أهلها سائل لأن المسغبة بلغت فيها حدها حتى حرجت صدور أهلها وضاقت البلاد عنهم وهلكت مواشيهم ونفذ قوتهم، واشتدت فاقتهم، فلا ترى بها إلا من القترة بادية على وجهه، والفقر بين عينيه فعلى الرفاق اليوم يخشى سلوكها أخرى الفرادى.

فلا بد أشع هذا الاسترعاء والعاقل يحذر على نفسه قبل حصول الداء على إن إخوان الشاكى هم أعظم جبالة حاحة، وإن كانت حاحة كلها جبالا فهى كلا شيء بالنسبة لإخوان الشاكى مع زيادة عدم جريان الأحكام فيهم على مقتضاها وكون الخاطر بها مخاطرا لإحراجهم بنفاد ما عندهم، حتى صار الاغتيال لقلوبهم مخاطرا وسبع الغلاء فى وجوههم كاشرا.

والسلام فى ٥ قعدة الحرام عام ١٢٩٩».

ونص الرابع عشر فى القبض على كرتيس الإنجليزى المشار له سابقا المتعاطى للتجارة مع قبائل سوس بغير إذن:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فكرتيس النكليزى الخارج ببابور القوت بالسواحل السوسية شارعا فى بيعه لفساد تلكم القبائل، وكتبنا لك فى شأنه سالفا قد وقع القبض عليه الآن،

وهو ونصـرانى آخر على يد ابـن عمنا مـولاى الكبيـر بن مـحمـد بن سليمـان، ووصيفنا الطالب بوعزى السريفى أحد خـلائف سوس، وخديمنا القائد محمد بن الطاهر الدليمى قائد الارحى، فـأمرناهم بدفعه لعامل تزنيت يوجهـه لخليفة أكادير يوصله لعـامل السـويرة يمكنه بيد قـونصـوهم، بعد أخـذ خط يده بتـوصله به، والاستـرعاء عليهم بأنهم إن عـادوا لمثل ذلك فأصيـبوا فى أموالهم أو نفـوسهم، فدركهم على رءوسهم وخـسارتهم بهم خاصة ومصيبتـهم عليهم قاصرة وأعلمناك لتكون على بال من ذلك فتعلم به الباشادور وتسترعى عليه بنحو ما شرح صدره، والسلام فى ٢٩ جمدى الثانية عام ١٣٠٠».

ونص الخامـس عشر فى الـقبض على صـاحبى المذكـور وتوجيـه الأقوات لسوس وإنشاء مرسى بها:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد أخبـر خديمنا القـائد أحمد بن مـحمد العـبوبى السـرغينى أن كرطيس وجه صحبـة صاحبيه الحاج محمد بوشيـخه الصويرى والجيلانى بن على الصويرى كتـابا لقبيلة اصبـويا ومستى بأن يشدوا عضـده ويقفوا فى كلمتـهم معه ويحفظوا مـا تركه بالزريبة المدورة بالحجـر التى كان جعلها بمرسى اركـسيس حتى يقدم عليهم بحرا، فقبض عليهما وأحـصى ما بتلك الزريبة ووجه لحضرتنا الشريفة زمامه الواصلة إليك نسـخة منه طيه، فأمرنـاه بتوجيه المسجـونين المذكورين لأخينا مولاى عـثمان يجـعلهما بالسـجن، وبحيازة مـا تضمنه الزمام المذكـور على وجه الكطربنض.

وأعلمناك لتكون على بال من ذلك وتعجل بما قدمـناه لك من اكتراء مركب وتوجيهها لمرسى اركسيس واسقـة للألف خنشة من الشعير، ومثلها من البشنة من

مرسى الجديدة ومرسى الدار البيضاء الصادر أمرنا الشريف لخدامنا الأمناء بهما بأن يشترى كل منهم نصف العدد المذكور ويوجه معـه نائبه يبيعه بالمحل المذكور يداً بيد لا بالطلق بالثمن الذى يجعلونه له على نسبة ما اشـترى به وما صبر عليه، بحيث لا يربح فيه المخزن شـيئا زائدا على رأس ماله الذى دفعه فـيه، ولا تقع له خسارة فى شىء منه كما تعجل أيضا بأمـور المرسى المراد إنشاؤها هناك المتقدم لك الكتب فى شأنها، وتجـعل ذلك كله من أهم الأمور وآكدها، وتصرف إليـه وجه الاعتناء لينقطع به التشوف لتلك المراسى، وتحصل السعـة للقبائل المجاورين لها لكونهم لا زالوا فى غاية الاضطرار للقوت وغيره.

وقد أمرنا خديمنا العـبوبى بأن يعجل لتيسير مـحل صين متصل بمحل نزوله باركيس لوضع القـوت المذكور فيه وجـعل العسة عليـه والوقوف مع نائب الأمناء المذكورين فى بيعه مناجزة، وأعلمناك لتكون على بال، وأيضا فلابد أخبرنا بما كان من أمر ما اشتـهرته من الاسترعاء على الذاهبين لنواحى سوس افـتياتا وهل كتب فى تواريخـهم وظهر له أثر أم لا، لنـكون على بال من الكلام فيـه أو عدمـه مع الدول، والسلام فى ١٠ رمضان المعظم عام ١٣٠٠».

ونص السادس عشر فى إبطال دعوى قانونية التجاره مع سوس:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن باشادور النجليـز كان تكلم معك فى شان كرطيس زيادة على ما فى كتابه الذى وجهت من أن كبـانية سوس أخبرت دولتهم بأن إنزال كرطيس القوت بمرسى اركسـيس كان بموافقة وصيفنا بوعـزة السريفى، وأن المتوجه من حضرتنا الشريفة لتلكم النواحى عام أول لم يتعرض لكون تلك التجارة مخالفة للقانون، وقال لكرتيـس فيما ضاع له هناك حيـث أنزله على الوجه المذكور، وأن

الحاج حمدان والجيلانى نائبى كبانيتهم اللذين وجهتهما لسوس يقبضان ديونهما وقبض عليهما لا درك عليهما يوجب قبضهما، حيث هما عند أمر الكبانية وأنه يطلب تسريحهما فلم يقبل منه ذلك، وأجبته عنه بما شرحته، فأكد فى البحث فيما تقول على المذكورين، ذاكراً أنه إذا لم يصدر البحث فيه يتبدل نظر دولته فى كون نزول كرتيس هناك خارجا عن القانون حسبما فى كتابه المذكور وطلبت أمرنا به وإعلامك بما ينتجه لتجيبه به.

أما خروج كرتيس بمرسى اركسيس وإنزاله القوت بها فلم يكن بموافقة بوعزة السريفى قطعا وإنما كان بموافقة فساد قبيلة آيت بوعمران كالسباعى وأضرابه، وبنفس خروجه ووضعه القوت بها طير لنا الإعلام بذلك السريفى، فأمرناه بالاحتيال عليه وقبضه وتوجيهه للصويرة على يد عامل آكدير، ولما سمع أعيان آيت بوعمران وكبراؤهم بخروجه توجهوا لعنده وطالبوه بإذننا الشريف له فيه، فاستظهر لهم بكتاب مزور بأننا أذنا له فى جلب القوت وبيعه لتلك القبائل فسكتوا عليه.

وبحثوا فى ذلك الكتاب فألفوه مزورا وهموا بالفتك به، بمن معه، فخشى السريفى من درك ذلك لتأكيدنا عليه فى عدم النداء فى القبيلة بترك التعرض له وعدم مسه بسوء، فظنوا أن ذلك بإذننا وتأخروا عن الإيقاع به وبمن معه، وطير لنا الإعلام بذلك، فأصدرنا أمرنا الشريف له ولقبيلة آيت بوعمران بالضرب على أيدى أولئك الفساد المجتمعين عليه والقبض عليه وتوجيهه لعامل الصويرة على يد عامل آكدير، ووجهنا من حضرتنا الشريفة الموجه المشار إليه وأمرناه بالاحتيال عليه حتى يحصله.

ولما سمع بقدومه فرّ للبابور حتى يذهب ويرجع للبر، فكان من جملة احتيال الموجه عليه حتى حصله قوله كن مطمئن البال، وهذا بعد أن قدمنا لك

الإعلام وللباشادور بخروجه ووضعه للقوت بتلك المرسى، وبما عزم عليه آيت بوعمران من الفتك به، وأمرناك بالاسترعاء على الباشادور، فوجهت لحضرتنا الشريفة نسخة من استرعائك عليه، وأخرى مما كتبت به للتاجر فلمنك ليجعله بالكازيطة بالوندريز، وذكرت أن الباشادور أجابك بأنه غير موافق على فعل كرتيس، وأشار بإلزام أولئك الناس بالإتيان به للصويرة، وفهمت من كلامه أن هذا الأمر خاص بأوامر المخزن، وأنهم لا يكونون حراسا لسواحل سوس التى هى من هذه الإيالة حتى يمنعوا نزول الكطربنض فيها.

وأن المخزن يجعل الحراس مثل ما هو فى غير تلك السواحل، ومن عثر عليه هناك مشتغلا بالكطربنض أو غيره فيحاز الكطربنض ويدفع المشتغل به لقونصوه، ليجرى عليه الحكم الواجب بمقتضى الشروط، ومكاتيبك بذلك مع مكاتيب الباشادور ونائبه بعدم موافقتهما على توجه كرطيس لتلك السواحل السوسية، وتكليفهما قونصوهم بالصويرة بالاسترعاء عليه تحت اليد.

والحاصل فادعاء كرتيس موافقة السريفى له على إنزال القوت باركسيس وإشارة الموجه له بما ذكر واضح البطلان، لا يحتاج إلى بحث ولا إلى إقامة دليل وبرهان، ومراده بالادعاء بذلك ستر خرقه للشروط بالخروج للمرسى المذكورة وتعاطيه التجارة بغير إذن المخزن، والتلبيس على الكبانية، وتغطية تضييعه لمتاعها ببيعه بالطلق لأناس بلغت فيهم الفاقة والخصاصة حدها لا ترضى ذمتهم فى قيراط، فإن المخزن الذى له الحكم عليهم لم يبع لهم بالطلق، وإنما باعه لهم يدا بيد.

وحتى لو فرضنا أن السريفى له فى ذلك وكذلك الموجه، فإن وسق القوت للمراسى المستخدمة لا يكون إلا بإذننا الشريف لا بإذن الولاة وأحرى المراسى الغير المستخدمة التى بطرف الإيالة ومن أذن له فى الإتيان لهناك قبل أن ينزل وأما

المذكوران فيهـما اللذان حثا كرطيس على التوجه لسواحل سـوس، وطمعاه ودلياه بغرور وتوسطا بينه وبين فساد آيت بوعمران ولاقياه معهم وتوجها معه، وكان يبيع الكطربنض على يديهمـا، ولم يقتصرا عليه، بل حـرضا غيره من التجـار وطمعاه حتى توجـه لتلك السواحل ولم يحـصل على طائل ومشـتغلان بالخـوض فى أمر المعادن التى بتلكم السواحل، وهذا هو موجب القبض عليـهما، والباشادور ودولته لا يوافقان على تسريحهما حيث هما على هذا الوصف.

وعلى كل حال فـقد قبلنـا شفاعة الـباشادور - فى تسـريحهمـا على شرط ضمـانته أن لا يعودا لما كانا عليـه من إدخال الكطربنض والخوض فى أمـر المعادن والسـعى فى الغيـار بين الدولتين، وأن لا يتـوجهـا لتلكم الناحيـة وإن وقع ونزل وتوجها لها يقـبض عليهما ولا يتكلّم فيهما البـاشادور، والسلام فى ٧ ربيع الثانى عام ١٣٠١».

ونص السابع عشر فى شأن سلوك قنصل البلجيك بالبيضاء:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد فـقد وصلنا كتابك جـوابا عما كتـبنا لك به فى شأن اشتغـال قونص البلجيك بالدار البـيضاء بإدخال الناس فى الحمـاية، وذكرت أنك كلمت باشدوره فى ذلك وتغـير منه وكـتب للقـونص المذكور بالتـوبيخ على مـا صدر منه وأمـره بالوقـوف عند حـده، وترك الخـوض فيـمـا لا ينبـغى له، وذكـر لك أن الأناس المذكورين ليسـوا فى الحماية ولا يقبلهم، وأن مـخالطتهم مع الترجـمان من جملة مخالطة الرعية على العـادة، وصار ذلك بالبال أصلحك الله ورضى عنك والسلام فى ٧ جمدى الأولى عام ١٢٩٦».

ونص الثامن عشر فى مطالب سفير أميركا مع أجوبتها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك فى شأن دعوى سرقة دار نائب الماركان بأنك استكتبت فيها الباشدورات ٤ الذين سميت لدولهم لتكتب فى شأنها لدولة المذكور، فكتبوا لدولهم على وفق مرادك عدا باشدور الألمان تأخر عن الكتابة لدولته للمصلحة التى تبينت، فقد أصبت فى مباشرتك لذلك معهم أعانك الله، وبأنك تحققت أن صاحب الدعوى مراده الضرر لبحثه فى الدعاوى التى لا بال لها المبينة بطرتة، وادعائه أن عدم تيسير ما يطلبه من ذلك كله إهانة له ولجنسه، ومن جملة ما يطلبه ما قدمت الكتب به لجانبنا العالى بالله من الإنعام على دولته بتسريح وسق الثيران كغيرها من الدول المنعم عليها بذلك، فأما ما يحاوله من المضرة فوقاية الله تقى شره، وعنايته سبحانه تكفى أمره، وأمر كل ذى سعاية فى الإضرار والإذاية.

وأما دعوى المسجون الذى عند المديونى فقد كتبنا له ببيان موجب قبضه عليه، وهل تقدمت له مخالطة مع خليفته كما زعم أم لا، وعلى فرض أنها تقدمت له فهل كان قبضه عليه فى حالها أو حتى افترقا ولم تبق بينهما مخالطة ليظهر ما يكون فى ذلك.

وأما دعواه التى بالعرايش فبينها لنا ليقع البحث فيها، وإن ألفيت ثابتة بموجب تفصل.

وأما دعوى غنم عبد الله الشبلى فقد كتبنا لخديمنا عاملى الغرب ببيان موجب حيازتها وبردها له إن لم يكن موجب لها.

وأما عدم تيسير أخينا مولاى إسماعيل والعمال الأمور التى كتب لهم عليها فقد أصابوا فى ذلك لأنهم لا إذن عندهم فى مكاتبته ومباشرة الأمور لا معه ولا مع غيره، وإنما الإذن عند العمال فى الكتابة لك فيما لهم من الدعاوى بإيالاتهم، وحيث خالف القانون فى ذلك وهو الكتب لك بتلك الأمور لتكتب لهم أو لحضرتنا الشريفة بها وكتب لهم هو فى شأنها فذاك جزاؤه.

وأما الإنعام على دولته بتسريح وسق الثيران، فقد كنا وجهنا لك ظهرا به طى جوابنا الشريف لك عن ذلك الموجه لك فى مهل جمادى الأولى الفارطة على يد خدامنا أمناء مرسى الجديدة، وها نظيره يصلك طيه فادفعه له إن لم يصلك الأول، وإلا فرده إن وصلك، وبأنك غير متساهل فى أمر هذا النائب لتخبرك بورود مكاتيب له من دولته تعده فيها بتوجيه ما ذكرته للوقوف على دعاويه أخذ الله بيدك، وجعل إعانته وعنايته من عددك، وبأنك تطلب من الله أن يكفى شره وشر غيره فأقول اللهم آمين آمين آمين والسلام فى ٣ جمدى الثانية عام ١٣٠٠».

وهذه الدعاوى المبينة بطرة الظهير الأصلى:

«دعوى مسجون عند المديونى هذه نحو الأربع سنين كانت له مخالطة مع خليفة نائب المركان بالدار البيضاء. ١

ودعوى للنائب المذكور بالعرايش كتبت بفصالها مرارا وذكر الآن أنها لا زالت لم تفصل. ١

وشفاعته فى عبد الله الشبلى المعروف بشوبية الملازم باب داره مدة تقرب من السنتين الذى ذكرت أن غنمه حيزت بغير سبب وكتبت فى شأنه لحضرتنا الشريفة ولعمال الغرب مرارا. ١

وأمور كتب عليها لأخينا مولاى إسماعيل وللعمال فلم ييسروها له». $\frac{١}{٤}$

ونص التاسع عشر فى إباحة وسق الثيران من المغرب لأميركا وشروطها الأربع:

«يعلم من كتابنا هذا أسمى الله قدره. وأعز أمره. وجعل فى الصالحات طيه ونشره. أننا أنعمنا على دولة الماركان بتسريح وسق ستة آلاف رأس من الثيران فى كل سنة لعسكرهم ومراكبهم مثل ما أنعمنا به على بعض الأجناس، على أن يؤدوا فى صاكتها مثل ما يؤديه غيرهم وهو خمسة ريال لكل رأس، وعلى شرط أن يكون وسقها من مرسى طنجة، وعلى شرط أنه إن كملت السنة وبقى لهم شىء من الستة آلاف يلغون وسقه ويتركونه أصلا فى السنين التى بعدها، وعلى شرط أن يسقوا ذلك لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم يبيعون ويشترون فيه، فنأمر خدامنا أمناء مرسى طنجة أن يسرحوا لهم وسق ذلك على الشروط المذكورة والسلام فى ٤ جمادى الثانى عام ١٣٠٠».

وقد كان بعض الأجناس تقدم للحضره الشريفة بطلب هذا الوسق، فوجهت الاستشارة فى ذلك لخواص الأمة من أهل فاس علمائها وتجارها ومرابطيها وغيرهم، فأجاب كل بما أداه إليه نظره حسبما أفصح عن ذلك هذا الظهير الشريف الصادر لباشا فاس جوابا عن كتابه فى المسألة وهو العشرون مما سبق:

«وصفينا الأرضى الأنجح الطالب عبد الله بن أحمد وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد وصل جوابك عما أصدرناه استشارة لأهل فاس، فيما استظهرنا المساعدة عليه لبعض الأجناس. من تطليق وسق ما طلبوه على ما قرر لكم من الشروط، التى اعتبار المصلحة فيها بقيد الاختبار منوط، شارحا ما ظهر منهم عند عرضهم عليهم من الاضطرار الدال على تخليص مناهلهم من كدر الاغترار، ومعلما بتوجيه الرسمين المضمن أحدهما لجواب كل عصبة من طوائفهم المتيامنة،

والآخر لجواب أهل الزاوية الكبرى مع الزراهنة، مع تقـييد فى ذلك خاص لعلماء فاس إلى آخره فأمـا تقييد العلماء فوصل، وبإقبـال نظرنا السديد اتصل، وقد أدوا فيـه الواجب تذكيرا ونصـحا، وصدعـوا من الحق بما شيدوا به فـى منهج الهداية صرحا.

وأما الرسمـان فطولع بهما علمنا الشريف كـذلك. واستوعب النظر فيـهما بطرق الاستقراء ما هنالك. فأعربا عن مضمن المشـهود عليهم بوجه يستوفيه ومزر حكم اهتمامهم بنتيجة الاستشارة فأما أهل. . . فقد أحسنوا فى إشارتهم بأن يكون وسق ما أشير له من المراسى فـقط، دون المدن والبوادى مع عدم التمكين من. . . لأحد وأدوا بذلك واجب النصيحة، عن عـزائم صحيحة، ولا غرابة فى ذلك، إذ ليس من رأى كمن سمع، فـجزاهم الله خيرا، وكذلـك المرابطون والتجار مع من خص إحضاره من أهل الحومات الذين نَحَـوْا نحو أهل. . . مع استظهار المرابطين نصب وكـيل بالمراسى، وعدم الضـرب على يده وزيادة التجـار عدم التـمكين من الحيوان مطلقا، واستدراك البـعض منهم تحديد ما يوسق من الحب بمقدار لا يجاوز حده، وتنبـيه الحاج أحمد المراكـشى على تقييد الـتسوق فى أشهر العـام، بحيث يكون غير مجحف بالرعية فجزى الله الجـميع خيرا. وعاملهم بمقتضى نياتهم سرا وجهرا.

وأما الشـرفاء العلويون ومن بعـدهم من أهل النسبة مـع المقدم الرامى ومن تلاهم من الأمين المقرى، والحـاج أحمد الرايس وأرباب البصـر ومن نحا نحوهم فى رد الأمن إلينا فيما أبدينا استظهاره والموافقة والاقتصار عليه من نتيجة استشاره، فقـد أدوا فى ذلك من الواجب بعضه. حـيث لم يشيروا بمقـتضى سبـر الأمر مع مسهم نبضه.

وأما أهـل زرهون. فمن قـبيل هؤلاء غـير أنهم مـعذورون. إذ لم يبلـغوا مبلغهم فى الذكاء. والحذق والدهاء.

على أننا ما زلنا ولا نزال بحول الله نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذود عن الرعاية عقربها بسماك رامح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد، ويغنينا عن أقيستى التدبير والاستعداد، آمين.

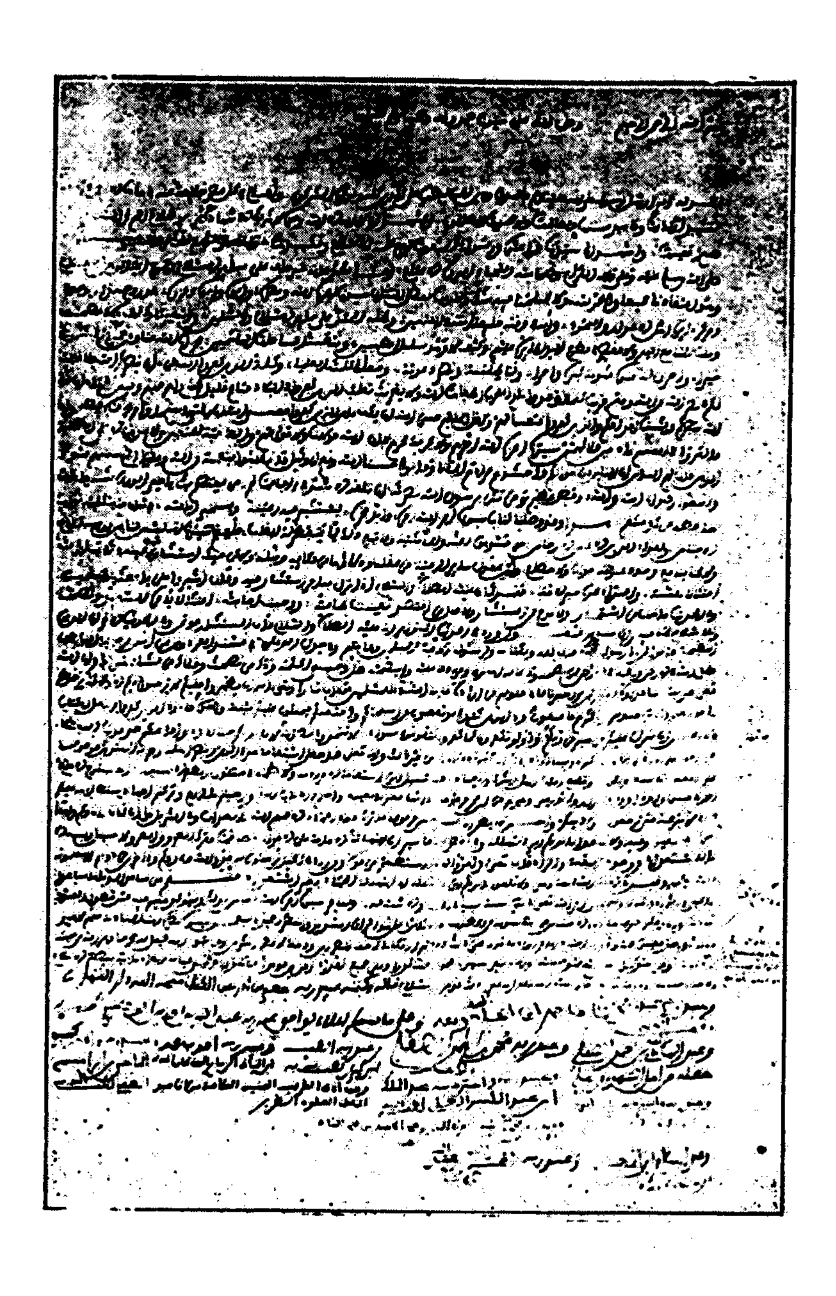
وها جواب العلماء عما كتبوه يصلك صحبته والسلام فى الثانى والعشرين من رمضان المعظم عام ثلاثة وثلاثمائة وألف».

وقد كان جواب العلماء يقضى بعدم الإسعاف والإسعاد مع تفويضهم له وتصريحهم بأنه: ليس لهم بين يديه كلام، ولا لهم مع وجود عزته جواب ولا خصام، وأين عقول سائر الرعية من عقله، وذكاؤها من ذكائه ونبله، وأمضاه منهم نحو الستة عشر منهم، وهو أولهم أبو محمد جعفر الكتانى، وأبو عبد الله حميد بنانى، والمولى عبد الهادى الصقلى، وأبو العباس ابن الخياط، وأبو عبد الله محمد ابن رشيد العراقى، والفقيه المختار بن عبد الله وغيرهم وجوابهم بخطوطهم بخزانتنا.

فلما اتصل جوابهم بصاحب الترجمة بعث لهم بالجواب عن ذلك بما نصه وهو الظهير الحادى والعشرون:

«الفقهاء الأرضين المبرزين من القضاة والعلماء بفاس، الحماة الهداة الذين للعامة من مصباح مشكاتهم اقتباس، وفر الله جمعكم، وصان من كدر الحوادث نبعكم، وشكر سعيكم، وأدام لصالح العمل هديكم، وسلام الله عليكم ورحماته، وتحياته وبركاته.

أما بعد: فقد وصل ما قيدتموه فيما استشرتم فيه من تسريح ممنوع الوسق وذكر أن الحيوان لبعض الأجناس المقررة لكم شروطه المبنية من الاختبار والاحتياط على أساس، ناهجين فى ذلك منهج حكم الكتاب وصحيح الأخبار، على سبيل



جواب علماء فاس لمولاى الحسن فى قضية الوسق

الإطلاق الذى لا يخلو فيه لقيود المصلحة اعتبار، مستظهرين كون منعهم من ذلك إن اقتضاه النظر أولى من الإسعاد، ولو أفضى لعقد مدة تنقضى لتمام حصول القوة والاستعداد، لصدور ذلك منكم عن عقائد أمسك الإيمان زمامها، وعزائم جردت بيد التوكل حسامها، فأوريتم بذلك زنادا، وناجيتم به فى مسرح الضمائر مرادا.

إذ هو فى الحقيقة إفصاح منكم بالواجب، وصدع بأمر الله الذى ليس للعزائم عنه حاجب، فقمتم فيه بلازم الوظيف، وتخلصتم ببثه من وعيد الكتمان المقرر بالذكر المحكم والحديث الشريف، وأديتم بذلك واجب النصيحة التى هى عنوان صدق العقيدة، وعضد الإيمان الذى به يمنح المفاز مقليده.

على أن النصيحة شرط فى البيعة وفرض على كل مسلم، فكل قلب خلا من كوكبها المنير مظلم، لما أخرجه الشيخان عن جرير، قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت أبايعك على الإسلام فشرط على و النصح لكل مسلم... إلخ. وقوله ﷺ فيما أخرجه الطبرانى «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم»، وتنبيهكم على الحمل على مراجعة الدين، والتفصى مما ينافى سنة سيد المرسلين، أتيتم فيه بحق التذكير والموعظة، وطرد سوام التوانى عن الهمم المستيقظة.

إذ التساهل فى اتباع السنة رأس المهالك، وداعية النوائب التى تضيق بها المسالك، لقوله ﷺ لكل عمل شرة ولكل شرة فترة، فمن كانت شرته إلى سنتى فقد اهتدى، ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك، على أن من صلح فبهداية الله، ومن أساء فذلك فى الحقيقة ابتلاء بطريق العدل من مولاه، فكلا العملين بإلهامه وتوفيقه، وكل يعمل على شاكلته وطريقه، لقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [سورة الشمس الآية٨] ولقوله ﷺ: فيما أخرجه الطبرانى: «اعلموا فكل ميسر لما خلق له، من خلقه الله لواحدة من المنزلتين وفقه لعملها».

وإننا لمزيد عنايتنا بالرعية وشفقتنا عليهم لنتحمل السهر لتنام أجفانهم، ونرضى بطول الكد لتستريح فى الآجل ولدانهم، ولا نألوا فى إرادة الخير بهم جهدا، وإقامة معالم السنة فيهم هديا ورشدا، حيث استودعنا الله إياهم، واسترعانا صغراهم وجلاهم.

وفيما أخرجه الإمام مسلم: ما من أمير يلى أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة. فلا نهمل فى تدبيرهم نصحا ولا نهمل بحول الله ما يثمر لهم نجحا، ويمرد لهم من قوارير العزة صرحا.

وقد أخذتم فى اهتمامكم بالمتعين، إحكاما لعمل وظيفكم المعتاد وأداء لما طوقتموه من شد عضد الهداية والإرشاد.

هذا ولما كانت المصلحة فى هذا الوقت اقتضت ما استشرناكم فيه، وأوجبت بطريق النظر تسكين ما ينافيه، قدمناه ريثما تقترن طوالع العزم إن شاء الله فى بروج سعده، ويأتى الله بالفتح من عنده، وما زلنا ولا نزال بحول الله نصرف العوارض ما أمكن بنظر الرعاية والمصالح، ونذود عن جانب الرعية عقربها بسماك رامح، والله نسأل أن يجرينا على ما تعودناه من المعونة والإمداد، ويغنينا بتدبيره عن أقيسة التدبير والارتصاد، والسلام فى ٢٢ من رمضان عام ١٣٠٣».

وقد أحسن فى تأييد ما فعله المترجم العلامة الحسن بن عبد الرحمن السملالى فى كتابه الفتوحات الوهبية، فى سيرة مولانا الحسن السنية، وأبدى فى ذلك فِكْرَةَ اقتصادىٍّ ماهر إذ يقول: فمن تأمل ما عمله أمير المسلمين من موافقته لبعض أجناس النصارى على ما طلبه منه من تسوق الحبوب، وذكر أن المباح من الحيوان ومساعدته له مدة محدودة بثلاثة أشهر فى السنة على شرط الخصب بعد بذل جهده نصره الله فى المدافعة خمس سنين فأكثر، ومخالفة رأى مَن أشار له بالمنع تأمل منصف مريد لجماعة المسلمين خيرا وجد ما عمله نصره الله أسد الآراء

وأصوبها وأنجحها وأصلح لأهل الإسلام وأنفع بكل اعـتبار بل ببعض اعتبار يكون واجبا لمصلحة عامة لما فيه من جـبر ما نقصه العدو من شقيق الروح الذى هو المال بالخرابات التي لا تعـود على من استعملها إلا بالندامـة، ولا ترجع لفائدة، والمال هو الذى تقوم به الدول ولا غنى للمملكة عنه والمسلمون لا سبب لهم يردون به ما خـرج من يدهم إلا بذلك، وذلك يخلف ويعـوض فى كل سنة عادة عـودها الله لخلقه.

فأنثى الحيوان منها ما تلد مـرتين فى السنة وهى النعجة والمعزة ومنها ما تلد مرة وهى البقرة.

والحبوب تخلف كل سنة إلا فى المسغبة وهى قليلة، ومع قلتها لا تعم، فإذا أجدبت جهة تخصب أخرى دعوة سيّـد البشر ﷺ لأمته بقوله: دعوت ربى أن لا تصيب أمتى سنة عـامة فأعطانيها، فـالعاقل من يدفع ما يخلف ويعوض فـيما لا يخلف ولا يعوض إلا من الخـارج، إذ لا معادن للـمسلمين ولا للعـدو المجاورين لهم، وإنما يجلبـون الذهب والفضـة من السودان أو فى البـحر فى المحـل البعـيد الموضع الذى يقال له «لفـرن» وفى عدم سعى المسلمين فى رد مـا خرج من يدهم من المال الذى هو أعز الأشيـاء وأعظمها ضرر كبـير على أهل الإسلام وذويه ونفع كبير لأهل الكفر. . . إلخ.

ولما أبيح لفرنسا وسق قدر من القمح إغاثة للمجاورين من أهل وهران كتب سفراء الانجليز والطليان والألمان يطلبون مثل ذلك لهم حـسبما جاء فى هذا الظهير المرسل لبركاش فى جوابهم وهو الثانى والعشرون:

«وبعد فإن نواب الأجناس الثـلاثة النجليز والطليان والألمان، كتـبوا يطلبون تسريح وسق قـدر من القمح لتجار رعـاياهم كما سـرح للفرنصيص، متـمسكين بشرط التساوى فى الإنعامات ذاكرين أن ما أنعم به على الفرنصيص لم يخرج على

الوجه الذى نفذناه به من إغاثة المضطرين له من إيالة وهران المجاورة وإنما تصرف فيه التجار، وبعد وصوله لوهران صرفوه لمرسيلية وربحوا فيه ربحا طائلا.

وقد أجيبوا بالمدافعة عن ذلك بما مضمنه أننا إنما سرحناه للفرنصيص للضرورة الفادحة، وإغاثة الجار المضطر، وحيث وسق فى البحر لم يبق لنا عليه سبيل، وإن ذكروا أن لنا عليهم سبيلا فى ذلك فليبينوه ويبينوا وجه الكلام مع الفرنصيص فى ذلك ليكون معه الكلام، فإن ثبت الحق على الفرنصيص فلا كلام لهم معنا، وإن ثبت علينا فيظهر ما يكون على أن الأجناس المحبين عندنا فى الإنعامات سواء، كل من حصلت له الضرورة مثل هؤلاء، واستغاث بنا نغيثه بما تيسر لنا إن كان الخير موجوداً ولا يحصل بذلك الضرر للرعية.

وزيد للنجليز فى جوابه بأنا إنما أقدمنا على ذلك اعتمادا على إشارته لأننا نوافق إشارته ونستحسنها لاسيما فى أمور البحر، وأعلمناك لتكون على بصيرة وتعرف كيف تدافعهم عن ذلك بالتى هى أحسن، وقد كنت شافهت حضرتنا العالية بالله بما رتبته من وجوه التفصى منهم فى ذلك، فاعمل جهدك حتى تدافعهم عن طلب ذلك بما أمكن، والله يعينك وتصلك المكاتيب التى كتبوها لك فى هذه القضية ووجهوها لحضرتنا العالية بالله».

وكما أباح الوسق من المغرب سوغ جلب الأقوات إليه لما اضطر أهل سوس لذلك واشتدت فاقتهم، فكتب للنائب بركاش بالكلام مع سفراء الدول فى الإذن لتجارهم فى جلب القوت لمرسى أكادير ووضعه بها بعد أن يؤدوا صاكته لأمناء مرسى الصويرة لكون المصلحة اقتضت أن يكون التعشير بها لا بآكدير حيث لا موازين بها ولا ديوانة للتعشير، وبأن تكون صاكة ذلك عشرة فى المائة لا خمسة فى المائة، لأن ذلك مخصوص بما يجلب للصويرة ويوضع فيها، ومما أصدره لبركاش فى هذا الشأن وهو الثالث والعشرون مما سبق:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإن الأجل المجعول للتجار فى جلب القوت لآكدير وهو ستة أشهر حان انصرامه وفصل الدراس لازال بعيدا، وأهل القطر السوسى لازالوا مضطرين للقوت، فاقتضى نظرنا الشريف لأجل ذلك التوسعة عليهم إلى الفصل المشار إليه بزيادة ثلاثة أشهر للتجار على الأجل المذكور المجعول لهم يجلب ذلك لآكدير بالصاكة المعتادة التى يعطونها عليه، وهى عشرة فى المائة، وعليه فنأمرك أن تعلم الباشادورات بذلك ليعلموا به تجارهم والسلام فى متم جمادى الأولى عام ١٣٠٠».

ونص الرابع والعشرين فيما كتبه للنائب المذكور مما يتعلق بإشارة بعض السفراء إلى استنهاض الهمم للحرث والزرع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما تكلم به معك باشادورات النجليز والصبنيول والفرنسيس والطليان وإشارتهم بالحض على العمال فى إعانة الرعايا على الحرث واستنهاضهم لها بكل الوجوه وتسليف الزريعة لمن ضعف عنها لما بلغهم من قلة الحرث فى هذه السنة فى البكرى، ووصل كتاب من كتب لك منهم فى ذلك وصار مضمن ذلك بالبال، فجازهم على لساننا على تنبيههم واهتمامهم بالمصالح العائدة بالخير على البلاد والعباد، ونحن بصدد ذلك إن شاء الله، وسنأمر العمال أهل الجد والفائدة بذلك ونؤكد عليهم فيه لما فى ذلك من مصالحنا ومصالح رعيتنا والسلام فى ٢ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

وشبيه بهذا فى شفقته على رعـايـاه ورحمته بهم ما أصدره فى شأن المكترين للأراضى المخزنية ونصه وهو الخامس والعشرون:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فـقد اشتكى الحارثون ببـلادات المخزن التى بدكالة على يد عـمالهم بتضررهم من أداء جميع الكراء الواجب عليهم فيهـا معجلا وطلبوا التوسعة عليهم فى بعضه فسـاعدناهم لادعائهم الضعف، وعليه فنأمرك أن تجـعل معهم سددا فى أدائه منجما عند كل فريضة قدر معلوم يؤدونه إلى انتهائه بحول الله والسلام فى ٩ صفر الخير عام ١٣٠٤».

ونص السـادس والعـشرون فـيـما يتـعلق برفض أصـحـاب السـفن قبـول (الورديات) بمرسى العرائش:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحمـد بركاش، وفـقك الله، والسـلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد تشكى خديمنا الطالب محمد بن على العرائشى بأن المراكب التى تنزل الصبورة بساحل المرسى امتنع أصحـابها من قبول الورديات للحضور على ما ينزلونه ولا يخفى أن روجـانهم فى المحل البعـيد من السعة فـيه عرضـة للآفات، فنأمـرك أن تتكلم مع النواب بأن يلزمـوا خلائفـهم بالعرائش بأن يقـبلوا حـضور الورديات على ما يطرحونه بذلك المحل ليبعدوا من التغرير بأنفسهم ومن فتح باب الكطربنض والسلام فى ١١ صفر عام ١٢٩٤».

ونص السابع والعشـرين فى إبطال ما يسمى (الكرنتينة) أى الحـجر الصحى وقد صدر هذا الظهير حاد اللهجة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد عددنا لك الكتب فى إبطال ما بلغنا من أمر الكرنطيلة التى أحدثتموها هناك على يد النصارى، ثم إنه لم يظهر منك أثر للتنفيذ حتى رجع المخازنية الذين كنا وجهناهم مع المال فأخبروا أنهم حصروا عن الدخول للمدينة وأقاموا هناك مدة، وحيزت منهم مكاتبنا الشريفة وتصرف فيها النصارى بالشق والتبخير وغير ذلك، ورجعوا من هناك من غير دخول.

وما كنا نظن أن يبلغ بك مساعدة النصارى هذا المبلغ حتى تمكنهم من التحكم علينا فى بلادنا والتصرف فى مكاتيبنا، ومنع أصحابنا من تبليغ أوامرنا الشريفة، حتى أفضى بك الحال إلى تفريق الأوامر على المراسى بمساعدتهم على تحكمهم، فساعدك من استهواه ذلك وأنف منه من عنده مسكة من عقل وامتنع، ورد الأمر لعلى جنابنا فأمرناه بعدم القبول وحتى حيث ظهرت لك مساعدتهم بطنجة فما كان ينبغى لك أن تأمر به فى غيرها من المراسى، وتحيلهم على استئذان جانبنا العالى بالله فإنها أقرب منا ونحن أعرف بما نقرهم عليه، وما نمنعهم منه.

وقد طالعنا ما أجبت به من الأعذار الغير المقبولة والأقوال المعلولة ولا يقبل منك عذر فى ذلك ولا يلتفت فيه لما ذكرت من اضطرار الضعفاء لما يجلبونه من القوت فإن رزق المسلمين بيد الله يأتيهم من حيث كتبه الله لهم من أبوابه الواسعة، وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك افسخ ما عقدته فى ذلك من غير توقف ولا مشاورة، وقد أمرنا المخازنية الحملة بأن يدخلوا بمجرد وصولهم ولا يتوقفوا فى ذلك على إذن ولا غيره والسلام فى ٢٤ شوال الأبرك عام ١٢٩٥».

ونص الثامن والعشرين فى شأن التدليس والتحييل الذى يقع فى التعشير على الصادر والوارد من السلع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد بلغنا أنه كثر وسق العـدد الكثير فى مرسى العدوتين من الحنابل والزرابى والبطانيات والبلغة ونحوها لمرسى طنجة اعتمادا على ما فى الشروط، من أن ما يوسق من مراسى الإيالة بعضها لبعض، لا يعطى عنه أعشار لكن كان ذلك مع القله أما الآن فتفـاحش جدا، مع أن مقصود واسقيه به وهران كـما كثر ورود المراكب من بر النصـارى موسوقـة بالأقوات لبـعض المراسى، ومعهـا بطائق أمناء طنجة بأنهـا دفعت أعـشارها بطنجة حـتى إنه ورد لمرسى العدوتين قـريبا خمـسة مراكب وأربع بابورات من بر الـنصارى موسوقـة بالأقوات ولم يعشـر فيهـا حتى الثلث، زاعمين أنها عشرت بطنجة.

مع أنه لا ينـزل بالمرسى من المراكب وإنمـا ينزل أصـحـابهـا من المراكب ويصحبون بطائق الأمناء بأنها أدت هناك وفى بطاقة واحـدة منها نحو الثمان عشرة مائة خنشة، مع أن مـا فى الشروط ما مضمنه من أنزل سلعة فى مـرسى وعشرها ولم يجد فيها بيعا وأراد وسقهـا لا يعطى عليها شيئا آخر، وكذلك إذا أراد إنزالها بمرسى أخرى لا يعطى عليـها، وهؤلاء لا ينزلونها أصلا حتـى قل مدخول بعض المراسى بسبب ذلك، وفيه من التلبيس والتـخليط ما لا يخفى، وعليه، فنأمرك أن تتكلم مع نواب فى هذه المفسدة واسع فى حسم مادتها بترتيب ذلك على أن تعشر كل سلعة فى المرسى الـتى وسقت فيهـا أو وضعت وينسـد باب التدليس فى ذلك والخيانة، واجـعل ذلك من أهم أمورك حتى يرتب أحـسن ترتيب والسلام فى ١٥ محرم الحرام عام ١٢٩٦».

ونص التاسع والعشرين فى قضيتى اليهود ومسألة محمى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بأن يهـود دمنات أخبروا من أشاع هناك عند النواب أن عاملهم بعد ما توجه له أمرنا الشريف فى شأنهم جدد عليهم ما كانوا يشتكون منه وزاد على ما كان عليه معهم.

كما شاع هناك أيضا أن يهود فـاس أمروا من قبل عاملها بخلع النعال، ومن كان منهم محميا يلبس الكسوة الإفرنجية ليتميز بها.

وأشيع أيضا ثمة أن الوجدى أهين وضرب من أناس من طرف المخزن، وبعد ما قبض الفاعلون به ذلك سرحوا فى الحين بإذن من جانب المخزن، وإلى الآن لم يأتك ذلك على وجه الشكاية... إلخ ما ذكرته وصار بالبال.

أما ما ذكرته فى شأن يهود دمنات فـلم يبلغنا من غير الذين منهم هنا المتقدم لك الإعلام بأنهم بعد ما حازروا الظهير برفع جميع ما تضرروا به من العامل الذى وجـهت لك نسـخـة منه مع نسخ مما كـتب به لعـاملهم ولقـاضى دمنات وأمـين مستـفادها فى شأنهم، وعين لـلتوجه معهم الوصـيف البشير بن بريـك الحبشى، ونحن بمكناسة الزيتون تغيبوا، وكان ذلك آخر العهد بهم، ولو كان حقا ما تشكوا به من العامل ثانيا لكتب به من كلفناهما بأمرهما زيادة على العامل، وهما قاضى دمنات وأمين مستفادها وبمجرد دعوى أولئك اليهود هنا بذلك عينا من يتوجه معهم لعند عاملهم زيادة على الوجـه المذكور، ولا زالوا يترددون ولم يتمـحض توجههم من عدمه وإن تمحض عدمه يحاز منهم الظهير المشار إليه ويوجه به المعين لجامعتهم مع المكاتيب فى القضية للعامل وغيره.

وأما يهود فاس فقد كان وقع بينهم وبين قاضي فاس الجديد شنآن على حكمه على بعضهم بالسجن حتى يتفاصل مع خصمه فى حق ثبت له عليه وتسريحهم المحكوم عليه بذلك من يد أعوانه، وعلى منعه بعض المحتمين منهم من الدخول عليه بنعليه لمحل الشرع، ولما قبض باشاهم على الواقع منهم ذلك ورد أهلهم لحضرتنا الشريفة بمكناس يتكلمون عليهم، فألفوا أعيان تجارهم وأساقفتهم بحضرتنا العالية بالله فتشفعوا فيهم لجانبنا المعتز بالله فقبلنا شفاعتهم فيهم، وسرحوا بعد أن شرط عليهم التوفية بالعهود وترك ما يؤدى إلى إضرار المسلمين بهم كلبس النعال، فقبلوا ذلك وأشهد عليهم به.

فإذا به لما حللنا بفاس ظهر من بعضهم ما يخالف ذلك من لبس النعال فى المحال المعظمة التى يخلعها فيها المسلمون فكلموا بأن لا يخلعها من كان منهم متزييا بزى النصارى لابسا لباسهم، ومن كان لابسا لباس اليهود فيخلعها، فامتثل من لا حماية لهم وخلعوها، وغيرهم ترددوا فى ذلك حسبما قدم لك الإعلام به.

وأما ما وقع للوجدى فلا خبرة لنا به إلى أن ورد كتابك به، وقد وقع البحث فيه فتبين أن الواقع فيه هو أن وصيفا من الوصفان العساكرية منحاشا لكبير العسكر كان مارا فى ازدحام الناس بالرصيف ليلة عيد الأضحى وهو راكب على بغلة محمولا عليها كبشان فى شوارى، وكان محاديا له الوجدى، فعلقت كساه بقرن أحد الكبشين اللذين بالشوارى وتمزقت ووقع الهرج بينه وبين الوصيف على ذلك، فقال المارون بتلك الطريق للوصيف إن هذا الرجل صاحب الفرنصيص فسبه، وسب الفرنصيص غشمية منه فرفعه الوجدى لعامل المدينة فرباه وسجنه ثم وقعت الشفاعة فيه للعامل فسرحه فبلغ لكبير العسكر أن الوجدى لازال لم يسامحه فرده للسجن، وبقى به أياما حتى سرحه الوجدى على يده، ووصفان السوادن لا يخفاك أنهم لا يفهمون الخطاب فضلا عن أن يعرفوا الصواب، وأنهم بمنزلة العجماوات والسلام فى ٣ المحرم فاتح عام ١٣٠٢».

ونص الثلاثين فى قضـية سليمان بن قدور المشاغب بالحـدود وابن عمه قدر ابن حمزة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصـل كتابك مـخبـرا بأنه وصلك من شارل اكـار كتـاب فى شأن سليمان بن قدور يخـبرك فيه بأن دولته كلفته بعـلاج داء المذكور، وأنه أخبرك بأنه كتب لحضـرتنا العالية بالله فى شـأن من ذكر على وجه السر ووجه لـك نسخة مما كتـب به وأنه طلب منك أن تكتب لحضـرتنا الشـريفة إعـانة له على ذلك الدواء، ووجهت كـتابه لك مع النســخة المذكورة وأشـرت بأنه ظهر لك أنهم حـيث عينوا الدواء وطلبوا المسـاعدة على درء ما يتولد منه الضـرر فلا بأس بذلك، لأنه إذا لم تقع مسـاعدة وحصل من ذلك عـيب لم يبق ما يدافعـون به وصرنا من ذلك على بال.

فالـدواء الذى طلبه اكـار هو الكتب لقدور بن حـمزة وسليـمان بـن قدور مباشـرة بأن يأتيا فى الأمان ويواعـدان بالبرور والإكرام ومزيد الإحـسان، والكتب لهما بذلك مـباشرة لا يناسب لما فيـه من خروجهما عن طـورهما ومن حل عرى التـرهيب، والذى يظهر فـى علاج ذلك الداء هو أن يكتب الـظهيـران الشريفـان للشريف المذكـور بالترغيب والترهيب والوعـد والوعظ والأمان ويتحمل لـهما من قبلنا ويكون سليمان بن قدور يرجع لمكانته عندنا من غير زيادة ولا نقصان، بشرط الوقوف عند الشرط المشـترط عليه قبل من كونه يسكن مع إخوانه بـالحوز كما هم الآن به، ويترك الـتوجه للغـرب قطع عدوتى الرباط ويـشتغل بما يعـينه، وأنه إذا ظهرت مـخايل الغدر والهروب والتـهور وانطماس البصـيرة، أو تلبس بما يناقض العهد فإنه يعامل بما يناسب بعد بحول الله وقوته، حتى يكون الإتيان به مبنيا على أساس صحيح، وأن قدور بن حمـزة يأتى فى الأمان ويواعد بالبرور والإكرام على

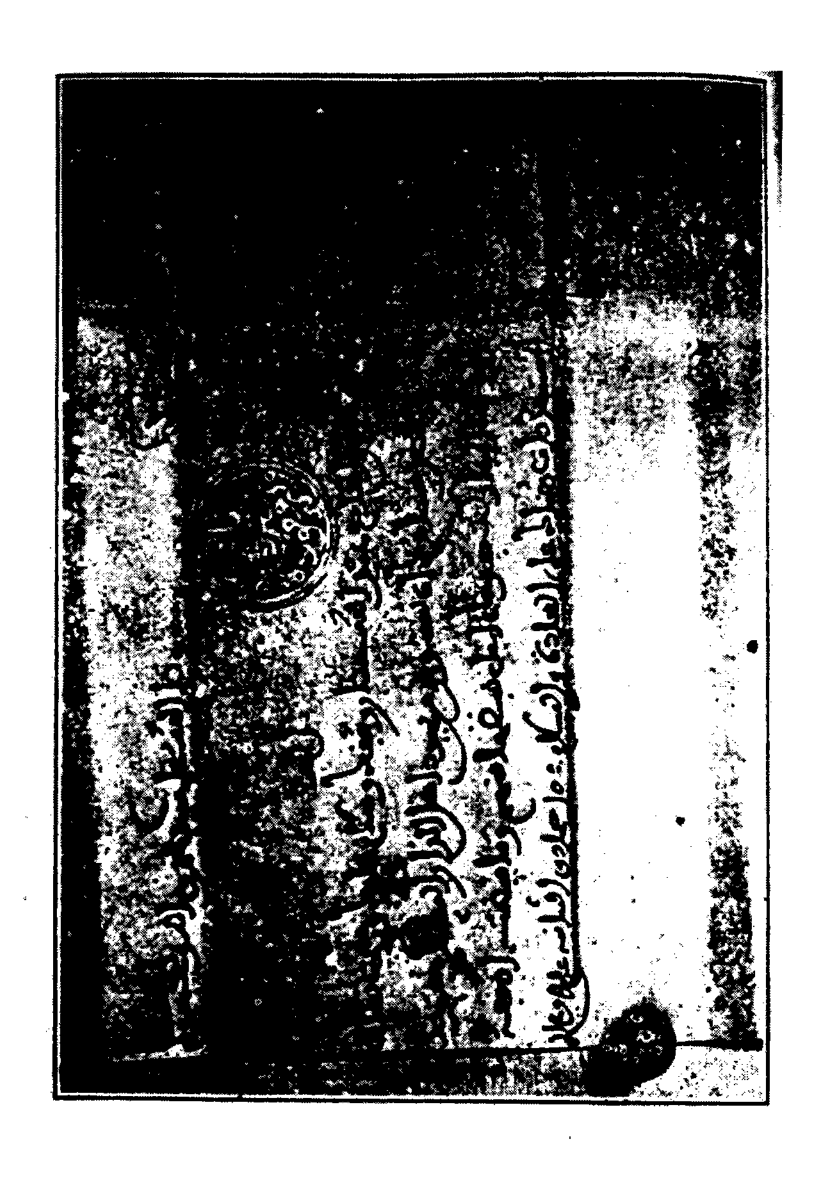
نحو الشروط المذكورة، غير أن سليمان بن قدور لا عهد له ولا ميثاق، ولا عقل له سفيه طائش، ومجيئه على يد الشريف المذكور قبل هو من جملة الأسباب المانعة من القبض عليه زيادة على ما كان يخشى توقعه من تمرد أقاربه وتشيطنهم بالصحراء، فإذا ورد بهذا الاعتناء وهذه الأبهة يزداد فى حمقه وطيشه أكثر من المرة الأولى التى كنا معه فيها كمربى الطفل الأبله.

وربما يتركنا حتى نكون عنه فى شغل ويعلم الاستغراق فيه كهذه الحركة التى فر فيها، ويتحين خروج ضال من إخوانه هنالك لكونهم كالدجاجيل لا ينقطعون من تلكم الصحارى ويفر لكونه يتلون ويتقلب وينقض عهده فى كل مرة وتكون له هذه ثالثة ثلاثة: الأولى فى حياة سيدنا رحمه الله والثانية والثالثة فى مدتنا والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

وكل من سمع بأن ذلك السفيه يفعل ذلك مع جنابنا العالى بالله يظن بالجانب بحسب الظاهر الغفلة وعدم التيقظ وغير ذلك مما لا يناسب، مع أنه لو اطلع على باطن الأمر من كونه يؤتى به فى الذمة والأمان والوساطة بالشفاعات ونحو ذلك مما يقضى بغض الطرف عنه مع تركه لحثالته أوباش قرابته للشيطنة بالصحراء ينظرون من يسمعون عنه، لم يظن ذلك الظن السيئ ويعرف الأمر بحقيقته.

والدولة إذا صدر منه شيء فى هذه المرة الثالثة لا تعذر ويكون لها الحق علينا لكونها صبرت وقابلت بما يناسبها فهى مجازاة بما يجازى به أمثالها العظام فنحتاج إلى أن نسلك فى إتيانه سبيلا لا تنبنى عليه تلك المفاسد، ولاسيما وقد عرف حاله وغدره.

وقد بلغنا أنه أراد أن يتشيطن فى الحدادة، فكتبنا لأولئك القبائل وبصرناهم فى أمره، وأعلمناهم بأنه هرب من حضرتنا العالية بالله ولم يتوجه عن إذن كما



ظهير للحاج عبد الله حصار فى استيفاء الجزية من يهود الدار البيضاء

يمـوه ويقول لهم، وعـرفناهم بأنه فتـان وبأن من تبعـه تلحقـه الدعوى وترهـقه البلوى، وواعدناهم مع ذلك على تحصيله بالدراهيم الكثيرة.

ولما بلغه ذلك وتحـقق به انتقل إلى هذه الإيالة وأكثر المكاتبـة مع البعض من قبائلها ويطمعهم بالكيل، فطفق كل من كتب له كتابا يوجهه لحضرتنا العالية بالله، ومضمن تلك المكاتب لا يصدر إلا من أحمق فتان.

فكتبنا لهم فيـه بما يتعين حتى صاروا منه على بال، ولما ضـاق عنه الفضاء، بلغنا أنه يريد التـعلق بمن يأتى به لحضـرتنا العالية بالله فى الأمـان فغـضضنا عنه الطرف قصـدا حتى يذعن، ويكون بحيث إذا أتى يأتى تائبـا مذعنا مطأطئ الرأس ملتزما الجلوس عند حده والاشتغال بما يعـنيه، فإذا بك كتبت فى شأنه بما كتب به اكار.

وعليه فإن كـان الشريف المذكور يأتى به على الشروط المذكورة فـتحمل به، وبما يكون له من البـرور وكـذا لابن عـمه المرابط الـطالب قدور بن حـمـزة على الشروط المذكورة التى فيها صلاح الدولتين، وكان قيداً لازمـا فى مجيئهما حسبما بعـضه مـذكور فـى مكاتبهم فى شـأنه، ولا يريان بحـول الله منا حـينئذ إلا مـا يسرهما.

والظهيران المشـار إليهما يصـلانك طى هذا مفتوحين لتطـالعهما وتدفعـهما لاكار يدفـعهما للشـريف المذكور لقضاء الغـرض بهما على يد اكار ومـا ذكره فى كتابه من أنه يتكلف لمن يأتى به من عند الدولة، فهم مجـازون عليه بالخير غير أن مثل من ذكر لا يحتاج له إلى ذلك، ويكفى فيـه نحو خمسمائة ريال والسلام ١٥ قعدة عام ١٢٩٨».

ونص الحادى والثلاثين فيما أصدره فى جزية اليهود:

«خديمنا الأرضى الحاج عبد الله حصار، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:

فنأمرك أن تستوفى من يهود أهل الدار البيضاء جزية هذه السنة المباركة فقد حل أجل قبضها منهم، وما قبضته ادفعه لأمين المستفادات هناك على العادة والسلام ١٥ جمادى الثانية عام ١٢٩٤».

ونص الثانى والثلاثين فيما أصدره فى شأن قبض الزكاة:

«خديمنا الأرضى الحاج محمد بن سعيد السلاوى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإن الزكاة ركن من أركان الدين، أمر بها سبحانه عباده فى كتابه الذى شرع فيه الشرائع وصانه وزكاه فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣] وأوعد مانعها بعذابه الأليم. فقال فى كتابه الحكيم: ﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤]. وقال ﷺ: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. الحديث. وقال ﷺ: تأتى الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطأه بأخفافها وتأتى الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقا تطأه بأظلافها وتنضحه بقرونها.

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه: لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعها.

وعليه فنأمرك أن تستوفى من إيالتك ما أوجب الله عليهم من الزكاة التى هى معلومة بالضرورة من الدين وجاحدها لم يدخل فى ربقة الإسلام وشعار



ظهير مولاى الحسن للحاج محمد بن سعيد

المسلمين، وأن تقوم على ساق الجد فى حـملهم على أدائها فورا، وأن لا تقبل من أحد فى التعجيل عذرا، لأنها من حقوق الله التى تجب إليها المبادرة بقدر الإمكان، ولا سيـما هى من أعظـم دعائم الإسلام وأجـل الأركان والسلام فـى ٢٠ شوال الأبرك عام ١٣٠٤».

* * *

مؤتمر مدريد ووفقه

ولما اجتمع المؤتمر الدولى بمدريد للنظر فى مسألة الحماية بالمغرب وجه له النائب الشهير السيد محمد بركاش الرباطى لمزيد معرفته وخبرته وممارسته لمثل هذه الأمور فى الدولتين المحمدية والحسنية، وزوده بما يقتضى اعتماده نائبا عنه، وتوجه معه بقصد الاستشارة وشد العضد الحاج عبد الكريم بريشة التطوانى، وإليك ما راج بين الحضرة الشريفة ونائبها فى المؤتمر المذكور وأولها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك فى شأن سفرك لمدريد للحضور فى الجمع على قضية الحماية، وذكرت أنك لا تجد انفكاكا منهم بخاطرهم إلا بمدافعة من جانبا العالى بالله لكونهم يذكرون أن غيرك إذا توجه لهذه القضية لا يتمكن من الغرض، غير أنه تخيل لك من كثرة إلحاحهم عليك فى التوجه أن لهم فى ذلك شيئا مع مشاهدتهم لمرضك وملازمتك للفراش، ولولا أخذ ولدك بيدك لتعذرت عليك مباشرة الأمور مع كثرة الصائر على شئونك وعلى ما هو واجب على المخزن، وكون سفرك يلزمك فى صائره على نفسك فيما لابد منه نحو الألف ريال فى تعداد الكساوى لك وما يناسب لأصحابك والفراش والمحوت وغير ذلك، مما تظهر أبهة الإسلام وراتبك لا يكفيك لصائرك بطنجة فضلا عن صائرك بالرباط.

وكان سيدنا رحمه الله يعينك بتنفيذ ما تدفعه فى مثل ذلك وينفذ لك غير ذلك مما تحصل لك به الكفاية، وكانت تحصل لك بذلك قوة وإعانة على الخدمة ووجاهة على الأجناس، وطلبت الإنعام عليك بما تجبر به ما خرج من يدك فى

هذه المدة، وما تتقوى به على الخدمة، وإن اقتضى نظرنا الشريف أن تتوجه للمحل المذكور حين تحصل لك الراحة وتقدر على السفر تتوجه وصار ذلك بالبال.

فأما توجهك للمحل المذكور فقد تقدم لك كلامه وما أخبرت به من أن غيرك إذا توجه لهذه القضية لا يتمكن من الغرض هو الذى توسمناه وهجس فى الخاطر والباطن، ولذلك شرح الله صدرنا للإذن لك فى التوجه وكتبنا لك به آخراً بعد ما خيرت أولا فالعمل عليه، وإذا عزمت فتوكل على الله.

وأما ما تخيل لك من أن لهم فى توجهك شيئا فخذ فى ذلك بالحزم واحتط ما أمكنك ولا توافقهم على ما فيه ضرر أو شبهة أو مخالفة للشرع فإنا لا نقبله ولا نوافق عليه أصلا إذ المقصود من هذا هو التطهير من هذا الرجس لا إبداله بما هو أقبح وأفظع فى المثل، كما غسل دما بدم أو بزيادة آخر عليه فى المثل جاء يطب فأعمى، وفيه أيضا جاء ليستفيد قرنين فرجع بلا أذنين.

وأما تصييرك على ما هو واجب على المخزن فلا علم لنا به لأن كل ما تكتب لنا به وتخبر أنك صيرته على دعاوى أو تفاصلت معهم فيه ننفذه لك كقضية أعراب الحدادة والصبنيولى المقتول وما كنت تفاصلت به فى قضية إعطاء أهل الحماية فى الإمكاس ينفذ لك وهلم جرا.

ولو أخبرت بغير ذلك مما يجب لنفذ لك كأمثاله إذ لم يعهد لأحد من المكلفين الذين عندهم ما يصيرون منه أن المخزن يكلفهم بالصائر عليه من عندهم وأحرى غيرهم الذين يعانون من جانب المخزن.

وعليه فبين ذلك الواجب المخزنى الذى صيرت عليه من عندك ليظهر، وبين لنا نظيره الذى تقدم الصائر عليه حياة سيدنا رحمه الله ومن أين كان يصير عليه.

وأما ما ذكـرته من كون راتبك لا يكفيك لصائرك بطنجة فـضلا عن صائرك بالرباط، فإنا نعرف ذلك ونعتقـده ونحن أولى بمواساتك وإعانتك، وكل ما يعطى لك فى محله لولا أن المخزن اليوم واجب أن يعان ولا يخفـاك ما نخرجه كل شهر فى مشاهرات النجليز والصبليون والآلات الجهادية والبناء لها.

وأما ما ذكرته من كون سيدنا رحمه الله كان يعينك. . . إلخ فلم يتقدم منك إعلام بذلك قـبل الآن، ولو أعلمت به لوقع النظر فيـه وأقررت عليه كمـا أقررت على غيره كالمشاهرة وتجديد ظهائر الخـدمة ونحو ذلك، وعليه فبين لنا ذلك وبكم كان يعينك وعلى يد من كان ينفـذ لك، وكم من مرة أعانك ومن أين كان يخرج لك ذلك لنرى فيه، وأما تصـيير الألف ريال فيما تتوقف عليـه لسفرك فلا بأس به والسلام فى ١٤ ربيع الأول عام ١٢٩٧».

الثانـى وفيه الكلام عـلى ما راج فى إسقـاط من هو زائد على الخـدمة من الحماية:

«خـديمنا الأرضى الطالب مـحـمد بركـاش، وفـقك الله، وسـلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعـد: فقـد وصلنا كتـابك معلـما بأنك فى أحـد اجتـماعـاتك مع نواب الأجناس كنت تتكلم معهم فى إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية، لكون ذلك خارجـا عن مقتـضى الشروط، فـذكروا لك أنهم إذا أسقطوهم يـقع عليهم الترامى، والحكام لا يبالون ويقع عليهم الظلم والحيف بسبب حقدهم عليهم حيث كانوا فى الحمـاية، وأنك تذاكرت مع باشادور الإنجليز فى كيفـية الخروج من ذلك فاخترتم أن نجعل لهم عـهداً بأن لا يقع لهم ظلم ولا حيف وكل من يسقطونه من الحماية فى ذلك الوقت ويصدر منه ما يستحق به إجراء الحكم عليه فيعلم القونصو

الذى كان حـاميـه ليحـضر على الحكم ولا يتكـلم بشىء إلا أنه ينظر هل يقع له ظلم.

وأنك اختـرت ذلك ليكون عـاملنـا هو الحـاكم وهو أحـسن من أن يكون القونصـو هو الحاكم وأن باشـادور النجليز حتـم عليك الكتب إليهم بذلك لتـسد أفواههم عمـا يدعون به من الظلم عند دولهم، وظهر لك أنه مـصلحة، ووجهت لحضرتنا الشريفة نسخة مما كتبت لهم به ومع ذلك فلم يقبله الطليان... إلخ.

فقد عـرفنا ذلك وصار ببالنا الشـريف والذى اقتضاه نظرنا الشـريف هو ما قدمنا لك صـحبة خديمنا الحـاج عبد الكريم بريشـة، من أن نكتب لمن يخرج من الحماية ظهائرنا الشـريفة، ونضمنها ما يناسب معاملتهم وانحـياشهم لجنابنا العالى بالله على وجه أوفق وأليق، ثم من كان منهم من الأعراب وسكان البادية نستعمله فى فلاحة جانبنا الشريف والعزبان والشركة.

ومن كان منهم من أهل المدن نسـتعمله فيـما يناسب من خدمتنا الـشريفة، حتى يكون جمـيعهم فى حوزة جانبنا العـالى بالله ولا يجد العمال إليهم سـبيلا، ولا يجدوا هم أيضـا سبيلا إلى التـشكى والتظلم بأمر يلحقـهم، ويبقى الكل فى فسحة.

وعليه فتفاوض معهم على ذلك، ثم تكلم به فى مجلس الكلام والأحكام، واطلب منهم عدد الخارجين من الحماية وحـقق الأمر فيه معهم، واجعل ذلك فى زمام، وأعلمـهم بأنه إذا ادعى البعض على أحـد بعد، أنه منهم ولم يـشمله ذلك الزمام فهو رد.

نعم اليهـود المحميون إذا تأتى لك إدخـالهم فى الضابط المذكور فلا تـقصر فيه، وإذا لم يتـأت لك ذلك فأجر عملهم على حضور القـونصو مع العامل وقت الحكم عليـه، بخلاف المسلمـين، فـإن العمل فـيهم هو مـا قررناه لك من جـعل

الظهائر لهم، فـامض عليه وجد فى حيـازة عددهم كمـا قدمناه لك أصلحك الله والسلام ٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

الثالث وفيـه الكلام على تعيين وقت انعقاد المؤتمـر والبت فى مسألة النائب المغربى به ومستشاره:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته:

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك كنت قدمت الإعلام لجانبنا الشريف بما كان أخبـرك به نائب الصبنيول مما كتب له به وزيرهم فى شـأن الجمع بمدريد على قضية الحـماية، وأنه ظهر لهم أن يكون فى خامس عشر مـايه الموافق نحو خامس جمـادى الثانية الآتى مواليـا لشهر تاريخـه، وأنك كنت وجهت نسخة من كـتاب الوزير وترجـمته، وأنك لما رأيت فـيه وقـوع الاتفاق على عـدم حضـور أحد من النواب الذين بطنـجة، وتخـيل لك أنه ربمـا يكون شـاملا لك طـلبت من النائب المذكور الاسـتفهام عن ذلك فـكتب على طريق السلك هذه نحو الخمـسة أيام من تاريخ كتابك الذى هو عاشر شهر تاريخه، وإلى الآن لم يرد له جواب عن ذلك، وإنه لا ينبغى السكوت عن شئوننا.

وطلبت من جانبنا الشريف أن نوجه لك ظهيراً لسفرك إن كان النظر لم يزل على سفرك. وكتـابا لعظيم الصبنيول بالإعلام بذلك، وتسميـة من هو متوجه من جانبنا الشـريف، وأن نعين لك من يرافـقك ويشد عضـدك، وتستـشير مـعه فى الأمور، ومن يكون على يده الصائر.

كما طلـبت أن نعين لك من ينوب عنك بطنجة مدة سـفرك لكون ولدك لا غنى لك عنه فى التـوجه صحـبتك، ولكونك لم تزل نقـها حديث عـهد بمرض،

وليأخذ بيدك ويكون لك معينا فيما يتعلق بما أنت بصدده، وذكرت أن ما كنا أمرناك به من أن تستنيب عنك من كان ينوب عنك وقت سفرك للرباط وهو الطالب عبد السلام أحرضان، إنما كانت نيابته عنك فى الدراهم التى ترد ليدك لأمانته ومروءته.

وأما أمور خدمتك مع النصارى فإنهم يكتبون لك أينما كنت كأنك بطنجة، وأنك خاطبت الطالب عبد السلام المذكور بالنيابة عنك فى ذلك مرارا، فاعتذر بأنه لا يقدر على ذلك لعدم اتساع صدره، وكونه لا يقدر على شنآن ولا محاورة، فقد عرفنا ذلك كله وصار ببالنا الشريف.

فأما الكتابان لك ولعظيم الصبنيول فهاهما يصلانك، وأما من يرافقك فقد عيناه وهو خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة لما قام به من الأوصاف الموجبة لذلك، أو إما ولدك فلا بأس بتوجهه معك، وأما أحرضان فاستنبه وحتى إن اعتذر فالمسافة بحول الله قريبة والسلام فى ١٨ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

الرابع: وفيه ضابط الخارجين من الحماية الذى تحفظ به حقوقهم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أشار بعض الناس فى شأن من أخرجتهم الشروط والقوانين من الحماية بأن يجعل لهم ضابطًا لا يتأتى معه وقوع ضرر لهم من العمال بسبب كونهم كانوا محميين، وهو أن من ارتكب منهم ما يوجب حكم العامل عليه فالعامل يطلب من القنصو الذى كان حاميه أن يحضر فى وقت حكمه عليه ليعرف أن ليس مراده مجرد ظلمه من جهة كونه كان محميا، وهذا الضابط هو عين الحماية، فإذا جعل يكون كأنهم لا زالوا فيها مع عدم وجود من يقف معه من العمال ويعمل بمقتضاه، لأن منهم أولى العقل والذكاء والفطانة والذين لا زالوا

على فطرتهم وبداوتهم لم يجربوا الأمور، ولم يعرفوا القوانين وهم يترامون عليهم الآن.

والحالة أنهم لا زالوا فى الحمية كسمسار النجليز الذى ترامى عليه المديونى، وكصاحبى المركان الذين ترامى عليهما الحريزى والمزمزى ونحوهم، والذى اقتضاه نظرنا الشريف هو أن تجعل مع نواب الأجناس تأويلا مناسبا فى أمر أولئك الخارجين من الحماية يصان به عرضهم ومروءتهم ويحفظ به مالهم، وهو أن نكتب لهم ظهائر شريفة ونضمنها ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبنا العالى بالله على وجه أوفق وأليق.

ثم من كان منهم من الأعراب وسكان البادية نستعمله فى فلاحة جانبنا الشريف والعزبان والشركة.

ومن كان منهم من أهل المدن نستعمله فيما يناسبه من خدمتنا الشريفة حتى يكون جميعهم فى حوزة جانبنا المعتز بالله ولا يجد العمال إليهم سبيلا، ولا يجدون لهم أيضا سبيلا إلى التشكى والتظلم بأمر يلحقهم، ويبقى الكل فى فسحة.

وعليه فتفاوض معهم على ذلك، ثم تكلم عليه فى مجلس الكلام والأحكام، واطلب منهم عدد الخارجين من الحماية وحقق الأمر فيه معهم، وأعلمهم بأنه إذا ادعى أحد أنه منهم عند جريان الحكم عليه ولم يشمله ذلك الزمام فهو رد، وكذلك اليهود المحميون إذا تأتى لك إدخالهم فى الضابط المذكور فلا تقصر فى ذلك، وإذا لم يتأت لك ذلك يجرى عملهم على ما أشار إليه البعض من حضور القونصو مع العامل وقت الحكم عليه، بخلاف المسلمين فإن العمل فيهم هو ما قررنا لك من جعل الظهائر لهم فلابد جد فى حيازة عددهم منهم أصلحك الله وأعانك والسلام ٢٢ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

الخامس وفيه الكلام على تغيير اتفاق السماسرة المنعقد مع فرنسا وإسبانيا سنة ١٢٨٠:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فإنه لا يخفى على دول الأجناس أن مرادنا تسهيل أمور التجارة، وتيسير طرقها وأسبابها، حتى لا يحصل لسماسرة التجار سواء كانوا من الأجناس أو من الرعية ضرر ولا منع من أمورهم من جهة عمال البوادى ولا من غيرهم.

غير أن الاتفاق على السماسرة المجعول مع الفرنصيص والصبنيول وغيرهم بطنجة عام ثمانين ومائتين وألف قد اختبر فألفى فيه الضرر لهذه الإيالة، ولا سيما إذا طلب مثل ذلك تجار جميع الأجناس من باب المساوات فيتضاعف ضرر الرعية، لأن التجار إنما يختارون السماسرة من أشياخ البادية وكبرائها فيتعصبون ولا يسمعون كلام المخزن فى الأمور المتعلقة بهم، وإن خوطبوا بأمر يجيبون بأنهم مشتغلون بالبيع والشراء مع أصحابهم، ولا حكم عليهم لأحد إلا لقنصوات المراسى، وهم وإن كانوا فى حيز القلة الآن لكن حيث يطلب ذلك تجار الأجناس يكثر عددهم، ويصير فى كل قبيلة أكثر من مائتين، فتفسد الأحكام، ولا يبقى لعامل مع من يتكلم وعليه فنأمرك أن تتكلم على ذلك فى المجلس، وتنبه على أن الاتفاق المذكور الذى وقع على السماسرة ليس من الشروط المطبوعة من جانبى الدولتين العظيمتين فلا تقبله فيما يستقبل، والدول من كمال عقولهم لا يوافقون على بقاء ذلك لما فيه من الضرر الذى اتضح أمره ولم يكن فى حساب، ولا يتخيل لهم أنه إذا ترك هذا الاتفاق لم يوقر العمال نواب سماسرة التجار ويمدوا يدهم فى أمتعتهم وأموالهم ويظلمونهم.

فإن ذلك أمر لا نوافق عليه بحول الله ومن فعله من العمال نعاقبه ونزجره عليه، نعم هؤلاء السماسرة ينبغي أن يكونوا من المراسى لا من البادية، وكل واحد يكون بيده رسم مطبوع بطابع القنصوات وعامل المرسى يتضمن التعريف به، وأنه سمسار التاجر فلان، ولأولئك السماسرة الحرية لا يتعرض لهم أحد فى بيعهم وشرائهم بأسواق البادية وغيرها.

وإذا وقع من السمسار ما يوجب الحكم عليه فى البادية يقبضه عاملها، وإذا ظهر له أنه ظالم لا يعاقبه، ولا يحوز له شيئا من أمتعته وأمتعه التاجر صاحبه ولا يقبض منه سخرة، لكن يجعل فى اليوم الذى يقبضه تقييدا شاملا لكل ما عنده من متاعه ومتاع التاجر بعدلين، وإذا كان السمسار المقبوض يخس الكتابة يعطى للعامل خط يده بأن متاعه ومتاع التاجر هو الذى قيده العامل بالعدول ويوجه العامل السمسار لعامل مرساه ليخبروا القونصو بذلك وليحضر معه فى إجراء الحكم عليه، فإذا شهد العامل والقونصو بظلمه يسقط من زمام السماسرة ويجرى الحكم عليه، ويبدله التاجر بسمسار آخر، وإذا اختلف العامل والقونصو فى ظلمه بأن قال العامل إنه ظالم وقال القونصو إنه ليس بظالم، يرفع الأمر لوزيرنا فى الأمور البرانية بطنجة وهو يفاصل مع منيسطر دولة التاجر، وإذا وجده العامل والقونصو برىء الساحة يخبرنا بواسطة وزيرنا بطنجة ليقع الكلام مع عامل البادية الذى ظلمه.

وهؤلاء النواب يجب عليهم للمخزن كل ما هو جار بالقانون، ويدفعون ذلك لعامل المرسى على يد القونص، وإذا ترتب على أحد من السماسرة حكم لا يقبض عليه عامل المرسى إلا بعد إعلام القونصو بالدعوى، وبأنه يقبض عليه وعلى ما ذكرنا فوضنا لك فى جعل اتفاق جديد فى شأن هؤلاء السماسرة على خلاف الاتفاق المجعول فى التاريخ المذكور، مع من ذكر حتى يرجعوا لأصلهم

القديم الذى كانوا عليه قبل ذلك الاتفاق من غير اقتراح شىء بسبب إزالته، مما لم يكن قبله جعله، والسلام فى ٢٣ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

السادس وفيه تعيين وقت سفر الوفد المغربى وما يتعلق بذلك:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما قدمناه لك من أمرنا الشريف بالتأهب للسفر للحضور بالجمع بمدريد مع الأجناس لما أطلعت علمنا الشريف بكتاب وزير الصبنيول، وأنك كنت قدمت لنا أن سفرك لهناك يكون يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر تاريخه، وإن تأخر فيوم الخميس، وأنك كنت طلبت من جنابنا الشريف أن نوجه لك كتابا شريفا لعظيم الصبنيول وظهيرا شريفا لك، وأنك لم تزل فى انتظارهما، وطلبت تعجيلهما لقرب الوقت، وأشرت بأن السفير المتوجه للتهنئة من جانبنا الشريف لا يضر تأخيره عن هذا الأمر الأكيد المحدود بالأجل مع جميع الأجناس، كما أخبرت بأن كتابنا الشريف وصلك فى شأن توجيه التاجر حفيد برادة لإعانة البلغيثى، وأخبرت بذلك باشدور الفرنصيص إلى آخر ما ذكرته.

فأما الكتابان الشريفان اللذان أحدهما لعظيم إسبانيا وثانيهما لك بالأمر بالتوجه فقد وجهناهما لك صحبة خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة، مع المكاتب التى اقتضاها المقام بتاريخ ثانى عشرى شهر تاريخه الذى هو يوم الاثنين وصار بالبال ما عدى ذلك والسلام فى ٢٧ جمادى الأولى عام ١٢٩٧».

السابع فى حسم الروابط التى يمكن أن تكون بين الخارجين من الحماية، والذين كانوا حامين لهم:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فمما ينبغى التنبه له والتيقظ فى أمره كون المحميين إذا خرجوا من الحماية ربما لا تنحسم المادة بينهم وبين من كان حاميهم لما عسى أن يبقى حكم الحماية منسحبا بعد خروجهم منها ظاهرا لانطواء ضمائرهم على ذلك من الجانبين، فيدعى الحامى أن المال الذى بيد الخارج من حمايته هو له، أو أنه شريك له فى التجارة أو نحو ذلك مما يقتضى إبقاء الرابطة بينهما، وقد أشار بعض الناس لما استشير فى ذلك إلى كيفية التكلم فيه بأن يقال المحمى إذا خرج من الحماية فحاميه لا يمكن أن يتوصل لحمايته بسبب، ككون المال الذى بيده هو له، أو أنه شريك له فى التجارة أو نحو ذلك مما لا ينفك به عن وصف الحماية، مع أن الفرض أنه خرج من الحماية، ولأجل ذلك تجرى عليه الأحكام على وجه الحق.

وعليه فتكلم فى ذلك مع نواب الأجناس عند انعقاد الجمع هنالك، وباشر علاجه على وجه منضبط تنحسم به تلك المادة، حتى يكون الخروج عن الحماية حقيقيا لا صوريا فقط، والسلام فى ٩ جمادى الثانية عام ١٢٩٧».

الثامن وفيه الكلام على الخارجين من الحماية، وموقف نائب فرنسا عند طرح مسألة تغيير اتفاق السماسرة فى المؤتمر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كنت أطلعت به علمنا الشريف ما دار بينك وبين النواب فى أحد اجتماعاتك معهم فى شأن إسقاط من هو زائد على الخدمة من الحماية، من أنهم ذكروا أنهم إذا أسقطوهم يقع الترامى عليهم،

واخترت أن يجعل لهم عهد بأن لا يقع لهم ظلم، وكل من يصدر منه ما يستحق به إجراء الحكم عليه يعلم القونصو الذى كان حاميه ليحضر على الحكم كما بينت ذلك لجانبنا السعيد سابقا.

ثم وجهنا لك صحبة خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة ما اقتضاه نظرنا الشريف من أن يكتب لمن يخرج من الحماية ظهائر شريفة متضمنة ما يناسب معاملتهم وانحياشهم لجانبنا العالى بالله، حتى لا يجد العمال إليه سبيلا، ولا يجدوا هم سبيلا إلى التشكى والظلم، وأمرناك بالمفاوضة معهم فى ذلك والتكلم به فى مجلس الأحكام، كما أمرناك بإجراء عمل اليهود المحميين على حضور القونصو إذا لم يتأت إدخالهم فى الضابط المذكور، وأنه إذا تأتى فلا تقصر فيه، بخلاف المسلمين فتمضى فيهم على الضابط المقرر.

وعرفنا ما ذكرته من أنك أشرت بذلك على البعض تستشير معهم هناك فأشار إليك بعدم ذكر ذلك فى الجمع، ذاكرا أنهم لا يقبلونه لما هو ثابت عندهم من عدم الثقة بالعمال، ولكونهم لا يعرفون هذه السياسة.

وأنك لما رأيت ذلك جعلته على صنف آخر تفهمه عقولهم حسبما وجهت نسخة منه لحضرتنا العالية بالله طى كتابك، وذكرت أنك لم تدر هل يقبلونه أم لا، كما عرفنا ما ذكرته من أنا لو علمنا على ما صدر من الفرنصيص فى الجمع الواقع فى الرابع عشر جمادى الثانية فى أمر السماسرة لقضينا منه العجب، وذلك حين حاولت منه طرح القانون المجعول عام ١٢٨٠، ولولا وزير الصبنيول عالج ذلك ولم يقصر فى الوقوف فى جانبنا السعيد لكان الأمر أشد، وأن من جملة ما ذكر لك باشدور الفرنصيص أنك تريد القباحة مع جنسه وعنده الإذن أن لا يتكلم فى ذلك، فتكلم معه وزير الصبنيول بكلام لطيف، وطلب منك ترك الكلام الذى

تكلمت به فى المجلس حتى يستشير مع دولته على طريق السلك، وتشرعون فى غير ذلك ريثما يأتيه الجواب فأحببته لذلك وأجاب هو كذلك.

ووقع كلام كثير ظهر لك منه على ما بيدك من أوامرنا الشريفة، أنك لا تحصل على طائل، لأن الذى كان فى بالك فى هذه الوجهة هو التحفظ على عدم وقوع ريبة فى ديننا والتحفظ على جانبنا العالى بالله، وعلى الرعية وجلب الخير لبيت المال، وما زاد على ذلك من أمر الحماية كله ربح، وأن الرثيل اليهودى النجليزى قدم لهناك وصار يفد عليك ما تحاوله حتى صاروا يتكلمون فى وزير الصبنيول بما بينته وكثر الكلام فى الجوازيط وغيرها.

وذكرت أنك لازلت طامعا فى أن تحفك عناية الله تعالى وسعادتنا فى التحصيل على نيل المطلوب، وصار جميع ما ذكرته بالبال، فقد وصلت النسخة ولا بأس بجعل ذلك على الوجه الذى ذكرت أنه تفهمه عقولهم، إذ المقصود هو الوقوف فى ذلك مع الشروط والقوانين القديمة فى أمر الحمية وترك الزائد عنها كيفما تأتى.

وأما ما صدر من الفرنصيص كفانا الله شره وشر كل ذى شر ورد كيده فى نحره.

وأما اليهودى الإنجليزى انتقم الله منه عاجلا ولا بلغه مناه.

وأما ما ترتقبه من حفوف عناية الله تعالى وسعادتنا بك فى نيل المطلوب كمل الله بخير وأصلحك، وأخذ بيدك آمين والسلام فى ٢٨ جمادى الثانية عام ١٢٩٧».

التاسع وفيه الكلام على مسائل مما راج هناك وموقف نائب إيطاليا فى المؤتمر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك أخبرت فيه بتمام الكلام فى أمر النطر لزسيون، وأن محصل ما أدركتم فيه أن ما فات فلا رجوع فيه، وما يأتى يجعل له ترتيب وهو أن من عنده رسم النطر لزسيون من جنس من الأجناس إذا رجع لإيالتنا يعد له قدر المدة التى جلسها فى بلاد الأجناس لقبض الرسم المذكور، ثم بعد ذلك إما أن يخرج من إيالتنا وإما أن يدخل تحت حكم ولاتنا، وما أدركتم هذه إلا بمشقة لما فى ذلك من معارضة شرائعهم، وبشروعكم فى الكلام فى تنحية الحماية الخارجة عن القانون وإفساد باشدور الطليان الذى هناك لكم كل ما علمتم وصدور كلام طويل منه فى المجلس فيما يجلب الضرر للمغرب، فأجبته بما يناسب كلامه واسترعيت على الأمور الساقطة فلم يقبل منك ما أجبت به، فطلب منك باشدور إسبانيا أن تسقط بعض الفصول التى تكلمت بها فأجبته بأنه إذا أسقط الطليان فصلا تسقط جوابه، فتكلم مع الطليان فى ذلك فأسقط البعض فأسقطت جواب ما أسقطه فلم يقبل الطليان ذلك أيضا، وتكلم معك وزير إسبانيا فى ذلك فأجبته بأنه إذا أسقط جميع ما ذكر تسقط أنت ذلك كله، وبقى الأمر موقوفا على هذه الحالة.

ثم شرع وزير إسبانيا فى الكلام على تحديد الحماية، فقبل المجلس التحديد ولم يكن كلام فيما فات والذى هو مقيد وخارج عن القانون يبقى على حاله ومن مات تسقط حمايته ولا تورث، ولا تبقى حماية فى المستقبل إلا ما هو مذكور فى الشروط والوفق والطليان لم يقبل ذلك.

وأراد أن يستمر على إعطاء الحماية لمن شاء كيف شاء فأجبته بأنك لا تقبل ذلك، ولما رأيت عدم تقصيره فى الكلام بعدم المساعدة ووزير إسبانيا وباشدور

الفرنصيص أبذلا المجهود معه فلم يساعدهما، استرعيت على جميع من فى المجلس بأنهم إذا لم يحددوا الحماية وتركوها على حالها فلا طاقة لك على الوفاء بما هو فى الشروط من الأمان والحفظ للأجناس ولأمتعتهم، لأن الحكام لم تبق لهم حرية فى تبليغ الحقوق، فقال رئيس المجلس للحاضرين به: هذا ما أردتم أن تسمعوا، والحق معه فى ذلك، فسكت الفرنصيص ولم يجب بشىء، وظهر منه استحسانه ذلك ثم انفصل المجلس وكتب وزير إسبانيا لباشدورهم الذى بإيطاليا وكذلك بعض النواب ليعينوا على المساعدة، ولما أعددتم المجلس وسألتم باشدور الطليان عن جواب دولته فأجاب بأنه لا زال لم يرد عليه، واعتذر بأن الكلام فى السلك يقع فيه الغلط، وأنه لا زال على كلامه الأول، فحينئذ جعلت الاسترعاء المذكور كتابة لتتكلم به على وجه مخزنى لكون كلامك به أولا كان على غير الوجه المخزنى، واتفق أهل المجلس فى تأخير الجمع حتى يأتى الجواب للطليان من دولته، وهذا كله سببه باشدور الطليان الذى بطنجة وصار ذلك بالبال.

فأما التأويل المذكور المجعول فيما يأتى من النظر لزسيون فى المستقبل فلا بأس به، وأما عدم الرجوع فيما فات منه وبقاء المحميين الخارجة حمايتهم عن القوانين والشروط وكذلك وفق السماسرة ففيهم ضرر كبير بين، فإن كان المحيد عنه فهو الأولى، وإن لم يكن فالخير فى الواقع والله المستعان، إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله.

وأما ما صدر من باشدور الطليان فقد كان فى غنى وسعة عن تصديه لهذه الإذاية، الله حسيبه ووكيل عليه، ويده سبحانه فوق يده لأنه لا داعية له لذلك لولا الشهوة والغرض، ولقد كان أعظم فى العين أن يتكلم فيما لا يعنيه ولا نفع عائد عليهم منه، ويسعى فى فتح الأبواب وخرق القوانين والإضرار، والله يعينك ويصلحك ويأخذ بيدك والسلام فى متم رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٧».

العاشر وفيه تتمة الكلام على ما سبق فى الذى قبله وانتهاء أعمال المؤتمر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كنت قدمت الإعلام به من إتمام أمر النطرزيس بعد مشقة، ونبهت على محاولتك الاسترعاء على الطليان فى المجلس حيث امتنع من جعل الحد للحماية، وعرفنا أن دولته أجابته بأن يستشير مع باشدورهم بطنجة الذى قدم إلى مدريد، وهو يتمم الكلام فى النازلة، وأن وزير الصبنيول تلاقى مع باشدور طنجة وبقى يتردد معه فى ذلك، وإلى أن أذعن للحد وهو إذا خدم أحد من رعية سيدنا أعزه الله خدمة غريبة نادرة الوقوع لجنس من الأجناس فيستحق الحماية، لكن لا تزيد على اثنى عشر، بحيث إذا زاد الثالث عشر فليس محميا عنده عدا اثنى عشر إلى أن يموت واحد منهم.

وعلمنا أن المحميين المقيدين فى الزمام الخارجين عن القانون تعذر عليك إسقاطهم ولم تجد له سبيلا، ومن مات منهم يسقط، وحين تلاقيت مع وزير الصبنيول فى ذلك عرضه عليك وبين لك أن ليس فى يدك شىء أكثر من ذلك، ورغبك فى عاقبة المساعدة فجنحت إليها وتممتم الجميع، وتأهبت إلى النهوض إلى طنجة بعد حيازة الكواغد المشتملة على ما جاز فى المجالس الأخيرة ليحمل ذلك كله خديمنا الحاج عبد الكريم بريشة عند وصولك إلى طنجة، ويتوجه بقصد المشافهة بما ليس بمكتوب ليتحقق الأمر لجانبنا العالى بالله، وفهمنا أن الأمور خرجت طيبة بعد أن توقعت ما تستغرب السلامة من آفات، حسبما يشرحه الخديم المذكور، فقد صارت الإشارة منا على بال أصلح الله دينك ودنياك، وأحمد مسعاك وأوبتك، والسلام فى ٨ شعبان المعظم عام ١٢٩٧».

والحاج عبد الكريم بريشة المذكور فى هذا الظهير الشريف والمتوجه مستشارا فى الوفد للمؤتمر، هو الذى أسلفنا لك سفارته لإسبانيا فى الكلام على العلائق

السياسية مع إسبانيا، وذكرنا لك فى الترجمة الأحمدية سابقا سفارته لإسبانيا سنة ١٣١٢ لإدخال إصلاحات وتعديلات على الآفاق، وما وقع له فيها وذكرنا غرق البارجة الإسبانية الخصوصية التى أوصلته لطنجة بعد نزوله منها وشروعها فى الرجوع، وقد وقفنا على ظهير سلطانى عزيزى فى التعزية بمصابها رأينا استدراكه هنا قضاء للفوائت ونصه بعد الحمدلة والحوقلة والاستفتاح:

«إلى المحب المفخم. المحترم المعظم. سلطان دولة إسبانيا الفخيمة المعتبر، السلطان ألفنس الثالث عشر.

أما بَعْدَ حَمْدِ الله الذى لا إله إلا هو المبدئ المعيد، العزيز الحكيم الفعال لما يريد، والدعاء لكم بسلامة النظام، والبقاء بخير على الدوام، فقد اقتضى حق ما بين الجانبين من المحبة، والمودة والصداقة الممتازة والصحبة، إعلام رفيع حضرتكم بأنه بلغ لشريف علمنا أن إحدى فلكاطاتكم الحربية ذات الإتقان والرونق والبهجة، لما أنزلت خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة بثغر طنجة. رجعت منه لحمل عدد كثير من العسكر من قالص فصادفت فى طريقها له أكف الريح أزعجت مياه البحر من وكرها. ونبهت اللجج من سكرها، فلم تبق شيئا من قوتها ومكرها.

وغلب البحر على الفلكاطة غاية التغلب، بكثرة الهيجان والثوران والتقلب، فلم يظهر لها خبر. ولم يقف لها على عين ولا أثر، وكنا نظن أنها إنما أخذت بالحذر، من ذلك الهول الذى لم يبق ولم يذر، وتسترت ببعض الجهات، عسى أن تسلم من الآفات، ونرتقب ورود الخبر بأنها نجت وسلكت، فإذا به ورد بأنها غرقت وهلكت، فساء هذا الخبر وكدر، ووقع منا موقعا عظيما وأثر، وتأسفنا غاية الأسف. على ما أصابها من التلف. وعظم ضياعها ومصاب من كان فيها من النفوس لدينا، حتى كأنها لنا ومن أصيب بها إلينا. لأنكم عندنا من أخص الدول

المحبين، ومن الجيران الملحوظين المعتبرين، يسرنا ما يسركم، ويضرنا ما يضركم، ونحب لكم الخير والسلامة، والعافية المستدامة.

وليهون هذا الحادث لديكم، وقوعه لعدد كثير من مراكب غيركم. وعدم اختصاصه بمركبكم. فإن المصيبة إذا عمت، هانت وخفت، وكون الله تعالى حفظ عسكر قالص وحاطه. بعدم الركوب فى الفلكاطة، ولا يستبعد وقوع مثل هذا فى البحر ولا يتغرب، فالفناء أدنى إليه من البقاء وأقرب، داخله مفقود، وخارجه مولود، ومن حل فى سفين فكأنه دفين، فلا حل بساحتكم بعد هذا آفات. ولا رأيتم إلا ما يسركم فى جميع الأوقات. وختم فى ١٩ من شوال عام ١٣١٢».

وإليك نص عقد المؤتمر المجتمع بمدريد مصدرا بإمضاء الحضرة الشريفة له بعد الحمدلة والحوقلة والطابع الشريف بداخله «الحسن بن محمد الله وليه» وبدائرته: ومن تكن برسول الله نصرته، البيتين. ثم عن يمين الطابع بخط الجلالة السلطانية: حسن بن محمد:

«يعلم من هذا أننا طالعنا ما اتفق عليه نائبنا الأنصح، الخديم الأصلح، الطالب محمد بركاش مع جماعة نواب الدول الفخماء المحبين بمدريد عام سبعة وتسعين ومائتين وألف تاريخه من الفصول الثمانية عشر المذكورة أسفله المتعلقة بأمور الحماية التى أولها: والشروط التى تقبل بها الحماية هى المقررة فى شروط النجليز. وآخرها: وهذا الوفق سيثبت، وتصفحناها من أولها إلى آخرها وأمضيناها، وأوجبنا العمل بمقتضاها، ولا نألوا جهدا فى عدم موافقة من رام خرقها ونقضها بحول الله، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه. ويقف عند حده ومنتهاه. صدر به أمرنا المعتز بالله فى ٢٥ من ذى القعدة عام ١٢٩٧».

«الحمد لله وحده، ولا يدوم إلا ملكه،

حضـرة سلطان المغرب، وحـضرة سلطان الألمان ملك البـروسية، وحـضرة سلطان النامسا ملك أونكرية، وحضرة سلطان البلجيك، وحضرة سلطان الدنمرك، وحضرة سلطان إسبانيا، وسعـادة البرزيطنط المركان، وسعادة البرزيطنط الربوبليك الفرنســوى، وحضرة سلطانة كـرنت بريطان وارلاندة، وحضـرة سلطان الطليان. وحضرة سلطان ألانضـا، وحضرة سلطان البرتقيز، وحضـرة سلطان السويد حيث اعترفـوا باحتيـاج نصوص ثابتة متـساوية لإجراء حق الحمـاية فى المغرب وترتيب بعض القضايا المتعلقة بـها عينوا لهذا المقصود فى الجمعيـة الواقعة بمدريد المفوضين الآتى ذكرهم: حـضرة سلطان المغـرب الطالب السيد مـحمـد بركاش وزيرها فى الأمور البرانيـة وسفيرها المخصوص. حـضرة سلطان الألمان ملك البروس الكمت ابرهوط دسلمس سنولد، له نيـشان من الرتبـة العليا مـن النسر الأحـمر من ورق البلوط هو كباليـر الصليب الأحمر إلخ، الموجه المخصـوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضـرة سلطان النامسا ملك اونكرية الكمت منويل لدلف من أهل المشورة وله النيـشان من الرتبة العليا من ليـويلض هو كباليرالأول للمـصباح الأحمر إلخ الموجه المخصوص، ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان البلجيك موسـى دورند انسبخ فسيال نيشـان ليويلض متوجهـا المخصوص ووزيرها المفوض قـرب الحضرة الكثلـيكية، وحضـرة سلطان إسبانيـا ضون انطون كنبس دكسـتيليو كـبالير النيـشان الأعظم الطيسـون المذهب إلخ ووزيرها الأعظم، وسعادة البرزيطنط المركان موسيوا الخنـرال السيس فيرشيل الموجه المخصوص الوزير المفوض قرب الحـضرة، وسعادة البرزيـطنط الربوبليك الفرنسوى مسـيوليس الميرال جوريس عـضو الولى وله نيـشان ليـجون دنور من المرتبـة الثانيـة إلخ، وباشدور الربوبليك الفـرنسوى قـرب الحـضرة الكثليكيـة، وحضـرة سلطانة كـرنت بريطن وارلاندة المنستـر وليونيل سكول ويست الموجـه المخصوص ووزيرها المفـوض قرب

الحضرة الكثليكيــة وهو مأمور أيضا بالنيابة عن حضرة سلــطان الدينمرك، وحضرة سلطان الطليان الكمت يوسف كربى له نيشان قريس مورسى ولسو من الرتبة العليا وكذلك من المصباح الطليانى إلخ الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان ولانــضا موسيو ليجون كيــموريس ذى الدوير له نيشان من السبع السلطانى من الرتبة الثانية هو كــبلير مصباح البلوط إلخ ووزيرها القاطن قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة ســلطان البرطقيز الكمث قسل ربيلو شيخ المملكة وله نيشــان المسيح من الرتبــة العليا إلخ الموجــه المخصوص ونائبــها المفــوض قرب الحضرة الكثليكية، وحضرة سلطان الســويد ونرويكه موسيو نرى اكر من له نيشان واسع من الصنف الأول والرتبة الثانية إلخ وزيرها القاطن قرب الحضرة الكثليكية.

وهؤلاء على مقتضى تفويضهم المعروف فى وجه صحيح ومقبول اتفقوا على التراتيب التى سيأتى ذكرها:

الفصل الأول

والشروط التى تقبل بها الحماية هى المقررة فى شروط الإنجليز والصبنيول مع دولة المغرب والوفق الــواقع بينهما وبين الفــرنسيس والأجناس الأخــر عام ١٨٦٣ سوى التراتيب التى ستقع فى هذا الوفق.

الفصل الثانى

ونواب الأجناس يمكن لهم أن يختــاروا ترجماناتهم وخدامــهم من المسلمين أو غيرهم، وهؤلاء محميون لا يلزمهــم رؤساء المحل جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، سوى ما هو مقرر فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر.

الفصل الثالث

والقناصل وبس قنصلات والاخنطــس قنصلات الذين هم رؤساء المستــقرين

بإيالة سلطان المغرب لا يمكن له أن يختاروا سوى ترجمان واحد ومخزنى واحد ومتعلمين من رعية السلطان إلا إذا احتاجوا كاتبا عربيا، وهؤلاء لا يلزمهم حتى جزية ولا غرامة، ولا ما يشبه ذلك سوى ما رتب فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر.

الفصل الرابع

إذا نائب من نواب الأجناس عين واحدا من رعية السلطان اخنط قنصل بإحدى المراسى هذا الاخنط يكون هو وعياله الساكنون بداره موقرين محترمين، ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك، سوى ما اشترط فى الفصل الثانى عشر والثالث عشر، ولكن لا يقدر أن يحمى أحدا من رعية السلطان إلا عياله فقط، وله الحق ليكون عنده مخزنى محمى وبس قنصلات من رعية هذه الإيالة يتصرفون فى وقت خدمتهم فى الحقوق مثل الحقوق التى للاخنط قنصلات من رعية السلطان.

الفصل الخامس

الدولة المراكشية اعترفت للباشدورات والمنسطروس ونواب الأجناس بالخصوصية التى عندهم على مقتضى الشروط من اختيار الأناس لخدمتهم الخاصة أو لخدمة دولهم دون الأشياخ أو غيرهم من الخدام للدولة المراكشية، مثل العسكر والمخازنية إلا ما يحتاجون من المخازنية لحراستهم، ولكن لا يقدرون يستخدمون حتى واحدا من رعية مراكش عليه دعوى، ومعلوم أن الدعاوى الشرعية المبدية قبل الحماية تتمم أمام المجالس التى بدئت فيها ولا يجدون مانعا فى وفاء الحكومة، نعم الولاة المراكشية يجب أن يخيروا حينا بالحكم الصادر للكسيونس والقنصلات أو الاخنطس قنصلات الذين كان منهم ذلك المحمى والمحميون الذين تنحوا من الحماية وعليهم دعوى مبدية قبل خروجهم من الحماية فدعواهم يكون الحكم فيها

فى المجلس الذى بدئت به، ولا تعطى الحماية للأناس الذين عليهم دعوى جريمة قبل أن يحكم عليهم ولاة البلد ويوفى الحكم الواقع عليهم.

الفصل السادس

أهل المحمى داخلون فى الحماية أيضا وله التوقير والاحترام فى داره، ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره، والحماية لا تورث سوى استثناء واحد فى شأن أهل بن شمون من حيث هو مقرر فى وفق ١٨٦٣، وبهذا الاستثناء لا تفتح الأبواب.

نعم إذا حضرة سلطان المغرب أنعمت باستثناء آخر فجميع الدول المجتمعين بالمجلس لهم الحق فى طلب مثل ذلك.

الفصل السابع

نواب الأجناس يخبرون كتابة لوزير الأمور الخارجية من حضرة لسلطان حين يختارون متوظفا ويدفعون فى كل سنة للوزير المذكور تقييدا اسميا من الأناس المحميين الذين يحمون الاخنطس فى إيالة المغرب وهذا التقييد يوجه لولاة البلد ولا يحسبون محميا سوى ما هو مذكور فيه.

الفصل الثامن

والاخنطس يمكنون فى كل سنة لولاة البلد الذين هم ساكنون بها تقييدا مع طابعهم من الأناس المحميين عندهم والولاة المراكشية يبعثونها لوزير الأمور البرانية ليطلع عليها، وينظر هل هى غير موافقة مع الترتيب ليخبر نواب الأجناس المستقرين بطنجة والفسيال القنصلية يجب عليهم يخبرون فى الحين بجميع التبديل الذى يقع فى الأناس المحميين من قنصلاتهم.

الفصل التاسع

المتعلمـون والفلاحـة والمتوظفون الآخـرون من رعية مـراكش الذين هم فى خدمة كـتاب العربية والتـرجمانات المراكشيـين ما لهم حماية، وكـذلك المتعلمون والخدام لرعية الأجناس، لكن فـولاة المسلمين لا يقبضون متعلمـا أو خادما لأحد فى خدمة اللكسـيون أو القنصلات أو رعية الأجناس أو محـمى دون إعلام لحاكم جنسه، وإذا يوجـد أحد من رعيـة هذه الإيالة فى خدمة أحـد من رعايا الأجناس قتل أحدا أو جرحه أو هجم عليه فـيقبض فى الحين، ويقع الإعلام لنائب دبلمتك أو لقنصل جنسه عاجلا.

الفصل العاشر

لا يقع تبديل فى شىء من أمر السماسرة بما هو مقرر فى الشروط وفى وفق ١٨٦٣ إلا ما يترتب فى شأن الوظائف فى الفصول التى ستأتى بعد.

الفصل الحادى عشر

حقـوق الأملاك العـقارية لرعـية الأجناس بالمغـرب معـروف، وشراء هذه الأملاك يـكون بتقـديم إذن الدولة المراكشـية ورسـوم هذه الأملاك تكون مكتـوبة بقوانين مقـررة فى شريعة البلد، وجميع النوازل التـى تقع فى هذه الحقوق يحكم فيها على مقـتضى شرع البلد، ولهم رفعها لوزير الأمور البرانيـة كما هو مقرر فى الشروط.

الفصل الثانى عشر

رعـية الأجنـاس والمحمـيـون الذين لهم الملكيـة فى الأرضـين، أو يكونون اكتروها والسمـاسرة الذين تكون عندهم الفلاحة يبتغـون الزكاة والأعشار وفى كل سنة يدفعون لقونصوهم تقييدا صحـيحا بما يملكونه ويدفعون بيده ما يجب عليهم

من الزكاة والأعشار والذى يشهد بالزور يؤدى ذعـيرة مرتين الأعشار الواجب عليه شـرعا فى هذا الشيء الذى سكت عنـه، وإذا وقع منه هذا مرة أخـرى فتـثنى له الذعيرة المذكورة، والوجه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فـيهـا ترتيب مخـصوص بين نـواب الأجناس ووزير الأمور الخـارجيـة للحضـرة الشريفة.

الفصل الثالث عشر

رعية الأجناس والمحـميون والسماسرة الذين عندهم بهـائم الحمل يؤدون ما وجب فى الأبواب والقدر، وكيفية قبض هذا الواجب تكون واحدة لرعية الأجناس ورعية السلطان، ويكون فى ذلك ترتيب مـخصوص بين نواب الأجناس فى طنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة، وهذا القدر لا يزاد فيه إلا باتفاق جديد مع نواب الأجناس.

الفصل الرابع عشر

لا يقـبل توسط الترجـمانات وكـتاب العـربية والمخـازنية الذين هم لبـعض اللكسينس والقنصـوات فى أمور الناس الذين لم يستـحقوا الحمـاية من اللكسينس والقنصوات، إلا إذا جلبوا بيدهم رسما بخط يد نواب الأجناس أو القنصوات.

الفصل الخامس عشر

جـميع الرعـية المراكـشيـة الذين أخـذوا النطرلزيس من الأجناس ورجعـوا للمغرب واجب عليهم بعد مدة من استقـرارهم فيه قدر المدة التى احتاجوها شرعا للحاق هذا النطرلزيس أن يختاروا إمـا أن يدخلوا تاما تحت حكم شريعة الإيالة أو يلزم عليهم الخـروج من المغرب، إلا إذا ثبت أن هذا النطرلزيس لحـقه بإذن الدولة المراكشية والنطرلزيس الذى لحـقوه الرعية المراكشية إلى الآن على مـقتضى الشرائع الجارية فى كل بلد، يبقى مستحفظا فى كل وجه من غير نقص.

الفصل السادس عشر

حتى حـماية خارجـة عن القانون أو بوجه التـوسط لا تعطى فى المستـقبل والولاة المراكشية لا يـعرفون أبدا حماية أخرى من أى وجه كـان دون هذه الحماية الخاصة التى اتفق عليـها فى هذا الوفق، ولكن إجراء حق حماية كنسـتدبنير وهى الحماية المعـتادة تستحفظ فى صـورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمـات العظيمة الصادرة من مراكشى لإحدى دول الأجناس أو لأسباب أخر غريبة الوقوع، وكيفية هذه الخدمة ونية جـزائهم بالحماية يقدم الإعلام بها لوزير الأمور الخـارجية بطنجة ليمكنه عند الاحـتجاج أن يعـرض مراعاته والفصـال المتمم تستـحفظه الدولة التى وقعت لهـا الخدمـة، وعدد هؤلاء المحـميين لا يمـكن أن يجاوز اثنى عـشر لكل جنس، وهذا العدد المعين هو الأعلى إلا إذا لحقوا قبولا من الحضرة الشريفة وحالة المحميين الذين عندهم الحماية على مـقتضى العوائد التى أصلحت فى هذا الفصل يكون من دون نقص من عدد المحميـين من هذا الصنف الكائن الآن لهم ولعيالهم على السواء مثل الحالة المقررة للمحميين الآخرين.

الفصل السابع عشر

دولة المغرب اعترفت لجمـيع الأجناس التى نوابها حاضرون فى هذا المجلس ليجرى لهم جميع التفصيل الذى يعم به لجنس من الأجناس.

الفصل الثامن عشر

وهذا الوفق سيثبت والتـثبيتات يتبدلون بطنـجة فى مدة عن قريب يمكن أن يكون وبرضا مـستثـنى من الأجناس المتفقـة ترتيبه يجـرى من يوم ختـمه بمدريد، ولثبـوت ذلك المفوضون المذكـورون وضعوا خطوط يديهم فى هذا الوفق وطبـعوا بطابعهم وجـعلوا ثلاث عشرة نسـخة وحرر بمدريد فى ٣ يليـه عام ١٨٨٠ الموافق ٢٤ من رجب عام ١٢٩٧».

ومما يتعلق بالحماية ما كتبه قنصل امريكا بطنجة فى الموضوع بلفظه:

«الحمد لله فسينة الميكان فى طنجة لمراكشة تاريخ ٢٥ أبريل عام ١٨٨٧ سمع قونصو المريكان وأن أناسا ليسوا من جنس المريكان وفى زمان قبضوا حامية المريكان وبسببها عملوا قبيحا لعمال المخزن يظلمون الناس ويأكلون أموالهم بسببهم حمايات والآخرون غير حمايات وهذا بخلاف قوانين دولة المركان.

والآن قونصو المركان يعطى الإذن وأن كل من هو مـحمى وله ورقة من قبل هذا التاريـخ وهو من أول يوم فى يونيو عـام ١٨٨٧ لا تنفعه فـى ذلك اليوم ولا بعده، ومن هنا إلى الأمـام لا تعطى حماية المركان إلا لمن يستـحقها ليـحصن بها نفسه وماله.

الشروط كما هم مكتوبون أسفله:

كل من هو نائب قنصل دولة المركان فى مراسى السلطان نصره الله يقدر أن يطلب الحمية على ١ مخزنى ١ ترجمان ١ كاتب ٢ متعلمين.

نائب القنصل إذا كـان من رعية السلطـان نصره الله يقدر أن يعـمل الحمـية على مخزنى واحد.

كل من مركان أو كـمبانية المركـان فى البيع والشراء فى سلوع كـثيرة داخل وخارج فى إيالة مراكش يقدر أن يطلب الحاميـة على اثنين سماسير آخرين فى كل دار بالمراسى إن كان لهم فيها بيع وشراء.

هذه التى ستذكر أسفله لابد منها:

١- لابد من له الحـميـة من المذكورين أعـلاه تكون له حـين يكتب عليهـا القنصل فى طنجة لأنه هو الذى يقدر على إعطائها.

٢- لابد التاجر الذى يطلب الحمية على السمسار متاعه يرسل كاغيط باسم السمسار وعدد سنه وكم عدد الخدمة وما هى الخدمة التى يعملها السمسار، ويكون مكتوبا بخط يد التاجر.

٣- وإذا كان الذى يريد الحمية ساكن معه أحد فى داره من أقاربته لابد يذكر أسماءهم وعدد سنهم وما نسبتهم منه.

٤- ولا تكون الحامية لأحد من خدام السلطان نصره الله ولا لمن له دعوة عند الشرع وهو ظالم دون ما ذكرنا على ورقة الحامية القنصل فى طنجة يقدر على إعطاء ورقة فيها فلان هو خادم فلان المحمى، ليكون له التحصين والحفظ لأموال المحمى لا غير، والقنصل يعمل هذا ليحصن الأموال والكسب والحراثة للناس الذين هم من جنس المركان والناس الذى لهم الحامية، وهذه الورقة تعريفا للمخزن بأن فلانا لا يظلم ولا يظلم وإن كان عليه حق لأحد فَيَدُ المخزن عليه طويلة».

هذا ولو تتبعنا ما لدينا ما حوته مكتبتنا من الأوراق الرسمية والظهائر المولوية الراجعة للعلائق السياسية بين الدولة المغربية الحسنية والدول الأوربية لجاء فى مجلدات، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله.

وقد أتينا لك أيها المطالع بالنصوص المتبادلة بين نواب الدول الأجنبية ونواب الحكومة الشريفة فى المؤتمرات السياسية والاجتماعات الرسمية على ما فيها من علل التركيب وركاكة الإنشاء وعدم التنظيم محافظة على نص الأصل وعدم تغييره واعتمادا على همة القارئ اللبيب الذى لا تعزب عنه الحقيقة وسترى بقية من ذلك بعد هذا بقريب.

على أننا بذلنا الوسع والجهد المستطاع، واستعملنا ما فى الإمكان لحشر مواد غزيرة فى الموضوع أمام نظر المطالع الكريم، ربما تستحيل عليه مطالعتها فى غير

هذا الكتاب، فيرى مثالا لكيفية ابتداء المخابرة أولا بين الحكومة المغربية والدول الأوربية، ثم المحور الذى دارت حوله تلك المخابرات إلى أن بعثت السفارات وقامت بفصل القضايا المراد فصلها، لا يخفى ما فى ذلك من فائدة إظهار الحقيقة وتفهمها.

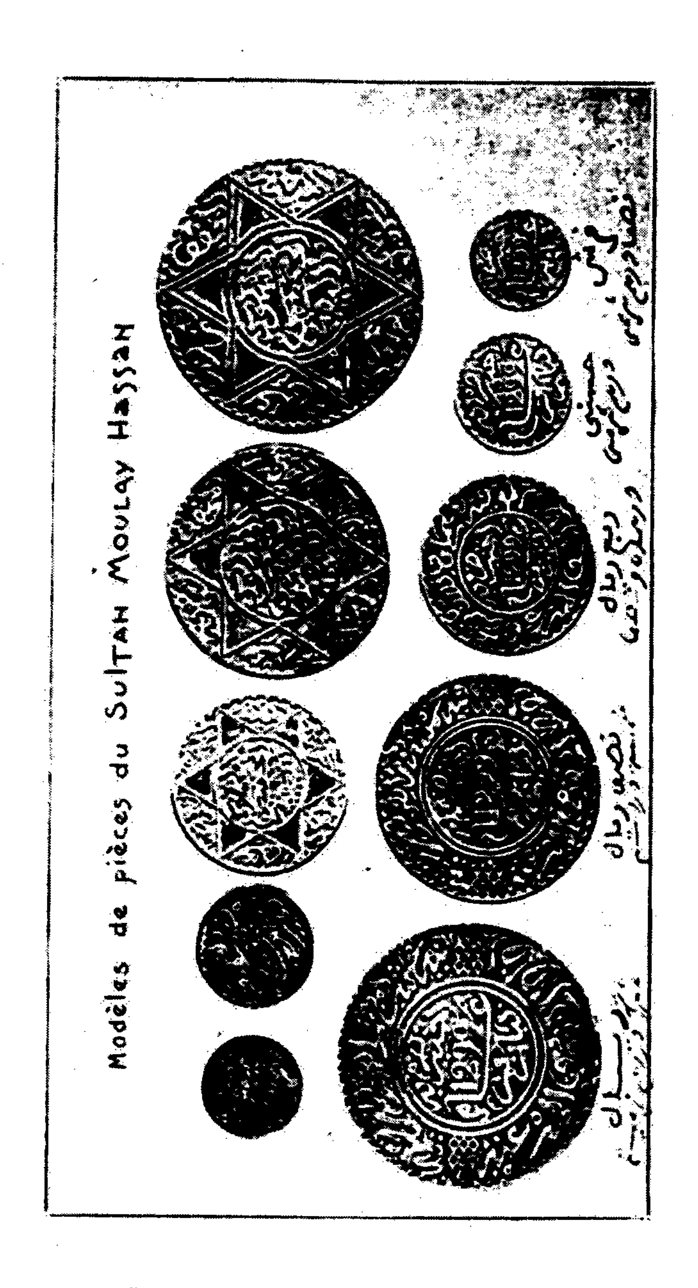
ضربه السكة الحسنية

ومن أهم أعماله وتنظيماته قيامه بضرب السكة الحسنية التى لا زال الناس يتعاملون بها فى بعض أرجاء المغرب إلى الآن حسبما هو مفصل بالظهير المولوى الصادر فى ذلك الصدد للنائب السلطانى بطنجة السيد محمد فتحا بركاش، وإليك نصه:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف ضرب سكة شرعية تتصارف بها رعيتنا فى إيالتنا السعيدة وتكون على كيفية مخصوصة وعمل خاص موافق للشرع، مبنى أصلها على الدرهم الشرعى الذى كان فى أيام جدنا الأكبر مولاى إسماعيل رحمه الله، وجدنا الأقدس سيدى الكبير نعم الله روحه، والمنصور السعدى، وأبى الحسن المرينى، وغيرهم من ملوك دول المغرب السالفة رحمهم الله جارية على عرف البلد الجارى بين الناس فى المعاملات والزكاة والقسامات والفرائض والبيوعات والشراءات ونحو ذلك، وأن يضرب منها مقدار عشرين مليونا من الفرنك الفرانصيصى.

فنأمرك أن تعقد كنطردتها مع من يظهر لك من التجار الذين لهم المجال فى ذلك وترضى ذمتهم ويقبلها باشادور الفرنصيص بطنجة ووزير الأمور البرانية



النقود الفضية الشرعية الحسنية

بدولته، سواء كان التاجر جراميل بونى الفرنصيصى الذى تقدم الكلام معه فيها بالوسائط أو غيره.

وقد فوضنا لك فى جعل ذلك على يد المخزن أو على يد التجار، ثم إن اقتضى النظر أن يكون على يد التجار فلا بد من موافقة من ذكر وزير الأمور البرانية ونحوه، نعم من اتفقت الآراء على عقدها معه لا من المخزن ولا من التجار حتى التاجر المذكور يكون عقدها معه على شروط: وهى أن يضرب مقدار خمسة ملايين من العشرين مليونا من الفرنك المذكورة ريالا وزنه عشرة دراهم شرعية يكون مماثلا لريال الفرنصيص فى المعيار والصفاء، ومقدار مليونين منها يضرب نصف ريال وزنه خمسة دراهم شرعية يكون مماثلا للفرنك الفرانصيصى فى المعيار والصفاء، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب ربع ريال وزنه درهمان شرعيان ونصف درهم شرعى يكون مماثلا أيضا للفرنك الفرنصيصى فيما ذكر، ومقدار أربعة ملايين منها يضرب عشر ريال وزنه درهم شرعى مماثلا للفرنك المذكور فى المعيار والصفاء، ومقدار خمسة ملايين منها تضرب نصف عشر الريال وزنه نصف درهم شرعى يكون كالفرنك الفرنصيصى فى المعيار والصفاء.

وأن يكون طرف هذه السكك مشرطا وكتابته من الجهتين على المثال الواصل إليك، وأن يكون ذلك على قانون البحر وما جرى به الحكم والعرف هناك عند الجنس المذكور، ولم يكن ممنوعا فى شرعنا، وأن يعين المخزن أو التاجر الذى تعقد معه كنطردة ذلك نائبا عنه بطنجة يكون يحوز منك المال الذى يوجه لك من حضرتنا الشريفة بقصد الضرب، ويحوز ما يرد منه مضروبا من باريز ويدفعه لك لتوجهه على يدك لحضرتنا الشريفة.

وبعد عده وتقليبه واختباره بالوزن وغيره وقبول الصافى ورد غيره إن وجد وأن يسقط المعقود معه ذلك المطالبة بجميع مصاريف ضرب السكة المذكورة،

ويسامح له فى مقابلتها فى الربح الذى ينتج من ضرب العشرين مليونا المذكورة، وأن يسبق له مقدار مليون واحد من الفرنك يشرع منه ضرب السكك المذكورة لئلا يقع تعطيل فى الضرب.

وبعد ضرب التاجر المعقودة معه كنطردة ذلك تسعة عشر مليونا من العشرين مليونا من الفرنك المذكورة، وتوجيهها لحضرتنا العالية بالله يضرب المليون من الفرنك المسبق له ويوجههم لحضرتنا السعيدة على يدك كذلك، وأن يوجه بعد مضى أربعة أشهر من تاريخ كنطردة ذلك التى تعقد على يدك مقدار سبعمائة ألف وخمسين ألفا من الفرنك مضروبا من السكة الجديدة المذكورة ويحوز بدله لويزا أو ريالا فرنصيصا أو درهما أو ارحاء ذهب أو فضة أى نوع تأتى من الأنواع بعضها أو مجموعها، وأنه إن كان بدلها درهما أو ارحاء ذهبا أو فضة فيذاب ذلك هنا ويصفى على ميزان سكة الفرانصيص ما يجعل ريالا على نسبة معيار ريالهم، وكذلك ما يجعل أجزاء الريال على نسبة أجزاء ريالهم، ويثمن الجميع ويدفع نائب التاجر المعقود معه ذلك على يدك موزونا مثمنا موقوفا على المعيار المذكور.

وبعد توجيه التاجر مقدار السبعمائة والخمسين ألفا من الفرنك من السكة الجديدة يكون يوجه مثله كل شهر ويحوز بدله على نحو ما ذكر والسلام فى ١٢ جمادى الثانية عام ١٢٩٨».

وعلى مقتضى ما ورد فى هذا الظهير المولوى انعقد الاتفاق على ضرب هذه السكة الفضية بباريس، ونص ظهير شريف مما أصدره للنائب المذكور فى شأن المليون من الفرنك الذى يسبق لأرباب الضرب بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأنك لما حللت برباط الفتح بحثت عن مشاهرة النجليز هل توجهت أم لا فوجدتها لا زالت لم تتوجه، وسألت الأمناء هل هى تحت أيديهم فذكروا لك أن ليس تحت أيديهم إلا دراهم تركها الأمين ابن جلون على وجه الحفظ والأمانة، وطلبت إصدار أمرنا الشريف بتوجيهها وبتوجيه المليون من الفرنك الذى يسبق لأصحاب كنطردة السكة وصار ذلك بالبال، فأما المشاهرة فميسرة وبمجرد خروجنا من زعير بالسلامة والعافية بحول الله توجه فى الأمان. وأما المليون من الفرنك الذى يسبق لمن ذكر فموقوف توجيهه على الأمينين المكلفين بأمر السكة كما علمت، وقد كتبنا عليهما وأنت بحضرتنا الشريفة، وبمجرد وصولهما أو أحدهما يوجه ذلك على يديهما ليبقى الأمر مضبوطا فيها على نحو ما أسس والسلام فى ٦ من رمضان عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه فى شأن سبيكة فضة وجهت بدلا من السكة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بوصول الرفقة الثالثة من سبيكة الفضة الموجهة لك بقصد بدل الدفع الثانى من السكة الجديدة السعيدة المبين لك عددها ٦٥٧٩ ووزنها ٤٨، ٤، ٣٤٥٠ صافيا من الطارة بميزان النجليز وحيازة أمينى السكة لها واختيارهم عددها ووزنها، فألفوا عددها موافقا ووزنها هناك بميزان نجليزى محقق ناقصا عن وزنها هنا المشار إليه بثلاثة وثلاثين رطلا وأربع عشرة أوقية وستة أثمان الأوقية حسبما بجوابهم الذى وجهت.

وأنت لا زلت فى انتظار جوابنا الشريف بما يكون عليه العمل فى السكة المذكورة، لكون نائب أصحاب كنطردة السكة وجه لك على يد نائب الفرنصيص الاسترعاء الذى وجهت، فقد توجه لك الجواب عن ذلك أولا فى أواخر المحرم، وثانيا فى الخامس من شهر تاريخه بأن تثمين السبيكة المذكورة بسبعة عشر ريالا

للرطل فيه بخس لكونها مصوغة من الدرهم، والشروط المعقودة مع أصحاب الكنطردة فيها دفع بدل السكة الجديدة لويزا أو ريالا فرنك أو درهما أو ارحاء ذهب أو فضة، وبأننا لما علمنا أن هذه السكة تسلك فى أجزاء الريال الشرعى ويحصل فيها الربح لهم لكون عيارهم أحسن من عيار الفرنك المشروط مماثلة عيار الأجزاء المذكورة له، تركنا التعرض لثمنها، ولو علمنا أنها لا تسلك وعيار الفرنك أحسن منها لأشرنا عليك ببيعها بالثمن الذى تقبله فيها بحيث إذا ساوته فذاك وإلا فترد بأن تتكلم مع نائب أصحاب الكنطردة وتعرفه بذلك وتسايس معه، حتى يحوز السبيكة المذكورة بثمن الريال الفرنك ويصوغها أجزاء الريال الشرعى، بحيث لا يقع فيها كسر، لأن هذا القدر منها بالنسبة للعدد الذى يضرب سكة جديدة كلا شىء.

وحتى إن طلبوا الأجرة على صوغها أجزاء حيث ربحه قليل، فتعطاهم ارتكابا لأخف الضررين، على أنه لا ضرر عندنا فيه لا من جهة الصرف ولا من جهة الشروط حيث عياره موافق لعيار بعض المسكوك الذى فى الشروط، وفى المستقبل يوجه لهم غيرها، أو تتفاوض معه فى ضربها أجزاء الريال الشرعى زيادة على العدد الذى عقدت معهم الكنطردة على ضربه بحيث يضربونها على حدتها ممتازة عنه بأجرة مناسبة.

وإن قبل منك أحد الأمرين المذكورين فذاك، وإلا فالأمناء يوجهونها لبيت المال عمره الله بفاس على يد أخينا مولاى إسماعيل وتطالع علمنا الشريف بذلك ليوجه لك بدلها، وأمرناك بأن تنظر أنت وأمينا السكة فى ذلك وما ظهر لكم فيه المصلحة فيه العمل، وبأن العمل فى وزنها على ما حققوه هناك حيث الذى هنا غير محقق، فامض على ذلك سددك الله والسلام فى ١٧ من صفر عام ١٢٩٩».

ونص الرد الشريف على جواب النائب عن الكتاب المذكور:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركـاش، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك عـما كتبناه لك فى شـأن سبيكة الفضـة الموجهة على يدك لطنجة وفى شأن المائة والخمسة والعشرين درهمـا الموجهة لك لتدفعها لأمينى السكة، وتبين لهم أن الريال الشرعى فيه عشرة منها، وذكرت أنك بصدد توجيهها لهم وإعلامهم بذلك، ونبهت على أن السبـيكة المذكورة إذا خرجت من طنجة قبل ورود بدلهـا يكون بدل الدفع الأول والثـانى من السكة الجـديدة لا زال لم يرد مع فوات وقته، وأنه حيث حصل الضيق فى المحل بهـا تأذن للأمينين المشار إليهما فى توجيهها لأمناء بيت المال بفاس ليفرغ محلها، وحيث تقع الموافقة فى قبولها تطالع علمنا الشريف لنأمر بردها لطنجة.

وطلبت إصدار أمرنا الـشريف لأمينى السكة بحيازة دفع الـسكة الجديدة بعد عدّه ووزنه وتقليبه ليفرغ محله، وعلمنا ما أشرت إليـه من تأخير استعمال السياسة مع أصحاب الكنطردة فى حـيازة السبيكة المذكورة إلى تمام نـحو النصف أو الثلثين من العمل، وحينئذ تسـتعملها معهم، وإن قبلوها فذاك، وإلا فـتخاطبهم بالأجرة حسبما أشرنا، ومن توجيه البـدل عينا عن جميع ما ورد من السكة الجديدة ليرتفع لهم الإشكال ويقع الدفع والقـبض، كمـا علمنا مـا ذكرته من أنك كنت وجـهت الأمثلة الموزونة من الفـضة الموجهة لك من حـضرتنا الشريفة، لمخزن الـفرنصيص لتدفع لكبير دار السكة، ويكون العـمل عليها فى الوزن، وان كانت الدراهم ١٢٥ المذكورة موافقة لها فى الوزن فذاك، وإن كان بينهما خلاف فلا حجة عليهم لأنهم شرعوا فى العمل على الأمثلة المشار إليها، وإن خالفوها فالحجة عليهم، على أنهم لا يخالفونها ولا تأتى السكة إلا على مثالها.

فأمـا ما ذكرته من أنـك بصدد توجيـه الدراهم المذكورة لأميـنى السكة وما نبهت عليه فى شأن خروج السبيكة من طنجة قبل ورود بدلها فصار كله بالبال.

وأما ما أنت بصـدده من الإذن لأمينى السكة فى توجيه السـبيكة لأمناء بيت المال بفاس، وما طلبته من إصدار أمرنا الشريف لهما بحيازة البدل الجديد بعد عده ووزنه وتقليبه، فقد أجبناك عن ذلك فى غير هذا.

وأما ما أشـرت إليه من تأخير استـعمال السياسـة معهم فى حيـازة السبيكة المذكورة علمناه ومن توجـيه البدل عينا عن جـميع ما ورد من السكة الجـديدة فقد وجـهنا لك ثـلاثمـائة ألف ريال من قـبـل بدل الدفع الثـالث والرابـع من السكة الجديدة، ومـاتتين ألف ريال من قبل بدل العـدد من السبيكة المذكـورة الموجه لك بقصد بدل الدفع الأول والثانى من السكة الجـديدة، والمائة ألف ريال الباقية لكمال بدل السبيكة المذكورة فى الأثر تصلك، وقد قدمنا لك الكتابة بهذا.

وأما ما نبهت عليـه فى شأن الأمثلة المذكورة، فقد أحسنـت فى التنبيه عليه أصلحك الله، وتلك الأمثلة كنا اتكلنا فى تحقيق وزنها بميزان الدرهم الشرعى على من لهم معرفة بذلك من جهة الشرع ومن جهة الوزن، فإذا به لما نبهت عليها أمرنا الأمناء والقـضاة والفـقهاء بإعـادة وزن نظير الأمـثلة المشار إلـيها الذى كـان بقى بحضرتنا الشريفـة، فألفوا ناقصا من مثال الـريال نصف درهم شرعى، ومن مثال نصف الريال ربع درهـم شرعـى وربع ربعـه، ومن مـثال ربـع الريال ثمن درهم شرعى، ومثـالا الدرهم الشرعى ونصفه ألفـوهما موافقـين لوزن الدرهم الشرعى ونصفه، وقد أجـبناك عن ذلك فى غير هذا صحبة خـديمنا الأمين الطالب بناصر غنام والسلام فى ٢٥ من صفر عام ١٢٩٩».

ونص ما أصدره فيما يتعلق بالسكة المضروبة على أمثلة غير محققة الوزن:

«خديمنا الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه جواب نائب أصحاب كنطردة السكة لك بأنه ضرب الطلكراف لأصحاب الفبركة بتوقيف ضرب السكة إلى أن توجه لهم الأمثلة المحققة الوزن، وتوقف فيما هو مضروب منها، ولا زال بباريز قبل وصول الطلكراف لهم، كما توقف الأمناء فى حيازة ما هو تحت يده بطنجة ودفع بدله لكونك كنت وجهت لهم نسخة من كتابنا الشريف المذكور وفيه: أن ما كان على الأمثلة التى كانت وجهت لك قبل، يحاز على مقتضى الشروط، وذكروا لك أن الأمثلة المذكورة ليست تحت أيديهم ليحوزواعلى مقتضاها، فبينت لهم الميزان الذى كنت بينته لجانبنا العالى بالله، وأذنت لهم فى الحيازة، ودفع البدل وأجبت النائب المذكور عما توقف فيه من السكة المضروبة التى لازالت بباريز بأن أمرها متوقف على اطلاع علمنا الشريف به.

وبأنك أذنت الأمناء فى حيازة ما هو منها بطنجة ودفع بدله، وصار ذلك بالبال.

فأما تبيينك الميزان للأمناء وإذنك لهم فى الحيازة ودفع البدل فالعمل عليه، وأما السكة المضروبة التى لازالت بباريز فإن كانوا يقبلونها مشاهرة تدفع لهم أو تدفع لهم على نحو ما يقع به الفصل عما هو منها بطنجة، لأن دفعه من هناك على كلا الوجهين أولى من توجيهه لطنجة ورده من وجوه التى من جملتها المصاريف والسلام فى ٢٢ من ربيع الأول النبوى عام ١٢٩٩».

ونص ما كتبه فى توجيه السكة الجديدة للحضرة الشريفة وما يتعلق بذلك:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأنك أجبت جانبنا العالى بالله عما أمرناك به من توجيه ما كان ورد لطنجة من السكة الجديدة الأولى صحبة المخازنية الموجهين لك للإتيان بها بما فى النسخة التى وجهت بحرا لنكون على بصيرة فيما ذكرته فيها ريثما يصل المخازنية لحضرتنا الشريفة بأصلها بـرا، فقد وصلت، وعلمنا ما ذكرته فيها من أن كتابنا الشريف كان وصلك مؤرخا بالعشرين من صفر الماضى بأن تأذن لأمينى السكة فى حيازة ما ألفاه الحال وصل لطنجة من السكة الجديدة على نحو الشروط المعقودة مع أصحاب الكنطردة، فأذنت لهما فى حيازة ذلك فحازاه ودفعا بدله غير أنه حيث كان بصدد الرجوع لباريز بأمرنا الشريف الصادر لك بدفعه لنائب أصحاب الكنطردة فى المشاهرة على حكم الشرط المقرر فى ظهيرنا الشريف المعقودة الكنطردة على مقتضاه، وإن لم يقبله تتفاصل معه على ضربه بأجرة مناسبة مع عجز أمينى السكة عن التذويق لعدم معرفتهم به لم تقع مبالغة فى التذويق لكونها بصدد الرجوع، واكتفاء بما ذوقه خديمنا الأمين غنام بطنجة منها، ومن الفرنك الفرنصيصى فوجد عيارها أفضل من عيار الفرنك بشىء تافه وأنك وجهت لحضرتنا الشريفة الدراهم التى كانت وردت فى سكة أنصاف الريال وقدرها ٢٨٠٠٠٠ مائتان ألف ريال وثمانون ألف ريال فى صناديق ٢٨٠ ميزان ما بداخل كل صندوق منها بميزان الفرنصيص سبعة وعشرون كيلو وستة وثمانون اكرام يجب فى ميزان الجميع سبعة آلاف كيلو وخمسمائة وأربعة وثمانون اكرام وهو ميزان الريال ١، ٣٠٣٣٦٣ الذى دفع أمينا السكة فى بدل ذلك حسبما هو مبين فى كتابهم لك الذى وجهت.

وطلبت تقليب ذلك هنا وتذويقه، وإن وجد غير موافق للفرنك الفرانصيصى نعلمك لتتكلم معهم فى رجوع ذلك وتبديله، ولا يكون فى حساب المشاهرات أو ضربه بالأجرة، ويكون من حساب الكنطردة، وأن الحال اقتضى أن لا تحرك ساكنا

فيمـا هو مضروب من ذلك ولا زال بباريز حتى يقـدم نائب أصحاب الكنطردة من سفره لكون نائبه بطنجة يسـألك كل يوم هل ورد جوابنا الشريف عن المائة والستين صندوقا من السكة المعادة فتسوفه إلى أن يرد عليك جوابنا وصار ذلك بالبال.

أما عجـز الأمناء عن التذويق واعتذارهم بعـدم معرفته حـيث هو من شغل المعلمين الصواغة فلا مفهـوم له، إذ هو روح عملهم ومركزه، وعليه مداره، وهو أول شرط فى خـدمتهمـا بل معتـمد شروطهمـا، إذ ليس كل من أمن على شيء يكون هو حرفته بل تكون عنده الملكة فيه حتى لا تتمشى عليه حيل أهل حرفته فيه وما وجهـوا لهناك إلا بقصد ذلك، وإلا فـالعد والقبض والدفع يعرفـه كل أحد، ومن كلف به يقوم به.

وأما مثال أنصاف الريال من السكة الأولى الذى كنت وجهت، فقد ذوق هنا على يد المعلمين ثلاث مرات، فخرج مماثلا للفرنك الفرانصيصى من غير زيادة ولا نقصان، ولم يوجد أفضل من عيار الفرنك المذكور كما ذكر الأمين غنام.

وأما المائة والثمانون ألف ريال من أنصـاف ريال السكة الجديدة التى وجهت مع المخازنية الذين ذكرت فلا زالت لم تصل، وحيث تصل تجاب عنها.

وأما ما ذكرته من أن الحال اقـتضى أن لا تحرك ساكنا الآن لما بقى من السكة بباريز لأجل ما ذكـرته، فلابد من توجيهه لحـضرتنا العالية بالله كـما قدمنا لك به أمرنا الشريف، إذ لا معنى لإبقائه بباريز، وإلا يحسب عليهم فى المشاهرة، فعجل بالجواب عنه بأحد الأمرين.

وأما المائة والستـون صندوقا من السكة المعادة، فقد قـدمنا لك الجواب عنها فى أوائل شـهر تاريخـه بأن تأذن لأمينى السكة فى حـيازتهـا بعد التـقليب الذى

تقتضيه الشـروط، ودفع بدلها من السبيكة التى تحت يديهما، وتوجيـهها لحضرتنا الشريفة فالعمل عليه والسلام فى ٢ من ذى القعدة عام ١٢٩٩».

وإليك ما أصـدره للنائب المذكور فى شأن ضـرب الفلوس وأمثلتهـا ووزنها وأنواعها:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد كنا وجهنا لك أمثلة من نصف الفلس ١ والفلس ٢ والفلسين ٣ والأربعة افلس ٤ والموزونـة ٥ وأمرناك بأن تجعل أمـثلة عليهـا محقـقة الوزن على نسبـة خمسة وعشـرين ٢٥ ربحا فى المائة فقط وفق مـا كنت أشرت، وزدناك هذا تذكرة وتأكيدا فـى ذلك، وعليه فعجل بجعلها واجلب من كل مـثال منها من بلاد البلجيك أو غيـره نحو الخمسة والعشـرين مثالا متقنة التـقطيع محكمة الوزن على نسبة الربح المـذكور لا نقش فيها ولا تاريخ عـدى ميزان ما فى كل مـثال منها من الاكرام أو السنطيم فينقش فى أحـد وجهيه، ووجه ذلك واصلا لحضـرتنا الشريفة لتقطع الفلوس على ميزانه وتجعل له الطوابع هنا، ويشرع فى ضرب الفلوس لكون الناس فى شدة الاحتياج إليها للمصارفة، ونحن ننتظر منك ذلك يمسى أو يصبح، وعليه فقدم شغله على كل شىء ولابد والسلام فى ١٩ شوال عام ١٣٠٠».

ونص ما بعثه للنائب فى مسألة الريال الناقص الوزن:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصـل كتابك بأن أصـحاب كنطدة السـكة أخبروا بأن الثـمن الذى يقبلـون به عيار سكة الريـال الناقص الوزن هو مائة وأربعـة وستون فـرنك للكيلو

يجب فيه كسر ٧٠، ٢، ٣٢٧٠١ اثنان وثلاثون ألف ريال وسبعمائة ريال وريال وفرنكان وسبعون سنطيما وفى كسر أنصافه بسوم مائة واثنين وخمسين فرنك ونصف فرنك للكيلو ٨٠، ٣، ٩٤٩٩١ أربعة وتسعون ألف ريال وتسعمائة ريال وواحد وتسعون ريالا وثلاثة فرنك وثمانون سنطيما الجميع ٧٠، ١، ١٢٧٦٩٣ مائة ألف ريال وسبعة وعشرون ألف ريال وستمائة ريال وثلاثة وتسعون ريالا وفرنك وسبعون سنطيما.

حسبما هو مبين فى تقييد أمينى السكة الذى وجهت وذكرت أن هذا باعتبار سوم الفضة الآن، ويمكن أن يزيد أو ينقص فى وقت الدفع بشىء يسير وصار ذلك بالبال، وقد قبلنا دفعها لهم بالسومين المذكورين فادفعها لهم حيث يحل أجل دفعها على القاعدة من دفع البدل وحيازة المبدل منه يدا بيد بالعد والوزن والتذويق، ولا تنتظر تمام الكلام فى شأن قبول دولتهم روجان السكة التى أرادوا ضربها بإيالتها ليجدهم الحال إذا لم تقبل ذلك دولتهم قبلوا تلك المشاهرات ٤ وضربوها على نحو السوم الذى تفاصلت به معهم، وتكفى كلفة مدة تعطيل آخر وتسقط، وإذا قبلته تقبض منهم المشاهرات المذكورة مضروبة ريالا من النوع الذى طلبوا ضربه، وتختبر وتدفع لهم فى مشاهرتهم، ولا يلزم فيها كسر ولا أجرة ضرب حسبما اتفق عليه معهم الخديم الزبدى والسلام فى ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٠١».

ونص ظهير شريف آخر:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأن السداد الذى ظهر للخديم الزبدى فى شأن السكة فيه ترك الكسر وربح ثلاثة فى المائة ومصلحة ثانى لتجار هذه الإيالة، توجيه تلك

السكة لبـر النصـارى فى ثمن السلع البـحـرية، لأنهـا إذا كانت مـسـاوية لسكة الفرنصيص وزنا وعيـارا مقبولة بإيالته تكون مقبـولة فى إيالات أخرى مثل سكته، ولم يظهر لك فى ذلك ضرر، إلا أنه لابد من استـفهام دولة الفرنصيص أولا هل تساعد على قبول روجانها بإيالتها أم لا؟ وصار ذلك بالبال.

وحيث كـان لا ضرر فى السداد المشار إليـه وفيه المصلحة التى بينـت، فقد ساعـدنا عليه على نحـو ما عمله مـعهم الخديم الحـاج محمـد الزبدى من ضرب العشـرة ملايين من الريـال وأجزائه، الريال على وزن ريال الفـرنصيص، وعـياره وأجزاؤه على وزن أجزاء الريال الفـرنصيصى وعيارها فى اسم المخـزن ودفعهم من عندهم جميع مـا يلزم لذلك من شراء الفضة وطوابعـها وصوائرها وخدمـتها ولا يلزم جانب المخزن شىء من الأشياء التى تتعلق بها لا ما قل ولا ما جل.

وطلب المخزن من دولتـهم ضرب العدد المذكور بمحل ضرب سكـتهم بباريز وقبول المـصارفة بها فى إيالتـهم وإعطائهم للمخزن ثلاثة فى المائة، وتقـديمهم له نصف ما يـجب فيهـا وهو مائة وخـمسون ألـف ريال عند شروعهم فـى العمل، وإسقـاطهم جمـيع ما يطلبونه من الـضرر والانطريس بسبب تعطـيل المشاهرات، وإتيانهم بما يضربونه منها كل شهر لثغر طنجة ويوضع ببيت مالها ويحسب على يد الأمناء على القاعدة وبعـد تسليمه يرد لهم يتوجهون به لبلدهم ويـتصارفون به مع التجار إلى أن يتم الـعمل، ولا يلزم جانب المخزن شىء وضربهم الـسكة الناقصة الوزن من نوع الريال الذى يطلبـون ضربه ولا يـلزم المخزن فـيهـا كسـر ولا أجرة ضرب، وإتيـانهم بها بعـد ضربهـا بقصـد الاختبـار ثم تدفع لهم فى مشـاهرتهم ويضربون النصف من العشرة ملايين ريالا أو أكثر، عدا ما ذكره الخديم المذكور من كون روجان هذا الريال الذى يضربونه يكون بثمانية دراهم وثمن.

فإن أمكنك إسقاطه من الكنطردة فهـو الأولى، لأن وزن هذا الصرف اختبر

فنقص عن وزن الفرنك بنصف درهم غير جزء من أربعين جزءا، أو تعقد الكنطردة على روجانه بما فى وزنه من الدراهم.

نعم ارتكب الحزم وانتهز الفرصة فى دفع الأربع مشاهرات من السكة الناقصة الوزن لهم على قاعدة دفع المشاهرات، ثم باشر أمر قبول دولتهم لروجان تلك السكة بإيالتها، بحيث إذا قبلته تقبض منهم المشاهرات الأربع على الكيفية المذكورة أعلاه، وإذا لم تقبله يجدهم الحال قبلوها وضربوها على نحو السوم الذى تراضيت معهم عليه وقبلوه فقد وافقنا عليه، وتكون كلفة مدة تعطيل آخر سقطت والسلام فى ١٧ جمادى الأولى عام ١٣٠١».

ونص ما أصدره للأمين السفير الزبدى فيما وقع من الكلام مع سفير انجلترا فى شأن سكة النحاس:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبيدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك بأنك لما تلاقيت مع باشدور النجليز تكلم معك فى شأن سكة النحاس التى كان تكلم فيها وهو بحضرتنا الشريفة، وذكر لك أننا أمرناه بالمذاكرة معك فى ذلك وأطلعك على كناش صغير بعض أوراقه مطبوعة بسكك الأجناس النحاسية، مظهرا أن تلك السكك كلها مضروبة عندهم فى فبركة مخصوصة، وأنه تكلم مع صاحب تلك الفبركة ومع أرباب السلف باللندريز، وطلب منك أن تتلاقى مع نائب أرباب السلف الذى بطنجة فسوفته، وظهر لك عدم الملاقاة به والتنصل إن وجدت السبيل لذلك، وأعلمت بهذا لنكون منه على بال، وحين ترجع لحضرتنا الشريفة تشافه بما ظهر لك فى ذلك وصار ذلك بالبال والعمل على ما ظهر لك فى ذلك والسلام فى ٤ صفر الخير عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه الحاجب السلطاني للزبيدى المذكور فى مفاوضته مع نائب سفير فرنسا فى شأن السكة:

«محبنا وأمين سيدنا الأعز الأرضى السيد الحاج محمد الزبيدى، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله:

وبعد: فقد وصلنا كتابك معلما بأنك تلاقيت مع خليفة باشدور الفرنصيص شارل اكار فى شأن السكة عملا بما قدمناه لك من الإذن الشريف فى ذلك، وتفاوضت معه فى ضربها على ثلاثة أصناف بين ذهب وفضة ونحاس.

وبعد أن تأملت فى أمرها وخضت معه بالقاعدة فيها والوجوه التى لابد من الكلام فيها، ظهر لك أن ضربها متعين من وجوه بينتها، وأن الربح فى ضربها الآن ظاهر لبيت المال فى الحال والاستقبال.

وقيدت ما دار بينكما فيها فى ورقة خاصة وجهتها ووجهت التقييدين المتضمنين للوجهين فى عقد الكنطردة فيها أحدهما بما يجب لجانب سيدنا أيده الله وعليه فيها والثانى كرجة لا يعرف سيدنا أعزه الله إلا السكة، وما يجب لسيادته من الربح من غير شىء يلزمه ووقع اختيارك على الوجه الثانى لما فيه من السلامة والدفع يدا بيد، بحيث لا نقدم لهم من عندنا مالا ولا يلزمنا فى توجيهه ولا على ما يأتى من عندهم مضروبا صوائر، وتقديم الربح أولا.

وذكرت أن ذلك تيسير من الله بسعادة سيدنا نصره الله نعم ذكرت أن الدرهم المضروب عند سيدنا أيده الله لم يقبله لأجل تلك الزيادة الزائدة فيه على عيار افرانصة وغيرها من الأجناس، فقد أطلعنا بذلك كله علم مولانا نصره الله فتأمله واختبره ورأى أيده الله عدة ما تضمنه من الملايين، فقال أعزه الله: وجود الشرط وهو عدة الملايين مفقود فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط والمقصود هو

صوغ الدرهم والحلى الموجود تحت اليد هنا ريالا وسكة مختلفة شيئا فشيئا، ومع طول المدة يوجد العدد المذكور بحول الله من غير شرط ولا حصر، هذا جوابه نصره الله بلفظه الشريف وعلى المحبة والسلام فى ٤ ربيع الأول ١٢٩٨.

أحمد بن موسى لطف الله به».

ونص ما كتبه سفير الانجليز للزبيدى فى شأن السكة النحاسية التى أراد السفير أن تضرب ببلاده الانجليزية فأحالته الحضرة الشريفة على خديمها المذكور، والكتاب بنصه ولفظه وقد أمضاه بخطه العربى، لأنه كان يعرف العربية.

«إلى الخديم النصيح للحضرة الشريفة الأمين الرضى المحب السيد الحاج محمد الزبدى، إنا نسأل عنك ومحبة أن تكون بخير وعافية وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، بدوام الخير وتمام العافية.

وبعد: فوقت كنا فى الحضرة الشريفة فى إِبّان الربيع الفارط كنا أطلعنا العلم الشريف بالضرر الصادر للعامة فى رواج سكة النحاس القبيحة التى كل واحد قادر على تزويرها، ويسعى بذلك الربح لنفسه، ويركب أخلاطها كمثل ما يجعله المخزن، فهذا التذويب لهذه السكة النحاس يجعل فى بعض المواضع والصرف فى كل يوم فى الزيادة، فبيت المال والتجارة وأهل الإيالة يصدر لهم الضرر الكثير من ذلك، فقد كنا أشرنا على السلطان أيده الله يجعل أن تضرب فبريكة سكة النحاس فى مدينة برمنك هام، كما جعل ذلك دولة كريت ابريطن، وكثير من دول الأجناس.

فنطلب أن يجدد النظر فى التقييد الذى مكناه للحضرة الشريفة فإن السلطان أيده الله كان أجابنى بأنه استحسن نصيحتنا وعزم على العمل بمقتضى إشارتنا وقت الإمكان وذكر لنا اسمكم بأنكم أنتم إن شاء الله مكلفون بتأمل هذا الأمر...

فـوقت كنا فى بلادنا وقصـدنا تمكننا بزيادة الإعـلام فى هذا الأمـر، لنعلم بذلك السلطان أيده الله توجهنا بأنفسنا لمحل فبـركت مصرص هيلى فى المدينة المذكورة، ونظرنا إلى الأشغـال الكبار التى فيـها ألوف الخدامـين. . . فأرباب السلف مسـتر فلمنك ونائبهم مسـتر سميد هنا كانوا مشـوا معى إلى المكان المذكور، فنظرت إلى سكة النحـاس والفضة التى تضـرب ح والتى ضربت لبـعض من دول الأجناس، ونظرنا شـهادات تلك الدول المقـرة بأن ذاك أتى على وفق مرادهم لفـبركت مـسز مستر هيلى المذكـور، وكنا تحققنا من جميع ما نظرنا وما سمـعنا وما أخبرنا به أن هؤلاء أرباب الفبركـة المذكورة الذين هم أهل ثروة وأهل أموال كثـيرة هم أهل ثقة وصدق، ومروءة تامة كـما تشهد بذلك دولتنا وغيرها، ورب الفبركـة مستر هيلى أخبـرنى أن مستر فلمنـك الذى من أرباب السلف هو نائبهم وحيث مـستر سمـيد الذى هو مسـتقـر هنا هو نائب أرباب السلف وله الإعلام التـام فى هذه القضـية وبميده كناش مـتولى السكة مع شـهادات من بعض السـلاطين والدول الذى مراده يمكن لك ذلك لإعلام السلطان أيده الله، فنطلب منكـم رفعه للسلطان أيده الله، وتخبر جانبه الشريف أن هذا هو بمطلوبنا ومرادنا به خيره أيده الله، وتذكر لسيادته أنا طلبنا منكم الملاقـات بهذا نائب الفبـركة المذكورة فى غـد فى السعة عـشر من النهار بقـصد الإعلام لسـيادته بصحـة الخبر وثمـرة هذا الأمر المهم. . . . ونطلب منكم لما ترفع هذا الأمر للحـضرة الشريفة تجاوبنا بما اقـتضى نظره فى ذلك. . . . فترجمان هذا اللكاصيون فى الأمور السريـة مستر هارون امنسور يصحب مع مستر سميد المذكـور. . . وحيث سمعنا بأن قصدك ترجع للحضـرة الشريفة نريد نجدد لك كتـابة ما به طابت نفـسنا وفرحت له من كونك عـينك السلطان لفصـال أمور الحسـابات فنحن محـققون بنصـيحتك فى الخـدمة الشريفـة لكمال عـقلك وثمرة تدبيرك.

والحمد لله الذى تفاصلت الأمور فى شأن الحسابات بالجد والحق كما مراد الجانبين، فالحمد لله على ذلك حيث لم يبق تعليق فى الحسابات الذى كان يحصل الغيار لأهله ولدولتنا أيضا والسلام فى ٢٠ مارص عام ١٨٨١ موافق ١٩ ربيع الثانى عام ١٢٩٨.

جان هى در منض هى».

ونص ما كتبه الوزير الأكبر الجامعى للزبيدى فيما كان يدور من الكلام فى أمر السكة مع نائب سفير فرنسا:

«محبنا الأرضى الأمين السيد الحاج محمد الزبدى، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فأمر السكة الذى كان يدور بيننا وبين نائب باشدور الفرنصيص، كنا بصدد المفاوضة فيه فى عشية اليوم، فإذا بك حيث لم تطلع لدار المخزن لم نتبعك بالتوجيه عليك ودفعنا الظهير الذى يطلبه النائب للكبانية فى ذلك والزمام الراجع لها لسيدى مأمون، وشافهناه بما ينهيه إليك فى ذلك فنحبك بارك الله فيك أن تتقصى الأمر فى ذلك وتمعن النظر فى أحوال ذلك، وما ينبنى عليه حالا ومآلا، فإن أمكنك الطلوع بكرة غد فى الخامسة ونصف ومعك ما نشفى به الغليل فى ذلك فهو المراد، وإلا فوجه ذلك فى الوقت المذكور لدار المخزن ليدنا ولابد بارك الله فيك، وعلى المحبة والسلام ٢٤ جمادى الأولى عام ١٢٩٨ وذلك عن أمر مولانا نصره الله.

محمد بن العربى خار الله له».

ونص الكتاب السرى الذى وجهه سفير الإنجليز للزبيدى فيما بلغه من ضرب السكة النحاسية بفرنسا مع أولوية بلاده بالقيام بذلك وما وصله من خرق الترجمان الفرنسى لمعاهدة مدريد ببيعه الحماية ليهود مكناس:

«خديم الحضرة الشريفة الفقيه المحب الأمين النبيه الرضى السيد الحاج محمد الزبدى، إنا نسأل عنك غاية ومحبة أن تكون بخير وعافية مع السلام التام.

وبعد: فقد أُخبرنا بوجه السر أن ترجمان الفرنصيص الذى هو الآن بالحضرة الشريفة خاطب بأن يسلف من جهة دولة الفرنصيص عدداً من المال ليجعل بها سكة النحاس بافرانصة، لكن السلطان لم يقبل ذلك. . . . . . . فإذا السلطان أيده الله يفعل ما كنا أشرنا به فى سكة النحاس فمنسطر الفرنصيص أو الترجمان أشاروا بذلك، فجوابهما قريب، وهو أننا كنا أشرنا بهذا هذه مدة سنين، وحتى إن ذلك كان منا للسلطان المقدس وجددناه للسلطان مولاى الحسن مدة كنا بالحضرة الشريفة هذه مدة من عام فعليها نحن الأولى بذلك. . . . . الظاهر لنا أن هذه الإشارة ليس هى من جهة دولة الفرنصيص، وإنما هى من كبانية للفرنصيص الذين يريدوا يسلفوا المال لكى يربحوا فى هذه الفدلكة. . . فالكبانية الانجليزية التزموا أن يجعلوا مثل ذلك للسلطان. . . . . .

فحتى الفرنصيصى بمرسيلية مستر اسميط يجعل له القوالب لذلك كما تجدوه فى ذلك الكناش الصغير، ويجعلوه أرخص وأرفق من إيالات أُخر. . . . . بحيث نحن تكتبوا لك هذا الكتاب سرا نريد نزيدوا لكم لإعلام السلطان أنه وصل خبر هنا أن ترجمان الفرنصيص سائر يبيع الحمية ليهود مكناس، فإذا فعل ذلك فهو خرق للشرط السادس عشر من شروط مدريد الذى نصحب لكم نسخة منه.

فاذكر للسلطان أيده يجعل جهده ليفضح هؤلاء الناس الذين يطلبون الحمية ويحضرهم لدى العامل وقت خروج الترجمان الفرنصيص من هناك وحين يذكروا أنهم حمية الفرنصيصى يسألوا عن السبب الحامل لهم لذلك، وحين يستظهروا بالكواغض فإن وجدوا تاريخ ذلك بعد الاتفاق بمدريد فى شهر يوليوز من السنة الماضية، فتحاز منهم ويوجهوا بها للفقيه السيد محمد بركاش مع شكاية من ذلك

الفعل، نعم إلا إذا كانوا سماسير معينين من التجار... فهؤلاء الناس ح لا تكن لهم عقوبة ولا ضرر إلى فصال القضية...

فإذا هذا الترجمان الفرنصيص أعطى كواغيض الحمية فهو قد خرق الشروط ويستوجب العزل من دولة الفرنصيص بأن تصدر الشكاية به، فلابد أن السيد محمد بركاش أن توجد منه زعامة ليفضح هذا ويورى ويظهر هذه الكواغض للغير... فالناس الذين بيدهم هذه الكواغض لابد أن يلحقهم لا تهديد ولا ضرر قط...

فقد سمعنا أن الترجمان الفرنصيص ذكر بأنه محب على وجه السر لدى البرزذنت ولغيره من كبار الفرنصيص فهذا هذيان وإفك، نعم إنما هو قائد بزمام المنسطر الفرنصيص فعليها يستطيع أن يفعل ما يريد...

فهذا الكتاب لا نحبه يقع بيد أحد إلا بيد السلطان أيده الله... فيمكن أن هذا الخبر الذى وصلنا أنه غير صحيح لكن على كل حال ظهر لنا أن نعلم به السلطان على وجه السر... بقى إلى الآن لم يرد شيء من مال السلف، فمن اليوم إلى ما أقل من شهرين يحل دفع ستة أشهر فليترك هذا التغافل وهذا عدم القانون فى أداء المال المذكور والسلام فى ٢٦ ابريل عام ١٨٨١ موافق ٢٦ عام ١٢٩٨.

جان هى در منض هى».

«استدراك إذَن هذه كواغيض الحماية المعطاة من الترجمان اكار تاريخهم بعد شروط مدريد فح يوجه منها نسخ للفقيه السيد محمد باركاش والأصل يبقى تحت أيديهم، أى تحت يد دار المخزن والنسخ يطلع بها المنسطر الفرنصيص لأنه إذا مزقت النسخ يبقى الأصل تحت الأيدى شاهد والسلام.

هى».

ونص ما كتبه السفير المذكور للأمين المتقدم الذكر ليبلغه الحضرة السلطانية سرا فيما بلغه من عدم مساعدتها فيما أراده هو من ضرب السكة النحاسية بإنجلترا:

«حضرة المحب الفاضل المبجل الأمين الرضى السيد الحاج محمد الزبدى رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فوقت رجوعنا إلى طنجة منذ أيام قلائل القونص مستر وايط طالعنى بكتابكم المؤرخ بـ٨ من ج٢ ذاكرا لنا أن السلطان لم يساعد لما أشرنا به من جعل سكة النحاس فى بلادنا عوض الفلوس الزائفة التى من معدن ردىء، والسلطان أيده الله أمر ترجمان الفرنصيص بمقتضى مطلوبه ليجعل عشرين مليونا فرنك سكة فضة ولم يساعد أيده الله الترجمان المذكور فى أربعين مليونا فرنك من سكة الذهب والفضة والنحاس.

فقد عز بى حيث سمعت أن السلطان لم يساعد لما أشرنا به من جعل سكة النحاس فى بلادنا عوضا عن سكة النحاس الزائفة الحاضرة اليوم هنا إما أولا بعد ما يصنع العدد الكثير منها من معدن فيذوب مثل ما يصنع لدى المخزن، فدائما يزورون ذلك ويتورث منه صعود الصرف والضرر لبيت المال والتجارة ولجميع خلق الله. . .

فلا نحتاج نجدد ونقول فى هذا الكتاب النفع الشهير الثابت الذى يكون للسلطان كما سبق منا لك، وهو عدد كثير من الفضل لبيت المال حين يتمم الأمر.

وهذه السكة الفاسدة يجمعها ويبيعها وأرباب فبريكة سكة النحاس يجعلون الفلوس لبلادنا وللطليان ولعدد دول أُخر هذه مدة سنين معددة بدون شكاية من أحد لا من حيثية المعدن ولا من السكة كما يقع عند الغير، والسلطان يكون مطمئن البال أن لا يصدر ضرر له من هذا، وأيضا ذكرنا لسيادته إذا لم يكن عنده

مال مــوجود يعطيــه على هذه السكة، فيــأخذ سلفا بوجــه مناسب من عند أرباب السلف. . . راج على ما ذكر لمنفعة السلطان ورعيته أن سيادته يجدد التأمل ويرجع عما قال أولا، ولا يعز بالفرنصــيص ذاك حيث أننا كنا أشرنا بذلك قبل منهم هذه سنين. . .

وفى شــأن سكة الفضــة فلم نكن أشــرنا بهــا قط حيث ســكة الفرنصــيص والصبنيول هما رائجان فى هذه الإيالة بكثرة، حيث كنا ظننا أن لا وجود فى بيت المال عــدد ليخلص عن هذه السكة الجــديدة، وإذا وقع سلف كــثير فــيتــورث منه مصاريف كبيرة ويصدر منه الضــرر أيضا، ويجعل السلطان ودولته فى منزلة صعبة إن لم توف شروط الدفع فى وقته. . .

فلو كان فى بين المال عشــرون مليونا وهذه سكة الفضة تكون صافــية جيدة مثل مــا عند الفرنصيص والصبنيــول يكن لنا الغرض ننظر مثل السكة القــديمة فى هذه السكة المذكــورة مثل ما عــمل ذلك فى بر الترك وفى إيالات أُخــر، فحــينئذ يصدر الضرر الكثير فى منفعــة لسلطان وللتجارة، نعم يتمول من يعمل ذلك ومن أكد على السلطان بقبوله.

والسلطان أيده الله ح يجعل نفسه غريمــا لأحد الدول بدون احتياج والظاهر لنا أن ذلك ليس على وجــه الأدب، حــيث يستطاع منــه مطاليب عن ساق الجــد والدخول الذى يصدر منه المحاكمة والمشاحنة. . .

فتقدر تطلع بهذا السلطان أيده الله بوجه السر وتذكر أن هذا الرأى صدر من محب صدوق بدون طمع. . . هــأنا نكتب لك بهذا ولا للوزير ولا للسيد مــحمد بركاش، حيث إن سيادة السلطان أمــرك بالكتابة لنا فى أمر السكة والسلام فى ١٤ يوليوز عام ١٨٨١ موافق ١٦ شعبان الأبرك عام ١٢٩٨.

جان هى درمنض هى».

ونص ما كتبه الوزير الجامعى للزبيدى جوابا عن كتابه إليه فى شأن ما دار بينه وبين فرنسا من الكلام فى أمر السكة:

«محبنا الأعز الأرضى وأمين سيدنا الأعز المرتضى الخير البركة السيد الحاج محمد الزبدى، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وافانا كتابك فى الرابع والعشرين من شهر تاريخه فى شأن ما يطلبه أصحاب كنطردة السكة على التعطيل وبنفس وصوله أطلعنا به شريف علم مولانا نصره الله، وعلم دام علاه ما شرحته فيه مما دار بينك وبين باشدور الفرنصيص فى ذلك وما حاججته به حتى قال لك وهل المشاهرات الست موجودة عندكم، فأجبته بأن أربعا منها هناك حاضرة وباقيها فى الأثر، فقال: وهل تدفعون المشاهرات التى بعدها كل شهر؟ فأجبته بأنها موجودة بما تساويه الفضة وفق شرط الكنطردة.

كما علم أعزه ما ذكرته من أن الأمر لا يتم إلا بخير بحول الله مع التعجيل بالمشاهرتين من مكناس وبالسكة الناقصة الوزن بأثرهما لتنقطع حججهم، ولا يبقى لهم ما يقولون، وسر نصره الله بذلك واستبشر وعلم أنه نبه لهذا الأمر عمر وقال نصره الله ما نصه: لا شك أنه مفتاح خير، وفيك نظرة سيدنا جده وسيدنا والده قدسهما الله، ودعا لك أيده الله بخير تقبل الله من سيادته آمين.

وأمر دام علاه بأن تزيد فى سياستك وتلطفك حتى تفاصل معهم مدة التعطيل الثانى على نسبه العشرة آلاف ريال التى كان وقع الفصال بها معهم على يد السيد محمد بركاش فى مدة التعطيل الأول التى قدرها سبعة أشهر أو بخمسة فى المائة، وهى غاية ما يكون لى إن لم يقبلوا ذلك.

وأما المشاهرات فقد وجهت ثلاث من مكناس ولا تكون اليوم إلا وصلت لطنجة وكذلك السكة الناقصة الوزن صدر الأمر الشريف بتفسيرها لطنجة ولا تكون إلا سافرت اليوم وعلى المحبة والسلام فى ٢٩ صفر عام ١٣٠١.

محمد بن العربى بن المختار خار الله له».

والحق بطرته «وما أشرت به فى شأن لأخ ولدك البار علمناه فكلامك مقبول والاعتناء به من الأمور الواجبة علينا وطبعا ومن جهتك بالخصوص وبالاستحقاق من وجه الله صح».

ولما أراد إبراز هذه السكة الجديدة للناس للتعامل بها وجه بأمثلة منها أولا لأبواب السادة الكرام حسبما ينبئ عن ذلك هذا الظهير المولوى المختوم بالختم الكبير، الذى بعثه لأمناء ثغر آسفى للحضور مع عاملها عند وضعه ذلك بضريح الشيخ أبى محمد صالح:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى آسفى حرسها الله، وفقكم الله، وسلام ورحمة الله.

وبعد: فقد شرح الله صدرنا لنشر أعلام السكة الجديدة الميمونة ذات الصفة المحمودة الشرعية المسنونة والإذن بالصفق بها بإيمان المتاجر وتعمير الأسواق الرابحة بها، بحول الله فى الأضاحى والهواجر، وقاد الإلهام الإلهى إلى إيداعها بالزوايا العظام والأسفار بغرتها أول ما تطلع بسماء أبواب السادات الكرام، ومنهم: الولى الصالح ذو الضريح الأنور النافح سيدى أبى محمد صالح.

وعليه فقد وجهنا للعامل ٥٠ خمسين ريالا منها على التفصيل الذى يذكر فمن الريال الصحيح ثلاثة عشر، ومن أنصافه ثلاث ريالات ونصف ريال، ومن أرباعه عشر ريالات وربع، ومن دراهمه عشر ريالات وربع ريال أيضا، ومن أنصاف الدرهم ثلاثة عشر ريالا.

وقد أمرناه بأن يضعها بربيعة السيد المذكور بيده ويدكم بمحضر عدلين فلتحضروا معه على ذلك، ثم تفرق على أولاد السيد المذكور وعلى سائر أرباب الوظائف وكل من له نفحة من هاتيك العوارف كالإمام والمؤذن والحزابة والذكارة

والمصلين على النبى ﷺ، وكل من له قيام بوظيف، أو له عمل عائد نفعه على ذلك المقام الأنور المنيف، والله سبحانه يسعد بها الرعية، ويبلغ بها الأمنية، ويجعلها من الكسب الطيب والعمل المتقبل الرائح والمتجر الرابح والسلام فى ٢٤ ربيع الثانى عام ١٣٠٢».

وقد وقفت على كنطردة تتعلق بالسكة الفضية المذكورة إليك نصها:

«الحمد لله، بيان وإلحاق بكنطردة السكة الفضية الشرعية المعقودة على يد باشدور الفرنصيص يوم الاثنين الحادى عشر رمضان المعظم عام ١٣٠٨ الموافق ٢٠ من ابريل الفرنجى سنة ١٨٩١:

قد وقع الوفق على أن ما يخرج من الزيادة والنقصان فيما يضرب من السكة الفضية الشرعية بدار سكة مخزن الفرنصيص على يد التاجر قف الفرنصيصى، من حيث إن مساواة أعدادها فى تحقيق الوزن لا تعقل يحصر فى خمسة فى الألف من أنصاف الريال وأرباعه، وفى سبعة فى الألف من أعشار الريال، وفى عشرة فى الألف من أنصاف أعشاره.

فالمشاهرة الى تدفع مضروبة من أنواع ٤ السكة الشرعية أنصافا وأرباعا وأعشارا أو أنصاف أعشار وزنها كما بالعقد الواقع مع التاجر المذكور عليها على يد باشدور جنسية ثمانمائة وثلاثة وثلاثون كيلو وثلث الكيلو ٣، ١، ٨٣٣، وجب فيها من الريال الشرعى ثمانية وعشرون ألفا وستمائة وخمسة وعشرون ريالا ٢٨٦٢٥.

فإذا كانت من الأنصاف وزاد عددها على ما ذكر فتقبل إلى أن تبلغ الزيادة فيها مائة وثلاثة وأربعين ريالا وثمن ريال ٨/ ١٤٣١ بحسب نهاية الزيادة لخمسة فى الألف، فإن زاد عدد المشاهرة على ذلك فترد ولا تقبل، وإن نقص عددها عما ذكر فتقبل أيضا إلى أن يبلغ النقصان العدد المذكور فإن نقص أكثر فترد كذلك ولا تقبل.

وإذا كانت من الأرباع فتكون مثل الأنصاف فى القبول زيادة أو نقصا.

وإذا كانت من أعشار الريال وزاد عددها على ما ذكر أو نقص عنه فتقبل إلى أن يبلغ الزيد أو النقص مائتين ريالا وثلاثة أعشار الريال وثلاثة أرباع العشر ٧٥، ٣، ٢٠٠ نهاية لزيادة أو نقص سبعة فى الألف، فإذا كانت الزيادة أو النقصان أكثر من ذلك فترد مشاهرته ولا تقبل.

وإذا كانت من أنصاف أعشار الريال وزاد عددها على ما ذكر أو نقص عنه فتقبل إلى أن يبلغ ذلك مائتين وستة وثمانين ريالا وربع ريال ٤/ ٢٨٦١ انتهاء للفرق فى عشرة فى الألف، فإن كان أكثر من ذلك زيادة أو نقصا فترد مشاهرته ولا تقبل.

هذا والبدل مع ذلك كله لا يدفع إلا على مقتضى العدد الخارج فى المشاهرة مطابقا لضابط الزيد والنقص أعلاه، زاد الخارج فيها على القدر المعين لها أعلاه أو نقص عنه.

وافق على ذلك وسلمه الواضعان اسمهما عقب تاريخه الفقيه الوزير السيد محمد المفضل غريط نيابة الجانب العالى بالله والكبلير لويس خليفة باشدور الفرنصيص وختم بفاس فى جمادى الأولى عام ١٣٠٩».

وكيفية ورود السكة الجديدة من طنجة إلى العواصم الداخلية أنه كانت تأتى السكة من باريز كل شهر بواسطة النائب السلطانى بطنجة والأمناء المكلفين فيها فى صناديق منمرة مع ورقة تتضمن بيان موازينها بالكيلو والاكرام والإرشاد على الطارة والصافى وبيان أنواع السكة والتنبيه على اسم الشهر وتاريخ اليوم والسنة، وكل صندوق وما بداخله من ريال وأنصاف ريال وأرباع الريال وأعشار الريال وأنصاف أعشار الريال، ويكتب لأمناء القوس والمكلف المخزنى معهم كتاب ممضى من

النائب والأمناء المذكورين بطنجة بالبيان الشافى طبق الورقة المذكورة، واسم الحمار الحامل لتلك الكمية، ويعزز الحمار بنائب المكلفين المذكورين وأصحاب عامل طنجة إلى أن يصل كل لمحله وتسليم الصناديق للمكلفين بذلك، وهم عامل البلد أو الخليفة السلطانى والأمناء ثم يحمل للقوس المعد له ويحضر العدول والعامل بمفتاحه والأمناء بمفاتيحهم ووصيف الدار العالية بمفتاحه، ويفتحون القوس ويدخلون إليه المال ويقيد بشهادة العدول فى كناش خاص معد لذلك.

ثم بعد الإشهاد بذلك كما يجب يضع كل من أصحاب المفاتيح المذكورين خط يده بحضوره والمصادقة على الكمية، ثم يضع إمضاءه ويوضع ذلك الكناش بالقوس، ثم يغلقون ويتوجه كل بمفتاحه، ويجيبون نائب المكلفين بطنجة بالتوصل وعلى هذا كان العمل جاريا كل شهر، ولم يزل معمولا به إلى آخر نفس من الدولة العزيزية فبمكتبتنا عدة أوراق شاهدة لذلك وإليك نص أحدها بلفظه:

«أدام الله بمنه مجادة سيدنا وخليفة مولانا الأسعد مولاى عرفة أمنك الله وسلام تام على سيادتك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: يوصلك فى حفظ الله صحبة الحمار المختار العلامى وأصحاب عامل طنجة ونائبنا سيدى أحمد بنيس مشاهرات السكة السعيدة الجديدة عن شهر تاريخه فى تسعة وعشرين صندوق مشتملة على ثمانية وعشرين ألف ريال، وستة مائة وثمانية وعشرين ريال ٢٨٦٨ سكة ربع الريال الشرعى، وبطيه توافى سيادتك ورقة تتضمن بيان موازنها على العادة فى ذلك وعلى خدمة سيدنا الشريفة طالبين من فضلكم صالح الدعاء والسلام قيده فى ٢١ قعدة الحرام عام ١٣١٨.

محمد بن العربى الطريس لطف الله به

محمد بنيس لطف الله به

محمد الزكارى لطف الله به

ونص ثانيها:

«الحمد لله وحده بيان مشاهرات السكة السعيدة الجديدة عن شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣١٨ وهى سكة ربع الريال فى تسعة وعشرين صندوق نمر ٣٤٥٤ إلى نمر ٣٤٨٢، قدرها ريـال ٢٦٨٢٨ المتوجهـة لخليفـة سيدنا مـولاى عرفـة ولامين القوس السعيد صـحبة الحمار سيدى المختار العلمى وأصـحاب عامل طنجة ونائبنا سيدى الحاج أحمد بنيس بتاريخ ٢١ قعدة عام تاريخه.

نمر صناديق	كرام بط	كيل بط	كرام صافى	كيل صافى	ريال
٣٤٥٤	٧٧	٣٣	٩٠	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٥	٢٧٢	٣٣	٨٤	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٦	٩٤٥	٣٢	٧٥	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٧	٨٢٢	٣٢	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٨	١٦٠	٣٣	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٥٩	٨٧٢	٣٢	٨٠	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٠	٩٣٧	٣٢	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦١	٢١٠	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٢	١٧٢	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٣	١٨٢	٣٣	٨٧	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٤	٩٨٥	٣٢	٨٤	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٥	٣١	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٦	٧٢	٣٣	٨٥	٢٩	١٠٠٠

٣٤٦٧	٩٧٥	٣٢	٨٥	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٨	٨٢٧	٣٢	٨٠	٢٩	١٠٠٠
٣٤٦٩	٢٢	٣٣	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٠	١٩٠	٣٣	٨٨	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧١	٩٨٥	٣٢	٨٨	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٢	٩٦٥	٣٢	٨٨	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٣	٢٢٣	٣٣	٨٤	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٤	٠٠٧	٣٣	٧٥	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٥	٨٥٢	٣٢	٧٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٦	٢١٥	٣٣	٨٤	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٧	٩٢	٣٣	٨٣	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٨	١٧	٣٣	٩١	٢٩	١٠٠٠
٣٤٧٩	٩٦٥	٣٢	٨٩	٢٩	١٠٠٠
٣٤٨٠	٢٥٢	٣٣	٨٣	٢٩	١٠٠٠
٣٤٨١	٢٧٤	٣٣	٩٠	٢٩	١٠٠٠
٣٤٨٢	٣٤٥	٢٢	٢٦٤	١٨	٦٢٨
			٦٥٣	٨٣٢	٢٨٦٢٨

والقوس المذكور عبارة عن بيت كبير يدخل فيه ما هو معد للصوائر اليومية والشهرية، أما بيوت الأموال فلا يخرج منها شىء، وإذا عمرت تغلق غلقا محكما وربما بنى على أبوابها، وللقوس مفاتيح أربع يكون أحدها عند الباشا، والثانى عند أمين العتبة وآخر عند أمناء الصائر وآخر عند كبير عبيد الدار، ولا يخرج منه شىء إلا بمحضرهم أو من يقوم مقامهم ومحضر الشهود، ثم يشهدون على ذلك فى كناش أعد لذلك، وبخزانتنا كناش قوس مكناس ذكر فيه ما يخرج منه وما يدخل له من المال من ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٠٥ إلى ١٤ حجة الحرام ١٣٢٧، ومما يصرف فيه الخارج منه الصائر السعيد والبناءات السلطانية والصلات والإعانات وشراء الأملاك التى تحاز لجانب المخزن، وشعير العلف، ومنه ما كان يبعث لبيت مال فاس.

وأما الداخل إليه فكان مما يبعثه أمين الداخل الحاج على بن الحاج من الصناديق المكتوب عليها عدد ما فيها أو مما يأتى من بيت مال فاس أو من قوسها أو مما يجتمع فى غلة الأجنة السعيدة أو مما حيز من بعض الأفراد فى العهد العزيزى، كالقائد ابن العلام والوزير أحمد بن موسى، وإليك أمثلة مما بذلك الكناش ونص أوله:

«بمحضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه من الأمناء وغيرهم أخرج من القوس السعيد ستة آلاف ريال وخمسمائة ريال عين عنها يجب بحسب ٨/ ٨١ ريال ٨٠٠٠ وحازها معاينة أمين الربيعة السعيدة السيد الطاهر التازى بقصد الصائر السعيد عرف قدره وبأتمه وعرفه، وفى التاريخ أعلاه عبيد ربه تعالى فلان وفلان. المهدى بن عبد الرحمن الحلو وفقه الله. بناصر بن محمد وفقه الله. محمد بن بوعز بن العربى لطف الله به.

وصيف المقام العالى بالله حم بن الجيلالى وفقه الله.

ونص آخر:

«بمحضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه أدخل للقوس السعيد على يد الأمين السيد الحاج على بن الحاج التطوانى ما يذكر:

صناديق ٤٣ بها ريال بحسب ألفى ريال فى الصندوق	٨٦٠٠٠
صناديق ١٣ بها درهم جديد بحسب ٥٠٠٠ سوم ٨/ ٨١ يجب ريال	٢٠٠٠٠
صناديق ٠٧ بها درهم قديم بحسب ٥٠٠٠ سوم ٨/ ٨١ يجب ريال	١٠٧٦٩
صندوق ١ به ريال ٢٠٠٠ درهم قديم	٠٢٠٠٠
	١١٨,٧٦٩

الجميع مائة ألف ريال وثمانية عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وتسعة وستون ريالا وربع ريال فى أربعة وستين صندوقا على شدها، من غير فتح ولا عد مرقوم على كل صندوق اسم الأمين المذكور، والعدد الذى فيه بخط يده عرف قدره وبأكمله وعرفه فى رابع عشرى شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثمائة وألف عبيد ربه تعالى فلان وفلان بناصر بن محمد. محمد بن بوعز بن العربى لطف الله به. نائب الوصيف بنعيسى لطف الله به.

الحاج قاسم الديورى لطف الله به».

ونص ثالث:

«بمحضر شهيديه أمنهما الله بمنه ومن يضع اسمه عقب تاريخه أخرج من القوس السعيد مائة صندوق وثلاثة عشر صندوقا منها اثنان وثمانون

صندوقا بها ريال عين يجب	١٥٩٥٢٠
وسبعة صناديق بها ريال عين فرنصيص	٠١٣٢٠٠
وصندوق واحد به ذهب يجب ريال	٠٢٦٦١٨
وصناديق ٢٣ من سكة الدرهم القديم يجب ريال	٠٤١٩٦٠

: ٢٤١٢٩٨

اجتمع من ذلك مائتا ألف ريال بالتثنية وواحد وأربعون ألف ريال ومائتا ريال بالتثنية وثمانية وتسعون ريالا ونصف ريال وحاز الجميع الأمين السيد الحاج على بن الحاج التطوانى، وقائد الرحى القائد أحمد بن المكى الشرقى بقصد التوجه بها لبيت المال عمره الله بفاس، وعرفا قدره وبأتمه، وعرفهما فى ٢٦ محرم عام ١٣٠٦ عبد ربه محمد. . . وعبيد ربه محمد المنونى. . . بناصر بن محمد وفقه الله. نائب الوصيف حم بن الجيلانى لطف الله به، ج قاسم الديورى لطف الله به، محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به».

ونص رابع:

«بمحضر شهيديه أمنهما الله بمنه ومن يضع اسمه عقب تاريخه ادخل للقوس السعيد خمسة آلاف ريال فحسب ٨/ ٨١ الواردة من القوس السعيد بفاس بقصد شراء الشعير للعلف وقيد فى تاسع عشر حجة الحرام عام ثمانية بميم وثلاثمائة وألف عبيد ربه محمد. . . وعبيد ربه محمد المنونى. ابن عبد الرحمن التراب لطف الله به، ج قاسم الديورى لطف الله به، محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به، بناصر بن محمد وفقه الله.

ونص خامس:

«بمحضر شهيديه لطف الله بهما ومن يضع اسمه عقب تاريخه أخرج عن القوس السعيد ستة عشرة ألف مثقال وستمائة مثقال وثمانية وتسعون مثقالا وأوقية، وحازها معاينة الأمين الناظر الأرشد السيد الحاج محمد بن الطالب المرحوم السيد عمرو الصنهاجي من المدرك الذى له على صائر البناءات السعيدة عن شهر صفر المتصل الفروط وقدره سبعة عشر ألف مثقال وخمسمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالا وثلاث موزونات: ١٧٥٨٣٠، يبقى مدركا له ثمانمائة مثقال وثلاثة وثمانون مثقالا وخمسون أوقية عدى موزونة: ٨٨٤٩٠، إلى أن يستوفيها من الجانب العالى بالله لكون القوس السعيد لم يبق فيه شىء من مال البناء عرف قدره وأشهد به بأتمه وعرفه فى التاريخ أعلاه... وعبيد ربه محمد... ومحمد بن عمرو الصنهاجي أمنه الله بمنه. بناصر بن محمد وفقه الله. محمد بن بوعزة بن العربى لطف الله به. قاسم الديورى لطف الله به».

اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها

يدل على ذلك ما كتبه لنائبه السلطانى بطنجة فى شأن قدوم المهندس سيليه الانجليزى لاختبار بعض المعادن بقرب مراكش ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: فقد دعت الحاجة لقدوم المهندس سيليه الإنجليزى الواقف على بناء أبراج طنجة لحضرتنا العالية بالله بحرا على طريق الجديدة بقصد اختيار بعض المعادن بقرب مراكش، وقد كتب لنائبهم هناك فى شأن قدومه على شرط أن يساعد عليه وأحلناه فى توجيهه عليك وأعلمناه بأن أمور سفره منفذة له على يدك، وأمرنا خدامنا أمناء مرسى طنجة بإركابه للجديدة وأمناء الجديدة بإنزاله

والقيام بمئونته التى يمان بها أمثاله مدة استراحته وتوجيهه وعاملها بتمكينه من فرس بسرجه جيدين لركوبه.

ومكاتيبنا الشريفة لهم بذلك تصلك فإن ظهر لكم توجيهه فادفعها لهم، وإلا فردها لحضرتنا الشريفة وإذا توجه وكان لابد من إبقاء نائب عنه هناك فى مقابلة البناء المذكور فأمر الزبير سكيرج بالإتيان من الدار البيضاء لطنجة للنيابة عنه فى ذلك فى ٢٤ قعدة الحرام عام ١٢٩٩».

ونص ما أصدره للنائب المذكور فى المعدن الذى عثر عليه بانجرة:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك بأن القبطان ورن النجليزى عثر على معدن فى قبيلة آنجرة بين طنجة وتطوان، وذكر أنه على مسافة نحو خمس ساعات من طريق تطوان ونحو إحدى عشرة ساعة من طنجة، ودار بينك وبينه وبين الباشدور ما شرحته، ولما رأيت غاية الأمر إنما هو بيع تراب ووسقه من إحدى المراسى ظهر لك أن ذلك لا بأس فيه، فطالبتهم بجعل ابلانات متعددة ليدفع لكل واحد من النواب مثال منها، وحيث وصلت للرباط كتب لك الباشدور مخبرا بأنهم يسروا المثالات المذكورة وألح عليك فى الكتابة للنواب فى ذلك حسبما فى كتابه الذى وجهت بطى غير هذا فكتبت لهم بإشهار ما ذكر على مقتضى ما أشرنا به، وجعلت لذلك الشروط المبينة فى النسخة من كتابك لهم التى وجهت، وصار بالبال، فقد وصلت وسلمت والعمل على ما باشرته مع النواب فى ذلك وعلى الشروط المذكورة، نعم إن ظهر لك أن تزيد فيها أن يكون دفع الواجب المشترى به مشاهرة كل شهر يحوز المخزن من المشترين وجيبته بمجرد انسلاخه زيادة على ما يدفعونه تسبيقا يحسب

لهم من واجب آخر المدة حسبما أشرت بذلك فى الفصل السابع مما كتبت به للنواب فهو الأولى والسلام فى ٥ ربيع الثانى عام ١٣٠٢».

ونص ما كتبه الوزير الجامعى للأمين الزبيدى فى المعدن الصالح لصنع الصوانى والبراريد:

«محبنا الأرضى وخديم مولانا الأمين السيد الحاج محمد الزبدى سلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصل كتابك فى شأن المعدن الذى يصلح لصنع الصوانى والبراريد وعرفنا ما شرحته من أمر من ورد لاشتراء قدر منه وما دار بينك وبينه فى ذلك إلى أن حصل الوفاق على ما بينت إلى آخر ما ذكرته، وأطلعنا به علم مولانا وصار بباله الشريف، إلا أنه كان من حقك أن تبين القبيلة وعاملها والمحل الذى هو فيه من سهل أو جبل، وهل أهله تنالهم الأحكام أم لا إلى غير ذلك من الأمور التى لابد منها.

ومع ذلك فلم يستحسن سيدنا أيده الله ذلك قائلا ما دام أمر معدن الفحم الذى الكلام فيه هذه مدة من ثلاث سنين لم يصف فلا يحسن الكلام فى غيره، نعم إن تم كلامه وشرع فى خدمته فحينئذ ينظر فى أمر هذا المعدن.

وأما الفصول التى جعلتها مع من ذكرت فكلها لا بأس بها، وفيها نفع لبيت المال، وذلك دليل على رجاحة عقلك، ومبالغة نصحك وعلى المحبة والسلام فى فاتح جمادى الأولى عام ١٣٠١.

محمد بن العربى بن المختار خار الله له».

ومما كتبه العلامة اكنسوس للحاجب أبى عمران موسى بن أحمد فى هذا الموضوع:

«الأخ الفاضل الناسك المرابط الفقيه. الذى يحفظه الله ويقيه. وزير الحضرة العالية وحاجبها. وقهرمانها الأكبر وكاتبها، أبو عمران سيدى موسى بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله وبركاته بوجود مولانا نصره الله، وأدام عزه وعلاه.

وبعد: فقد بلغنا كتابك الأعز المتضمن لأمر مولانا المنصور بالله بتصفح الكتاب الموضوع فى شأن المعادن وما يناسبها، وقد تصفحت الكتاب المذكور من أوله لآخره فلا شك أنه من الذخائر والنفائس الملوكية لا ينبغى أن لا تخلو منها الخزائن السلطانية التى تعدها عظماء السلاطين، لا سيما العلماء منهم والأساطين، لأنها لابد أن يوجد فيها ما ينتفع به فى الجملة، ولكن كنت أظن أنه قد بين فيه ما يتوقف عليه الأمر من بيان كيفية استخلاص المعادن من مقارها والذى لابد منه فى ذلك من الآلات والعقاقير والتناكير التى تسيل القاسى منها وما يخرج متعاصيا عن السبك والذوبان، فإنها كثيرا ما تخرج كذلك فيظن أنها مجرد تراب فيزهد فيها كما ذكر ذلك من جربه، مع أنها إنما تحتاج إلى تنكار أو عقار مخصوص فتجيب إلى ما يراد منها من الانسباك والانتفاع بها فى الأعمال الضروريات على السبيل الأسهل دون مشقة كثيرة، ولا كبير عمل، هذا هو المطلوب الأهم.

وأما كون الحديد أو النحاس مثلا تكون منه سبائك وشبابك وأوانى كذا وثمنه كذا ويوجد فى البلاد الفلانية كثيرا والخارج المستفاد المحصل منه فى كل عام كذا ونحو ذلك من هذه الأخبار فلا فائدة فيه ولا كبير جدوى، وهذا هو القدر الذى عليه مدار هذا الكتاب، على أنه لو ذكر ما هو الأهم الذى أشرنا إليه فإنه لابد من حضور شخص عارف قد باشر تلك الأمور بيده، فتؤخذ منه الكيفية كفاحا عيانا، وأما العلم المجرد عن العمل فإنه لا يفيد قلامة ظفر كما قال الإمام ابن رشد الحفيد رحمه الله:

العلم فى الرأس وفى العينين   لكن تبقى صنعة اليدين

وأمـا مـا ذكـره هذا المؤلف فى هذا الـوضع من إصـلاح المزارع والمغـارس فالظاهر أن ذلك خـاص بالبلاد الشـديدة البرد الكثيـرة الثلوج كالجـزر المتوغلة فى الشمـال بدليل أن المعتـمد عنده فى ذلك هـو التغبـير بالجـير والجـبص والأملاح المستخـرجة من أبوال الآدميين وغيـرهم، ونحن إذا غبرنا موضع الحـرث بالجير لا ينبت شيـئا بالمشاهدة والله أعلم، واللـه يديم لنا عز مولانا نصـره الله ويبارك فى عمره ويحفظ به نظام هذا الدين آمين والسلام.

محمد بن أحمد اكنسوس لطف الله به».

سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية وإرساله وفود الطلبة للديار الأوربية

ولم تقف همة المترجم عند هذا الحد، بل فـإنه لما نظر إلى الأمم الراقية وما أفادها الـعلم الرياضى والطبيـعى من القوة والسلطان والـشفوف علـى الأقران فى معترك الحـياة، أراد أن يزج ببلاده فى ذلك الميدان الواسع، فعضد إرسـالية الشبان المتخرجين من مـدرسة والده وتوجهوا لعواصم أوربا لتتمـيم دروسهم، فعين لكل فريق رجـلا من أهل الدين والعلم لمرافقتـهم وصيانتـهم، وأجرى عليهم النفـقات الكافية.

ولما زاولوا دروسهم وملئوا بكل نافع حـقائبهم يمموا بلادهم ليبثوا فـيها ما ينفع مستقبلهم، فـلم يعدموا معاكسا وقف فى سبيلهم، وحـرم البلاد والعباد وما كان يرجى من فـوائد معارفهم بفـتح المدارس وسلوك هذا السبيل كـما سلكه أهل اليابان، لذلك العهد الذين رافقوهم فى دروسهم، فكانت النتيجة أن تقدم اليابنيون وتأخرنا ولله فى خلقه شئون.

ففى سنة ١٢٩١ انتخب خمسة عشر من الطلبة لتهذيبهم وتدريبهم وتعليمهم ما يستطيـعون به خدمة أمـتهم ودولتهم، ووجه جمـيعهم لثغـر طنجة تحت رياسة

كبيرهم السيد محمد الجباص الذى صار بعد ذلك وزيرا صدرا، فأخذوا بها مبادئ الحساب واللغات الإفرنجية، وأقاموا فيها ثلاث سنين وفى سنة ٩٣ توجهوا على نفقة المخزن لأروبا لإكمال دروسهم متفرقين فى مدارس انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا لكل واحدة منهن بعثة تشتمل على طلبة ثلاثة:

فالمتوجهون لإنجلترا هم الجباص المذكور، والسيد الزبير سكيرج مدير الأملاك المخزنية بتطوان حالا، والحاج إدريس بن عبد الواحد الشاوى أحد كبار الطبجية ذهبوا لتلقى متنوع العلوم فى صف ضباط الإنجليز بمدرسة (شاطم) وهى مدينة هناك تبنى بها المدرعات الحربية، فأقاموا فيها ثلاث سنوات حصلوا أثناءها على الإجازة فى الفنون التى أتقنوها، وبعد مثولهم بين يدى الملكة فكتوريا قفلوا راجعين للحضرة الشريفة سنة ٩٦ وفيها توجه سكيرج المذكور مع الوفد الغربى لمؤتمر مدريد.

والمتوجهون لفرنسا هم السيد محمد بن الكعاب الأودى، والسيد قاسم الأودى، والسيد محمد بن الحاج الأودى.

والمتوجهون ألمانيا هم السيد عبد السلام التولى، والسيد الميلودى الزيادى الرباطى، والسيد محمد النجار السلوى.

والمتوجهون لإيطاليا هم السيد المختار الرغاى والسيد محمد بنانى الفاسى، والسيد عبد السلام عينوس الأودى.

والمتوجهون لإسبانيا هم الحاج أحمد بن شقرون الفاسى، والسيد عبد السلام الفاسى لقبا الرباطى أصلا، والسيد محمد الشدادى الرباطى.

وكل بعثة منهم رجعت للحضرة الشريفة بعد أخذها من لغة الأمة التى ذهبت للتعلم بمدارسها وتلقى الدروس الرياضية عندها وكان مكوثهم هناك نحو خمسة أعوام.

وفى سنة ١٢٩٢ وجه لجبل طارق بعثة عسكرية تشتمل على خمس وعشرين من الجنود برياسة السيد على بن بله المراكشى فأقاموا هناك نحو السنة وتعلموا فيها من الفنون الحربية والحركات العسكرية ثم رجعوا للحضرة الشريفة.

وفى سنة ١٢٩٣ عين بعثة عسكرية أخرى للتوجه للجبل المذكور تتركب من خمس وثمانين من الطلبة سبعون من الجنود وعشرة من الطبجية وخمسة من أطباء الجيش، وهم: القائد الجيلالى بن التهامى الشرادى الزرارى قائد الشراردة كافة سابقا، ومولاى أحمد الزواق العلوى المراكشى، وإدريس بن المكى الشرادى، ومحمد المدعو حمان الجامعى، والجيلالى بن العربى البخارى فتعلم هؤلاء الأطباء الطب وأخذ الطبجية الفنون المدفعية وتلقى الجنود الحركات العسكرية وبقوا هناك نحو العام ثم رجعوا للحضرة الشريفة.

وفى سنة ١٢٩٤ أوفد بعصة عسكرية ثالثة لجبل طارق بها مائة سبعون من الجنود يرأسهم الحاج محمد الزروالى الفاسى تعلم فن المدفعية خمس وأربعون منهم، وأخذت بقيتهم الحركات الحربية وأقاموا هناك كالبعثتين الحربيتين قبلهم نحو السنة ثم يمموا الحضرة الشريفة.

وفى سنة ١٢٩٥ اتفق مع حكومة إيطاليا على إرسال بعثة علمية تتركب من ثلاثة عشر من الطلبة من أبناء بعض المراسى للمدرسة الدولية بمدينة طورين بقصد تعلم اللسان والفنون العسكرية والملاحة فتوجهوا فى شهر ربيع النبوى من السنة، ومكثوا هناك عاكفين على التعلم خمسة أعوام.

وكان منهم من الرباط السيد أحمد الجبلى، والسيد محمد بن الحاج على بن طوجة، والسيد محمد بن سالم، والسيد محمد بن العياشى، والسيد محمد البهالى وكلهم أخذوا الفنون البحرية، إلا أولهم فإنه أخذ المدفعية.

وكان منهم من سلا السيد الحسين الزعرى الذى صار بعد خليفة لباشا سلا ثم قائدا لزعير - أخذ علم السياسة، والسيد العربى حركات، والسيد عبد الله التيال، والسيد محمد بن حيمى، والسيد محمد بن إسماعيل، وكان منهم من العرايش السيد فضول بن صالح، والسيد مصطفى الأودى والسيد على السوسى.

ثم وجه بعثة حربية لفرنسا وبلجيكا فمكثت هناك سبع سنوات، أربع منها بفرنسا وثلاث ببلجّيكا تخرجت فيها فى صناعة الذخائر الحربية، ثم عادت للمغرب سنة ١٣٠٥ فلحقت بالحضرة الشريفة برباط الفتح، وأتت معه مكناسة الزيتون وأقامت بها ستة أشهر ثم توجهت لفاس لتطبيق العلم على العمل.

فدخلت للعمل فى دار السلاح الآتى الكلام عليها، وكانت هذه البعثة تتركب من: الطاهر بن الحاج الأودى رئيس العملة بدار السلاح، ومعه من فاس محمد المنقرى رئيس قسم صناعة الزنادات بالدار، ومحمد بن على الحداد ومن مكناس عباس بن قاسم رئيس قسم صناعة الجعاب بالدار المذكورة، والمعلم أحمد ابن صالح وإدريس بن الحداد، ومحمد بن أحمد المدعو المشطون، والمعلم حمان، وبو سلهام بن حم، ومحمد بن العباس وكلهم نجحوا فى علومهم واستخدموا بدار السلاح.

وفى سنة ١٣٠١ وجه بعثة حربية تتركب من أربعة أفراد من طابور الحرابة إلى بلاد الألمان، ووجه معهم خديمه الحاج محمد بركاش نجل النائب السلطانى، وقد وقفت على الظهير السلطانى الصادر لسلطان الألمان فى هذا المقصد الحميد دونك لفظه بعد البسملة والحوقلة والافتتاح:

«إلى المحب الموقر المعظم، المحترم المفخم، الشهير الخطير ذى المآثر والمزايا والمفاخر، حامل راية السياسة، الحائز قصبات السبق فى ميادين الرياسة. المميز بملاحظ الأثرة والاعتنا، المقصود بين السلاطين العظام بلسان الثنا. ملك الألمانية وسلطان البروص الأصعد الأزهر السلطان كليوم.

أما بعد: فإن المحبة والصحبة والصداقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل أوجبت توجيه أشخاص نجباء أخيار من هذه الإيالة لبلادكم الرفيعة المصونة، بقصد الزيادة فى تنقيح ذكائهم، وتهذيب أخلاقهم بآداب السياسة العلانية، والعلوم

العسكرية والطبجية، وما فى معناهما التى فقتم بها وانفردتم بتحرير علومها وتدقيقها ومعرفتها على حقيقتها.

وانتخبنا من يتوجهون معه، وهو خديمنا الأرضى الأنجد الحاج محمد بن خديمنا الأرضى الأنصح الأرشد الخير النائب محمد بركاش ونحن على يقين من أنكم تقابلونه بزائد القبول، وتبلغونه من الاعتناء والمبرة غاية المأمول، ويحظى من معه من المتعلمين المشار إليهم من جانبكم الرفيع بتمام القبول، والبرور والاعتناء حتى يحصلوا فى أقرب مدة على المراد، كما ينبغى ويراد، ودمتم كما تحبون مخصوصين بمزيد الاعتبار، مهنئين بالمراد فى الإيراد والإصدار، وحرر فى ٢٤ من المحرم فاتح ١٣٠٢».

ثم بعد ذلك بعث بعثة حربية أخرى لبلاد الألمان تتألف من عشرة من الجنود لأخذ ما عندهم هناك من الفنون الحربية وأقاموا ثم نحو العشرة أشهر ثم قدموا على الحضرة الشريفة.

ومن الوثائق الرسمية والظهائر السلطانية فى هذا الباب ما أصدره للنائب السلطانى فى شأن الطلبة الذين كانوا بطنجة ثم توجهوا لأوربا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصلنا كتابك بأنك اختبرت الطلبة الذين كانوا وجهوا لطنجة لتعلم اللسان والقلم فألفيت فيهم من لا يقبل التعليم أصلا وثقيل الفهم مع أجنبيته من التمدن وبينت كلا الفريقين بطرته ومن عداهم نجيب يحصل المراد منه فى المستقبل، وطلبت إبدال من لا قابلية فيه بغيره، وزيادة نحو الخمسة على الاثنين المبدلين لما فى زيادتهم من المصلحة التى ذكرت، ويكون الجميع من صغار أبناء

الحاضرة النجباء فقد أمرنا خديمنا الطالب عبد السلام السويسى بانتخاب سبعة من أبناء أهل الرباط على الوصف المذكور وتوجيههم على يدك للمحل المذكور والأمناء بأن ينفذوا لهم ما يتوقفون عليه لسفرهم، واللذان لا قابلية فيهما وجههما لحضرتنا العالية بالله والسلام فى ٢٠ محرم فاتح عام ١٢٩٣».

وما أصدره للنائب المذكور فى شأن نفقة المتعلمين بفرنسا:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك بأن نائب الفرنصيص طلب منك مشاهرة المتعلمين الذين بباريز عن تسعة أشهر وقدرها خمس عشرة مائة ريال وأربعة وستون ريالا، وطلبت تنفيذ ذلك له، وإصدار أمرنا الشريف للأمناء بدفع واجب كل ثلاثة أشهر فى المستقبل، فقد أمرناهم بتنفيذ العدد المذكور له، وبأن يكونوا يدفعون واجب كل ثلاثة أشهر فى المستقبل، وكتابنا الشريف لهم بذلك يصلك طيه والسلام فى ٧ رمضان عام ١٢٩٧».

وما أصدره له فى العزم على بعث طلبة لتعلم الفنون البحرية:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس لتعليم ترايست والمكينة وعلم البحر وأن يفرقوا على نواب بابورات الإنجليز والفرنصيص والصبنيول والألمان والطليان، وعددهم ستة لكل جنس واثنان من الستة المذكورين يخصون بتعليم ترايست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر، وأربعة لتعلم علم البحر وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين ويكون صائرهم على

جانب المخزن، إذ المقصود هو تعلمهم وعليه فكلم نواب الأجناس المذكورين فى ذلك وتفاوض معهم فيه، وأعلمنا بجوابهم لك فيه لنأمر بما يكون عليه العمل فى ذلك وعجل ولابد والسلام فى ١٠ رجب عام ١٢٩٩»

قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية
وجلب ما تحتاج إليه من المقومات الحربية
واستخدام المتخرجين فى الهندسة من البعثة المغربية

وقد كان له اعتناء عظيم واهتمام كبير بتحصين الثغور وبناء أبراجها وإقامة معداتها، وجلب لذلك مهرة المهندسين من الأجانب ألمان وإنجليز وعين أخيرا بكل مرسى مهندسا لتفقد قوتها وبيان أحوالها، وأنفق على ذلك أموالا، ولم يأل جهدا فى الاستعداد وأخذ الأهبة والاحتياط فاشترى لطنجة ستة من كبار المدافع العظام من معامل (ارم سطرونك) من بلاد الإنجليز وأمر بإصلاح أبراجها وبناء خزائنها المعدة للذخائر وتركيب مدافعها، وكلف بذلك المهندس الإنجليزى (ضولان) ثم (إدوارد سيلبه) ثم مساعده السيد الزبير سكيرج، وجلب لها ما تحتاج إليه من المقومات الحربية من بارود وكور وغير ذلك حسبما تشرحه لك الظهائر المولوية والرسائل الوزيرية الصادرة فى هذا الموضوع.

وإليك نص أحدها وهو ما كتبه الحاجب السلطانى للأمين الزبيدى فى شأن تقرير المهندس الكبير الذى قدم من جبل طارق لتفقد حالة طنجة الحربية:

«محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل المرتضى السيد الحاج محمد الزبيدى، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما ذكرته فى شأن المهندس الكبير الذى وجهه قائد جبل طارق من طوافه بأبراج طنجة كلها وبسورها، ونظره البناء الذى

فيه ورجوعه لجبل طارق ليبين ما تستحقه الأبراج من تجديد بناء أساسها، والمخازن لإقامتها وغير ذلك، وتوجيهه بعد ذلك تقييد ما ذكر الموجه تعريبه مع كتاب الباشادور، كما علمنا ما أشار به الباشادور من إجابته بما تضمنه التقييد الذى وجهت ليطالع به قائد جبل طارق والكرنيل المهندس، فقد أجبناه بما تضمنه وها الجواب يصلك، وقد وصل كتاب زوجة العباس امقشد وأطلعنا به المعلم الشريف فأمر سيدنا أيده الله بإحضار زمام متروكه وبحثنا عنه هنا فلم نعثر عليه، فإن كان على يدك فوجهه، وأما تعريب تقييد المهندس الكبير فقد أحاط سيدنا نصره الله علما بما فيه وأجبنا عنه الباشادور وعلى المحبة والسلام فى ٩ شعبان عام ١٢٩٤ .

موسى بن أحمد لطف الله به»

ونص الظهير الصادر للنائب السلطانى فى شأن تعطيل العمل فى الأبراج:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبر باشادور الإنجليز أن الخدمة فى إصلاح الأبراج هذه مدة وهى معطلة مع قرب ورود المدافع التى تهيأ لأجلها وقد كتبنا للأمناء وأمرناهم بالقيام على ساق الجد فى أمرها وأن يجعلوها من الأكيد المهم، فلابد أكد عليهم فى ذلك، وليكن عملهم فى أمر الصائر عليها أن يكون كله بموافقة المهندس ضولان الإنجليزى الواقف على مباشرة إصلاحها وعلى يده، سواء فى ذلك ثمن الإقامة وأجرة العملة ويقيد عنده فى كناشه ذلك الصائر ويعطى نسخة منه للباشادور لينضبط ذلك على ما ينبغى، فقف معهم حتى يرتب ذلك على الوجه المذكور ولابد والسلام فى ٩ ربيع الأول عام ١٢٩٦».

ونص آخر فى جلب آلة جر المدافع:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد وصلنا كتابك جوابا عما أمرناك به من جلب آلة جر المدافع الاثنى عشر المجلوبة على يد باشادور الفرنصيص، وذكرت أنك كلفته بذلك فأجاب بأنه يكتب بالسؤال عن ثمنها أولا لئلا تأتى بأغلى الثمن، ثم بعد ذلك يكتب عليها، وقد أحسن فى ذلك وهو عين الصواب والسلام فى ٢ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

ونص آخر فيما يتعلق بالأبراج:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد أخبرنا باشدور الإنجليز أن الأمناء هناك يعاكسونه فيما يشير به عليهم من الصائر على الأبراج والأمور المهمة لورود المدافع المكلف بجلبها على يده، وبعد ما يكون عندهم من الوفر ما يصيرونه فى ذلك يدافعونه بالأعذار الواهية، وإذا طلب منك الكلام معهم تعتذر له بعدم الإذن وعليه فنأمرك أن تكون تشد عضده عليهم فيما يشير به من الأمور الأكيدة فى ذلك التى إن أخروها يتعذر تداركها أو تبنى عليها مفسدة فى ذلك، ويجعلون بناء الأبراج والصائر على ما يتعلق بها من جملة الأمور المهمة التى يقدمونها كمئونة الطبجية والعسكرية والملازم التى لا مندوحة عنها ولابد والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

ونص الظهير الصادر للزبيدى وفيه الكلام على المدافع والأبراج:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبيدى، وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك بالإعلام بأنك لما حللت ثغر طنجة تلاقيت بخديمنا الطالب محمد بركاش، وبعده مع باشدور النجليز، وتكلمتم فى أمر حساب السلف وحساب المدافع والأبراج، وأنكم تفاوضتم فى تقديم الأهم فالأهم، ووجدته حريصا على المبادرة بحساب السلف لكون مشاهرته حلت، وعزم على توجيه نائب أرباب السلف لأعمال الحساب معك فيه، وأنك أجبته بأن أول ما يقدم أعمال المحاسبة مع خديمنا بركاش فى جميع ما وصله منه من المراسى وغيرها مرتبة على التواريخ، وحيث يصفوا معه يقع الحساب مع نائب أرباب السلف فساعد على ذلك وافترقتم، وأنك بعد ذلك شرعت فيه مع بركاش على ترتيب التاريخ والمقابلة وأنكم مجتهدون فيه، غير أن بركاش فى بعض الأوقات لا يمكنه الوصول إليك لما يعرض له من الأشغال، كما أعلمت أن التسعة عشر ألف ريال التى هى من حساب المدافع وردت من الجديدة، إلا أنك أخرت بركاش عن دفعها للباشادور حتى تجدد معهم الحساب وتبحث فى آلات المدافع كلها المقيدة عندكم من مكاتبهم وحساباتهم لتعرف ما وصل منها وما لم يصل، فالواصل يؤدى له ثمنه، وما لا فلا، وكذلك الإقامة المجلوبة للأبراج وصار الكل ببالنا الشريف.

فأما ترتيبك للحساب مع من ذكر على التواريخ واجتهادكم فيه فذلك هو المراد منك، وقد أحسنت فيه أصلحك الله، وأما كون خديمنا بركاش تعرض له أشغال فهو معذور والله يعينه ويسدده، وأما ما فعلت من تأخير دفع المال الوارد من الجديدة للباشدور إلى أن تجدد الحساب معه فالعمل على ذلك سددك الله والسلام فى ٢٠ حجة الحرام خاتم ١٢٩٧».

ونص ظهير آخر فى الأبراج ومعداتها من بارود وكور:

«خديمنا الأرضى الأمـين الحاج محمد الزبدى، وفـقك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: وصل كتابك أخبرت فيه بتوقفك فى حساب السلف على ورود بعض حسابات اللندريز وأخذك فى حساب ما يتعلق بالمدافع، ووجه لك باشدور النجليز نائبه وبيـده حساب ٢ ورد من أرباب الفبـركة باللندريز مدركا على جـانبنا العالى بالله فـيه ابرات / : ٧٨٩٠١١ فعـربتمـوه، فألفـيتم فـيه صوائر قـدرها ابرات / ١٤٣٥١٠ ليست عندك فى الحـساب منها مـا ذكروه صار ومنها مـا قدروه لما بقى عندهم هناك فطلبـت منهم بيان مـا ورد من آلات المدافع ومـا بقى منهـا فبـينوه، فألفيت قدر ثمن الباقى هناك ابرات / : ١٣٠٦، ١١٣٣١، ومن هذا الباقى الكور والبارود وغيرهما حسبما فى ورقة الحساب الذى وجهت لحضرتنا الشريفة.

ثم بعد ذلك وجه لك الباشدور نائبه أيضا بحساب ٣ ثمن الإقامة التى كانت وردت بقصـد الأبراج من جبل طارق وغيره مـضمن جميـعها ريال ٤٠١٠ كبـير بزيادة الربح فحـزته منه لتطالعه وتلاقيت مع البـاشدور وتذاكرت معـه فى حساب اللندريز بما هو مـحسوب على جـانبنا الشريف فيـه ولم تأت، فأجـاب بأن سبب تأخـيره هو عـدم مـحل نزوله وإن أردنا إنزال البارود بـدار البارود والكور بأحـد المخازن إلى أن يتهيأ محل نزول ذلك ويأتى فسكت عنه، ثم قال لك: هذه التسعة عشـر ألف ريال التى وردت من الجديدة وهى تحت يـد الأمناء يدفعون منـها ثمن الإقامـة المجلوبة للأبراج فإن أربابها يتـرددون فى طلب ثمنها وطالت مدتهـا حتى حسـبوا عليـها مـا ذكر، والبـاقى يبقى تحت يد الأمناء حـتى يكمل عليه مـا بقى لأرباب الفبركة.

فظهر لك أن ذلك هو الصواب فأجبته لدفعها، ووقع الكلام مع الأمناء بعد ما اعترفوا بوصولها وحازوا حساب أربابها ودفعوه وأثبتوه داخلا وخارجا فى صائر الأبراج حسبما فى الورقة التى وجهت ملخصا فيها صائر الأبراج كل شهر، وما صار فيه مع بيان زيادة السكة فيه من ابتداء الخدمة فيها إلى منسلخ الحجة الفارط متمم عام ٩٧، كما وجهت أيضا ورقة حساب المدافع بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز مبينا فى وجه منها ما كان مقيدا عندك من مكاتيب الباشادور ونائبه وفى الوجه المقابل له نسخة من حساب اللوندريز، لنعلم منها الفرق الزائد.

وفيها أيضا بيان ما بقى باللوندريز وما بقى يخصهم لتمام المال بعد حسابك فيه ما هو تحت يد الأمناء من مال الجديدة، وقدر ما بقى يخصهم ريال ٢٥١٤٢ كبير.

ووجهت لحضرتنا الشريفة حساب اللوندريز وورقة تعريبه وورقة حساب إقامة الأبراج وما معها، وإن اقتضى نظرنا الشريف نزول البارود المذكور بدار البارود والكور بأحد المخازن نأمر بالتوجيه ٤ على ما بقى منهما باللوندريز وبأداء ٥ ما بقى يخصهم لتمام المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والاثنان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه.

فأما توقفك ١ فى حساب السلف على ورود بعض حسابات اللوندريز وأخذك فى حساب ما يتعلق بالمدافع فصار بالبال، وقد وصلت الحسابات التى وجهت وعرفنا مضمنها، فأما الحساب ٢ الوارد من أرباب الفبركة فقد علمنا منه ما زاد به على الحساب الذى توجهت به من هنا وهو أربع عشرة مائة ابرة وخمس وثلاثون ابرة وشلن وأحد عشر بنك مع ما زيد فى ثمن البرود بعد حط ثمن السلسلة منه، فبقى منه مائة ابرة وثمان وثلاثون ابرة، وأن هذا العدد المزيد مصروف فى مسائل ليست فى حسابنا حقا كما ذكرت وأن الستة آلاف ابرة،

والثلاثمائة ابرة، والخمسة عشر شلين مندرجة فى الحساب.... وبقيت مدركة علينا من جميع المسائل.

وأن هذا المثمن الذى قسطوها عليه لم يفهم إلا تقديرا كما ذكرت لا حقيقة، وهى أن تلك الأثمان المقسطة عليه هى أثمانه بعينها وأما حساب ٣ الإقامة التى وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغير المتضمن جميعه أربعة آلاف ريال وعشرة ريال التى أجبت الباشدور لدفع مضمنه المذكور والتسعة عشر ألف ريال الواردة من الجديدة علمناه ونظر سديد كما علمنا أنه فضل من التسعة عشر ألف ريال المذكورة أربعة عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وخمسة ريال باندراج صرف السكة فيها، وهو ستمائة ريال وخمسة وستون ريالا، وأن هذا العدد إذا حط مما بقى من ثمن المدافع وهو تسعة وثلاثون ألف ريال وثمانمائة ابرة والتسعون ابرة المذكورة أعلاه، يبقى يخصهم من ثمنها خمسة وعشرون ألف ريال ومائة ريال واثنان وأربعون ريالا حسبما تضمنته ورقة حساب المدافع التى بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز.

وأما التوجيه ٤ على ما بقى من البارود والكور وإنزال البارود بدار البارود والكور بأحد المخازن فنعم يوجه عليه، وأما أداء ٥ ما بقى يخصهم لكمال المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والاثنان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه فقد أمرنا الأمناء هنا كم بأن يدافعوا لكم مما تحت أيديهم من دين أولاد الدكالى، سبعة آلاف ريال وستمائة ريال وتسعة عشر ريالا وثلاثة أرباع الريال ٣/ ٧٦١٩١، وبأن يدفعوا لكم أيضا الأربعمائة ريال والثمانية والستين ريالا ٤٦٨ الباقية عندهم من الخمس والعشرين مائة ريال التى كانوا استسلفوها، وأمروا بالتصيير منها على الأبراج فقد راجع أمناء أعتابنا الشريفة حساب صائر الأبراج فألفوا مدركا علينا من الخمس والعشرين مائة ريال المذكورة ألفين ريالا واثنين وثلاثين ريالا، وباقيا عندهم منها الأربعمائة ريال والثمانية والستون ريالا المذكورة، كما يدفعون لكم الخمسة آلاف ريال، التى كنا قدمنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى آسفى بتوجيهها لهم

وأصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى العدوتين بأن يوجهوا لكم مما تحت أيديهم من الوفر اثنى عشر ألف ريال وأربعة وخمسين ريالا وربع ريال ١/ ١٢٠٥٤، يصير الجميع خمسة وعشرين ألف ريال ومائة ريال واثنين وأربعين ريالا.

لكن ينبغى لك أن تحوز خطهم بأنه لم يبق لهم صائر على شيء من المدافع لا سابق ولا لاحق، وأن صائرها تم، واحسم مادة ذلك معهم، وكذلك صائر الأبراج فإنه لا يجلب فى المستقبل شيء لبنائها من بر النصارى، وإنما تبنى بما هو موجود فى البلاد من الآجر والجير، ولم يبق صائر إلا على الأجرة والإقامة البلدية فقط والسلام فى ١١ صفر الخير عام ١٢٩٨».

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى.

وبعد: وصل كتابك وبطيه ورقة حساب مال السلف مبينا فيها جميع ما دخل على خديمنا الطالب محمد بركاش إجمالا ومضمن ما دفع لأرباب السلف إجمالا كذلك وما بقى منه وأصل مال السلف وما وصلهم منه وما تحصل فيه بعد حط صائر جبل طارق واللندريز من الابرات بزيادة الربح إلى أن بقى لهم مائة ألف ريال وستة وسبعون ألف ريال ومائتان ريالا وثمانية وخمسون ريالا، وذلك بعد مراجعة حساب اللندريز ومناقشة فرينسية الصرف مرتين مع نائب أرباب السلف إلى أن أوقفتموه على حقيقته، وأفردت لهذا الحساب كناشا خاصا ورتبته على فصول ثلاثة على سبيل التفصيل لتصحبه معك لحضرتنا الشريفة، وصار ذلك بالبال.

وقد أمرنا أمناء أعتابنا الشريفة بمقابلة الحساب المذكور مع الذى تحت أيديهم فأخبروا أنهم قابلوا ما هو مقيد بالكناش من مال السلف الموجه مع اعتراف خديمنا

بركاش بوصـوله له من ذلك، فألفوا ما اعـترف به ناقصـا عما هو مقـيد بالكناش المذكور بخمس وسـتين مائة ريال وواحد وثمـانين ريالا ٦٥٨١، وفاضلا تحت يده إحدى وثلاثيـن مائة ريال وستـة وتسعـين ريالا ٣١٩٦ مصـيرا منها على الـطلبة المتعلمين ببلاد النجليز ثمان عـشرة مائة ريال وستة وثلاثون ريالا ١٨٣٦، والباقى وهو ثلاث عشـرة مائة ريال وستـون ريالا زائف ونحاس ١٣٦٠، كمـا ألفوا اثنى عشر ألف ريال ومائتين ريالا وستة عشر ريالا ١٢٢١٦ مصيرة بطنجة وجبل طارق والوندريز.

فأما العدد المذكور الذى نقص به ما اعتـرف خديمنا بركاش بوصوله عما هو مقيد بالكناش هنا فنأمرك أن تتلاقى معه وتحقق سبب هذا النقص.

وأما مـا صير على الطلبـة المتعلمين من الفـاضل المذكور فقد أصـدرنا أمرنا الشريف للأمناء بتصييره مما عهد دفعـه منه ليبقى أمر السلف مضبوطا لكون إدخال ما ليس منه فيه وإخراجه منه يؤدى إلى التخليط.

وأما ما هو زائف ونحـاس فلابد من بيان الوقت الذى وجد فـيه ذلك، فإن كان فى هذه المدة فقد كان فى كل مشاهرة يرجع منها ما هو زائف ونحاس ويوجه بدله، وإن كان قديما فـيحقق ويبين من كان توجه على يده ومن حـسبه هنا، فإن ذلك مبين على ظهر الفنائق والبطائق التى بداخلها.

وأما ما صير بطنجة وجبل طارق والوندريز فلابد من معرفة هل هذا الصائر مـشروط من أول الأمـر أو حادث وهل هو فـى المدة من أولها إلى آخـرها أو فى بعضهـا وفى أى شىء صير؟ فحقق ذلك تحقـيقا وبينه بيانا شافيـا لا لبس فيه ولا إجمال أصلحك الله والسلام فى ١٤ من صفر الخير عام ١٢٩٨».

ونص آخر فى ثمن المدافع الكبار المجلوبة:

«خديمنا الأرضى الأمين الطالب محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى.

وبعد: فقد اعتذر أمناء مرسى العدوتين عن الاثنى عشر ألف ريال والأربعة والخمسين ريالا والربع ريال التى قدمنا لكم الإعلام بأننا أمرناهم بتوجيهها لكم مما تحت أيديهم من الوفر على يد أمناء طنجة من قبل ثمن المدافع الكبار بأن المحصل تحت أيديهم خارجا عما بالذمم هو تسع وأربعون مائة ريال وواحد وأربعون ريالا وربع ريال مندرجا فيها اثنا عشر مائة ريال وتسعة وسبعون ريالا وثلاثة أرباع الريال تحصلت من غير الوفر، وأن بعض ذلك من سكة الدرهم فأمرناهم بأن يوجهوا لكم على يد الأمناء ما هو ريال من ذلك، وما هو من سكة الدرهم يبدلونه هناك ريالا، ويوجهونه لكم إن تيسر لهم إبداله ثمة، وإلا فيوجهونه لحضرتنا الشريفة ليوجه لكم بدله ريالا.

ونص كتاب الوزير الجامعى فى شأن ثمن المدافع والبارود والكور والأبراج:

«محبنا الأعز الأرضى، الأمين الحازم السيد الحاج محمد الزبدى، أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصل جوابك عما كتبنا لك به عن أمر مولانا أعزه الله من أن تبنى الأمر فى ورقة حساب السلف التى وجهت على التحقيق واليقين حتى لا يتطرق لما تؤسسه فيه احتمال وهم أو غلط أو نحو ذلك مما يضاد المراد من حسم مادة المطالبة بعدما أخبرت بأنك قد بنيت ما كان بينك وبين أرباب السلف على أساس مع نائبهم بعد ما عملت جهدك وطاقتك مرتين، فالحساب الأول معه بعد ما أثبته فى الكناش وسطرته بقيت فى قلبك الحزازة ولم يسلمه خاطرك فوجهت عليه ثانيا، وقلت له: هذا الحساب غير مسلم فلا بد من مراجعته، وجلستم له

أيضا نحو ستة أيام لأن حساب الكنبى صعيب لا يدركه ويحققه إلا من ومن فأنتج لك الحساب الثانى اثنى عشـر ألف ريال وزيادة ربحًا، وكلاهما مسطران عندك فى الكناش الأول والثانى وسلمه، وبعد ورود جواب سيدنا على حساب المدافع وورود المشاهرة كتبت لبـرقاش فى شأن الملاقاة مع باشادور النجليز لتـمام الكلام معه فى أمر شأن السلف والمدافع، وحتمت على برقاش يحضرها.

وبعـد الملاقـاة مـعه بـينت له بمحـضـر برقاش أن الـباقى لـهم من السلف مشاهرتان، وعينت له قدرهما، وأن ما كان بقى لهم من ثمن المدافع نفذه له سيدنا أعزه الله بعـد ورود ٥٠٠٠ ريال من آسفى، وأن سيـدنا نصره الله أمر بإتيـان ما بقى بالنديز من البارود والكور وغيره وتم الأمر بينك وبينه بوجه جميل والحمد لله بسعادة سيدنا.

ثم إن الخزائن ببـرج الريشة المعدة للبـارود والكور قد تم عملهم بناء وقـبوا وتلبـيسـا، وما بقى فى برج الريشـة إلا شىء يسيـر وذلك فى غاية مـا يكون من الإتقان والتوثيق، وهذه هى الأثارات التى تذكر بها الملوك على ممر الأزمان.

وبرج القصبـة خزائنه ما بقى لهم إلا القبـو وإقامته التى تكفـيه من الأجور وغيره موجودة فيه إلا أنه اليوم لا خدمـة عندهم فيه لقصر النهار، وكثرة الأمطار، بخلاف برج الريشـة فالخدمة فـيه لا تبطل، لكنها بصـائر يسير، وقد شـرعوا فى تجليد بيوته بالخشب لنزول مـا يرد من الكور فيهم إذا ورد ومدافعه سيـركبونها فى محلهـا فيه بعد أيام قلائل، وإن هـذه حسنة عظيمة فى صـحيفة سيـدنا أعزه الله وعرفنا ما ذكرته فى ذلك وصار بالبـال، وبعد أن طلعنا به العلم الشريف دعا لك أعزه الله بخـير وأمر بأن تأتى معك بـصورة الأبراج والخزائن وما كـمل بناؤه منها وما لـم يكمل بناؤه فاصحب معك ذلك ولا بد عن أمره الشريف أسماه الله وعلى المحبة والسلام فى ١٣ من ربيع ١ النبوى عام ١٢٩٨.

محمد بن العربى بن المختار خار الله له»

ونص آخر:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصل كتابك جوابا عما أنتجته مراجعة أمناء أعتابنا الشريفة ورقة حساب مال السلف التى وجهت لحضرتنا العالية بالله من نقصان ما اعترف به بركاش عما قيد بكناش بريال ٦٥٨١ وبقاء ريال ٣١٩٦ فاضلا عنده مصيرا منه على الطلبة المتعلمين ببلاد النجليز ريال ١٨٣٢ والباقى ١٣٦٤ فى زائف ونحاس وتصيير ريال ١٢٢١٦ بطنجة وجبل طارق واللوندريز.

وذكرت أن أمر الفرق محقق عندك ومثبت فى الكناش الذى رتبت هناك، وأخرت الكلام فيه كتابة بقصد المشافهة به، وبعد ما وجهت ورقة الحساب على الإجمال علمت أننا نجيبك ببيان هذا الفرق وعرفنا ما ذكرته من أن سببه وقوع الخطأ عندكم فى مشاهرتين إحداهما عثرت عليها مقيدة عند خديمنا الطالب محمد بركاش بتاريخ صفر عام ٩١ وردت له على الصويرة قدرها ريال ١٠، ٧، ٢٩١٥١ كبير وليست مقيدة عندكم فى كتابكم فأثبتها فى محلها، والثانية لما بلغت فى المقابلة للمشاهرة التى توجهت له من مكناس بتاريخ ١٢ من شعبان عام ٩٦ قدرها ريال ٣، ٣٥٢٣٨ كبير عن شهور ٣ والتى تليها مقيدة عندكم فى كناشكم بتاريخ ٢٩ شوال عام ٩٦ مثلها ذكرتها لخديمنا بركاش، فأنكرها وذكر أنها لم تكن فحاججته فيها، فأجابك بأن حجتك لا تقوم عليه إلا بجوابه عنها على العادة بتاريخ القعدة عام ٩٦.

ثم أدلى بحجته وهى مكاتيبنا الشريفة مصرحا فى أولها وآخرها وتاريخ توجيهها فى المحرم حسبما فى النسخة منها التى وجهت بتاريخ وقت الكلام فيها بينك وبينه، ووجهت على كناش صائر المرسى فيه على مئونة الواردين بها من

الخيل والحمارة على العادة فلم تقف فيه على شيء فى ذلك التاريخ، وليس عندك حجة تحتج بها عليه سوى جوابه عنها، وحيث لم تقف فى كناش المرسى على ما ذكر تحققت بعد إتيانها فى ذلك التاريخ، وأنها تأخرت إلى شهر المحرم حسبما هو مصرح به فى كتابنا الشريف وتقييدها عندكم بتاريخ ٢٩ شوال خطأ منكم.

وتأملت فى سبب تقييدها فتذكرت أن السؤال كان وقع على حلول وقت المشاهرة فى آخر شوال، وأجبت بأنها تحل فى أول القعدة وقيدتها على أنها خارجة، فتأخر خروجها وبقيت مقيدة عندك سهوا، وبعد ذلك أمرناك بإعمال حساب السلف تفصيلا فأعملته وقيدت من جملة المقيد بعد بحثنا لكم فيها مرتين فلم يحصل لكم شعور، فأمرناكم بتقييد ذلك فى كناشنا فقيدت فيه كذلك خطأ ونسيانا، وكان خصه على يد أمناء دار عديل فى مشاهرة محرم عام ٩٢ ريال ٣٢٢ وفى مشاهرة جمادى الأول عامه ١٦٧ وفى جمادى الأولى عام ٩٣ على يدهم أيضا ريال ١٤، حسبما فى الورقة التى وجهت.

وعلمنا أن صائر الطلبة باللوندريز أضيف للمشاهرة التى وردت لخديمنا بركاش ودفع معها، والزائف والنحاس الذى على يده من المشاهرات التى كانت توجه قبل أبدل البعض منها والباقى لا زال ببيت المال وقدره ريال ٥٥٥ بين خاص ٣ ونحاس ١٣ وزائف ٥٣٩، وأن هذا الزائف لا خسارة فيه وستصحبه معك ويدفع فى الصائر.

وسألت الأمناء الذين كانوا يتولون حساب ذلك عن البطائق فذكروا أن بعض الخناشي يجدون فيها البطائق وجلها لا يجدونها فيها، وأن الصائر على المال بطنجة وبجبل طارق واللوندريز ليس بمشروط فى الكنطرة التى كانت على يد العاجى، ولما تولى بركاش دفع المشاهرة من أول الأمر قال لهم: إنما لكم علينا سكة الابرة فعينها فيبدل الريال بالابرات باللوندريز وتدفع لهم هنالك يطالبوه بالصائر على

توجيهه فيما يلزمه من كراء وطرقة البحر وكموسيون، فأجابهم لذلك ليتوصل إلى ما يفضل من الربح بعد الإبدال المجرد بالورقة التى وجهت، ولولا ذلك لما توصل لذلك الربح.

وطلبت إصدار أمرنا الشريف لبركاش بأن يدفع لك أصول حسابات اللوندريز تصحبهم معك لحضرتنا الشريفة، لأنك طلبتهم منه فظهر لك منه أنه يريد بقاءها عنده، والأولى بقاؤها بحضرتنا العالية بالله وصار ذلك بالبال وعرفنا أن الفرق.... وستين مائة ريال واحد وثمانين ريالا بين الحساب الذى وجهت وبين الحساب الذى.... سبب وقوعه هو ما شرحته.

غير أن الأمناء لما راجعوا حساب هذا السبب الذى بينت ألفوا خاصا لكمال العدد المذكور ٥ خمسة ريال، كما ألفوا عدد الزائف والنحاس الموجود فى المشاهرات السالفة ثلاثة عشر مائة ريال وأربعة وستين ريالا، وعليه فنأمرك أن تصحبها معك مع بيان تاريخ كل مشاهرة وعلى يد من توجهت من الأمناء والعدد الموجود فيها من ذلك، كما تصحب معك أيضا ٥٥٣ ما وجد زائفا ونحاسا فى هذه المشاهرة الموجهة آنفا، وقد كتبنا لخديمنا بركاش يدفع أصول حسابات الوندريز لك لتصحبها معك لحضرتنا الشريفة إن لم يبق له غرض متعلق بها والسلام فى ١٦ ربيع ١ النبوى عام ١٢٩٨».

ونص آخر فى شأن ثمن المدافع:

«خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد الزبدى، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء العدوتين بتوجيه ما تحت يدهم من الوفر لأمناء طنجة بقصد أداء ما بقى من ثمن المدافع حسبما تقدم لك الإعلام

به، وقد أخبروا بأنهم وجهوا لأمناء طنجة من الريال الكبير ٢ ألفى ريال وتسعمائة ريال وأربعة ريال ونصف ريال ومن الصغير ألف ريال وثلاثمائة ريال واثنين وعشرين ريالا.

ووجد تحت يدهم من سكة الدرهم أربعة آلاف مثقال ومائتى مثقال وجهوا ذلك لحضرتنا الشريفة بقصد إبداله بالريال، وقد أبدل فى عدد من الريال قدره ألف ريال ومائتا ريال واثنان وتسعون ريالا، وها هو يرد عليكم صحبته والسلام فى ٢٩ من ربيع النبوى عام ١٢٩٨».

ونص ما كتبه المهندس سكيرج للزبدى ترجمة لتقرير معلم الطبجية الانجليزى ليرفعه للحضرة الشريفة:

«بعد إهداء مراسم الاعتبار اللائقة بعزيز جناب أمين الأعتاب الشريفة الفقيه النزيه السيد محمد الزبدى.

أما بعد: فقد طلب منى حاكم الطبجية الإنجليزى ومعلمهم أن أترجم له المكتوب الإنجليزى حوله إلى العربية وأسلمه لسعادتكم لتطالعوا عليه العلم الشريف، وهو مشتمل على ما استحسنه المعلم الموما إليه وما تقتضيه المصلحة إجراءه وهذا ملخصه لدى.

يرى المعلم المشار إليه من المستحسن أنه لابد من إمعان النظر فى إجراء أمر مهم لا غنى عنه أبدا بوجه، حسب ما تقتضيه الحالة الحاضرة وذلك تقوية الجند بهذا الثغر المبارك المهم، فهو لا شك أمر ضرورى بلا خلاف، فمن المعلوم أن المدافع الجديدة متوقفة ومفتقرة على من يقم بواجباتها حق القيام، ولو فرضنا أن هذه المدافع كلها مركبة بمحلاتها على التمام دون من يقم ويحق خدمتهم بالتحقيق والتدقيق فهم حينئذ والوجود والعدم على حد سواء.

فيلزم إِذَنْ لذلك انتخاب عدد وافر من الرجال قادرين على الخدمة الشاقة ليقوموا بواجباتهم ويلازمون طول المدة والمواظبة فى التعليم، ليعلموا كيفية استعمال المدافع الجديدة تماما، وإلا فيقصرون على واجبته وتعدم النتيجة ولا ريب أن تعلموا كيفية خدمته كانوا قادرين على تعليم غيرهم وقد قدر ذلك العدد الوافر المذكور أن لا يكون أقل من ١٠٠ رجل و ٧ قياد ليقوموا بواجبات المدافع الستة، ويستحسن زيادة ٢٠٠ عسكر و ٨ قياد للإعانة عندما تمس الحاجة إليه وتأذن لى الحضرة السنية أن أعلمهم حرب الرجلية وبعده حرب المدفع القديم حتى يتمرسوا فيه، فيكون قادرين على مساعدة الطبجية فى أى عمل من الأعمال المطلوبة، فلا يخفى ما يحصل للجانبين من النفع الجزيل، لأن الطبجية يزدادون علما بتعليم العسكر المذكور، ويتمرنون فى أعمالهم أكثر ممّا أدركوه فى حالة تعليمهم سابقا، وكذا العسكر يكون قادرا على استعمال سلاحه وعلى خدمة المدافع القديمة، وعلى مساعدة الطبجية فى مباشرة المدافع الجديدة، وزيادة على ذلك النفع العام الذى هو أحق بالانتباه إلى غير ذلك مما يطول شرحه بهذا الموضع الجليل.

أما المدافع الجديدة منزلة قرب محلاتها فبمجرد الفراغ منها تركب على محاورها وفى مدة شهر ونصف تركبا مدفعى برج دار البارود واطلب من الحضرة العالية أن ترخص لى بزيارة اعتابها الشريفة بعد تركيب المدفعين فى المدة المذكورة وهذا ما حرره الطبجي الإنجليزى وبالله التوفيق قيد فى ١٢ مرص الموافق ١١ ربيع الثانى ١٢٩٨.

محرره خديم الأعتاب الشريفة الزبير بن

عبد الوهاب سكيرج أمنه الله»

ونص كتاب سكيرج للزبدى فى شأن الإنعام السلطانى على المهندس المكلف بالأبراج وما وصل إليه العمل فيها:

«وعلى جناب أمين الحضرة العالية الفقيه النزيه عوض الوالد سيدى ج محمد الزبدى، السلام التام، ورحمة الله عن خير مولاتا دام بالله نصره.

أما بعد: فقد شرفتنى سعادتكم بمكتوبها الوارد على يد نائب سيدنا المعظم الفقيه السيد محمد بركاش فاستدعانى لمحله حينئذ، وكذا المهندس، وسلم إلى المكتوب المومى إليه، وأخبر المهندس أن سيدنا أيده الله أنعم عليه بكسوة مثل ما أنعم بها على الحراب بجبل طارق، فشكر فضل الحضرة السنية وكذا فضلكم، فإن شكر الوسيطة واجب. وعندما انصرفت من منزله قرأت كريم مكتوبكم وفهمت مضمنه ووضحته للمهندس فحصل له سرور كبير، ولنا أكثر منه، فلولا الوسيطة لذهب كما قيل الموسوط، فلا طاقة لى على مجازة عالى همتكم فى الأمر الذى أنهت سيادتكم للحضرة السنية ووعدتكم بالخير إن شاء الله فى شأنى وقد قيل أنجز حر ما وعد.

ثم نعلم سيادتكم عن التعطيل الذى أنشئ للطبج فى تركيب المدفع الثانى الفقانى من برج الريشة خلاف ما وعد به، وهو أن إقامة المدافع الجديدة وردت من إنكلترا فكان وزنها. . . طونا منها ٤٤ طون من البارود والباقى من الكور ومكينات أخرى المعدة لتعمير المدفع فجعل البارود المشار إليه فى خزنة دار البارود الكبيرة بعد ما أصلحها المهندس، وباقى الأقايم فى برج المرسة وطبانه وفى برج الريشة، وقد حاول هذه الأيام فى تركيب الآلات التى يتركب بها المدفع وسأخبر سيادتكم عن ذلك إن شاء الله عما قليل.

وأما البناء فى برج الريشة فلا يبقى فيه إلا نصف الدائرة من المدفع الفقانى، فلا يمكن بناؤه قبل تركيب المدفع حسبما ظهر للطبج، وأمور فى برج الريشة فلا يبقى فيه إلا نصف للطبج، وأمور أخرى كالتجصيص وتلبيس بعض المحلات وتركيب أبواب الخزنات القديمات، وكذا باب البرج وأمر ذلك سهل قريب.

وأما التراب قد أنجز العمل فيه فى الجمعة الماضية، وما أخرنا عن إتمامه قبل الوقت المذكور إلا شدة الأرياح التى صدت الناس عن الخدمة فيه، ثم إن مكينة الوزن قد ركبها المهندس بالدوانة وترشح بنصف رطل حالة وزن ٣٠ قنطار، وأن البناء مستمر ببرج النعام، وكذا برج طبانه فى تعمير التراب وتجصيص أرضه وعلى محبة سعادتكم والسلام فى ١٣ رجب عام ١٢٩٨.

عوض ولدك الزبير اسكيرج لطف الله به»

ونص كتاب المهندس المذكور فى الموضوع:

«بعد إهداء مراسم الاعتبار اللائقة بعزيز جناب أمين الأعتاب الشريفة الفقيه النزيه السيد الحاج محمد الزبدى، أسأل عن صالح أحوال سيادتكم أجراها المولى وفق ما تريدون، هذا وقد تشرفت بكريم إعلامكم أن سيادتكم قد أنهت أمرى لسيدنا أعزه الله فيما أنى عليه من الحزم والاعتناء فى بناء الأبراج وبحسن وسيطتكم العظماء أنعمت على الحضرة السنية بكسوة جندية، فعلمت حينئذ بدون شك أن سيادتكم افتكرتنى عند حضورها مع الباب العالى وشرفت اسمى فى ذلك المنزل الفخيم وذاك بذكر جميل جزيت سيادتكم خيرا فقد حصل لى من السرور الكبير وتقوية بحسن صنيعكم الجليل.

ثم أعلم سيادتكم أن تعمير التراب ببرج الريشة قد انتهى العمل فيه فى الجمعة الماضية وأن برج النعام متقدم فى الخدمة، وبرج طبانه فى تجهيز حفر الأساسات، وأن مدفع برج الريشة الثانى لم يتركب إلى الآن والعائق عن ذلك ورود إقامة المدافع الجديدة الستة من إنكلترا وأن مكينة الوزن ركبتها بالدوانة وهى توزن الآن على التمام ومن جملة تحقيقها ترشيح بنصف رطل حالة وزن ٣٠ قنطار وهذا ما وجب به الإعلام فى ٣ رجب ١٢٩٨.

عن اذن المهندس المكلف بناء الأبراج

إدوارد سلب بثغر طنجة حرسها الله

خط يده يمنة»

ونص توصية المذكور بمساعده سكيرج:

«استدرك خير فقد خصصت هذا لسعادتكم لأطلب من كريم فضلكم وعظيم تأثيركم أن لا تنسوا خدمة خليفتى السيد الزبير اسكيرج، فلا يخفى سيادتكم من ما فيه من الحزم والنجابة والمواظبة على التعليم، وأظن أن سيادتكم على بصيرة من ذلك وشاهدته بهذا الطرف ولا ريب أن خدمته ستكون نافعة جدا للخدمة السلطانية، فلهذا أشكر جميل أوصافه وأوصى به خيرا لسيادتكم، وفى الوقت نفسه أعلمه هنا ما يمكن تعليمه وأرجوكم السلام فى ٣ رجب عام ١٢٩٨.

عن إذن المهندس المكلف ببناء الأبراج

إدوارد سلب بثغر طنجة حرسها الله

خط يده يمنة»

هذا وقد بنى صاحب الترجمة برباط الفتح خارج باب العلو على ساحل البحر برجا عظيما هائلا يسمى بالبرج الكبير أو البرج الألمانى لقيام بعض مهندسى الألمان ببنائه وتخطيطه وجلب مدافعه من بلادهم، وقد تولى مساعدة المهندس المذكور فى بنائه منذ سنة ١٣٠٣ السيد الزبير سكيرج المهندس المغربى الذى تولى قبل ذلك مساعدة المهندس الإنجليزى فى أبراج طنجة.

وكان القائم بالبناء والصائر عليه ومراقبة شئونه جميعها بناء وحراسة وغير ذلك الأمين الصدوق الوطنى الغيور السيد الحاج عبد الخالق فرج محتسب الرباط وناظره، وبقيت بيده مفاتيحه إلى آخر العهد الحفيظى، وفى سنة ١٣٠٧ وجه

المترجم بعثة لألمانيا للمفاوضة فى شراء المدفعين العظيمين البالغ وزن كل منهما ثلاثين طنا اللذين أراد جلبهما من معامل كروب الشهيرة باسن من تلك الديار وتركيبهما بالبرج المذكور، فتوجهت متركبة من الأمين الحاج محمد الزكاوى، والمهندس سكيرج، والمهندس الألمانى وفى سنة ١٣٠٨ وجههم صحبة بعض رجال العسكرية من كبار الطبجية، وهم الحاج إدريس بن عبد الواحد، والقائد محمد الشديد، والقائد محمد سباطة الرباطيان إلى مدينة مبين من بلاد الألمان لحضور اختبار المدفعين المذكورين، ثم رجعوا وطرحوا نتيجة عملهم على البساط العالى.



الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية

واهتمامه بالاطلاع على المخترعات العصرية

وما كان على عهده بالعدائر والهوائر المخزنية

ومما يتعلق بجلبه الذخائر الحربية من الديار الأروبية غير ما سلف ما أصدره لنائبه السلطانى بطنجة فى شأن البارود المجلوب من إنجلترا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد: فقد أخبر مولاى أحمد الصويرى كبير الطبجية بحضرتنا العالية بالله أن سيدنا المقدس بالله كان كلفك بجلب خمسمائة قنطار من البارود النجليزى، وكنت وجهت عربونه وقلب وسلم، وأمرت بجلب العدد المذكور منه ولم يدر فى أى مرسى من المراسى وضع ذلك حين ورد، وعليه فلابد بين لنا المرسى الموضوع فيها ذلك والسلام فى ١٥ من ربيع الثانى عام ١٢٩٦».

وما بعثه له فى شأن حبة التلحيق المجلوبة من بلجيكا ونصه:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله.

وبعد: وصل كتابك بأن المليون من حبة التلحيق الذى أمرناك بجلبه ورد وأنزل بالدار البيضاء وحازه أمناؤها فى عشرة صناديق وطلبت أمرنا الشريف لهم بتوجيه ذلك لحضرتنا العالية بالله، وتنفيذ ثمنه لباشادور البلجيك لوروده على يده وقدره ثمان وأربعون مائة وتسعة وتسعون من الفرنك ٤٨٩٩ حسبما بحساب المكلف بجلب ذلك الذى وجهت، فقد أمرنا الأمناء المذكورين بتوجيه ذلك لحضرتنا الشريفة وأداء ثمنه للباشادور المذكور على يدك، وكتابنا الشريف لهم بذلك يصلك والسلام فى ٤ المحرم فاتح عام ١٢٩٩».

وما كتبه قنصل البلجيك للأمين الزبدى فيما يتعلق بجلب الذخائر من معامل بلاده ونصه بلفظه:

«إلى حضرة المبجل المعظم المنتخب الأعز الأحب الأود الفقيه المصيب اللبيب سيدى الحاج محمد الزبدى، بعد السؤال عن كافة أحوالك المرضية الزكية وأنفع السلام وأجله على سيادتك المعظمة المحترمة، ومحبة أن تكون بخير وعافية ونعمة شاملة مرضية، ليكن فى كريم علمكم أيها المحب أنه قد أخبرنى محب الجميع السيد بوبكر أنك على خير وعافية وذلك هو بغيتنا دائما وأبدا. . . هذا وإننا لما نعرفه من منزلتكم المعظمة لدى السلطان أيده الله، هأنا نكتب لك اليوم على شأن أمر أوقعنى فى غبينة كبيرة وهو أننى كنت هذه مدة من عام كتبت كتابا للوزير السيد محمد بن العربى ولم يكترث به ولا رد لى جوابه إلى الآن، وحتى الآن وها بطى هذا نسخة منه تنظرها. . . حيث كان ظهر لى ما هو منفعة للسلطان أيده الله وأنه يقبل ذلك الكلام المعروض من صاحب فبركة الحرب ببلاد الياج بلاد البلجيك الذى هو عين الصواب غاية، ويكون عند السلطان الحرب الجيد الرفيع الذى يقرب أن يكون جديدا وثمنه موافق كثيرا على الذى بسواه الحرب الجديد إذا لم يرد يرسل فى مرة واحدة عدد ٥٠٠ لبلجيك فيقدر يرسل مائة أو مائتين يجرب بها، وبعده ينظر إذا وجد ذلك يعنى هذا الإصلاح يليق يكمل يرسل الباقى. . .

فنحن عندنا غرض وشهوة كثيرا أن السلطان يقبل هذا الأمر ويعمل هذا التبديل الذى يعرضه صاحب الفبركة، لأننى تغيرت كثيرا لما سمعت أن السلطان أيده الله ليس هو على خاطره من أجل هذا الحرب الذى هو من بلادى بعد ما عملت جهدى وكتبت لصاحب الفبريكة الذى هو منتخب ومن أعلى أصحاب هذا الشأن غاية. . .

فأنتم أعزكم الله الذى عندكم العقل التام وسافرتم لبلاد أروبة، لا تخفى عليكم جميع الأمور، إذ تعرفوا أن هذه أمور الحرب هى مسألة نحيفة لطيفة، وأن جميع الدول يقع فيها الآفات فى مبادئ تخديم الحرب الجديد... فنعلمك على وجه السر أن عندى أمارات أثبتت لى أن القائد مكلين لا يعجبه هذا التبديل، لكن الذى يظهر لى أن المنفعة للجانب الشريف تقدم قبل كل شىء، وهو الذى نرتضيه لسيادته كما فى اعتقادى، إذا يوافق السلطان يعمل تجربة فيقدر يرسل المكاحل مغلفة مربوطة للتاجر ردمان خليفة البلجيك الجديدة، وإنا نكتب له يرسلها لبلجيكة قاصدة لكيلا يلزم على ذلك كثرة مصاريف فنطلب أن يبقيكم الله على خير وعافية وطول عمر فى الخير والهناء ودوام محبتنا، لأننا دائما نتفكر ما كنا فيه متباسطين ونتحلى به غاية ودمتم بخير وعافية والسلام وفى ٦ إبريل عام ١٨٨٣ موافق ٢٧ج لى عام ١٣٠٠.

عن إذن منسطر البلجيك بإيالة مراكش

انرسط دلوان»

ونص كتاب وزيرى فى تكليف سفير فرنسا الكندى دربينى بجلب المدافع الجبلية من بلاده على يد حكومته بعد الافتتاح:

«وبعد فقد أمرنى مولانا نصره الله بالكتابة لك أيها المحب بأن تطلب من دولتك الفخيمة أن تأذن لوزير الحرب عندها فى أن يشترى على يده لجنابه الشريف بطريتين من مدافع الجبل ذات فرمة أربعة تكون تعمر من أفواهما وفق ما كتب عليه الحراب الطبجى الفرنصيصى الذى هنا للوزير المشار إليه، وتكون مع كل بطرية من هاتين البطريتين إقامتها المبنية بطرته ورويضاتها من الحديد، فإن ما جلب ويجلب على يدها من ذلك جيد متقن العمل والصنعة لا محالة جزيت خيرا على اعتنائها وبقيت كما تحب والكتاب الشريف لأمناء مرسى طنجة بقبول البطريتين

المذكورتين ودفع ثمنهما لك مع ثمن إقامتها المذكورة الذى ذكره الحراب المذكور وهو خمسة آلاف ريال، وثمن الرويضات من الحديد التى تجعل لها بدلا عن رويضات العود الذى تبينه لهم: يصلك طيه ودمت بخير وختم فى ٨ صفر عام ١٣١١».

ونص المكتوب بطرته المشار لها:

(ستة وستون صندوقا للعمائر يجب للبطريتين معا من الصناديق ١٣٢ صندوقان للإقامة والماعون.

ستة وأربعون بردعة

وخمسمائة عمارة لكل مدفع)

ونص الكتاب الشريف لأمناء طنجة المشار له:

«وبعد فقد كلفنا باشادور الفرنصيص بجلب بطريتين من مدافع الجبل التى تعمر من أفواهها ذات فرمة أربعة مع إقامتها المبنية بطرته فنأمركم: أن تقبلوها منه وتجعلوها مع إقامتها فى محل صين لا برودة فيه وأعلمونا، وأن تدفعوا له الخمسة آلاف ريال الواجبة فى ثمنها وثمن إقامتها مع ما يجب فى ثمن رويضات من الحديد كلف بجعلها لها بدلا عن التى من العود الذى بينه لكم وأعلمونا به والسلام فى ٨ صفر عام ١٣١١».

ومن استعداداته الحربية وتنظيماته العسكرية استقدامه من أروبا الحرابة الإنجليز والفرنسيس والإسبان واستخدامه إياهم فى تدريب جيشه وجنوده على الحركات المستحدثة والتمارين الجديدة، زيادة على إرساله البعثة تلو البعثة من ذلك الجيش لأروبا بقصد الاقتباس من فنونها العسكرية كما مر بك قريبا، ومما يتعلق بهذا الموضوع ما أصدره لنائبه السلطانى بطنجة فى عقد شروط الحراب الإنجليزى:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه جواب الإنجليزى الحراب العسكر بحضرتنا العالية بالله عن الشروط التى كتبت له بها، وذكرت أنه قبلها كلها إلا العقدة عن سنة واحدة لم يقبلها، وذكر أنه إذا استغنى عنه عند تمام السنة يعطاه ألف ريال لضرورياته ويتوجه، وقد وصل خط يده الملتزم فيه أنه إذا طلب التوجه هو بطيب نفسه بعد السنة فلا يطلب شيئا من ذلك، وقد قبلنا ما شرطه من ذلك على الوجه الذى بينه والسلام فى ٢٦ رجب الفرد عام ١٢٩٤».

وما أصدره له فى أمر الحرابة الفرنسيس:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل جوابك عما كتبناه لك من حلول إبان ما كنت تذاكرت فيه مع جانبنا الشريف فى شأن الحرابة إن صح ما بلغنا من تبديل الفرنصيص إلخ، وذكرت أن الأمر أشكل عليك ولم تدر هل المراد بذلك حتى الحراب الفرانصيصى الذى بحضرتنا الشريفة أو الحرابة الفرانصيصون الذين بالرباط، وطلبت بيان ذلك لتكون على بصيرة فيما تتكلم به، فالناقل لنا ذلك على لسان كبيرهم الذى هنا ذكر أنه هو المقصود لا غيره والسلام فى ٨ ربيع الأول عام ١٣٠٠».

ولما أشرف نجم حياته على الأفول استغنى عن أولئك الحرابة لكون العسكر الذين وردوا بقصد تعليمه حصل له التعلم، وكتب لسفراء دولهم بذلك ليبلغوه حكوماتهم، فتأذن لحرابتها فى السفر لبلادهم فى الوقت الذى تعينه لهم الحضرة الشريفة، وكان ذلك على اللسان الوزيرى قبيل وفاته بنحو الشهرين.

وقد مر بك فى العلائق السياسية مع إسبانيا أن من جملة المطالب التى ذهبت لأجلها سفارة القائد عبد الحميد الرحمانى طلب الإذن للحرابة الإسبان فى الانسحاب مما هم فيه للاستغناء عنهم لتعلم المعسكر ما فيه الكفاية، وجواب إسبانيا عن ذلك بأنها تساعد عليه بمجرد سفر غيرهم من الحرابة من أجناس أخرى.

ومن أهم استعداداته وأعظمها إنشاؤه دارا لصناعة السلاح بفاس داخل باب الساكمة، وصرفه همته إليها حتى أسسها على أبدع طرز، وأرقى نظام، وأنفق عليها أموالا طائلة، وجلب إليها العملة والصناع من الديار الأوربية، وكان ابتداء العمل فى بنائها سنة ١٣٠٥ وانتهاؤه سنة ١٣٠٨ وكتب بأعلى بابها:

دار السلاح

منشئها الأمير مولاى الحسن

وكان الذى تولى تخطيطه هو المهندس الإيطالى (نوطيرا) الذى وجهته حكومة الطليان مع غيره إجابة لطلب الدولة الشريفة، وقد وقفت على نص كتاب وزير الخارجية الذى أجلب به سفير إيطاليا عن توجيه حكومته البعثة المذكورة، وفيه بيان مكانة أفرادها فى بلادهم وأنهم أخرجوا من معامل الأسلحة هناك، وذكر ما رتب لهم على مراتبهم ومن عين لمرافقتهم، ثم طوافهم على بعض المعامل كمكينة العدة التى بفاس ومعمل السكر والقرطوس اللذين بمراكش وغير ذلك ولفظه:

«المحب العاقل الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين مينسطر دولة الطليان الفخيمة الكبلير المعتبر روميو كنطاكلى، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، وصلنا كتابك بأنك وجهت لحضرة سيدنا العالى بالله

الفسـيالات الثلاثاء الموجهـين من قبل دولتك الفخـيمة بقـصد الفبركـات المعلومة صحبة الكبلير جنتيني، وأن هؤلاء الفسيالات انتخبوا من مهرة فسيالاتكم وأعقلهم وأخرجـوا من فبـركات الأسلحـة ببلادكم، وبينت اسم كل واحـد منهم ومرتبـته وأشرت بالاستيصـاء خيراً بهم، والثقة بهم فى جميع الأمـور، وتنفيذ المسائل لهم التى يتوقفون عليـها لخدمتهم المكلف ببيانها، والوقـوف على تمكينهم منها الكبلير جنتيني، وذكـرت أن جميع مـا يوافق عليه من أمور خـدمتهم توافق عليـه وتقبله لكونه ثقة عندكم، ومن أهل المحبة فى الجناب الشريف.

فقـد أطلعت بكتابك شـريف علم مولانا نصـره الله وعلم مضـمنه ووصل الفسـيالات المذكورون صـحبة الكـبلير جنتيني ورحب بهم وبـه مولانا أيده الله، وأنزلوا وأنفذ لهم مولانا دام عزه مراتبهم الـشهرى وقدره أربعمائة ريال للكونيل، وثلاثمائة ريال للماجور، ومائتـان وأربعون ريالا للمهندس، وحازوا ما وجب لهم فى مرتب شهر شعبان الفـارط، كما نفذ لهم أعزه الله المحل بنزولهم بالمحل الذى يتوجهون له، والخـيل لركوبهم والبهائم لحمل حوائجهم والخـزائن لسفرهم وأربعة من العساكرية للأخذ بأيديهم، وأحد الطلبة الذين كانوا يتعلمون بإيطاليا للترجمة، والعلف لخيلهم.

وكلفنى أعزه الله بمبـاشرة أمرهم، وهم إلى نظره الشريف وفـق ما أشار به الكبلير جنتـينى وهم بصدد السفر لـفاس لرؤية مكينة العدة التى بها وسـرد آلاتها واختيارها والتطوف بوادى فاس ورؤية المحل منه الذى يصلح لفبركة الأسلحة وبعد ذلك يتوجـهون لمراكش لنظر المحل بنواحـيها الذى يصلح لمكـينة الأسلحة، ورؤية فبـركة السكر والقرطوس واخـتبارهما، وكـما أن جنتينى ثقـة عندكم فكذلك عند الجناب الشريف. ومعدود عند سيادته من الأحبـاء النصحاء الساعين فى الخير، وقد أمرنى مولانا نصـره الله بإجابتك بما ذكر ومجازاتك بخيـر على وقوفك واعتنائك

بأغراض جنابه الشريف، كما أمرنى دام تأييده بالكتابة لك بأن تنوب عن سيادته فى مجازاة دولتك الفخيمة على ما ظهر منها من دلائل المحبة والصداقة بوقوفها واعتنائها بأموره المولوية وسعيها فى الخير لإيالته السعيدة سرا وعلانية ودمت بخير.

وختم فى ١٠ رمضان عام ١٣٠٥ ومنه: ومرتبهم المذكور عن شهر رمضان وما بعده أمناء مرسى طنجة يكونون يدفعونه لهم فقد صدر لهم الأمر الشريف بذلك صح به محمد المفضل بن محمد غريط الله له»

ونص كتاب وزيرى آخر قبل ذلك فى الموضوع:

«المحب العاقل الناصح الساعى فى الخير بين الدولتين المحبتين نائب دولة الطليان الفخيمة الكبلير مايسى، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد وصل كتابك بأن المحب الباشدور الصائر إلى ما تصير إليه كل نفس كان أخبر سلطانكم المعظم بما طلبته الحضرة الشريفة من جلب مهندسين طليانيين. . . بقصد النظر فى أمر جعل فبركة الأسلحة وغيرها فأذنت دولتكم الفخيمة فى توجيه ثلاثة فسيالات مهندسين من الجيش الطليانى للحضرة الشريفة، وأن هؤلاء الفسيالات يطلبون أن يسبق لهم الجناب الشريف العدد الذى بينت من قبل صائر سفرهم من إيطاليا لطنجة واشتراء ما يحتاجون من الحوائج لقدومهم، وأشرت بإنهاء ذلك لشريف علم مولانا نصره الله ليأمر أيده الله بتنفيذ العدد المشار إليه لهم إن اقتضى نظره الشريف المساعدة على مطلبهم، وذكرت أنهم حيث يردون لطنجة يكون صائرهم على المخزن والمال المسبق لهم لا يحسب عليهم، لكونه من قبل صائر السفر، وأطلعت بكتابك شريف علم مولانا فرحب نصره الله بالفسيالات المذكورين وقبلهم وأثنى على دولتك الفخيمة ودعا لها بمزيد الضخامة. والشامة والثروة والفخامة.

وأمرنى أيده الله أن تجيبك بأن تجاريها خيرا على لسانه الشريف على اعتنائها بأموره الدال على محبتها وصداقتها وبأن تجيبها عن الفسيالات بأن المصلحة اقتضت تأخير توجيههم فى هذا الوقت إلى أن ينصرف من هنا الفسيال المحترف بمثل حرفتهم، لأنهم إذا وردوا قبل انصرافه يجعل ورودهم سببا للإقامة هنا وعدم الانصراف، وحيث ينصرف يصدر لك الإذن الشريف بالتوجيه عليهم فمرحبا بهم وبكل من يأت من دولتكم المحبة، وينفذ لهم أيده الله صائر سفرهم على يدك ودمت بخير وختم فى ٢ ربيع الأول عام ١٣٠٥».

وقد استخدم بهذه الدار طلبة البعثة المتخرجة من مدارس فرنسا وبلجيكا السالف الكلام عليهم قريبا وكان رئيسها الكولونيل الإيطالى بريكليف وكبراؤها السيد محمد الصغير والسيد المختار الرغاى والسيد محمد بن الكعاب والسيد إدريس الفاسى والسيد الطاهر بن الحاج الأودى الذى لا زال حيا يرزق الآن، وعدد جميع العملة الذين كانوا بها ثلاثمائة عامل من فاس ومكناس ومراكش والرباط وسلوان وغير ذلك.

وكانوا ينقسمون إلى أقسام لكل قسم قائد مائة ومقدم وملازم وأجرتهم اليومية من اثنى عشر مثقالا إلى مثقال واحد والعشرة مثاقيل تساوى بحساب صرف اليوم ثلاث فرنكات ونصف وعشر سنتيمات - وكان يصرف لهم اللباس سنويا، وكذلك اللباس الذى يباشرون به العمل، وكانوا لا يخرجون منها إلا بإذن الكولونيل رئيسها، وقد وقفت على إذنين أصدرهما لبعض العملة بالعربية والفرنجية بتوقيعه ونص أولهما:

دار السلاح بفاس

تسريح المتعلم علال بن العربى لصلة الرحم بمكناس على عشرة أيام فاس فى ١٣ شعبان عام ١٣٠٩ يوافق ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

كبير الفبريكة الكرنيل

الطليانى»

ونص ثانيهما بلفظه:

«الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله

فى ١٤ ذى الحجة عام ١٣١٠

الواضع خط يديه تحته أنه وجه صاحبه السيد محمد المكناسى بن الحسن لداره بمكناسة الزيتون ويبقى بداره سبعة أيام هناك بقصد صلة رحمه مع أهله ويرجع لمحل خدمته بحول الله وقد آذنته بالسفر والسلام.

أمير الفبركة بفاس عن إذن سيدنا أعزه الله

الكرنيل الطليانى بريكليف»

وكان عدد ما يقبضه الأمناء من مصنوعات الدار فى كل جمعة صندوقين داخل كل واحد منهما ثمانية عشر بندقية بحرابها، وبلغ عدد ما كانت تدفعه من القرطاس شهريا ثلاثمائة ألف وكان نوع سلاحها يسمى باللسان الدارج (بوحفرة) وبالإفرنجى (مرطنى).

ولما توفى منشئها المترجم ذهب المهندس نوطيرا المذكور لحال سبيله وجاء بدلا عنه المهندسان الإيطاليان (اطرونيلى) و (كابا)، ثم جاء بعدهما (بابونى) وبقى العمل مستمرا بها إلى حدود سنة ١٣٢١ وتقلبت بها الأحوال بعد ذلك إلى أن صارت الآن بالكراء ليد شركة (لادورسبو).

هذا ما وقفت عليه مما يتعلق بمعمل السلاح الفاسى وأعيان العملة به وتلقيته من بعض الرؤساء المتخرجين من فرنسا فى الترجمة والهندسة الذين كانت لهم الرياسة فى المعمل المذكور.

وقد ضربت بهذا المعمل السكة النحاسية (الصولدى) على عهد المترجم سنة ١٣١٠ ثم فى دور خلفه من بعده سنة ١٣٢١ و١٣٢٢ ولا زال التعامل به إلى الآن بقلة وندور، وكان بمراكش دار معمل القرطوس ودار معمل لصنع البارود المزدج، ودار معمل لصنع سكر القالب، غير أن منشئ هذه الأخيرة والد المترجم واستعملها ولده المترجم وكان القالب يخرج منها أحمر، وقد مر بك ذكر بعض هذه المعامل فى كتاب الوزير غريط لسفير إيطاليا.

أما القوة العسكرية التى كانت عنده فإنه لما وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية إذ كانت مجموعة من طوابير مختلطة من الوصفاء الأقوياء الذين كان كبيرهم الوصيف الشهير ابن المزوار، ومن أهل سوس الأقوياء الذين كان كبيرهم الحاج منو الشهير، ومن غيرهم كطابور الحاج عزوز بن الفتوح، والحاج محمد الزروالى وغيرهم: أصدر أمره الشريف لعمال الحوز والغرب بفرض العسكر عليهم، وعين ح وزير العسكر الفقيه السيد محمد الصغير الجامعى للتوجه لدكالة للإتيان بما فرض عليهم وهو ألفان والله أعلم.

ومن الشاوية كذلك، ومن الرحامنة كذلك، ومن حاحا كذلك، ومن قبائل الدير ما عين لكل قبيلة منها زيادة على عدد الطبجية الذين كانوا يفرضون على كل قبيلة، وبالأخص عند تحرك الركاب الشريف لكل ناحية من إيالته الشريفة، زيادة على قوة خيل القبائل ورماتها التى كانت ترد أفواجًا أفواجا.

وقد كان مهتما بأمر رعيته وتحسينها وقوتها العسكرية، فقد كان يتفقد أبراج المراسى بنفسه ويأمر بالاهتمام بشأنها، وقد عين أخيرا بكل مرسى مهندسا لمقابلة

قوتها والطواف عليها والإخبار بواسطة الشريف مولاى أحمد الصويرى كل حين بالصالح منها والمفتقر للإصلاح.

وعندما يصل الإعلام بذلك يصدر الأمر الشريف بتنفيذه حالا، وكان رحمه الله له اهتمام كبير بفابركة السلاح بفاس يتفقدها في غالب الأوقات بنفسه.

وقد أبدى قدس الله روحه فى وجهته السوسية الأخيرة التى وصل فيها إلى اركسيس وآصاكة الجرتين ما لا يزيد عليه من الاهتمام، وأبدى من أفكاره الصائبة ما لم يبده أحد من أهل العقول الراجحة وكذا بحركة تفيلالت والحركة الجبلية وغيرهما.

كما كان رحمه الله له اهتمام كبير بالاطلاع على الاختراعات الوقتية، فقد جلب له أحد السفراء وهو بمراكش آلات للضوء الكهربائى فركبها المهندسون الأهليون مع بعض المهندسين الواردين مع السفير المذكور حتى أنار الضوء بأماكنه المنيفة بالقصير (بالتصغير)، كما جاء له بعض السفراء بالسكة الحديدية وعرباتها ونصبت بأكدال بمكناس وباشر نصبها بعض المهندسين الأهليين ومن كان معهم من الأجانب واستخدمها وركب بها حاشية المخزن الشريف.

وبعد استيفاء الغرض منها جمع الجميع بخزائن الأروى، كما جاء له بعض الأجانب بآلات للكلام من بعد فكان يستخدمها المهندسون بحضور جلالته الشريفة.

وكانت إنكلترا قد طلبت من حضرته الشريفة جعل بابور البر ومد السكة الحديدية ببعض النواحى المغربية، كما طلب غيرها إدخال غير ذلك من الاختراعات العصرية، فكان يجيبهم بالشكر لهم على الاقتراح مع إرجاء تنفيذه ببعض الأعذار، أو الإشارة إلى عدم تيسر ذلك فى الوقت أو نحو ذلك.

وكل هذا كان اتقاء منه لما يؤدى إليه ذلك من التداخل الأجنبى والتنافس الدولى، وكان هذا دأبه معهم دائما فى كل أمر له مندوحة عنه رأى فيه مَسًّا ما

باستقلال المغرب وسيادة سلطانه وشريعته، وإليك مثالا ما كان يصدره فى مدافعتهم عما يريدون وكم له من نظير:

«خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصل كتابك وبطيه كتاب باشدور النجليز لك بما أشار به من استخدام آلة الشمس التى لجانبنا الشريف بطنجة للناس بالخلاص كما بينه فى تقييد صحبة كتابه المذكورة، وصار بالبال، فدافعه عن ذلك بما أمكنك فإنه لا يخفاك ما ينشأ عن ذلك من تشوف الغير، سيما والصبنيول يطلب جعل الطلكراف من طنجة لطريف بحرا، وحتى إن كان لابد من استخدام الآلة المذكورة فيكون بداخل إيالتنا وخدمتها من رعيتنا والسلام فى ٢٣ شوال الأبرك عام ١٣٠٠».

وأما العذائر المخزنية والهوائر السلطانية فى عهده فكثيرة.

ومنها عذير المليحا بالمرجة قرب العرائش وكان فيه فى أوائل عام ١٣١١ من البقر الأهلى المألوف ٢٨٠٠ ومن الوحشى تقديرا ٢٤٠٠ ومن الحجر وهى أنثى الفرس بما معها من النتاج تقديرا ١٤٠٠.

وكان بعذير مشرع الحضر من البقر المألوف نحو ١٨٠٠

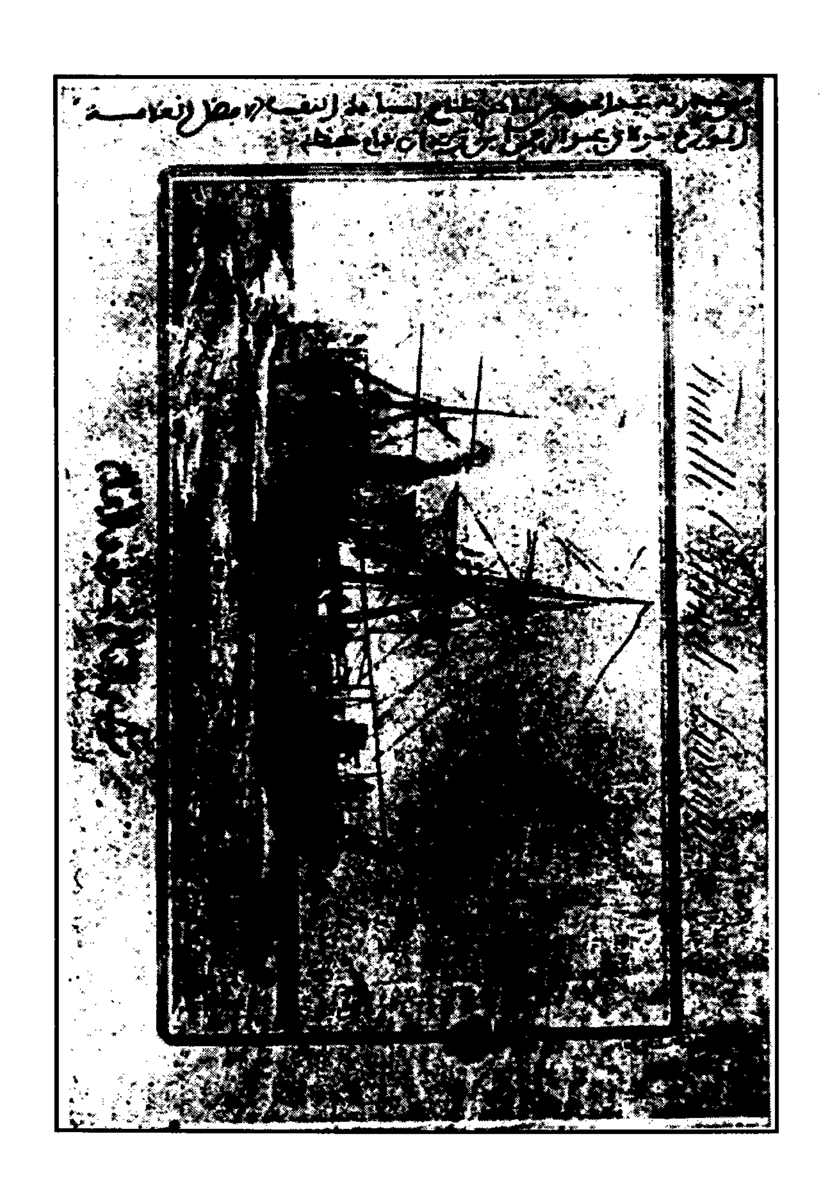
ومن إناث الفرس وما معها من النتاج نحو ٧٠٠

وكان بعذيرى الشراردة وأولاد مروان من البقر نحو ٦٠٠

وكان بعذائر الصوير (تصغير صور) وشرق العقاب والخندقيين بين طنجة وأصيلا من البقر نحو ٦٠٠

وكان بعذير تجينه ببنى حسن من البقر نحو ٧٠٠

وكان بعذير جربة نحو ٣٠٠



بشير الإسلام بخوافق الأعلام

وكان بعذير الرميلة نحو ٢٠٠

وكان بقرب الجديدة عذير الشياظمة والحويرة بهما نحو ٤٠٠

وأما هوائر الخيل والبغال وعزائبها وهى التى يصرف إليها ما يستغنى عنه من ذلك بعد أخذ المحتاج إليه للحمل فى الحـركات والتنقلات وغير ذلك، فقد كانت مفرقة فى نحو خمس وثلاثين قبيلة لحفظها وصـيانتها، ومن أتلف شيئا منها فعليه غرمه وسائر البغـال المخزنية يكون موسوما بميسم خاص وقـد كان منها بالحوز عدد كثير.

فمن خصوص الموسوم مـن البغال بصورة الثمانية مزدوجـة نحو أربعة عشر ألف بغلة، وهى إلى نظر قـائدها القـائد محـمد بن على، وبعـده القائد العـربى الهلالى.

ومن المطبوع بصـورة ثمانية نحـو العشرة آلاف وهى إلى نظر قـائدها القائد سيدى عبد السلام الحيانى.

ومن المطبوع بصورة الثلاثة وهى إلى نظر قائدها القـائد محمد الشاونى نحو العشرة آلاف.

ومن المطبوع بصورة منه روام العيال السعيد ومراكبها وهى إلى نظر القائد بن القائد العربى السوسى والقائد العربى الطفـور، وهى نحو الثمانية آلاف وقد أصبح الكل اليوم فى خبر كان.

ومن خيل الأروى السـعيد ما يناهز العشـرة آلاف، والمراد من خيل الأروى خيل الغرض والخيل التابعة للمراكب لا المراكب، فإنها لا تخرج قط.

ومن خيل الفرايجية ما يقرب من ذلك.

وكان عند تأهبه لسفر ما يكون خارج علفه يوميا ما يناهز العشرين وسقا.

استعداده البحرى

واتفق مع حكومة إيطاليا على صنع مركب حربى للدولة الشريفة بطرسخانة «الأخوات أورلانضو» الموجودة بـ «ليفورنو» من تلك البلاد وسمى هذا المركب البحرى الماخر ببشير الإسلام، بخوافق الأعلام.

ومما يتعلق بصنع هذا المركب الحربى ما جاء فى كتاب وزير الخارجية الحسنية لوزير الخارجية الطليانية «إكريسبى» بتاريخ جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ أنه: وصلنا كتابكم بأن المركب الحربى الذى تصنعه دولتكم الفخيمة على يدها للحضرة الشريفة أعزها الله يكون فى كفالة الله وكفالة دولتكم المحبة، ويكون استخدامه على يدها، غير أنه لا يمكن أن يبقى دائما مسافرا فى البحر، ولابد من توجهه للساحل حين يكون فى البحر الهيجان، وجعل مرسى حربية له يكون فيها أمان من ذلك وغيره وهذه المرسى التى تجعل له يكون يتوجه إليها المركب والمراكب الشريفة لتجديد الفحم وقوت البحرية وركوب الدائرة الشريفة منها التى تريد السفر فى المركب المذكور.

وأن دولتكم صرفت همتها لهذا الغرض لما فيه من المصلحة الواضحة ولكون هذا المركب فى كفالة الله وكفالتها ورياسه طليانيون واستخدامه على يدها وعهدته عليها، ولا يمكن جعل هذه المرسى البحرية على وجه حسن إلا على يد من لهم المعرفة التامة بمثل ذلك كالمهندسين الطليانيين وأن الكبلير جنتينى ينوب عنكم وعن المنسطر كنطاغلى فى بيان المسائل للحضرة الشريفة المتعلقة بهذا الغرض، وأشرتم بتصديقه فى ذلك وقبوله منه لكونه صدوقا محبا فى الجانبين.

وأطلعت بكتابكم شريف علم مولانا نصره الله فاعترف أعزه الله باعتنائكم الدال على محبتكم ومحبة دولتكم الصادقة، وقد بين الكبلير جنتينى للحضرة

الشريفة المواضع التى تصلح لجعل المرسى الحربية بهـا التى نبهتم عليها، وأشار بأن يكون يصنع للحضرة الشـريفة ما تريده من المراكب الحربية فى المستـقبل ببلادكم، فأمرنى مولانا نصره أن نجيبك عن ذلك بأن المصلحة الوقتية اقتضت عدم الاشتغال ببناء التحصـينات الحربية كمـا لا يخفى على العقلاء أمثـالكم حسبمـا شافهت به حضرته الشريفة نائبكم المذكور.

وأما المراكب الحـربية فأجـاب عنها سـيدنا أيده الله بأن الذى يمكن سـيادته ويعطيكم القـول به هو أن لا يصنع مركب آخـر قبل وجـود هذا الذى يصنع على يدكم، وإذا كمل ووجـد ولم تحصل به الكفاية يصنع ما يراد من ذلك حـيث يشاء الله ويختار، إذ لا اختيار للعبد مع مولاه.

وتصلكم سكين مذهبة من عمل هذه الإيـالة السعيدة على يد المحب المنسطر الكبلير كنطاغلى إكراما لكم من الحضرة المولوية.

وإليك نص ظهـير شريف عـزيزى يتضـمن الأوامر المولوية لرجـال المركب المذكور بالقيـام بوظائفهم الدينية والبحرية نقلا عن كـناشة الفقيه السيـد محمد بن المعطى بنونة الرباطى الكاتب الأول بالمالية فى العهـدين الحسنى والعزيزى والكاتب العام للوفد المغربى فى مؤتمر الجزيرة بعد ذلك.

«يعلم من كتابنا هـذا لا زالت سفائن الصلاح به فى بحار السـعادة جارية، وكواكب الإقبـال منه للمسترشدين هادية، أننا بحـول الله شامل الطول والإنعام، وجاعل الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام، أسندنا النظر لخديمنا الأرضى النائب الحاج محمـد بن العربى الطريس فى أمور مركبنا الحربى السعـيد. المحفوف برياح الظفر والتأييد، المسـمى بشير الإسلام بخوافق الأعلام، وكلفناه برد البـال لجماعة المسلمين المرتبين فيه من رؤساء وأعيان ونوتية، وعسكر وخدام وبحرية، وأمرناه أن يلزمهم القيام بما كلفوا به من العمل ورتبوا عليه، وامتثال أمر كبيرهم فيما يدعوهم

بحكم المصلحة إليـه، وأن يحملهم على الواجب عليـهم من إقامة شـعائر الدين، والاعـتصـام بتقـوى الله التى هى سنن المهـتدين، والتـحـفظ على الصلوات فى أوقاتها، والتمسك بطاعة الله ورسوله والتعرض لنفحاتها، وعدم التهاون بعمل من أعمـال الديانة، وترك التكاسل فى كل مـا يقتـضى النصيـحة والأمانـة، حتى لا يدخلهم تفـريط فى أمر من قواعـد الإسلام ولا يشينهـم اختلال عـمل فى طاعة وصلاة وصـيام، وليـبقى حزبهم بكمـال الإسلام منعـوتا، ويكونوا موفـين بقوله تعال: ﴿ ... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٠٣]. فـفى الحديث الشـريف: مـوضع الصلاة من الـدين كمـوضع الرأس من الجسـد، وعن عبادة بن الصامت قـال: أوصانى خليلى ﷺ بسبع خـلال قال. لا تشركوا بالله شيـئا وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصـلاة تعمدا فمن تركها متـعمدا فقد خرج من الملة ولا تركـبوا المعصية فإنهـا سخط الله ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا. . الحديث.

وفى حديث البيهـقى: إن من حفظ إقامة الصلاة قالت له حـفظك الله كما حفظتنى وإذا لم يتم ركوعها وسجودها ولا القراءة فيها قالت له: ضيعك الله كما ضيعتنى.

وأن يحضهم على ضبط أوقات الطاعة. ليحتفظوا على سنة الأذان ويلازموا صلاة الفرائض جماعة، فقد جعل الله أوقات الصلاة مقارنة لحركة الشمس، فعند زوالها يجب الظهـر وعند صيرورة ظلهـا مثلى القائم بعـد ظل نصف النهار يجب العصر، وعند غروبها تجب المغرب، وعند ذهاب حمرة شعاعها الباقى تجب العتمة وعند ابتداء حمرة شعاعها بالمشرق يجب الصبح.

وليحتاطوا فى الاستدلال على القبلة بالعلامات الراجحة، والأدلة الواضحة، وليستقبلوا القبلة فى الفريضة والنافلة مـعا لكون الاستقبال شرطا مع الذكر والقدرة

ويدوروا مع القبلة فى حال صلاتهم إن دارت بهم المركب لغير جهتها، إلا إذا تعذر عليهم الدوران ولم يمكنهم لحصول مشقة، فيتمادون على صلاتهم حيثما توجهت المركب بهم.

وإذا صلوا مرة إلى جهة اجتهادهم ثم تبين خطؤهم فى القبلة فإن كان تحريهم مع ظهور العلامات أعادوا فى الوقت إن استدبروا أو غربوا أو شرقوا، وإن كان مع عدم ظهورها فلا إعادة.

ولا يخالفون الجهة التى أداهم الاجتهاد إليها عمدا فإن خالفوها بطلت وأعادوا أبدا، وأن لا يتهاونوا فى الفطرة الدينية من النظافة والطهارة بعدا وقربا، والتوقى من كل ما يحرم أكلا وشربا. وأن يحرضهم على حسن السيرة مع بعضهم لبعض بدوام الأخوة والائتلاف. والتعاون على الخدمة والنصيحة وتوطئة الأكناف، حتى يبقى سلك ألفتهم مأمونا، وعقدهم بحفظ الديانة والطاعة مصونا.

ومن الواجب المتعين عليهم أن يكونوا على الدوام آخذين بالحزم والحذر، والتلبس بهيئة الاستعداد الذى هو من وسائل الظفر، مع زيادة التمرن فى سير البحر ومعرفة قواعده، والتمهر فى كيفية مصادر المركب وموارده، وضبط أحوال سكون البحر وهيجانه، وأوقات اضطراب الموج واطمئنانه، وحفظ حصته الضابطة لمده وجزره، والساعات المناسبة لإقامة المركب أو سيره.

أخذا بالأسباب المشروعة العادية، مع اعتقاد التوكل على عناية الله المتوالية، وكذلك ممارسة علم الجهات الأربع، واستدلال عليها بالقطب وكرة الثوابت أو بالآلة التى دلالتها فى ذلك تنفع، فقد قال تعالى فى الكواكب الزهر ﴿ ... لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ... ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٧] وأن يلزمهم الاشتغال بما يعنيهم فى أوقات فراغهم على أن يكونوا دائما مستحضرين عناية الله ورسوله. ومعتقدين تيسير لطفه ومطمئنين على حصوله، وليعرفوا أنهم مستخدمون فى آية

كان فضل الله بها على عباده جزيلا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٠].

ولا يغفلوا عن الاستمساك بذكر الله والاعتصام بحبله، إذ هو ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله، وليستروحوا فى حركاتهم مواهب التوفيق التى فاز من تلقاها، تالية ألسنتهم قول الله تعالى: ﴿... بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا ... ﴿٤١﴾﴾ [سورة هود: آية ٤١] وليشاهدوا السلامة من الله بعين الانتباه ويعترفوا بحمده امتثالا لقوله تعالى فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله، وليعلموا أن هذه تبصرة لا يسعهم إغفالها، وأوامر مؤكدة لا يمكن المؤمنين إهمالها، والله سبحانه يقضى بهم كل غرض، ويحرس الظرف والمظروف من كل آفة وعرض، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم ﴿... وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة آل عمران: آية ١٠١].

كما نأمر خديمنا المذكور بالتأكيد على أهل المركب فى قراءة حزب البحر مساء وصباحا لما تضمنه من أسرار الابتهال الكفيلة بنيل الإجابة سلامة ونجاحا، وعلى الواقف عليه أن يعلم منطوقه وفحواه، ويعمل بمصدوقه ومقتضاه والسلام.

صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله تعالى فى تاسع عشرى رجب الفرد الحرام عام ١٣١٧».

هذا وبالجملة فمن تأمل أعمال هذا السلطان الجليل بان له سفه الرأى الملصق بجانبه ما لا يليق القائل بعدم قيامه بأعباء المملكة كما ينبغى، وإهماله للاستعداد، فقد رأيت أنه لما تولى لم يأل جهدا فى تمهيد البلاد، وتطمين العباد، وتدارك الخلل، وإزاحة العلل، ونشر الأمن بين القبائل والحلل، وتدريب الجيش وتحصين الثغور وجلب الذخائر، وإنشاء المعامل وبعث الطلاب، وتفقد المغرب من أقصى

حدوده، والجولان فى أنحاء المملكة ودواخلها وتنظيم جبـاية المال، ومراقبة أعمال الموظفين والعمال، ومكافأة المخلصيـن من الرجال، والإصغاء للشكايات والاهتمام بالعلم والعلمـاء واستشـارتهم - وهم خلاصة الأمـة - فى كبـار النوازل والمسائل وبعث السفـارات للدول العظمى لفصل القضايا ورفع ذكـر هذه المملكة فى الآفاق والدعاية لها وغـير ذلك من جلائل الأعمـال التى صدرت عنه على قيام العـقبات الداخلية والخارجية فى وجهه.

فقـد وجد مـداخل المراسى مرهونة، والديون الأجنبـية متـراكمـة، وبيوت الأموال فارغة، وأحوال الرعية مضطربة، وأعين الدول مـتطلعة مترقبة والامتيازات الأجنبية قائمة وأصوات المحتمين بالصـخب مرتفعة، والثائرون فى كل جهة، كلما أخمد ثورة واحـد منهم اشتعلت ضده أخرى، والمجـاورون من الأوروبيين ملحون فى مسـائل الحدود وغـيرها إلى غيـر ذلك مما يظهر للمنصف ولا يـخفى إلا على المتعسف.



ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال دولته

كان قدس الله روحه مقسما أوقاته النهارية والليلية تقسيما عجيبا بحيث لم يضع له وقت، فكان له جماعة مكلفون بالتوقيت وضبط الأوقات لا يبرحون من أعتابه حضرا وسفرا ولهم رئيس من علية رءوس أهل الفن وفى كل يوم يجعلون له حصة بمعرفة الأوقات تدخل إليه كل صباح، وكان له عبد من عبيد داره (الطواشيين) مكلف كذلك بضبط الأوقات ورصدها وإعلام السلطان بها.

كان إذا بقى للفجر ساعتان أعلم الموقت الوصيف المذكور بواسطة العساس من أصحاب الوضوء فيعلم ذلك العساس الطواشى ويعلم الطواشى إحدى الإماء المعينات للقيام بذلك فتعلم المترجم، وقلما تجده فى ذلك الوقت غير مصل أو ذاكر، ولم يزل يتهجد إلى أن يطلع الفجر فيصلى ركعتى الفجر ويخرج، وبمجرد وصوله لباب المسجد يقوم المؤقت لإقامة الصلاة ويتقدم الإمام فيصلى فى جماعة من حاشيته الداخلية كأنجاله وبنى عمه المستخدمين فى حنطة السجادة.

وهذه الحنطة عبارة عن جماعة مخصوصة ذوى هيئة جميلة تحمل سجادته للصلاة كما سيأتى، ولم يترك المترجم الصلاة فى الجماعة سائر أيامه إلا لعذر، فإذا صلى الصبح جلس فى مصلاه إلى أن يفرغ من الباقيات الصالحات، ثم يفتح الحزب ويقرأ فيه مع الحزابين بعض آيات نحو الثمن.

ثم يقوم ويدخل قصره العامر، فيجد الفطور مهيئا فيفطر ثم يتناول أشغال الوزراء ويوقع على المكاتب ثم يدفعها لوصيف الدار فيوصلها للحاجب - وهو فى صدر مملكته حاجب والده أبو عمران موسى بن أحمد، ثم بعد وفاته ولى مكانه ولده أبو العباس أحمد مار الترجمة، ووظيفته الرسمية القيام بشئون السلطان

الداخلية وأمـوره الخاصة به، وأمـوره دوره وعائلته وطبع المكـاتب المولوية، وبيده مفاتيح الخزائن، وإليه النظر فى أصحاب الوضوء والفراش والسجادة والماء والأتاى وصـاحب السكين والجـزار وصـاحب الأروى والمحـفـة، وهؤلاء المذكـورون هم الحناطى الداخليون - ثم الحاجب يوجه بـواسطة صاحب الوضوء لكل وزير شغله المتعلق به، وذلك بعـد أن يضمن تلك المكاتب جـميعـها بدفتر خـاص كما يقـيد التواقـيع السلطانية بدفتر خـاص يحفظان عنده كما يقـيد كل وزير ما ذكر بـدفتره الخاص ثم تختم تلك المكاتب وتسلم لقائد المشور ليوجه بها لأربابها.

ثم يخـرج المتـرجم ويجلس على أريكة ملكه بالمحل المعـد لمقـابلة الوزراء، لابسا كساء بدون برنوس وعمامة متقنة التـصفيف محكمة اللّيّ، فيمر أولا بحنطة الشويردات (الأطفال الصغار من أبناء الجيش) فيجـدهم مصطفين فيؤدون له التحية الملوكيـة بأصوات عاليـة جدا، ثم يمر بحنطة أصـحاب الوضوء وهم جمـاعة من الوصفان يبلغون عنه أوامـره إلى الوزراء مشافهة وكتابة فيؤدون لـه التحية كذلك، ثم بحنطة أصـحاب الأتاى، ثم بحنـطة الجزارة ثم بحنطة أصـحاب الفـراش، ثم يجلس على أريكة ملكه، فإذا جلس خرج أحـد الفرايجية وهم جماعـة من العبيد مكلفون بحراسة أبواب داره وبناء قببه فى سفره، فيتطوف على بنائق الوزراء قائلا سيدى قعد فيقول الوزير مجيبا له جلوس عز وسلامة إلى أن يعلم الجميع بذلك.

ثم ينادى أحد أصحاب الوضوء قائد المشـور قائلا كلم سيدى يا فلان باسمه من غير سـيادة، فيدخل قائد المشـور ويدفع للسلطان المكاتب والأجوبة الواردة من النواحى مختومة، وتقـييد الوفود الطالبين مقابلته ومـا بأيديهم من الهدايا، فيوقع بالإذن فى مقابلة من اقتضى نظره مقابلته ويرجع له التقييد فيخرج لمباشرة أشغاله.

ووظيفة قائد المشور هذا قبض سائر المكاتب الصادرة والواردة ممن كانت ولمن كانت، فيقيد المكاتيـب الواردة للجلالة السلطانية ويبين عددها والمحل الذى وردت منه، ثم يقدمها مع التقييد للجلالة المولوية مختومة.

والسلطان هو الذى يتولى فض ختامها بنفسه ويستوعبها قراءة ثم يوقع عليها، ثم لما مرض عام ١٣٠٤ وصار يشق عليه الفض والاستيعاب أمر الحاجب بفض ختامها واستدعاء كاتبين من مكتب الصدارة لمكتبه بقصد تقييد مضمن المكاتيب الواردة لجلالته الكريمة، ثم بعد تقييد المضمن على ظهر نفس الكتاب يقدم الحاجب ذلك للجلالة الشريفة فيستوعب المضمن، وربما استوعب الكتاب إن كان ذا أهمية ثم يوقع على تلك المكاتيب ويردها للحاجب ليوزعها على الوزراء كل وما يرجع إليه.

ثم يستدعى السلطان الوزير الصدر بواسطة قائد أصحاب الوضوء تمييزا له بذلك فيدخل عليه ويباشر أشغال مأموريته،ثم يخرج ثم يستدعى وزير المالية فيباشر أشغال مأموريته، ثم يستدعى وزير الخارجية فيباشر أشغال مأموريته، ثم يدخل قائد المشور بمن أذن لهم فى مقابلة الجلالة السلطانية.

فإذا فرغ من ذلك دخل داره وأزال الكساء والعمامة ولبس جلابة وقلنسوة، ثم يتغدى ثم يتطوف على البنائين والخياطين والنساخين والذميين السكاكين، فإذا حان وقت الظهر تهيأ للصلاة، فإذا أدى المكتوبة رجع لقصره العامر للاستراحة وربما نام.

ثم إذا حان وقت العصر تهيأ لصلاته فإذا أداها جلس على أريكة ملكه، فيكون شأنه مساء كشأنه صباحا، ثم إذا حان وقت المغرب دخل المسجد فصلاها، ثم صلى بعدها ست ركعات، ثم رجع لداره فتعشى، ثم خرج للمسجد فصلى به العشاء، ثم يرجع لداره فيستدعى بأشغال الوزراء فيستوعبها مطالعة ثم يوقع على كل شغل بما اقتضاه نظره، ثم يطالع من كتب السير والسياسة وتاريخ الأمم السالفة ما شاء الله، ثم ينام إلى نصف الليل الآخر، ثم يستيقظ ويتبتل ما شاء الله ويصلى ركعتى التهجد اللتين هما من شروط ورده الكنتى.

وكان فى كل جمعة يستدعى أعمامه وإخوانه وأصهاره وأعيان الشرفاء للغداء بجامع الصلاة من قصره العامر، ويفرق الطعام فى ذلك اليوم على سائر الوزراء وأعيان الجيش حضرا وسفرا، وذلك بعد الفراغ من صلاة الجمعة.

وكان له ولوع بحليب النوق، وكان يفرقه على ذوى الخصوصيات لديه، وكان فى كل عيد مولد يفرق الكسى على الأقاريب والأباعد كل وما يناسبه.

وكانت ذخائره وآلاته الملوكية التى زادت أضعافا على ذخائر أسلافه الكرام مضبوطة مصونة مرتبة فى أماكن خاصة مقيدة بكناش صغير لا يفارقه غالبا، ولا يمكن اختلاس شىء منها، وكذلك أمواله الخاصة به ذهبية وفضية، وعدد جيوشه القديمة والجديدة النظام، وعدد خيله وجماله وبهائمه وآلاته الحربية من مدافع ومكاحل وبارود وقرطوس مثبتة بذلك الكناش اللطيف الجرم الرقيق الورق.

وكانت رواتب جيوشه وكتبته وخدامه ومؤن عسكره مياومة ومشاهرة مضبوطة، وكذلك صوائره اليومية، وكانت صوائر أبنيته لا يدخل فيها شىء من بيت المال، وإنما كانت من المستفادات وغلل الأملاك المخزنية.

وكان محافظا على العوائد فى إنعاماته وحفلاته الرسمية وسائر تصرفاته، بحيث كان خرق عادة من العوائد عنده من الخطأ العظيم، حتى إن بعض الوزراء سها فنفذ لأولاد البقال الكسوة والصلة معا، وكانت عادتهم قبض الصلة فقط، فلما اطلع السلطان على ورقة الصائر وجد فيها ثمن الكسوة المذكورة فلم يسلمه وألزم بأدائه من خاص ماله عقوبة له على خرق العادة.

وكان النظر فى أمور داخليته ومباشرة أشغاله مسندا إلى وزراء وأمناء كل واحد منهم مكلف بأشغال لا يتعداها، ولا يدخل معه غيره فيها:

فالوزير الصدر - وهو فى أول إمارته وزير أبيه الفقيه السيد إدريس بوعشرين، ثم استعفى فأعفى وتصدر مكانه الحاجب أبو عمران موسى بن أحمد،

ثم توفى وولى بعده الفـقيه السيـد محمد بن العـربى الجامعى، ثم مـرض مرضه المزمن فولى بعده بحكم النيـابة الفقيه السيد محـمد الصنهاجى، ثم توفى السلطان المترجـم وحل به ما تلى عليك - مكلف بالنظـر فى أمور الولاة من قضـاة ونظار ونقباء وباشوات وعمال وبتنفيذ الإنعامات والصوائر وكتابة الظهائر السلطانية كيفما كانت، وإقـطاعات وولايات وعـزل وغير ذلك، وإبلاغ الأوامـر لقائد المـشور بما اقتـضاه النظر السلطانى فى الحركـات، وتسيير الجـيوش من الجهـات وتقدير المؤن والنفقات وله المراقبة فى الجملة على أعمال غيره من الوزراء.

ووزير الشكايات (العدلية) - وهو فى أول إمارته الفقيه السيد محمد بن عبد الله الصفار، ثم بعد وفـاته ولى الفقيه السيد على المسفـيوى ولم يزل على وظيفة إلى أن توفى المترجم - وظيفة النظر فى الشكايات بأنواعها وإصدار الأوامر فيها بما اقتضاه النظر السلطانى مع موافقة حكم الشرع فيها.

والعلاف الكبيـر (وزير الحرب) - وهو فى أول إمارته الفقيه السـيد عبد الله ابن أحمد ثم أعفى وولى مكانه الحاج المعـطى الجامعى المذكور ثم لما ولى الصدارة ولى مكانه أخوه السيد المدعو الصغير إلى أن توفى المترجم وحل بالجامعيين ما حل مما مر شـرحه - وظيفة النظـر فى أمر العسكر ومؤنتـه ومؤن الجيش المخـزنى كلها تخرج علـى يده وهو المكلف بمباشـرتها مع السلطان، وعليـه العهـدة فى السلاح والذخائر الحربية واخـتيار من يوجه من فرقه وقواده إلى مـا اقتضاه النظر السلطانى لنواحى مملكته واختيـار أعداده وتقييدها بقائمة يوميـة تدفع للجلالة السلطانية بعد إشراف الوزير الصدر عليها وإمضائها باسمه.

ووزير الخارجية - وأول من وليها استقلالا الفقيه السيد محمد المفضل غريط - مكلف بالنظر فى أمـور المحمـيين والوسـاطة بين السلطان وبين سـفراء الدول، وعقـد الشروط والمعـاهدات بينه وبينهم، وكـتابة الرسـائل إليهم وإصـدار الأوامر

للعمال فيـما يتعلق بإيالاتهم من دعاوى أهل الحماية ومبـاشرة أمر كل وافد أجنبى للإيالة المغربية.

وأمين الأمناء (وزير المالية) وهو لأول إمارته السيـد محمد التازى الرباطى، ثم بعد وفاته ولى أخوه الـسيد عبد السلام، ووظيفـة النظر فى تعيين أمناء المراسى والأملاك المخزنية والمستفادات.

وأمين الحـسابات العـام وهو السيـد العربى الزبيـدى، ووظيفـة مراجـعات الحسابات الواردة من المـراسى والأملاك المخزنية والمستـفادات وأمناء الرباع والنظار ووكلاء الغياب وإجراء القوانين المؤسسة لذلك طبق المعاهدات والخرص، ومحاسبة قواد القبائل على ما يترتب على إيالتهم من الجبايات المخزنية وعلى العذائر وجميع ما فيـها من الماشيـة المدفوعة فى الخرص والبـهائم والأفراس، وتبيـين العوائد فى الإنعامات السلطانيـة ومراقبة الداخل والخارج فى جميع مـا تملكه الدولة، وجميع دفاتر الدولة تكون تحت يده، وفى كل سنـة يجعل لما راج فيهـا من الدفاتر برنامج بعد ختمها ثم تجعل فى صناديق ويشرع فى أخر وهكذا.

وكان يحمل فى الظعن مع الركاب السلطانى نحـو الأربعين وقرا من الدفاتر لإيقاع الحـساب مع العـمال فيـما يترتب بذممهم من الـزكوات والأعشـار، فيقـيد المقبوض والباقى فى الذمم، ويختم العمـال على ذلك بأختامهم ويحوز ذلك أمين الحسابات المذكور.

وأمين الصـائر - وهو اللبادى ثم السيد أحـمد بن شقرون، ثم الحـاج عبد السلام الحلو، ثم السيد الطاهر التازى، ثم الحاج بناصر التويمى - مكلف بدفع ما ينفذه الوزير الصدر عن الأمـر السلطانى غالبا وغيره نادرا، والإنعـامات والصوائر والرواتب المخزنية والعسكرية بعد مصادقة أمين الأمناء عليها.

وأمين الداخل - وهو الحاج على بن الحاج التطوانى - مكلف بتنفيذ كل داخل من الهدايا والجبايات والمغارم وحيازة خطوط أيدى العمال بما يبقى فى ذممهم من الأموال.

وسيأتى ذكر ما لهؤلاء الوزراء والرؤساء والأمناء من الخلفاء النواب والكتاب عند ذكر الهيئة الرسمية وما تتألف منه قريبا.

وأمين الفرقوش - وهو أولا الحاج محمد جنون الفاسى، ثم السيد محمد بن موسى الرباطى، ثم ولده المصطفى - مكلف بالنظر فى شئون خيل المخزن وجماله وبغاله وضبط أعدادها وتخليف ما نقص منها والنظر فى الأمور الراجعة لصيانتها من صفائح وأكف[1] ورباطات وما شاكل ذلك.

وأمين العتبة الشريفة - وهو أولا فى عهد المترجم السيد بوعزة الفشار مار الترجمة، ثم ولى بعد وفاته ولده السيد محمد، ثم بعد وفاته أخوه الأستاذ السيد عبد السلام الفشار - ووظيفته تنفيذ ما يحدث من الزيادة والنقصان فى المؤن الشهرية للدور السلطانية، وتقييد ضحية عيد النحر الموجهة لها والوقوف عليها حتى تصل محلها، والخليع اللازم لها وما يلزم من ضرورياته ودفعه فى إبّانه، وتنفيذ ما عهد لها من عوائد مواسم الليالى الكبار ولمن فى حسابها من الشرفاء والشريفات خارج الدور وغير ذلك من متعلقاتها، ومطالعة الأمناء له على قائمة صائر الدور وإمضاؤه لها باسمه، ويأخذ نسخة منها قبل توجيه الأمناء إياها لشريف الأعتاب وحيازة مفاتيح الخزائن السلطانية، والإشراف على ما يجعل فيها، وحيازة ما يفرض على البرابر من حطب وفحم وخزنه على يده وتنفيذ الزيادة والنقص فى رواتب الجيش البخارى ومن فى حكمه ومؤنته كذلك، والنظر فى أمور البوابين وما أشبه ذلك مما هو راجع للدور السلطانية أو مضاف إليها.

---

(١) الوِكاف: برذعة الحمار.

هذا وعادة المترجم فى تقسيم أيام الأسبوع أنه كان قدس الله روحه يقابل أصحاب المظالم وأرباب الشكايات بنفسه يوم الأحد، يقدم له الوزير المكلف بسماع المظالم وتقييد دعاويهم زمام المشتكين كل باسمه ونسبه ومحل استيطانه وتقرير دعواه، فيأخذ المترجم الزمام وينادى المقيدين به واحدا بعد واحد، ويبحث كلا على حدته بحثا مدققا حتى يأتى على جميعهم، فمن وافق مقاله ما هو مقيد عنه وقع بما يراه نظره الأسد فى إنصافه ممن ظلمه، ومن وقعت منه أدنى مخالفة يتتبع قضيته ويحلل كلامه أدق تحليل حتى يتضح له وجه الحق فيها، فيقضى بما يراه هذا كله ووزير الشكاية واقف بإزاء المترجم وبيده تقييده مثل التى بيد صاحب الترجمة.

وفى يوم الاثنين يخرج للرماية بالمدافع ويباشر الرمى بنفسه.

ويوم الثلاثاء يعود فيه لسماع المظالم على نحو ما وصف لك فى يوم الأحد.

ويوم الأربعاء لاستعراض الجيوش أمامه، وكيفية ذلك أنه يصدر أوامره المطاعة لقائد المشور والعلاف يعنى وزير الحرب بتعيين اليوم والساعة والمحل، فيقع الإعلام لكافة الجيش بالحضور فيحضر ويقف كل فريق على حدته، هذا وراء هذا إلى آخره مرتبًا وفق ما بالكناش المخزنى، ومع كل فريق عون من أعوان قائد المشور مكلف بإحصاء عدده، وعندما يخرج السلطان يكون راكبا جواده بهيئته الرسمية إلى المحل المعد لجلوسه، فيترجل ويجلس على عرشه، وبعد هنيئة يستدعى وزير الحرب بواسطة صاحب الوضوء ويستلم منه قوائم عدد رواتب الجيش فيطالعها ويأمر قائد المشور بالاستعراض، فينادى قائد المشور بأعلى صوته بهاتين اللفظتين: زيدوا اتسرطوا قال لكم سيدى، فيجيب أصحاب الفريق الأول كلهم بصوت واحد: نعم سيدى.

ويتقدمون إلى أمام السلطان فيعرفه قائد المشور بهم بقوله هذه الفرقة الفلانية نعم سيدى فيطالبه السلطان بالعدد فينادي: العدد قـال لكم سيدى فيتقدم الشرطى المكلف لدى قـائد المشور، ويقـول له: عـدد الخيل كـذا والرماة كـذا فيـبلغ ذلك السلطان، فإذا وجده مطابقـا للقائمة يدعو لهم ويأمرهم بالانصراف، ويـتبعهم من خلفهم طبق ما سطر وإن وجـد خلاف ذلك يتباحث مع الوزير المذكور فـيه، فإن استـدل أو اعتذر بما يقـبل فذاك، وإلا فالملامـة على رئيس الفرقة، وعند الانتـهاء يركب السلطان جواده راجعا إلى قصره.

ويوم الخميس يخـرج المترجم لبعض أجنته المتصـلة بداره مع حرمه الكريم، فإذا كـان بالعاصمـة المكناسية يخـرج لجنان ابن حليمة الذى صـار جنانا عمومـيا وتضرب القباب بأجـدال المتصل به الشهير، ويظل السلطان مع سـائر حرمه وحرم العـائلة اليوم كله، والناس مـا بين راكب وراجل، فـإذا كان الغـروب رجع الكل للقصور المولوية وربما بات السلطان هنالك مع الخاصة من حرمه.

وفى يوم الجمعة قبل بزوغ الشمس يأتى لباب القصر الفاخر الطبال (المعروف بالكومى) بمزامـيره فيـضرب إلى أن تطلع الشمس، ثم تعـقبـه الموسيقى بألحـانها العربية الشجية وتدوم نحو ساعة ويذهب الجميع.

وفى الساعة الحادية عشرة تجتمع الهيئة المخزنية بدار المخزن وتصطف العساكر والموسـيـقى، وعنـد خـروج السلطان يقف كل من الـوزراء تحت رياسـة الصـدر والمسخـرون كل فريق على حـدته والباشوات والحناطى البـرانيون منهم أصـحاب المظلة والمزارق والمكاحل يقفـون على الباب الذى يخرج منه ليؤدوا التـحية، ويأتوا خلفه وأمامه على عادتهم، وكبير المشور وأتباعه يقفون على الباب الذى يدخل منه لأداء التـحية، ثـم يخرج السلطان من داره العـالية لابسـا أجمل الثـياب بكـساء وبرنوس وعـمامة مـتقنة التـصفـيف كأنما كـساؤه وبرنوسه خـيطا عليه من إتـقانه

لبسهما، متقلدا تحت برنوسه سيفا قصيرا، فإذا وصل إلى الباب الأول من الدار أدى له التحية الملوكية وصفان الدار الخصيان وأتباعهم من الصبيان المسمون بالشويردات، ثم يجد الحناطى مصطفين وأمامهم رئيسهم الحاجب، وخيل القادة بأيدى خدمتها فيؤدى له الحاجب والحناطى التحية الملوكية.

فيجلس فى محل المقابلة ويستدعى الوزير الصدر أو وزير الخارجية فيحادثونه ريثما ترتب الصفوف، ثم يركب فى بعض الأحيان فرسا من تلك الأفراس السبعة ذات السروج الملونة والأسقاط المذهبة، وفى بعض الأحيان يركب عربة فى غاية الزخرفة والزينة يجرها فرس أو فرسان عتيقان، ثم تقاد خيل القادة الستة أمامه، ثم قائد المشور جاعلا مكحلته على عاتقه، ثم الجناب الشريف ثم العربة، ثم الحاجب وراءه الحناطى إلى الباب الأوسط، فيجد الوزراء والكتبة والأمناء مصطفين صفا واحدا عن يمين الباب، فإذا حاذى الوزراء ومن معهم سلم عليهم بواسطة قائد الأروى فيردون عليه بخفض أعناقهم وهم ساكتون، ثم يحاذى أصحاب المكحلة فيؤدون له التحية الملوكية ثم يصدح أصحاب الموسيقى بما يكون فألا حسنا كقوله:

لك الهنا والسرور دائم   يا أيها الطالع السعيد

ثم يؤدى له الباشوات التحية الملوكية، وتكون صفوف العسكر المنظم وراء الجميع ثم يدخل المسجد من باب المقصورة فيصلى تحية المسجد، فإذا أذن المؤذن وخطب الخطيب وقضيت الصلاة رجع راكبا على فرس من تلك الأفراس منشورة مظلته على رأسه، ويصدح أصحاب الموسيقى بالألحان المطربة ويقرع أصحاب الكومى طبولهم وينفخون فى مزاميرهم.

ويكون ترتيب التحية معكوسا بحيث يكون الوصفان الخصيان اللذين كانوا فى التحية أولا هم الآخرون فيها، وبعد دخوله لقصره العامر يقف كبير المشور

ليجيب نيابة عن السلطان كل الجيوش الحاضرين ووزير الحرب يقف لاستعراض العساكر، فإذا كان السلطان بمكناس جلس وزير الحرب لاستعراض العساكر حذاء الباشا بباب منصور العلج والموسيقى أمامه تصدح بألحانها، ثم بعد انتهاء الاستعراض تنفض حفلة الجمعة.

ومن العوائد المقررة فى الأعياد وفود الوفود على الأعتاب الشريفة قبل العيد بنحو العشرة أيام فأزيد لمنافسة العمال فى الحصول على ملاقاة الجلالة السلطانية، كل يود سبقية غيره، إذ العادة جارية بتقديم أول قادم على غيره فيتلاقى ساعة وصوله أو يومه على الأقل، ويقدم أيضا أول قادم على دار المخزن، ولو جاء عدد عديد فى اليوم ومن جاء ليلة العيد فلا حظ له فى ملاقاة القدوم.

والعادة جارية إذا كان السلطان بالحوز تفد على أعتابه من قواد أهل الحوز من وادى أم الربيع إلى أقصى سوس.

وأما أهل الغرب فلا يوجهون غير الخلائف، وكذلك إذا كان فى الغرب يأتى القواد من أم الربيع إلى وجدة، ويأتى من الحوز الخلائف، فإن رام أحد من عمال الحوز القدوم على السلطان للغرب بنفسه لابد له من الاستئذان، فإن أذن له أتى، وإلا فلا، وكذا بالنسبة لأهل الغرب ومن كانت له دار نزل بها وإلا أنزله السلطان على يد الوزير الصدر، أو قائد المشور، أو باشا البلد كل على قدر مكانته، وما قدمه من الهدايا فيعين لكل محلا مناسبا لمقامه.

فإذا كان العيد عيد فطر يصدر الأمر للشرفاء والقضاة والعلماء بواسطة بطائق ممضاة من الصدارة العظمى وللأمناء والنظار والأعيان والعمال الكبار بواسطة قائد المشور بالحضور لإحياء ليلة السابع والعشرين من رمضان مع الجلالة السلطانية بالمسجد المعد لصلاة الخمس من القصر الملوكى، وذلك قبيل العشاء، وعند خروج السلطان يصدر الأمر بدخول المستدعين للمسجد بواسطة قائد المشور والحاجب،

فيتولى إدخال المشفعين للمحراب والإخراج منه فى وقت الصلاة، فإذا قرئت عشرة أحزاب دخل السلطان لداره وخرج من بالمسجد للبنائق ثم تفاض عليهم أنواع الأطعمة الفاخرة والأتاى والحلوى على يد أصحاب الأتاى، وخليفة قائد المشور، وخليفة وزير الحرب وقائد الجزارة، وقائد أفراك، فإذا تسحروا وبقى لوقت الصبح نحو ساعة رجع الناس للمسجد فيخرج السلطان وتختم السلكة إذ تكون وقفت على سورة قل أوحى أو سورة عم.

فإذا ختمت وأديت فريضة الصبح فتح الأمير الحزب وقرأ ما شاء الله ثم يقوم ويدخل لداره، وبعد الفراغ من الحزب يخرج الناس أفواجا طبقات كل جنس ينادى على حدته، فيجدون الحاجب وقائد المشور أمام باب المسجد يدفع الحاجب أو نائبه لكل فرد ريالا واحدا، ثم يقع الإعلام بالبروز للمصلى على ما سيبين فى عيد المولد، فإذا وصل السلطان للمصلى وقف كل من بها وتقام الصلاة، وإذا تمت الصلاة وصعد الخطيب المنبر لتشنيف المسامع بالخطبة خرج خليفة قائد المشور لترتيب القبائل لأداء التحية للجلالة السلطانية.

فإذا كان عيد الأضحى تقدم السلطان بعد الفراغ من الخطبة لذبح أضحيته بيده، ثم يذبح الخطيب أضحيته.

أما ليلة المولد فإنها تزيد بتوزيع الكساوى فى صبيحتها على العائلة وقواد الجيش وكبراء العمال وبعض الأعيان، كما تزيد هذه الليلة بإحضار المنشدين ذوى الأصوات الحسنة من سائر مدن الإيالة الشريفة ومراسيها، فإذا وصل وقت العشاء خرج السلطان لأداء فريضتها ثم بعد الفراغ منها يصدر الإذن بدخول المذكورين للمسجد بواسطة قائد المشور.

ثم يجلس السلطان يمين المحراب ويجلس خاصة العائلة الكريمة عن يساره والقضاة والعلماء عن يمينه، ثم يستدعى المنشدين فيجلسهم أمام الجلالة، ثم

يستدعى بقية الشرفاء من غير العائلة الملوكية فيجلسون وراء العائلة، ثم يجلس الأعيان والكتاب ومن ذكر معهم وراء الجميع، ويجلس الوزراء وراء الكل، ويجلس الباشوات والعمال ورؤساء الجيش بصحن المسجد.

ثم يجىء الحاجب بمبخرة يضعها قريبا من السلطان بينه وبين المنشدين، ثم يضع فيها قطعة من العنبر، ولا يزال يجدد البخور ما دام الإنشاد ويتناول السلطان مجموعا مزخرفا مشتملا على البردة والهمزية وغيرهما من الأمداح النبوية فينشد المنشدون البردة والهمزية وغيرهما من الأمداح النبوية بأطيب نغمة وأحسن تخليل، فإذا حان وقوفه على قول البوصيرى الأمان الأمان نهض السلطان فتقدمه قائد المشور والفرايجية وقائدهم إلى الباب وأدوا له التحية الملوكية ودخل داره.

ثم خرج الناس من المسجد إلى المشور فجلس الشرفاء من العائلة الملوكية بمحل يناسبهم، ثم أخرج لهم الحلويات والأتاى والأطعمة ويخص الشرفاء الأقربون بطعام من طعام السلطان الخاص بعد تناوله منه تناولا لطيفا فإذا شربوا وطعموا وكان الليل طويلا، خرج من كان محله قريبا فرقد به هنيئة ثم يرجع ومن كان محله بعيدا نام بموضعه، فإذا بقى للفجر نحو الساعة ونصف رجع كل إلى محله من المسجد، ثم يخرج السلطان فيجلس يسار المحراب، ثم يأخذ مجموع المديح ويبتدئ المنشدون من حيث انتهوا إلى أن يختموا الهمزية والبردة، ثم يقرءون بانت سعاد، ثم يسردون ما تيسر من مختار القصائد المولوية التى قدمت للجلالة السلطانية من فحول شعرائه بمناسبة تلك الليلة، فإذا طلع الفجر أطلق العسكر عدة طلقات بارودية، ثم يصلى السلطان والحاضرون الفجر.

وبعد الفراغ من أداء فريضة الصبح يفتح السلطان الحزب ويقرأ مع الطلبة ما شاء الله أن يقرأ ثم يدخل داره الكريمة على الهيئة المتقدمة، ثم يخرج الشرفاء

فيجدون الحاجب بالباب فيناول كل واحد منهم ريالا مختوما عليه باللّك[1] يكون عمله كذلك مع كل فرد من تلك الجماهير إلى أن يخرج جميع من المسجد.

ويصدر الأمر الشريف لقائد المشور بالإعلام للبروز إلى المصلى، فيعلم بواسطة المشاورية كافة رجال المخزن الشريف وبقية الموظفين وكافة القبائل والعمال، ثم يخرج خليفة قائد المشور فى لفيف من أصحابه لترتيب هيئة المصلى فيجد كافة القبائل واقفة فيجعلها صفا واحدا من الباب الذى يكون منه خرج السلطان للمصلى عن اليمين، ويجعل المكلف بالعسكر صفا آخر مقابلا للأول من رماة العسكر وخيلها، تكون منهم قلعة مربعة خالية الوسط فى آخر صف الخيل خارجة عن المصلى، ثم بعد ذلك يعلم الخليفة المذكور رئيسه بإتمام تنظيم هيئة المصلى، فيعلم هو السلطان بذلك فيخرج لمحل الاقتبال ويستدعى الصدر الأعظم فيحادثه هنيئة، ثم ينصرف الوزير ويركب بغلته كسائر الوزراء والموظفين وذوى الحيثيات.

فإذا أخذوا مراكزهم ركب السلطان فرسه وقدمت أمامه القادة وتبعه الحاجب والحناطى الداخلية وأصحاب المكاحل والمشاورين والقضاة والذكارة، ثم إذا بلغ باب البلد الذى يخرج منه لبطحاء المصلى وجد على اليمين الوزراء والكتاب والشرفاء والكبراء وذوى الحيثيات راكبين صافناتهم الجياد وبغالهم الفارهة وبزتهم الرسمية البهية التى تسر الناظرين وتخرس المناظرين، فيحييهم السلطان بالسلام بواسطة قائد الأروى، ثم يردون التحية بانحناء الرءوس، ثم تصدع الموسيقى بألحانها المطربة ونغماتها المرقصة، فيسير الأمير وأمامه قائد المشور راكبا جواده متقلدا سيفه لابسا برنوسا واضعا بندقته على عاتقه الأيمن، وأمامه فرقة من الجيش يسمون الأربعاويات فى ثياب حمر وخضر وقلانس بدون برنوس مصطفين أربعا أربعا وقائد الأروى بدون برنوس أمامه وباقى أتباعه من أهل حنطته محتفون بالجلالة يمينا وشمالا مسامتون لركابه الشريف.

---

(١) اللك: صِبْغ أحمر.

ويصطف المذكورون وراءه وصفوف العسكر خيلا ورماة عن اليمين والشمال، وتكون الرماة العسكريون مما يلى الجلالة ووراء الصفوف العسكرية صفوف خيول القبائل ورماتها، ووراء الجميع خيول (الطبجية) أصحاب المدافع يجرون مدافعهم فى كراسيها، وتبقى الجهة الرابعة فارغة يدخل المترجم منها للمصلى إن كانت صلاة، وتتقدم منها القبائل والوفود لتهنئة جنابه الكريم إن لم تكن صلاة كعيد المولد، فتحييه القبائل قبيلة قبيلة وكل قبيلة تقدمت أمام جلالته يسميها قائد المشور باسمها أو اسم عاملها، فإذا أدت تحيتها كما يجب رفع السلطان أكفه بالدعاء لهم بالرشاد والصلاح، وقائد المشور يبلغ ذلك لهم عنه بأرفع صوت، ثم تذهب تلك القبيلة لأخذ مركزها الذى كانت فيه عند خروج الأمير، وتتقدم أخرى لأداء التحية كما ذكرنا وهكذا إلى أن يأتى على تلك الوفود الضافية العدد.

فإذا رام الرجوع تقدمت أمامه أعلام مسخرى البخارى وما أضيف إليهم لأداء التحية اللازمة، ومن العوائد أن يكون فى مقدمتهم أحد أعمام الأمير أو أنجاله يرأسهم، جاعلا مكحلته على عاتقه الأيمن، وبعد أداء التحية يرجعون خلفه، وتكون أمامهم المحفة، ونقيب آل وزان إن كان، ورئيس الزاوية الناصرية، ثم الوزراء والكتاب والشرفاء فى صف خلف أعلام البخارى، ووراءهم بقية الجيش، ثم تتقدم أعلام شراكة، وبعد أدائهم واجب التحية يتقدمون أمام الأمير فإن كان السلطان بالناحية الحوزية تتقدم الرحامنة على من عداها من القبائل لأداء التحية الملوكية، وإذا كان فى الناحية الغربية تتقدم قبيلتا الغرب وبنى حسن.

ثم بعد الفراغ من استقبال السلطان للقبائل تضرب المدافع وتصدح الموسيقى والطبول والمزامير والولاول، ثم ينقلب فى موكبه الرائق إلى قصره العامر والخيل والرماة من عساكر وقبائل مصطفة عن اليمين والشمال كأنها بنيان مرصوص على

نحو ما وصفنا فى الخروج والهتاف بالدعاء للجلالة المولوية بالنصر والتمكين حيثما مر، إلى أن يحل ركابه الشريف بداره العالية، فإذا دخل الباب الأول وجد الشرفاء مصطفين على اليمين فيزدلفون لتقبيل ركابه الشريف، ويهنئونه بالعيد المنيف، فإذا فرغ منهم وجد الوزراء والكتـاب مصطفين أمامه فيحيـيهم بواسطة قائد الأروى ثم يتقدمون واحـدا بعد واحد لتقبيل ركابه، ثم إذا دخل البـاب الثانى وجد الجزارين مستقبـلين له بأوانى الحليب وطيافير التمر فيـتناول من ذلك، ثم يوجه به للشرفاء الذين يرأسون العـلامات من أعـمام وأصناء وقواد الجـيش والأعيان والبـاشوات، وبمجرد دخـول السلطان لداره يخرج صلة للذكـارة والشرفاء، وتلك عـادة جارية كانت لا تتـخلف فى كل عيد، ثم يودع قائد المشـور الباشوات والقـواد والجيوش المخزنية ويدعو لهم نيابة عن السلطان وهم يخفضون رءوسهم ويرفعونها.

ثم تنفض الحفلة ويذهب كل لحال سبيله فرحـا مسرورا إلى أن يبقى للعصر نحو سـاعة، فتـرجع الهيئـة المخزنية لشـريف الأعتاب ويطلع أهل الـبلد التى بها السلطان لتـهنئته بالـعيد مـتأبطين لهـداياهم المعتـادة، فإذا صلى السلطان العـصر استقبلهم.

وقد كانـت العادة جارية فى هدية أهل مراكش بتـقديم أربعين سـرجا، أما الذميـون فهديتـهم الملف والأثواب القطنية والحـرير، ثم يعمر المشـور وتقدم تلك الهدايا بصفة رسمية، أما الـعائلة السلطانية كالأنجال والأصناء والأعمام وبنى العم فمنهم من يتـلاقى مع الجلالة عشيـة يوم العيد نفسـه، ومنهم من يتلاقى صبيـحة الغد.

* * *

كيفية ترتيب الملاقاة

إذا حضر المذكورون من الأشراف وغيرهم بشريف الأعتاب يجعل قائد المشور تقييدا يجرد فيه أسماء الحاضرين للملاقاة مع الجناب العالى وتعيين وظائفهم، ويقدمه للجلالة السلطانية لتحيط به علما فتستلمه منه وتجعله حذاءها، ثم تأذن له فى تقديمهم إليها فيقدمهم طبق التقييد الذى قدمه إليها، فيتلاقى أولا الخليفة السلطانى ثم الأنجال ثم الأصناء الأكبر فالأكبر، فنقيب العلويين وحده، فدار مولاى عبد الله فباقى العلويين مع النقيب المذكور، فالشرفاء الأدارسة، فالقضاة والعلماء فالشرفاء أهل تلمسان فالبدراويون فالحموميون فأهل وزان، فالأفراد فالباشوات فالمحتسب فالنظار والأمناء، وكل يخاطبه السلطان بما يليق به حتى يصدر الجميع عنه منشرح الصدر طيب الخاطر رطب اللسان بالدعاء والثناء.

وفى ثالث يوم العيد يتلاقى عمال الحوز إن كان السلطان بالغرب، وفى رابع العيد يتلاقى عمال الغرب إن كان السلطان بالحوز والعكس بالعكس.

ويقسم تعمير المشور ثلاثة أقسام: قسم اليوم الأول من أم الربيع إلى أقصى سوس، واليوم الثانى من أم الربيع إلى سلا والرباط، واليوم الثالث من سلا والرباط إلى وجدة.

ولما اتسع النطاق وكثرت العمال وتعددت القواد ووقع التنافس بينهم فى الهدايا التى يقدمونها، صار المشور يعمر سبعة أيام فقسمت تلك الأثلاث أسباعا.

كيفية تعمير المشور

يستأذن قائد المشور الجلالة السلطانية فى الاحتفال بالتعمير ويقدم له زماما فيه أصحاب الهدايا التى تقدم مع بيان الهدية اسما وقدرا، وتقسيمها على الأيام الثلاثة أو السبعة، كل يوم وما يقدم فيه.

وقد جرت العادة بأن أول مشور يعمر تقدم فيه هدية أهل فاس تعظيما لمولانا إدريس وتيمنا به، ثم بعد هذا يعزل من العمال من يستحق العزل ويولى من قضت المصلحة بتوليته، ويلقى القبض على أهل الجرائم والمدلسين من القواد وغيرهم ثم تودع تلك الوفود.

أما الخلائف الذين لم ترد عمالهم فتنفذ لهم المؤنة مياومة مدة مقامهم بشريف الأعتاب، وعند إرادة انصرافهم لمحالهم تكتب لهم أجوبة عمالهم وتنفذ لهم الصلة والكسوة على أمناء البلد الذين هم منها أو المجاورين لها.

الهيئة الرسمية وما تتألف منه

الوزير الصدر وله خليفتان، أولهما عن يمينه يستلم الأشغال من الوزير ويفرقها على الكتاب كل وما يناسبه، فإن غاب الوزير ناب عنه فى سائر الشئون المنوطة به، وثانيهما عن شماله وعدد من الكتاب غير منحصر. فمن الكتاب من ينشئ الرسائل المهمة، ومنهم من يكتب ما أنشئ، ومنهم من يختم المكاتب بالملك، ومنهم من يقيد الصادر والوارد فى الكنانيش المعدة لذلك، ومنهم من يكتب العناوين، ومنهم من يفصل الكاغد ويطوى المكاتب، ومنهم من يلخص الكتاب ويقيد مضمنه ومنهم من يقيد التواقيع.

قائد المشور وخليفتان عنه ومعاونون ثلاثة.

وزير الشكايات وهو بمثابة العدلية والجنايات اليوم، وكاتب أول بمنزلة خليفة عنه، يقوم بأشغاله إذا غاب وكتاب لكل منهم شغل يختص به غالبا.

ووزير الحرب وخليفة عنه وكتاب.

ووزير الخارجية وخليفة عنه وكتاب.

أمين الأمناء (وزير المالية) وخليفة عنه وكتاب.

الحاجب وخليفة عنه وكاتب أو كاتبان.

أمين الداخل وكاتبان أو ثلاثة.

أمين الصائر وكاتب أول ومعينان.

قواد الجيش العامل لا الاحتياطي

قائد رحى مسخرى البخارى، وقائد رحى مسخرى شراكة، وقائد رحى مسخرى الشراردة سكان ازغار، وقائد رحى مسخرى الأوداية المغافرة، وقائد رحى مسخرى أهل سوس سكان المنشية، وقائد رحى مسخرى أولاد دليم، وقائد رحى مسخرى الرحامنة ولكل من هؤلاء القواد خليفة وقواد مئين ومقدمون على حسب كثرة جيشه وقلته خيلا ورماة.

قواد الحناطى البرانيين

قائد الشرفاء الفرادى (فرقة من المشاوريين)، وقائد المظل والمزراق، وقائد المكاحل وحنطة هذا القائد تتألف من أبناء الكبراء والقواد المعزولين ومشاورى البخارى والمشاورية سكان فاس، والمشاورية سكان المنشية، والمشاورية الأحرار والإضافات وهؤلاء منهم ينفذ قائد المشور أصحاب الصدر الأعظم وغيره من باقى الوزراء والمكلفين بفتح قبب الوزراء وغلقها وقمها.

قواد الحناطى الداخليين

قائد الأتاى ووظيفة هذه الحنطة القيام بأوانى الأتاى وتهيئتها فى كل وقت، وقائد الفراش ووظيف هذه الحنطة من أعلى الوظائف، بيده مفاتيح الخزائن المولوية وأصحابها هم المكلفون بتنظيف المحال الخاصة بالسلطان وتفريشها، فإذا وجد من كانت فيه نوبة المباشرة لذلك فى حال تنظيفه أشياء متفرقة بالمحل يجمع ذلك ويجعله فى محل خاص، فإذا تم أشغاله رد كل حاجة لمحلها الذى كانت فيه على

الهيئة التى وجـدت عليها، وعليه العهدة فى الأثقال الخـاصة بالسلطان وحرمه فى الأسفار، فـإذا رام السلطان الظعن يعين قائد الفـراش أحد الأعيان النـبهاء لتقـييد الأثقال كل فى كناش خـاص يفتح الصناديق ويقيـد سائر ما بداخلهـا من الحوائج والأثاث والحلى والحلل.

فإذا استوعب التقييد تمام الاستيـعاب جعل ورقة جامعة لسائر ما حواه ذلك الصندوق ويضعها فوقه ثم يسده ويغلفـه فى غشاء وينمره ويقيده فى كناشه الخاص بكل إيضاح وبيان، وهكذا إلى أن يأتى على جميع الصناديق وأوعية القش، ثم إذا تم التقييد على نحو ما ذكرنا يجعل قـائمة ذات أضلاع ضلع يقيد فيه عدد البهائم اللازمة لحمل ذلك من بـغال وحمال، وضلع يقيـد به المكلفين بذلك القش الذين يسافرون معه.

وتقدم هذه القائمة للجلالة السلطانية وبسبب هذا يتيسر الوصول لما عسى أن يحتاج إليـه مما بداخل تلك الصناديق بكل سهولة، ومن يد صـاحب الفراش تأخذ سائر الحناطى أشغالها يأخذ صاحب الوضوء الشمع والمناديل وكلما يحتاج إليه فى وظيفه ويأخذ صاحـب الماء الفواكه والحلويات وصاحب الأتاى السكروالأتاى وكل ما هو من لوازم شـغله، ويضاف لهذه الحنطة أصحـاب السجادة والموقتـون وطبال الكومى، والحلاق، وأصحاب السكين.

قد كانت العادة جارية بأن صاحب السكين هو الذى يحمل بلغة السلطان إذا خلعهـا، ثم صار يحـملها قـائد الوضوء أو خليـفتـه إن غاب هو، وربما حمـلها الحاجب.

وقائد الماء ووظيفته طبخ الماء وتبخيره واستعذابه.

وقائد الوضـوء ووظيفـه تنظيف الحمـام والكنف وإيقاد الثـريات والحسك، ويحمل الفنار أمام الأمير، ويأخذ ما فضل من الشمع بعد الإيقاد، أما الذى ينظف

الثريات ويضع فيـها الشمع فهو صاحب الفـراش وليس له أن يوقدها ولا أن يأخذ مـا فضل بهـا من الشمع، ولا يمكن لصـاحب الوضـوء الذهاب لتنظيف الحمـام والكنف إذا كان مروره إليهما على باب مـحل مفروش إلا إذا كان صاحب الفراش حاضرا أمام المحل الممرور عليه، كـما أنه لا يمكن لصاحب الفراش أن يبارح ذلك المحل ما دام صاحب الوضـوء لم يتمم أشغاله فإذا فرغ صـاحب الفراش والوضوء من التنظيف الداخلى يناول الفرائجى بقية التنـظيف الخارجى وما منهم إلا له مقام معلوم.

وقائد الجـزارة ووظيف هذه الحنطة ذبح شيـاه الطعام السلطانى وغـيرها من سائر المذبوحـات والطبخ والشى، وفتل الكسكوسون مناوبة يبيت أصـحاب النوبة بباب قبـة الموقت، فإذا بقى للفجر سـاعتان أيقظه الموقت فيقـوم يذبح ويوقد النار ويوقظ المكلفين مـعه بالطبخ ليكون الفطور مـهيئـا بعيد صـلاة الصبح، ولا يكون هؤلاء الجزارون إلا من الوصفان الأرقاء كأصحاب الوضوء والاروى.

وقائد المحفة ووظيـفه القيام بشئون المحفـة والعربة وقائد افراك ولا يكون إلا من الجـيش البخـارى، أو هو مضـاف إليـه ووظيف هذه الحنطة حراسـة الأبواب وتنظيفها والنظر فى القبب والأخبية السلطانية وتشييدها فى الأسفار والتفسحات.

وقائد الاروى وله خليفتان أول وثان ومقدم وعوامون وكناسون ووظيفه النظر فى شئون المراكب السلطانية وصيانتها ومقابلة سائر ما يرجع إليها.

وقـائد الحمـارة وله خليفـة وأعـوان عديدون، وهو من مـضافـات الأروى ووظيفه النظر فى بغال مخـصوصين لحمل الأثقال المخزنية جميـعها، وأثقال رجال المخزن وموظفيه فى سائر الحركات والتنقلات، وجلب الحطب والفحم من الغابات للخزائن المخزنية، وحـمل الأضحية فى العيد وحمل الشعـير والقمح من الأمراس السلطانية وإليها، وكانت البغال التى إلى نظره تعـد بالألوف، والعادة فيما يستغنى

عنه منها يفرق على العزائب (الهوائر) والغيض فى نحو خمس وثلاثين قبيلة بقصد حفظها وصيانتها، ومن أتلف شيئا منها فعليه غرمه وتكون سائر البغال المخزنية موسومة بميسم خاص.

وقائد الجمالين وله خليفة وأعوان، ووظيفه النظر فى الجمال المخزنية المعدة لحمل تموين المحلة وأثقالها وتوزيعها على من جرت العادة بصيانته لها عند عدم الاحتياج إليها، وكانت هذه الجمال تعد بالألوف أيضا موسومة بالميسم الخاص بوسم دواب الحضرة السلطانية.

ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه

كان إذا رام تلك الرياضة أصدر أوامره بانتخاب الفرسان الماهرين العارفين بركوب الخيل وإعلامهم بالتهيؤ للعب على الخيل فى وقت يعين لهم فتجتمع خيول حناطى الداخليين والبرانيين المتقدم ذكرهم وخيول العسكر والقبائل، وذلك داخل المشور (محل متسع مستو من مرافق القصور السلطانية) ويرتبون صفوفا صفا خلف صف تحت رياسة قائد المشور، ويأتى كل لابسا لبزته الرسمية السارة للناظرين، فإذا تم الترتيب يخرج السلطان ممتطيا ظهر جواده، وبمجرد ما يلوح سنا بدر محياه المشرق من باب القصر المولوى تصدح الموسيقى بألحانها العربية إلى أن يصل إلى أول تلك الصفوف، فيتناول مكحلته من يد الحاجب وينتقى من يكون فى صفه من الفرسان الماهرين فى المسابقة من قواد الحناطى وأفراد الحاشية، ثم يفتتح المسابقة وبمجرد ما يطلق عمارة مكحلته يتناولها الحاجب من يده ليمسحها ويعمرها، ثم تقتفى أثره فى المسابقة تلك الصفوف صفا بعد صف وكل من قضى نوبته يرجع لمركزه وليس لأحد كائنا من كان أن يتعداه، ولا أن يحيد عنه إلا السلطان، وكلما سابق حيته المدافع من الأبراج بأربع طلقات والموسيقى وهكذا إلى انتهاء اللعب.

اللباس الرسمى

أما الوزراء والكتاب والأمناء فيلبسون القفطان والفرجية والكساء والبرنس والعمامة والقلنسوة، وأما القواد والحاجب ووزير الحرب والباشوات فلباسهم مثل من ذكرنا إلا الكساء فلا يرخص لواحد منهم فى لبسها، ويقتصرون على لبس البرنس.

ويزيد قائد المشور عليهم بالتقلد بالسيف وأخذ عصا بيده ويزيد قواد اراحى الجيش المسخر وأصحاب المكاحل بقبض مناديل حمر وجعل (الجراوات) أغشية تشبه الجراب وتكون تلك الجراوات بحسب رتب الحاملين لها، فما يحمله قائد الأرحى منها يكون من الموبر المزركش بالحرير، ومحل وضع هذه الجراوات بمنطقة الحزام، وهؤلاء يحملون المكاحل فى الأوقات الرسمية، وليس لأحد من القواد كائنا من كان لبس العمامة إلا بإذن خاص من السلطان، وإنما يلبسون القلانس فقط.

وأما أصحاب الاروى والمحفة فلا يلبسون البرنس فى أوقات ركوب السلطان، وإنما يمشون متجردين فى القفطان والفرجية.

وأما الحمارة فلباسهم القشابة والجلابة من الصوف، وليس لواحد غيرهم لبس الجلابة فى الأوقات الرسمية ولو كان ولد السلطان أو أخاه أو عمه، ولبسها من الكبائر التى لا تغفر فى النظام المخزنى والهيئة الرسمية، كما يمنع بتاتا لبس الأسود.

وأما الأربعاويات فيلبسون القفاطين الحمر بدون فرجيات، ويشدون عليهم الحزم وتكون قلانسهم طوالا، ويحملون على عواتقهم مكاحل طوالا جدا، ويتقدمون أمام السلطان فى الأعياد.

وأما الفرايكية فيلبسون البرنس، إلا فى أوقات السفر أو إذا أضيفوا إلى الأربعاويات فى الأعياد.

ثم الذين يلبسون الكساء لا يسوغ لهم تغطية رءوسهم بالبرنس فى الأوقات الرسمية، إذ تغطية الرأس به من خواص السلطان فى الأوقات الرسمية، ثم إن الذين يقتصرون على لبس البرنس أو الجلابه لا يسوغ لهم أيضا تغطية رءوسهم وكل من افتات أو تجاوز حده المحدود له تجرى عليه الأحكام المخزنية.

كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن

أما قواد الأراحى فتأديبهم وعزلهم لابد فيه من أمر السلطان، وأما قواد الحناطى الداخلين وقائد المظل وقائد المكاحل وقواد المئين والمقدمون فتجرى عليهم أحكام قوادهم إن ثبت عليهم ما يوجب ذلك بغير إذن، وأما مطلق المخازنية فتنالهم الأحكام حتى من المقدمين.

كيفية ورود سفراء الدول على السلطان

عندما يرد الإعلام من طنجة من النائب السلطانى إلى المخزن الشريف يأمر بتهيئ من يتوجه للإتيان بالممثل فيكتب الصدر الأعظم لقائد المشور ليفرض لفيفا من المحلة لذلك، وللحاجب بتنفيذ الخيل والبغال، ولأمين الصائر بتنفيذ ملازم السفر، ويكتب ظهيرا شريفا لكافة العمال والقبائل المرور بها بالقيام والتموين وإظهار الفرح والتلاقى بكل بشاشة فى الذهاب والإياب وبيان هذا سيرسم بعد بحول الله.

كيفية دخول ممثلى الدول من السفر

صبيحة دخوله تخرج العساكر وتصطف على جانبى الطريق التى يكون مرور السفير بها مع الموسيقى السلطانية، ويخرج قائد المشور ووزير الحرب للقائه فى أبهة

عظيمة من الخيل ووجوه الرجال، وعندما يلتقيان به يسلمان عليه راكبين ويتوجهان به لمحل نزوله.

كيفية ملاقاة الأجانب مع جلالة السلطان

يقف الترجمان عن يمين السلطان مقاربا له، ويقف الصدر الأعظم ووزير الخارجية عن يساره مقاربين له، ويقف السفير أمام الترجمان وترجمانه أمام الصدر الأعظم ووزير الخارجية، ويقف الملحقون بالسفير وراءه، ويقف أصحاب المكاحل قريبا منهم، ويقف قائد المشور عن اليسار قريبا من الملحقين بالسفير، ثم الحاجب قريبا من قائد المشور، ثم الحناطى الداخليون، ويقف أصحاب المكاحل مقابلين للواقفين منهم عن اليمين، ويقف خليفة قائد المشور عن اليسار أمام صف من المشاورية آخذا من اليمين إلى اليسار.

ويسلم السفير السلام الأول عند هذا الصف، ثم السلام الثانى عند صف أصحاب المكاحل، ثم السلام الثالث عند صف بقية الوزراء والكتاب.

ولما تكون الهيئة المذكورة تامة، يتوجه قائد المشور فى نحو العشرة من أعوانه إلى منزل الممثل ليؤذنه بالطلوع لدار المخزن ويتوجه فى رفقته قائد الرحى المكلف بحراسته فى محل نزوله مع بعض أعوانه، وعند وصوله يكون قائد المشور فى انتظاره خارج الباب ليتقدم أمامه لدى جلالة السلطان ولما يقابل جلالته يؤدى التحية الأولى بانحناء، والثانية والثالثة كذلك وفق ما تقدم، إلى أن تكون الهيئة موافقة لما ذكر، وعند انقضاء الحفلة يتوجه على الكيفية التى أمر بها.

كيفية تقديم هديته للسلطان

بعد المقابلة فى اليوم نفسه عشية تحمل الهدية إلى دار السلطان، ويتوجه الممثل فى هيئته بعدها فتخرج من صناديقها، وتوضع فى محل جلوس السلطان

أمام صاحبها فيخرج السلطان بغير الهيئة الرسمية حتى تعرض عليه الهدية ويقبلها، وينصرف كل واحد لحال سبيله.

زيارة السلطان للأولياء

عند حلول السلطان بأى بلدة وعند خروجه منها يقع الإعلام لنقباء ومقدمى الأضرحة بيوم الزيارة ليتهيئوا، وفى صباح اليوم يتوجه عريف الجزارة بالقدر المأذون له فيه من رءوس البقر ويوزعه على عدد الأولياء، ويبقى كل فريق فى محله إلى أن يأتى السلطان، وعند دخوله للضريح المزور يتقدم كبير الجزارة بالحضرة السلطانية ويتولى أمر الذبح إلى انتهاء الزيارة، وفى تلك الهيئة لا يستعمل السلطان المظلة بل تكون محمولة صحبته.

حركة السلطان من بلد إلى أخرى

عندما يشتد عزمه على الحركة يأمر الصدر الأعظم لكل من جرت العادة باستدعائه للحركة، فتكتب المكاتيب الشريفة وتسلم للحاجب ليختمها بخاتم السلطان، وبعد ذلك يطلعه عليها ليسلمها بعلامة التسليم، وترجع للصدر الأعظم لتجعل فى أغشيتها وتسلم لقائد المشور ليوجهها صحبة أعوانه لأربابها من قواد القبائل والمدن والمراسى.

وعندما يحين وقت قدوم الحراك يأمر السلطان بإخراج الافراك ويعين يوم نصبه فينصب بأبهة عظيمة يحضرها أكابر علماء البلد والقضاة وأعيان الشرفاء وقائد المشور ووزير الحرب والباشوات وكبار الجيش وقواد العساكر، وهؤلاء هم الذين يتولون نصبه بأيديهم مع إعانة المكلفين به وهم الفرايجية وقائدهم ويحضر الطعام الخاص من عند السلطان للقضاة والعلماء مدة مبيتهم بقبة السلطان بقصد قراءة صحيح الإمام البخارى بعد أداء الفريضة، وقراءة القرآن، وهى ثلاث ليال

كما كان ينتقى المسنين من أهل الفضل والصلاح لقراءة اسم الله تعالى (اللطيف) ١٠٦٦٦ كل ليلة من الليالى المذكورة، ويفتتحون ذلك بعدد من الاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك من محكم العوائد حتى صار أصحاب اللطيف علما بالغلبة على تلك الجماعة المعدة لذلك.

كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيوش

تكون قبة السلطان الكبرى وسطا ويحاط بها قبب ووثاقات ويدار بالجميع سياج يسمى افراك، وتكون الأروى عن يمين افراك، ثم محل الحاجب ثم محل الحناطى الداخلية، ثم محل الصدر الأعظم وبالقرب منه محل الجيوش الرماة القائمين بالعسة الداخلية ليلا، وخيلهم تقوم بالطواف على المحلة من بعد صلاة العشاء حتى الصبح، ثم محل بقية الوزراء، ويكون أمام افراك محل جلوس وزير الحرب ثم الخيمة حذاءه، وهى محل جلوس الصدر الأعظم وغيره من الوزراء وقائد المشور.

ويكون بمقربة منها مخيم قائد المشور ثم خليفته ثم الحناطى البرانيون.

وبمقربة منهم محل عسة العسكر القائمة ليلا ونهارا، ويكون عن يسار افراك محل الحمارة، ثم مسجد الصلاة، وبقربه الصيوان، ثم المدافع وبقربها محل جلوس المشاورية فالقيام بالعسة فى أوقات عمارة المشور.

وبمقربة منه محل عسة الوطن وعلى سمتهم مخيم القبائل وعندما يجد الحراك، ويتحرك السلطان قاصدا وجهته تتلقاه القبائل على حدود ترابها بالألعاب والأفراح وأقداح الحليب تفاؤلا والهدايا وفق عوائدها فى ذلك.

كيفية خروج السلطان يوم السفر

فى اليوم الذى قبل يوم السفر يتوجه أحد المهندسين مع الموقت لينظرا المحل الذى يصلح لنزول المحلة وقدر المسافة، ويجعلا بذلك تقييدا لجلالة السلطان يدخل على يد الحاجب ليوقع عليه السلطان بما يظهر له من الاستحسان أو عدمه، وفى صبيحة يوم السفر يتقدم من ذكر صحبة قائد الافراك ليعينا له محل النزول، وتخرج جميع الأثقال المخزنية والأروى ثم عيال السلطان، ثم يخرج السلطان بعد وداعه لأهل البلد بدار المخزن، ثم يخرج الجميع خارج البلد مع عامله وقضاته وعلمائه وأعيانه حتى يمر الموكب المخزنى أمامهم.

كيفية نهوض السلطان من المحلة

يقع الإعلام ليلا بالرحيل لولاة الأمر، وعند الفجر لما يسمع طبال (الكومى) الخاص بالسلطان الذى هو علامة الرحيل يشرع الناس إذ ذاك فى الرحيل، فيخرج السلطان بعد أداء فريضة الصبح ويجلس على عرشه مسندا ظهره للمحفة وهو ينظر للافراك حتى يجمع، ثم يأمر قائد المشور بأن يأمر الجيوش المبين تفصيلها بجمع القبة على ما جرت به العادة من أخذ كل فريق منهم حبلا من حبالها الوثقى المعبر عنها بالكمنة، ثم بعد جمعها فى أقل من عشرين دقيقة لكثرة الجيوش مع كبر القبة واتساعها تحمل على البهائم.

ثم يأمر قائد المشور بأن يأذن لهم فى التوجه نحو الأمام، فيأذن لهم بعد أدائهم ما يجب من تقديم الاحترامات للسلطان، فيتقدم نصف الجيش وهو الجيش الشرقى بقواده وأعلامه فيتبعهم قائد الافراك بأعلامه وخيله أمام قبة السلطان، ثم القبائل قبيلة فقبيلة، ثم يأذن السلطان المخزن بالركوب فيركب ويصطف الجميع ثم يركب السلطان جواده.

كيفية مسير السلطان فى السفر

عندما يركب السلطان يتقدم أمامه بعض من أهل القبيلة التى هو بها أدلاء على الطريق حتى يخرج من ترابهم، ثم يتقدم غيرهم من أهل القبيل الذى حل به، ثم تتبعهم فرقة من الطبجية بمدافعهم محمولة على الدواب، ثم الموسيقى، ثم خليفة قائد المشور مع الراية الخاصة والطرادة البيضاء فى شرذمة من الخيل حاملين للسلاح، ثم المراكب الستة المعروفة بـ (الكادة) ثم قائد المشور وأصحاب المزاريق، ثم جلالة السلطان محوطة بعبيد الأروى وقائدهم، ثم صاحب المظلة متأخر قليلا عن السلطان، ثم الحاجب وراءه، ثم أصحاب المكاحل محيطين بالجميع، ثم الفرس الحامل لصحيح الإمام البخارى محوطا بأعلام جيش البخارى وقواده، ثم الوزراء يتقدمهم الصدر، ثم بقية الجيوش وراء الكل مع المال المحمول فى رفقة السلطان، الذى من عادته فى الحركة أن يكون تحت حراسة الجيش البخارى، وكذلك المساجين.

كيفية دخول السلطان للمحلة

عندما يقرب للمحلة تكون جميع خيل القبائل مصطفة عن اليمين، وخيل العسكر عن الشمال، فيؤدون له التحية ويحييهم قائد المشور إلى أن يدخل السلطان لإفراك.

خروجه للأحكام فى السفر

إن كان مقيما يخرج صباحا ويجلس على كرسى ملكه بالصيوان لمباشرة الأشغال، فيدخل عليه قائد المشور بغير استئذان ليسلم له المكاتيب الواردة من الإيالة مع لائحة ببيان المحال التى وردت منها تلك اللائحة بتاريخ اليوم والشهر الذى قدمت فيه، وبعد خروجه يستدعى السلطان الصدر بواسطة صاحب

الوضوء، ثم بقية الوزراء أفرادا، ثم أمين الداخل، وأمين الصائر، وعند الزوال ينهض متوهجا نحو المسجد لأداء فريضة الظهر.

ومن العوائد التى لا تتخلف اتخاذ مسجد للسفر تقام فيه الصلوات الخمس جماعة، ثم إذا فرغ السلطان من الصلاة يتوجه لإدارة الشئون واستقبال الوزراء طبق ما شرحنا، فإذا حان وقت المغرب وأدى فريضتها بالمسجد يتوجه لفسطاطه الكريم فيتناول العشاء، ثم إذا أذن المؤذن العشاء خرج لصلاتها بغير الهيئة الرسمية التى يخرج بها نهارا وكذلك لصلاة الصبح.

ومن العوائد المقررة فى سائر أسفار السلطان إتيان الطبالين بطبولهم ومزاميرهم والموسيقى والمغنيين أصحاب الملحون كل يوم بعد صلاة العشاء لباب الفسطاط السلطانى فيضرب كل من المذكورين برهة من الزمان، ثم يعقبه الآخر ويدوم ذلك مدة من الزمان ثم ينصرفون.

وأما باقى أصحاب المحلة وفرقها فكل يعمل على شاكلته، فمن تال ومن ذاكر ومن متبتل ومن مغن ومن ومن إلى انشقاق الفجر أو ما يقرب منه، كما أن العادة جارية بضرب الطبول والمزامير والموسيقى والدفوف خلف موكب السلطان كل صباح عندما يظعن ويدوم ذلك نحو الساعة.

كيفية تموين المحلة الشريفة

عندما تنزل المحلة يأذن قائد المشور أعوانه بالتوجه مع الحمارين وأصحاب الماء ليستقوا ويأتوا بالكلأ للبهائم والحطب للإيقاد، فإذا انتصف النهار يأتى أهل تلك القبيلة بعدد وافر من الشعير والدقيق والسمن ورءوس الضأن، وعدد وافر من الدجاج ويقفون خارج المحلة حتى يستأذن عليهم قائد المشور، فيوجه من قبله مكلفا بتقييد فيه بيان كيفية تفريق ذلك حسب العادة المقررة فيه، أولا الكشينة

المولوية، ثم الأروى، ثم الوزير الصدر، ثم قائد المشور، ثم وزير الحرب، ثم وزير الشكايات، ثم وزير الخارجية، ثم الحاجب، ثم أمين الأمناء، ثم خليفة قائد المشور، ثم كبير المحلة، ثم يوزع الباقى على سائر من بالمحلة.

كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة السعيدة

الجيش البخارى وأصحاب الأعيان، المنشية، ابن سالم، شراكة، جيش آزغار، مسخروهم، جيش المغافرة، مسخروهم، الفرايكية، المشاورية الطلبة وأصحاب الفراش، أصحاب الأتاى، أصحاب الماء، أصحاب الوضوء، الجزارة، أصحاب الأروى، أصحاب المحفة، الشاونى، مزور الجمالة، الشرفاء، الطبجية والموسيقى، الحاج امنو، الحاج أحمد، الوصفان، الخيالة، الحاج عزوز، مكانة، الغرناطى، الحاج عمر، آيت يمور، آيت الربع.

كيفية وصول الجناب السلطانى إلى المحل المقصود بالإقامة

يتقدم الإعلام لأولى الأمر بتعيين اليوم والساعة لدخول السلطان ليأخذوا فى التهيؤ والتأهب لاستقبال جلالته المعظمة، فإذا خيم ركابه الشريف بضواحى البلد خرج العامل فى أعيان أتباعه، وكذا جل الموظفين والأعيان لاستقبال جلالته وتهنئته بسلامة القدوم.

فإذا أسعدهم الحظ بالمثول بين يديه وأدوا واجب التحية والتهنئة، منهم من يثوب إلى البلد ومنهم من يبيت مع الجلالة السلطانية بمحلته السعيدة ليلة أو ليلتين، فإذا كانت صبيحة يوم الدخول تسابق الناس على اختلاف طبقاتهم إلى خارج البلد، ثم تصطف العساكر ويخرج عامل البلد مع الموظفين والأعيان ويقفون على حد الباب الذى يكون منه دخول السلطان، وهو باب منصور العلج بالحضرة المكناسية، ويقف الشرفاء العلويون وفى مقدمتهم نقيبهم أمام ضريح جد العائلة

السلطانية الأكبر مولانا إسماعيل، والقضاة والعلماء، والعدول بالعقبة التى فوق الضريح الإسماعيلى، ثم لفيف من المخازنية ثم الشويردات، وتتصل الصفوف إلى باب قصر المدرسة العامر، وبداخل باب القصر يكون بعض أفراد العائلة الذين لا زالوا تحت ثقاف الحجر وأمين العتبة والعبيد المقيمين بضرورات من بالقصر من الحرم، وبداخل الباب الداخلى يكون وقوف عبيد الدار (الطواشين) ثم العيال الشريف، والسلطان يحيى كل طائفة وفريق بما يناسبه ويليق به ويرفع أكفه بالدعاء لهم، إلى أن يدخل لقصره العامر.

وبعد حلوله البلد بنحو ثلاثة أيام يصدر أوامره بالإعلام بالزيارة والتطوف على أضرحة الأولياء، فيعلم عامل البلد والموظفون من نقباء وأمناء ونظار، فيأتون للأعتاب الشريفة فى الوقت المعين لهم، ثم تخرج الجلالة السلطانية ممتطية متن جوادها وتسير فى موكبها الزاهى الزاهر بعد أن تقدم أمامها عددا من البقر للضعفاء الملتجئين بالأضرحة المزورة والسدنة القيمين بها، وكذلك يفعل عند إرادته النهوض من البلاد التى أقام بها وتلك عادة كانت لا تتخلف.

فإذا كان السلطان ابتدأ فى زيارته بضريح البضعة الطرية مولانا إدريس الأكبر دفين جبل زرهون، فيحتفل سكان ذلك الجبل وبالأخص القاطنين بالزاوية الإدريسية لزيارته بقدر إمكانهم، فيزور ويرجع من يومه غالبا، وربما قدم زيارته فى بعض الأحيان على دخول مكناس.

وأما أضرحة صلحاء العاصمة المكناسية فيبتدئ بزيارة أبى زكرياء الصبان، ويختم بضريح جده الأكبر مولانا إسماعيل، وضجيعه جده دنية مولانا عبد الرحمن بن هشام، وعندما يدخل للضريح المذكور يجد الشرفاء والطلبة مصطفين أمام المحراب فى انتظاره، وبمجرد ما يلوح عليهم سنا بدر محياه يفتتحون قراءة سورة: إنا فتحنا لك فتحا مبينا.

وعند ختمهم إياها يصلهم بنحو ألفى فرنك ويمنح المقدمين به بما يقرب من ذلك، ثم يتوجه لـقصره العامر، وألسنة الضـعفاء رطبة بالدعـاء له والثناء عليه بما أفاض عليهم من سجال العطايا.

العادة فى الولائم السلطانية

إذا أراد السلطان جعل عرس أو خـتان، أمر خاصة بنى عـمه وأقاربه وذوى الحيثية من رؤساء جيشه بإدخال أبنائهم للختان أو بناتهم للتزوج، وأمر عامل البلد بتعـيين أبناء الضعاف الذين لا يـستطيعون الاحـتفال بعرس أولادهم أو خـتانهم، ويعين لهم اليوم فيأتون ويختتنون وينفذ لوالديهم أو من هم إلى نظرهم ما يكفيهم لجـعل وليمـة كل على قدر منصـبه ومـكانته، وهكذا فى العـرس ويصدر الأمـر بالاستدعاء للعمال والموظفين على اختـلاف طبقاتهم فى سائر أنحاء الإِيالة، فتأتى عـمال المدن والقـبائـل بالهدايا الضـافـية وتفـاض عليهـم فى أيام الوليمـة أنواع الإنعامـات، فإذا تمت الوليمة ودعـوا ونفذت لهم الكساوى كل ومـا يناسب حاله وينصرفون فرحين مبتهجين.

كيفية العقيقة

إذا كانت عند السلطـان عقيقـة أو عند أحد من بنيـه أو أقاربه الذين بداخل قصره، يأمـر قائد مشوره بجعل قائمـة بأسماء الذين يحضرون فى تلك العـقيقة، وعندما يقدمها يوقع عليها بالتسليم، ويلاحظ على من تجرى العادة بإحضاره فيقدم أولا أصناؤه ثم أعمامه وأصهاره ثم النقباء فوجـهاء عائلته فالقضاة والعلماء فكبراء الزوايا وباشـا المدينة وبعض الأعيـان والموظفون من كـتاب وأمناء ونظار ثـم قواد المسخرين والعسكر والجيش.

نزهة شعبانة

فإذا كانت العشر الأواخر من شعبان أمر السلطان وزيره الصدر باستدعاء الشرفاء والعلماء والأعيان والباشوات والقواد، فيكتب لهم بطائق الاستدعاء للحضور بشريف الأعتاب بقصد حضور وليمة شعبانة مع الجناب العالى، فتضرب الأخبية والفساطيط بأحد أجنة المخزن وتعين المحال للمستدعين كل وما يناسبه، وتفاض عليهم أنواع الأطعمة الشهية والحلويات والأتاى، ويكون المطربون بينهم مناوبة وذلك كل يوم من الصباح إلى العشى، وربما خرج السلطان إليهم بنفسه ورحب ويدوم ذلك سبعة أيام آخر يوم منها هو آخر يوم من شعبان، أما الوزراء والكتاب فإنهم يستدعون مشافهة بواسطة الزير الصدر.

العادة فى الجنائز

إذا كانت الجنازة من ذوى الأقدار العالية يحضرها جميع الوزراء والقواد وأصحاب الهيئات، ويحضرها السلطان بنفسه ويقع الإعلان بالنداء لعامة أهل البلد فيحضرونها ومن تخلف يعزر، وإلا بأن كانت الجنازة من مطلق الحاشية فيحضرها الحاجب أو خليفته وعامة أهل البلد.

بيان تموين الدار العالية بالله بمكناس

مياومة ومشاهرة ومسانهة

فمن لحم الضأن مياومة أربعة قناطير، وست وسبعون رطلا، ومن الخضر المختلفة ستون قفة.

ومن الدقيق مشاهرة مائة قنطار، وأربعة وأربعون قنطارا، وسبع وعشرون رطلا ونصف الرطل.

ومن السمن المذاب سبعة قناطير وسبع وسبعون رطلا.

ومن الصابون ستة قناطير وستون رطلا.

ومن الفحم خمسمائة قنطار وسبعة أرطال.

ومن الحطب خمسمائة حمل وأربع وخمسون.

ومن السكر تسعون قالبا.

ومن الأتاى تسع وعشرون رطلا.

ومن الشمع خمس وعشرون ابرة.

ومن الفلفل الأسود ست وأربعون رطلا.

ومن الفلفل الأحمر أحد عشر رطلا.

ومن الكمون أربعة عشر رطلا.

ومن القرفة خمسة أرطال.

ومن أثمان الزعفران مائة وسبعة عشر ثمنا.

ومن الزيت خمسمائة وثمانية عشر رطلا.

ومن الملح أربعون مدا.

ومن الشطاطيب ثلاثمائة وخمس وخمسون شطابة.

ومن الشرابيل (نعال النساء) تسعة وتسعون شربيلا.

ومن البلاغى (نعال الرجال) اثنا عشر.

ومن الدراهم نحو الخمسة عشر مائة فرنك.

ومن الخليع مسانهة مائة وثلاث وعشرون ثورا وثمانية عشر قنطارا وخمس وأربعون عنها ثمانية وعشرون ثورا.

ومن الشحم ثمانية عشر قنطارا وخمس وأربعون رطلا.

ومن الزيت لتقلية الخليع مائتا قلة واثنان وثمانون قلة كل قلة كيلها عشرون ليتر وما يكفى لذلك من الثوم والكمون وزريعة القزبور.

ومن رءوس الضأن للأضحية فى عيد الأضحى نحو الثلاثة آلاف، وفى أول خميس من رجب خمسة عشر قنطارا وخمسة أرطال من الحلواء، وخمسة عشر مائة طير من الدجاج، ونيف وكذلك فى النصف، وفى السابع وعشرين من الشهر المذكور، ومثل ذلك فى منتصف شعبان، ومنتصف رمضان والسابع والعشرين منه، وفى يوم عاشوراء، ويزاد فى هذا اليوم على ما ذكر خمسون حملا من أنواع آلات اللعب والطرب للصبيان والنساء، ومن القمح لزكاة عيد الفطر أربعة أوسق.

ومن الشعير لعلف إناث الخيل التى بأجدال بقصد الإنتاج وعددها خمسمائة وسبعون فرسة من أعتق موجود وفحولها وعددها ستة وعشرون أوسق تسعة وأربعون وستة وعشرون مدا مشاهرة.

ومن شعير علف النعم ثلاثة أمداد مياومة.

ومن شعير علف ذكور الضأن المعدة للشواء للجناب السلطانى عندما تكون جلالته بالعاصمة المكناسية ستة عشر مدا فى كل يوم.

وفى أيام الشتاء ينفذ للدار العالية بالله عدد وافر من الشكلاط وقدور السكنجبير المرقد فى السكر والعسل ومعاجين التفاح والإِجَّاص[1] والسَّفَرْجَل[2]، ويخص الأعيان من الشرفاء والشريفات بالعنبر.

---

(١) الإجَّاص: شجر من الفصيلة الوردية، ثمره حلو لذيذ، يطلق فى سورية وفلسطين وسيناء على الكمثرى وشجرها، وكان يطلق فى مصر على البرقوق وشجره.

(٢) السفرجل: شجر مثمر من الفصيلة الوردية.

وفى كل عاشوراء يوجد عدد وافر من الدراهم لا يقل عن ثلاثين ألف فرنك، يوزع على من بالدار العالية حتى وخش الرقيق صلة.

كما تنفذ للدار العالية ومن فى حكمها الكسوة النسوية صيفاء وشتاء الطبقة الأولى تقاصيص خمس من الملف الرفيع فى كل تقصيصة أربعة أذرع ونصف، وخمسة أطراف من رفيع الكتان، وعشرة شقق من ثياب الحرير والقطن، ومائة وخمسون فرنكا.

الطبقة الثانية ثلاثة تقاصيص ملفا، وثلاثة أطراف كتان، وستة دفائن من القطن ومائة فرنك.

الطبقة الثالثة تقصيصة من الملف وطرف من الكتان وطرف من الشيت (كتان غليظ مزوق بالألوان) وكلما ورد السلطان من أسفاره ينفذ لمن ذكر الصلة بقدر صلة الزكاة المذكورة عادة محكمة لا تتخلف.

وليس ما بين قاصراً على مكناس بل يعم سائر الدور السلطانية وما هو مضاف إليها ومحسوب عليها بفاس ومراكش وتافيلالت، ولم يكن لهذا القدر حد محدود بَلْ من طلب شيئا من السبانى أو حزم الزردخان أو الفلوس أو الكسوة ينفذ له.

أما باقى العائلة من الشرفاء القاطنين بالدار الكبرى والستينية فقد كان لهم من الخبز فى كل يوم مائتان يقتسمونها بينهم، وفى كل عاشوراء ألف ريال، ومثلها فى عيدى الفطر والأضحى، وكذلك فى عيد المولد النبوى.

وكذلك ثلاثمائة رأس من ذكور الضأن أضحية لهم فى كل عيد أضحى، والكسوة للأرامل والأيتام، ودار مولاى عبد الله، وحزابة الضريح الإسماعيلى ومن فى حكمهم كل سنة.

ومن أراد أن يتزوج أو يزوج أو يعق أو يجعل ختانا ينفذ له ما يكفيه فى وليمته مع الكسوة لعائلته.

ولم يزل العمل جاريا بجميع ما سطرناه إلى آخر نفس من الدولة العزيزية، أما الآن فإن مُؤْنَة الدور السلطانية والعائلات الملوكية صارت تدفع نقودا، كما أن الخليع والكسوة السنوية والصلات الاعتيادية قد أبطل العمل بها، كما عطل استعراض السلطان جيوشه بنفسه، وكذلك جميع الجيش السلطانى لم يبق منه اليوم عدا نحو المائتين والخمسين بضميمة الإضافات والملحقات كما أنه لم يبق اليوم سوى (طابور العبيد) المسمى بالحرس الملوكى.

وليس مستندنا فى ذلك مجرد السماع بل المشاهدة والعيان والحيازة للواجب من ذلك من الصنف الأول وبمكتبتنا من الأوراق الرسمية التى هى أكبر دليل وأوضح برهان عليه ما لو تتبعنا بعضه من جلب النصوص لاحتجنا إلى مجلدات، ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، وما عندنا بالنسبة لما غاب عنا قل من كثر، فإن الكنانيش المعدة لتقييد ذلك وضبطه من العصر الإسماعيلى إلى آخر الدولة العزيزية فرقته أيدى سبَاً، كم أوقدت به من فرن وسخنت به من حمامات الشىء الذى تخر له الجبال هَدّاً.

وقد ألم محبنا وابن محبنا ومحب سلفنا القائد المصطفى بن يعيش رئيس مشور الخليفة السلطانى بتطاوين ببعض هذه الفصول فى كناشته المتفرعة من كناشتى والده وجده، وهما ممن كانت له رياسة قيادة المشور وتربى فى الخدمات السلطانية منذ نعومة الأظفار إلى أن شب وشاب.

مشيخته: منهم صاحب شكاياته أبو الحسن على المسفيوى وستأتى ترجمته، وأبو العباس أحمد بن الحاج السلمى الفاسى محشى المكودى والأزهرى على الآجرومية، ومؤلف التاريخ المسمى بالدر المنتخب المستحسن، وأبو عبد الله محمد ابن عزوز الرباطى الأصل المراكشى الدار.

بناءاته: قد أتينا على ماله من المآثر بالعاصمة المكناسية عند تعرضنا لما للملوك فيها من الآثار، وقد أنفق فى ذلك أموالاً كثيرة حسبما يدل لذلك كناش قوس مكناس المحفوظ بخزانتنا، كما قدمنا قريبا ذكر ما شيد وجدد من الأبراج والحصون بثغرى طنجة والرباط، ومن آثاره أيضا بالرباط بناؤه مرساها وتجديد ديوانتيها والزيادة فى رصيفها قبل إصلاحها الحادث بعد، وكذلك بنى قصبة الحاجب بحبوحة برابرة بنى مطير وقصبة تيزنيت، ومن تأسيساته باب قبيبة السمن كما يدل لذلك ما هو مكتوب بأعلى الباب المذكور فى نقش زليج أسود بخط بارع ولفظه:

باب السعادة أشرقت أنوارها	لما ارتقت أوج العلا أسوارها
أضحى على الفتح المبين بناؤها	فلذاك جلت جملة أخطارها
قامت بسعد مليكنا الحسن الرضى	فعلا به فوق السهى مقدارها
لازال نصر الله منها داخلا	لجناب من عزت به أنصارها
والعز والتمكين يغشاه بها	حتى تتم لنفسه أوطارها
ما قال سعد تمامها تاريخها	«كملت مبان بابها آثارها»

١٢٩٣

ما خلفه من الأولاد رحمه الله

مولانا محمد - فتحا - الخليفة بمراكش سابقا، وهو أكبر الذكور وشقيقاه مولاى زين العابدين الخليفة السلطانى بتزنيت حينه، ولال أمينة أمهم الشريفة المصونة مولاتنا زينب بنت العلامة مولاى العباس بن عبد الرحمن بن هشام.

مولاى عبد الحفيظ السلطان السابق، وشقيقاه مولاى بو بكر خليفته بمراكش سابقا، ولال حبيبة أمهم الحرة المكنونة السيدة العالية بنت صالح بن الغازى الشاوى الشهير.

مولاى إسماعيل وشقيقته لال خديجة المدعوه لال سيدى أمهما الشريفة لال هنية بنت ابن عمنا النقيب مولاى أحمد بن زيدان.

مولاى المصطفى وشقيقته السيدة نزهة أمهما الشريفة لال أم الغيث بنت مولاى الأمين بن عبد الرحمن بن هشام.

مولاى الكبير وشقيقته لال شريف أمهما ميمونة.

مولاى عبد العزيز السلطان من بعده وشقيقه سيدى محمد المهدى أمهما المولاة رقية تركية.

السلطان مولانا يوسف والسيدة زينب أمهما الصينة المولاة آمنة تركية توفيت فى عهد ولدها سنة ١٣٣٦ وقال الشعراء فى رثائها.

مولاى المأمون الخليفة السلطانى حينه بفاس. أمه المولاة الياسمين صرغينية.

مولاى عثمان وشقيقته السيدة ربيعة أمهما المولاة طويمو.

مولاى جعفر أمه المولاة عويشة.

مولاى بلغيث وشقيقته السيدة أسماء أمهما المولاة زهراء بوزكرى شاوية.

مولاى الطاهر وأشقاؤه، مولاى أحمد، ومولاى التهامى وسمى جده سيدى محمد دعى المكناسى، والسيدة لبابة ولال مليكة أمهما المولاة حسن الملك تركية.

مولاى موسى، وشقيقه مولاى الأمين أمهما المولاة طويمو السيد موسى.

مولاى العباس وشقيقته السيدة سكينة أمهما المولاة كنزة.

مولاى إدريس أمه المولاة حبيقة.

مولاى الطيب أمه المولاة فائدة الشركية.

مولاى على أمه المولاة جمعة.

مولاى عبد الله وشقيقه المولى الحسن أمهما المولاة فتح الزهر مولاى عمر الخليفة السلطانى بفاس سالفا وشقيقته لال أم الخير أمهما المولاة خويرة عبد الكامل.

السيدة حفصة وشقيقتها السيدة أم هانى أمهما المولاة عبلة.

السيدة أم كلثوم أمها المولاة عائشة التركية.

السيدة كنزة أمها المولاة الدامى عبدية.

السيدة فخيتة أمها لبيبة تركية.

السيدة الباتول والسيدة عائشة والسيدة فاطمة الزهراء أمهن الضاوية شلحة.

السيدة السعدية أمها زهرة شيظمية.

السيدة صفية والسيدة جمالة أمهما المولاة فتح الزهر الصغيرة.

السيدة فضيلة أمها المولاة بحر الزين.

السيدة زهور أمها المولاة نضار تركية.

السيدة فاطمة وهى أكبر أولاده ذكورا وإناثا أمها زهوة شيظمية.

السيدة مريم والسيدة عتيكة أمهن المولاة فتح الزهر عبد الكامل.

السيدة ستى أمها المولاة خديجة تركية.

الشريفات من نسائه

الشريفة السيدة زينب المذكورة، والشريفة السيدة هنية المذكورة، والشريفة السيدة حليمة بنت مولاى العباس بن عبد الرحمن، والشريفة السيدة مليكة، والشريفة السيدة أم الغيث بنت مولاي الأمين، والشريفة السيدة ستى بنت مولاى على بن عبد الرحمن بن هشام.

الحرائر منهن

السيدة العالية المذكورة، والسيدة خديجة بنت الكبير بن المدنى الشاويتين والمذكورات من الشريفات.

المطلقات منهن

١ الزيدانية، ٢ والسيدة زينب، ٣ والسيدة العالية، ٤ وبنت ابن المدنى: والباقيات ٤ مات وهن فى عصمته وما عداهن من المذكورات مستولدات.

وفاته: توفى أثناء طريقه لدا منقلبه من مراكش لمكناس وفاس عقب أوبته من الحركة الفيلالية المارة الذكر بالمحل المعروف بدار ولد زيدوح من قبيلة بنى موسى من الصقع التادلى فى الساعة الحادية عشرة من ليلة يوم الخميس ثانى ذى الحجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، وكتم ذلك عن الخاصة والعامة داهية الحجاب والوزراء أحمد بن موسى مار الترجمة، ولم يفش الأمر لأحد وأمر الحرم بالتجلد والصبر، وإلا فإنهن يوقعن أنفسهن فى الفضيحة والعار لعدم أمن غائلة تلك القبيلة، وصار يصدر الأوامر والنواهى للوزراء وغيرهم على لسان المترجم وأمر من يناديه كل آونة ليكلم السلطان ولم يزل يرتكب وجوه التدبير والسياسة حتى قطعت المحال المهامة المخوفة وخيمت بالمحل المعروف بالبروج من بلاد بنى مسكين، فعند ذلك باح للناس بما كتم، وأبرز المقدور المحتم، فتسارع الناس لبيعة

ولى عهده المولى عبد العزيز وغسل المترجم وكفن وجعل فى تابوت، وحمل إلى رباط الفتح حيث مضجعه الآن بضريح جده السلطان سيدى محمد بن عبد الله، وطير الإعلام بذلك للحواضر والبوادى، فوصل الخبر لمكناس وفاس يوم الثلاثاء سابع الشهر، وفى الساعة الحادية عشرة من يوم عرفة دفن حيث أشير، رحمه الله رحمة واسعة آمين

* * *

الجزء والصفحة

الجزء والصفحة

(حرف الألف)

رقم الترجمة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
علائقه السياسة	١/ ٣٤٤
٩ - أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش.	١/ ٣٤٦
١٠- أحمد بن عبد القادر زغبوش.	١/ ٣٤٦
١١- أحمد بن عميرة المخزومي.	١/ ٣٤٧
١٢- أحمد بن على الزرهوني.	١/ ٣٥٣
١٣- أحمد بن محمد البكرى.	١/ ٣٥٤
١٤- أحمد الشبلي.	١/ ٣٥٤
١٥- أحمد بن عبد الرحمن اليَفَرْنِي.	١/ ٣٥٥
١٦- أحمد بن العربي الغُمَارى.	١/ ٣٥٥
١٧- أحمد بن عاشر.	١/ ٣٥٦
١٨- أحمد بن عبد المنان.	١/ ٣٦٣
١٩- أحمد بن سعيد الحباك.	١/ ٣٦٦
٢٠ - أحمد بن سعيد المكناسي يكنى أبا العباس.	١/ ٣٦٨
٢١ - أحمد بن محمد الحباك المكناسي.	١/ ٣٦٨
٢٢- أحمد بن محمد بن غازى.	١/ ٣٦٩
٢٣- أحمد الشبيه.	١/ ٣٧٠
٢٤- أحمد بن بن ميمون المسطاسي.	١/ ٣٧١
٢٥ - أحمد بن أحمد بن أبى العافية.	١/ ٣٧١
٢٦- أحمد بن على المنجور.	١/ ٣٧٢
٢٧- أحمد بن عمر الحارثي السفياني.	١/ ٣٧٥
٢٨- أحمد بن إبراهيم الجنّان.	١/ ٣٧٦
٢٩- أحمد بن سعيد المِجْلَدِى.	١/ ٣٧٩

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
٨٣ - أحمد بن القائد محمد الشاذلى.	١/ ٥٣٩
٨٤ - أحمد بن العالم القادرى.	١/ ٥٣٩
٨٥ - أحمد بن الصديق التواتى.	١/ ٥٤٠
٨٦ - أحمد بن العربى الأمْرانى.	١/ ٥٤١
٨٧- إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل.	٢/ ١١
بحث فى أول من ضرب السكة قبل الإسلام وبعده وأول من ضرب السكة المركنة	٢/ ١٩
٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور.	٢/ ٢٧
٨٩ - إدريس بن السلطان سليمان.	٢/ ٣٠
٩٠ - إدريس بن التهامى أجانا.	٢/ ٣٢
٩١ - إدريس بن الطيب منون.	٢/ ٣٥
٩٢ - إدريس بن الطيب بوعشرين.	٢/ ٣٦
٩٣ - إدريس بن أحمد بن مسامح.	٢/ ٣٨
٩٤- إدريس بن أحمد الخطابى.	٢/ ٣٩
٩٥- إدريس بن أحمد البخارى.	٢/ ٣٩
٩٦- إدريس بن المكى البخارى.	٢/ ٣٩
٩٧- إدريس بن حفيد برادة.	٢/ ٤٠
٩٨- إدريس بن القائد محمد الفيضى.	٢/ ٤١
٩٩- إدريس بن اليزيد المقرئ.	٢/ ٤١
١٠٠- إدريس بن إدريس الوزير الأديب.	٢/ ٤٢
١٠١- إدريس بن بوعزة الميسورى.	٢/ ٥٢
١٠٢- إدريس الأمرانى.	٢/ ٥٣

رقم الترجمة | الجزء والصفحة

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

رقم الترجمة		الجزء والصفحة
	مع الدولة العثمانية	٢/ ٤٢٧
	مع البرتقال	٢/ ٤٣١
	مع أمريكا والبلجيك	٢/ ٤٣٣
	مع البابا	٢/ ٤٣٤
	ذيل فى وثائق تتعلق بقضايا مع نواب تلك الدول	٢/ ٤٣٥
	مؤتمر مدريد ووفقه	٢/ ٤٧٩
	ضربه السكة الحسنية	٢/ ٥٠٦
	اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها	٢/ ٥٣٩
	سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية وإرساله وفود الطلبة للديار الأوربية	٢/ ٥٤٣
	قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية وجلب ما تحتاج إليه من المقومات الحربية واستخدام المتخرجين فى الهندسة من البعثة المغربية	٢/ ٥٤٩
	الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية واهتمامه بالاطلاع على المخترعات العصرية وما كان على عهده بالعدائر والهوائر السلطانية	٢/ ٥٦٩
	استعداده البحرى	٢/ ٥٨٤
	ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال دولته	٢/ ٥٩٠
	كيفية ترتيب الملاقاة	٢/ ٦٠٦
	كيفية تعمير المشور	٢/ ٦٠٦
	الهيئة الرسمية وما تتألف منه	٢/ ٦٠٧
	قواد الجيش العامل	٢/ ٦٠٨

رقم الترجمة		الجزء والصفحة

(حرف الميم)

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
نقباؤه	٣/ ٦٥٨
عماله	٣/ ٦٥٩
قواده	٣/ ٦٥٩
أمناؤه	٣/ ٦٥٩
أولاده	٣/ ٦٦٠
بعض ما قيل فيه من المديح	٣/ ٦٦٢
وفاته	٣/ ٦٦٥
١٨٠- محمد بن عيسى الصدفى.	٣/ ٦٦٥
١٨١- محمد بن حماد زغبوش.	٣/ ٦٦٦
١٨٢- محمد بن عبدون.	٣/ ٦٦٧
١٨٣- محمد بن أحمد بن أبى العافية.	٣/ ٦٦٨
١٨٤- محمد بن قاسم المالقى.	٣/ ٦٦٩
١٨٥- محمد بن ورياش.	٣/ ٦٦٩
١٨٦- محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحداد.	٣/ ٦٧٠
١٨٧ - محمد بن أبى الفضل بن الصباغ.	٣/ ٦٧١
١٨٨- محمد بن أحمد بن أبى عفيف.	٣/ ٦٧٤
١٨٩- محمد بن أحمد الحسنى.	٣/ ٦٧٥
١٩٠- محمد بن موسى العبدوسى.	٣/ ٦٧٥
١٩١- محمد بن عمر بن الفتوح التلمسانى.	٣/ ٦٧٦
١٩٢- محمد بن سعيد المكلاتى.	٣/ ٦٧٨
١٩٣- محمد المكناسى.	٣/ ٦٧٨
١٩٤- محمد بن أبى غالب بن أحمد عرف بابن السكاك.	٣/ ٦٧٨
١٩٥- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرنى.	٣/ ٦٨٠

رقم الترجمة		الجزء والصفحة

رقم الترجمة		الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة